لقد قام الطالب بعمل التصويبات اللازمة
المشرف
عبد اللطيف بن دهيش
محمد السيد محمد عصافي
محمد حسين العقبي
محمد العقبي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

سياسة حكومة الحجاز تجاه الأقطار العربية المجاورة

١٣٣٤ - ١٣٤٣هـ / ١٩١٦ - ١٩٢٤م

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث

المجلد الأول

إعداد
عبد المغيث مدرس النعماني

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد اللطيف عبد الله بن دهيش

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

بســـــم الله الرحمـــن الرحيـــــم

ملخـص الرســـالة

عنـوان الرسالة (سياسة حكومة الحجاز تجاه الأقطار العربية المجاورة عام ١٣٣٤ - ١٣٤٣هـ/١٩١٦ - ١٩٢٤م)

من الملاحظ أن من كتب عن الفترة التي شهدت قيام حكومة الشريف حسين في الحجاز ، والتي لم تدم أكثر من تسعة أعوام ، لم يعالجوها معالجة دقيقة ، وانما تطرقوا للحديث عنها باختصار شديد ، فلم تبحث هذه الفترة بحثا علميا دقيقا ومستقلا . فكان بعضهم قد لمح عن سياسة هذه الحكومة من خلال استعراضه لبعض القضايا العربية مع العثمانيين أو مع الدول الاستعمارية ، وخاصة بريطانيا التي استغلت فرصة الخلاف بين العثمانيين والزعامات العربية في بلاد الشام التي أيدت الشريف حسين في الحجاز ، في إعلانه زعامته على العرب ، فعرضت على الشريف فكرة الثورة على العثمانيين ، وذلك لإخراج البلاد العربية من طاعة الدولة العثمانية ، خدمة لمصالحها الخاصة ، وتمشيا مع مخططاتها الاستعمارية .

وتحتوي خطة البحث على تمهيد وتسعة فصول رئيسية ، فالتمهيد جاء مدخلا للبحث ، يهدف إلى إعطاء فكرة عن الأوضاع السياسية في الحجاز وبعض البلدان العربية الأخرى التي كان الشريف حسين يطمع في السيطرة عليها ، كبلاد الشام والعراق ومصر ، والحكام المحليين المجاورين للحجاز قبل عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م .

أما الفصول التسعة ، فخصصت للحديث عن سياسة حكومة الحجاز وعلاقاتها ببعض الأقطار العربية المجاورة ، ومدى تأييد القيادات العربية في بلاد الشام والعراق للشريف حسين في الحجاز، الذي نصب نفسه ملكا على العرب رغم معارضة بعض الحكام العرب المجاورين له ، مستندا في ذلك على الدعم البريطاني في ثورته ضد العثمانيين ، ولم يكتف بذلك بل رفع شعار العداء للسلطان عبدالعزيز وأخذ يتحرش بالمناطق الخاضعة للدولة السعودية ، مما أدى إلى نشوب القتال حول الحدود بين الحجاز ونجد ، وتمادى الشريف حسين فمنع حجاج المناطق الخاضعة للدولة السعودية من أداء فريضة الحج ، بدعوى ضعف الأمن في الحجاز .

وعندما فشلت المساعي في حل الخلافات بين السلطان عبدالعزيز والشريف حسين بالطرق السلمية ، قرر السلطان عبدالعزيز آل سعود محاربة قوات الشريف التي كانت تهدد حدوده ، واستطاع بعون من الله ، ثم بسياسته الحكيمة ، أن يقضي على تلك القوات بعدما ثبت له أنهم غير أمناء على المقدسات الإسلامية .وتم له ضم الحجاز لدولته ، فنعم الحرمان الشريفان بالعدل والأمن والأمان في ظل حكم آل سعود .

ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث :

١ - أن الشريف حسين ارتكب خطأ فادحا في حق الأمة العربية والإسلامية بشعاراته وتحركاته ، التي كان يهدف من ورائها إلى تحقيق مطامعه الشخصية ، رغم تحذيرات بعض الشخصيات الإسلامية والعربية له من مغبة اللعبة البريطانية ، ولكنه لم يستجب لتلك النداءات ، بل انساق وراء الأطماع البريطانية ، وأعلن ملكيته على البلاد العربية معتمدا في ذلك على دعم وتأييد بعض الزعامات السورية له .ومحققا بذلك المطامع البريطانية في المنطقة .

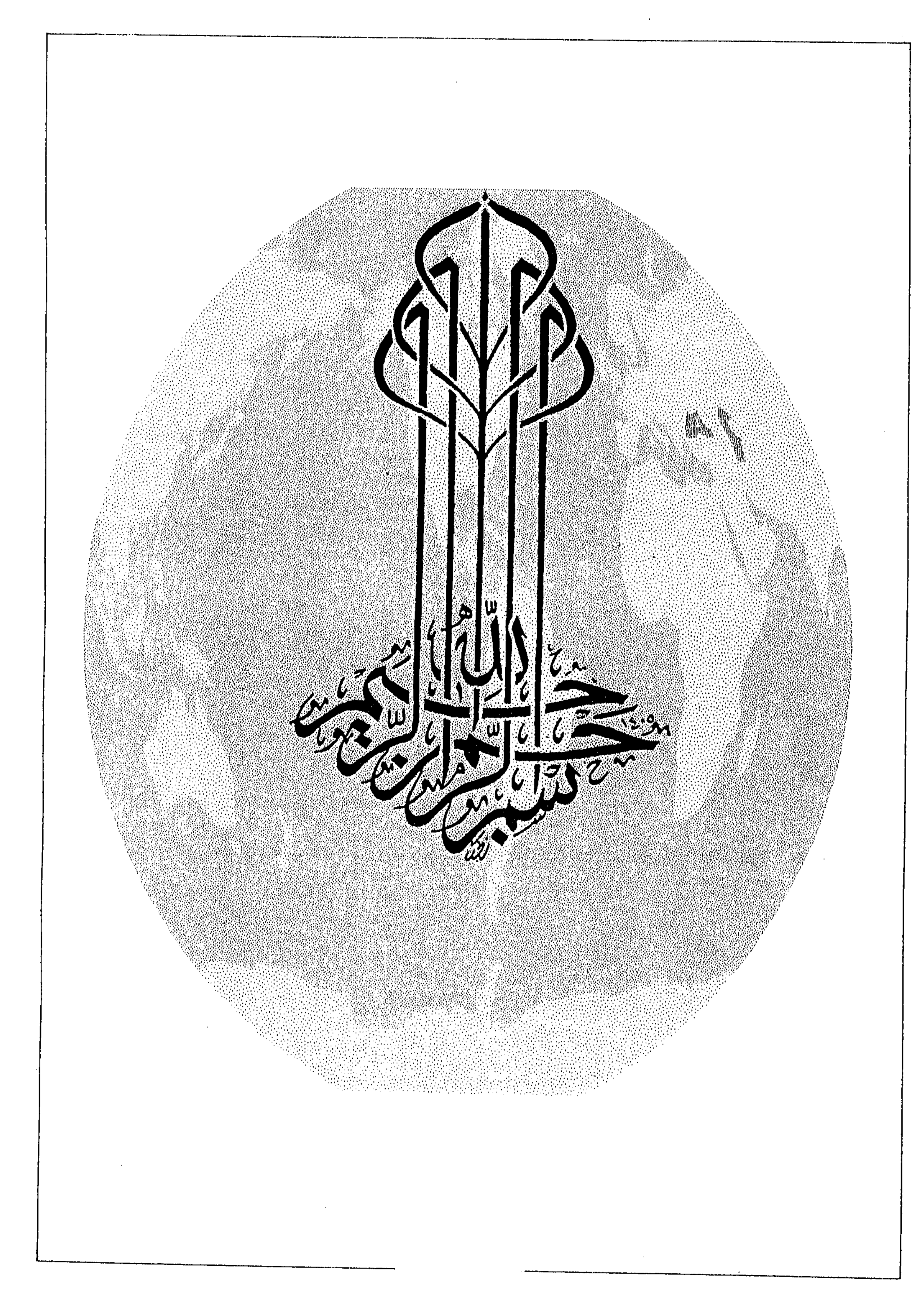
٢ - لقد أدرك الإمام عبدالعزيز آل سعود أبعاد النوايا البريطانية في أستغلال الثورة لصالحها ، حتى تتمكن من التوغل إلى داخل البلاد العربية ، منتهزة فرصة الخلافات بين الزعامات العربية ، ولذلك اتصل بالشريف حسين ، وحثه على نبذ الخلافات ، وتوحيد الصف العربي ، لمواجهة الأخطار المحيطة بالبلاد العربية ، ولكنه لم يجد لندائه مناصرا .

٣ - لقد ضعف مركز الحسين بعد سقوط سوريا في يد فرنسا بمساندة بريطانية ، وأخذت مكانته تضعف ، واتهم بالخيانة الكبرى ، وتضافرت عدة عوامل ساعدت على زعزعة عرشه ، وذلك بعد ضياع جزء كبير من مملكته التي يحلم بأقامتها ، عندما ثار على العثمانيين ، ففقد بذلك مكانته في المحافل الدولية ، وزال بريق الآمال التي عقدتها عليه الزعامات العربية في بلاد الشام ، لأنه لم يستطع حمايتها من الاستعمار الفرنسي والتوغل البريطاني داخل البلاد العربية .

٤ - لقد أثبتت الأحداث أن الشريف حسين أخطأ في معالجته للقضايا العربية ، وهذا يدل على أنه ليس لديه أي إلمام بالعمل الدبلوماسي ، ولا يملك الحنكة السياسية ، ولو أنه كان يجيد اللعبة السياسية لما خضع لوعود بريطانيا. وعلى هذا الوهم الخاطئ أجاز لنفسه أن يسير بقواته إلى نجد ، دون أن يعطي أي اهتمام بالسلطان عبدالعزيز آل سعود ، في الوقت الذي كان فيه السلطان عبدالعزيز يدرك ما تخبئه الأيام لمثل تلك الزعامة الزائفة ، ومع ذلك حاول السلطان عبدالعزيز آل سعود في البداية أن يتحاشى الصدام مع الشريف حسين ، على الرغم من أنه أتخذ موقف أشد صلابة وأكثر حزما منه .

٥ -وعندما رأى السلطان عبدالعزيز آل سعود تزايد التحركات على حدوده مع الشريف ، رغم ضغوطه على أتباعه بعدم التحرك ، أتخذ القرار المناسب ، ليعيد الأمن والنظام في الحجاز ، بعدما تردت الأحوال السياسية فيه ، وبعدما كثرت شكاوي حجاج بيت الله والمواطنين العزل من سوء المعاملة واضطراب الأمن ، وخشية من أن يقع الحجاز في يد أعداء الإسلام من البريطانيين والفرنسيين ، فإن السلطان عبدالعزيز آل سعود قرر ايقاف الشريف حسين عند حده ، فتقدم بقواته إلى الحجاز وتمكن من ضمه إلى دولته ، لينعم الحجاز وسكانه بالأمن والأمان في دولة قوية موحدة تحت قيادة الملك عبدالعزيز ، الذي جعل من كتاب الله وسنة نبيه المطهرة دستورا لدولته ، التي ضمت معظم مناطق الجزيرة العربية في وحدة واحدة وبالله التوفيق .

الطالـــب	المشـــرف	رئيس قسم الدراسات العليا التاريخيـــة والحضـــارية	عميد كلية الشـــريعة والدراســات الاسلاميـة
عبدالمغيث مديرس النعماني	أ. د. عبداللطيف بن دهيش	أ.د. يوسف بن علي الثقفي	د. محمد بن علي العقـــلا


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد الله الذي بفضله تتم الصالحات ، وأشكره على توفيقه الذي كان له أكبر الأثر في إنجاز هذه الدراسة التاريخية ، والتي أسأله تعالى أن تكون فتحاً جديداً .
وأصلي وأسلم على الهادي البشير الذي بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق ، وأما بعد :

فإني أرى أنه من كرم الأخلاق وتمامها أن يعترف الأنسان لأهل الفضل بفضلهم شكراً لهم وتقديراً على ما قدموه ، ومن هذا المنطلق ، فانه لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مد يده إليَّ معاوناً ومساعداً ، من أول يوم بدأت فيه البحث ، وحتى الساعة التي أنجزته فيها . وأخص بالذكر سعادة الأستاذ الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش المشرف على الرسالة ، الذي كان بمثابة الأخ ناصحاً ومشجعاً ومساعداً والأستاذ الموجه والمرشد ، والذي أعطاني من وقته الشيء الكثير رغم مشاغله الأكاديمية ، وكان لملاحظاته وتوجيهاته ، الأثر الملموس في تسيير هذه الدراسة في مسارها الصحيح .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد بن حميدان العويضي بمعهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية بالرياض ، الذي أعطاني من وقته الكثير رغم مشاغله الدراسية في بريطانيا ، الذي ساعدني في الحصول على الوثائق التي تخص بحثي من دور الوثائق بالمتحف البريطاني ، وكذلك الأستاذ الدكتور عبدالله الحيد بجامعة أم القرى ، والدكتور يوسف حسن العارف مدير المدارس السعودية بالباكستان اللذين أمداني ببعض المصادر والمراجع المهمة .

وأقدم الشكر الجزيل - أيضاً - للقائمين على مكتبة جامعة أم القرى بمكة ، ودارة الملك عبدالعزيز بالرياض ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، وأخص منهم بالذكر الأستاذ ابراهيم منشي مدير المجموعات الخاصة ، والوثائق الذي ساعدني في فتح مكتبة الشيخ نصيف ، والذي وجدت فيها من المصادر والمراجع ما يخص رسالتي من معلومات تاريخية موثقة ، تتصل إتصالاً مباشراً بطبيعة الموضوع .

ولا أنسى - وأنا في هذا المقام - أن أتوجه بالشكر إلى المسئولين بجامعة أم القرى

بمكة ، ولا سيما كلية الشريعة عميداً ووكيلاً ، وقسم الدراسات العليا (قسم التاريخ والحضارة الإسلامية) رئيساً ومرشدين وأكاديمين وإداريين على ما بذلوه لي من جهد ومن تسهيلات ، وتشجيع في سبيل إخراج هذا البحث إلى الوجود .

وأخيراً أوجه الشكر مقروناً بالعرفان إلى الإستاذين الكريمين الذين يناقشان هذه الدراسة ، مقدراً لهما سلفاً ما يبذلانه من جهد في قراءتها ونقدها سائلاً المولى عز وجل أن يعيننا ويفيدنا ويأخذ بأيدينا ، وأن يكلل جهودنا بالنجاح أنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

المقدمـــة

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن في ثنايا تاريخنا العربي الحديث حكومات عربية ، سادت ثم بادت ، نتيجة لأطماع بعض زعمائها في الزعامة ، والسيطرة على كل البلاد العربية المجاورة لها ، بمساندة وإغراء بعض الدول الأستعمارية لها ، ومن هذه الحكومات التي نحن بصدد دراستها حكومة الشريف حسين ، التي أقامها في الحجاز بعد إعلان ثورته على الدولة العثمانية ، وطالب باعتراف القيادات العربية في بلاد الشام والعراق وأمراء شبه الجزيرة العربية بحكومته ، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية ، لأجل ربط مصيرهم بحكومته في الحجاز ، لتحقيق رغبته في إقامة حكومة عربية مترامية الأطراف من البلاد العربية المجاورة له تخضع لسيطرته .

والذي يهمنا هنا ، في هذا البحث هو دراسة موضوع : (سياسة حكومة الحجاز تجاه الأقطار العربية المجاورة من سنة ١٣٣٤ -١٣٤٣هـ /١٩١٦-١٩٢٤م) ، وهذا الموضوع لم يلق نصيبه من الدراسات التاريخية في جامعاتنا في موضوع منفصل ، كما ينبغي من الشمول والعمق ، إلاَّ أنه أحياناً يجيء ذكره عرضاً في كتاب أو فصل من كتاب حافل بنواقص كثيرة أبرزها عدم دقة الرواية أو تلوين الحقيقة حسب هوى الكاتب ، وعدم تناول الموضوع كله بحيث يكون مترابطاً ، مما جعل المعلومات المتعلقة به تجيء متناثرة في بطون الكتب ، تأتي بإشارات عابرة حتى في المصادر الأصلية المعاصرة لفترة البحث أو الدوريات المحلية المعاصرة للأحداث التي نحن بصدد دراستها ، وكل هذه الدراسات لم تعطيها البعد الكافي من الطرح والتوضيح في أطروحة خاصة .

ونتيجة لأهمية هذا الموضوع ، فقد قررت البحث فيه بحثاً علمياً منفصلاً ، لأبين فيه مدى تطور علاقة حكومة الشريف حسين في الحجاز بالأقطار العربية المجاورة له ، خلال الفترة من (١٣٣٤-١٣٤٣هـ/١٩١٦-١٩٢٤م) ، وهي فترة تسع سنوات من عمر حكومة الحسين التي أقامها في الحجاز ، محاولاً ما أستطعت أن أتلافى الهنات والهفوات التي وقع فيها من سبقني ، وتسليط الضوء على هذا الموضوع المهم ، والعمل على تقصي الحقائق من مصادرها الأصلية مع تحري الدقة والأمانة العلمية ،

وباسلوب علمي سليم وواضح . مستفيداً بالدرجة الأولى من توفر بعض الوثائق البريطانية غير المنشورة والمصادر العربية الأصلية ، التي تغطي الجانب الأكبر من الحوادث التي جرت خلال فترة البحث ، متبعاً لذلك منهجاً وضعته لنفسي ، يقضي بالأبتعاد عن التوسع في ذكر الجوانب التي أفاض الباحثون قبلي في سردها ، حتى أصبحت معروفة ومتواترة والإكتفاء بإشارة مختصرة عنها .

ولقد واكب هذا البحث بعض الصعوبات ، يمكن إجمالها فيما يأتي :

أولاً : بروز القوميات السياسية لحكومة الشريف حسين في الحجاز وموقفها من حكومات الحلفاء ، فلم يكن بالإمكان فصل هذه السياسة عن الأوضاع السائدة في المشرق العربي ، خاصة في بلاد الشام ، بقدر ما كان يصعب علينا دراسة هذه الأوضاع . ولذلك حاولت قدر الإمكان أن اتجرد في البحث عن التأثر بالجمعيات العربية في سوريا ، والتي تأثر بها الشريف حسين قبل وبعد إعلان ثورته في الحجاز ، حيث كانت له علامات سلبية أو إيجابية بالقيادات الاتحادية في الحكومة العثمانية المسيطرة على الحكم في بلاد الشام والعراق .

ثانياً: سعة الموضوع بصورة عامة ، ويعود ذلك إلى إتساع حجم المشاكل التي حدثت في المنطقة العربية خلال فترة الدراسة ، خاصة بعد إعلان الحسين ثورته على الدولة العثمانية ، وتضارب وجهات النظر عن تلك الأحداث في مصادر البحث، ومما دفعنا إلى مراقبة تلك المصادر وأهوائها، وما يتطلبه ذلك من الاجتهادات في بعض الأحيان لبيان الحقيقة .

ثالثاً : دراسة جزئيات سياسة الشريف حسين مع جيرانه في تلك الحقبة التي نحن بصدد دراستها ، مبتدئاً ببداية اتصالاته السرية بالأحزاب السياسية في الولايات العربية السورية والمتصرفيات العثمانية ، بقصد توثيق وتوطيد علاقته بها لإقامة دولته التي يطمع في إقامتها فيها ، وهذا لم يكن بالسهولة تجاوزه أو الخروج منه بحقائق وافية للملابسات التي تحيط بهذه السياسة مع الأبتعاد عن التحيز ، معتمداً في كل ذلك على دراسة المصادر والمراجع ، وتحليلها بامانة بعيداً عن المغالطات أو التحيزات ، من أجل الحصول على المعلومات التاريخية والمادة العلمية الدقيقة ، التي يمكن أن تكون قاعدة الانطلاق في إعداد دراسة تاريخية جديدة ومفيدة .

ولقد أستقى البحث مادته العلمية من المصادر الأصلية ، ومنها : الوثائق البريطانية غير المنشورة والمنشورة منها ، هذا إلى جانب الاعتماد على مجموعة كبيرة من المصادر العربية والمعربة والأجنبية ، والدوريات المعاصرة للأحداث .

ولما كانت الوثائق من أهم مصادر البحث سواء كان منها غير المنشور أو المنشور ، فلقد تم استعراض الوثائق البريطانية لأهميتها بالنسبة للبحث ، وذلك لما تحتوي عليه من معلومات مهمة وقيمة عن موضوع البحث ، آخذاً في الأعتبار ما تحمله تلك الوثائق من وجهة النظر البريطانية في تفسير الأحداث التاريخية ، وعلى ذلك تم أخذ المعلومات والتعليقات الموجودة في التقارير البريطانية على أنها تحتمل الصدق والخطأ معاً . فكان دوري هنا ، هو العمل على التدقيق في هذه التقارير ونقدها ومقارنتها مع المصادر العربية الأصلية من أجل البعد عن الأخطاء أو الهفوات التاريخية .

ويجدر القول هنا ، أنني في هذه الدراسة لم أقبل بكل ما جاء في الوثائق على أنها قضية مسلم بها ، خاصة وأن أغلب الوثائق البريطانية التي أعتمدت عليها في البحث هي من دائرة الاعتماد البريطاني في جدة ، والمكتب العربي في القاهرة المنحاز إلى جانب الحسين في الحجاز ، والدوائر البريطانية الأخرى في بغداد والهند التي حمَّلت الحسين مسئولية التوتر مع الإمام عبدالعزيز آل سعود في نجد . وهذا مما جعلني اتعامل معها بطريقة حذرة من أجل تحري الدقة والأمانة ، خاصة تقارير المندوبين البريطانيين .

ومن أهم مصادر البحث التي أعتمدت عليها ، هي :

أولاً: الوثائق البريطانية غير المنشورة ، ونعني بها ملفات الوثائق البريطانية المحفوظة في دائرة السجلات العامة بلندن (Puplic Records Office) ، والتي تشتمل على الوثائق الخاصة بوزارة الخارجية البريطانية ، وبدائرة الاعتماد البريطاني في جدة ، والمكتب العربي في القاهرة والدوائر البريطانية في الهند و بغداد وفلسطين .

وهذه الوثائق هي عبارة عن برقيات او تقارير صادرة عن المعتمدين البريطانيين السياسيين في بغداد والكويت والهند ، والمكتب العربي بالقاهرة وجدة إلى حكومتهم في لندن ، يصفون فيها الموقف السياسي المتدهور بين الحجاز ونجد ، والاتصالات التي جرت بين الشريف حسين في الحجاز وحكام حائل خلال الفترة من ١٣٣٢-١٣٤٠هـ/١٩١٤-١٩٢١م ، والموقف السياسي المتدهور في سوريا وبغداد وشرق الأردن ونجد بعد الثورة العربية .

وجاءت هذه الوثائق في عدة ملفات ، قسمتها إلى أقسام كالتالي :

- مجموعة سجلات وزارة الخارجية (Foreign Office).

وهذه الوثائق مصورة على أفلام ميكروفلم ، وأرقامها كالتالي :

- F.O. 371/1495 - 2982 .
- F.O. 371/1812 - 18393 .
- F.O. 371/2773, 2781 .
- F.O. 371/3389, 3390, 3391 .
- F.O. 371/10013, 10014, 10016, 10019 .
- F.O. 371/2497, 5289, 6256, 6371, 7719, 9996 .
- F.O. 371/74 .
- F.O. 371/727 .
- F.O. 371/4147, 5144 .
- F.O.686/74, 134, 135 .
- F.O.405/56 .
- F.O.406/55 .
- F.O.882/13 .

وقد أعطت هذه الوثائق البحث فائدة كبيرة ، حيث تم الاستفادة منها في معالجة النزاعاتالسياسية ، خاصة في الفصول الأربعة الأخيرة من البحث .

- كما حصلت على مجموعة من الوثائق البريطانية الخاصة بوزارة المستعمرات الهندية (India Office Records) ، ومن أهمهاالوثائقالمسجلة تحت الأرقام الأتية:

- I.O.R. L/P & S/10/23 .
- I.O.R. L/P & S/10/338, 388, 389, 488, 450 .
- I.O.R. L/P & S/10/1034, 1089 .
- I.O.R. L/P & S/10/2182, 8319 .

وقد أفادتني هذه الوثائق في معالجة الخلافات السياسية والعسكرية ، التي حصلت بين حكومة الشريف حسين في الحجاز والإمام عبدالعزيز آل سعود في نجد ، وخاصة أزمة واحتي تربة والخرمة ، وأزمة الحج والتجارة وماترتب على ذلك ، والتي حسمها

السلطان عبدالعزيز آل سعود بضم الحجاز لدولته . كما حصلت على عدة تقارير صادرة من الحكومة البريطانية ومعتمديها في بغداد ومصر وجدة حول توتر العلاقات بين الحجازيين والنجديين ، وحاولت بريطانيا عن طريق مندوبيها تسوية الخلافات بين الحكومتين ، لأنها لا تستغني في ذلك الوقت عن الحسين ، الذي وضعها في موقف حرج باطماعه في أراضي جيرانه رغم نصائحها له .

- كما تيسر لي الحصول على مجموعة من الوثائق غير المنشورة ، الخاصة بسجلات وزارة المستعمرات البريطانية (Colonnial Office Records) تحت رقم : C.O. 935/1 -

وهذه الوثائق أفادتني كثيراً في النزاع الذي حصل بين الأدارسة وآل عائض والحسين في منطقة عسير في الوقت الذي ، كان الحسين يطمع في السيطرة عليها .

- كما تم الحصول على وثائق أخرى غير منشورة ، وهي :

(Document on British Foreign Policy)

وجاءت هذه الوثائق على هيئة مذكرات وبرقيات متبادلة بين المندوبين البريطانيين وحكومتهم ، حول توتر العلاقات بين عاهل نجد والحسين في الحجاز عام ١٩٢٠م ، ومن أهم أرقامها البرقيات التالية :

- B.D. Telegram : NO. 273, 285, 288, 281, 313, 303 .

- وقد أستفدت ايضاً من الوثائق العربية المنشورة ، ومنها : وثائق وزارة الخارجية ، وخاصة وثائق التحكيم بتسوية النزاع بين أبوظبي ومسقط واستعرضت موضوع النزاع بين ابن سعود والحسين ، كما حصلت كذلك على وثائق ومعاهدات منشورة أول مرة عن البلاد العربية ، وهي منشورة بجريدة الأيام بدمشق .

فقد استفدت من هذه الوثائق استفادة كبيرة في البحث ، ولا سيما في الفصل الأول والثاني ، حيث أشارت هذه الوثائق إلى المعاهدات والاتفاقيات السرية التي عقدت بين الدول الاستعمارية ، والخاصة بتقسيم البلاد العربية فيما بينها ، في الوقت الذي تجاهل فيه الحسين المخططات الاستعمارية التي كانت تحاك ضده وضد البلاد العربية والإسلامية رغم تحذير العلماء في دمشق والدولة العثمانية له ، لأنه كان يطمع في ذلك الوقت أن يكون حاكماً على كل البلاد العربية ، خاصة بعدما وجد التأييد من بعض القيادات العربية في سوريا وشرق الإردن التي خدعت بوعده لها بالاستقلال

عن الحكومة العثمانية ، خاصة عندما شعر بأن الحكومة البريطانية قد أوقفت عنه الدعم العسكري والمالي من أجل أطماعها هي كذلك ، ولذلك أعلن ثورته وأخذ يتقدم بقواته تجاه دمشق معتمداً على الوعود البريطانية له رغم تحذير نجله فيصل وبعض القيادات العربية المعتدلة في رأيها من ألاعيب بريطانيا إلاَّ أنه لم يأخذ هذه التحذيرات في الاعتبار .

ثانيا: أستعنت في البحث على مجموعة من المذكرات والمؤلفات العربية المعاصرة لفترة موضوع دراستنا ، ومن أهمها :

١ – ماضي الحجاز وحاضره : لحسين محمد نصيف ، وهو مصدر مهم بالنسبة للبحث ، خاصة وأنه عاصر فترة الأشراف في الحجاز ، وتحدث عن الشريف حسين وابنه علي في الحجاز ، وقد نشر هذا الكتاب سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م .

٢ – المخلاف السليماني : لأحمد العقيلي ، وهو من أهم هذه المجموعة من المؤلفات ، لأنه يخدم تاريخ منطقة عسير ، كما أنه يعتمد في مادته على عدد ممن عاصروا الأحداث من شخصيات منطقة جيزان ، وعسير ، وأستقى جزء من مادته من المخطوطات والوثائق المحلية ، وقد أستفدت من هذا المصدر المهم في التمهيد والفصل السادس مع مصادر أخرى .

٣ – تذكار الحجاز (خطرات ومشاهدات في الحج) : للحاج عبدالعزيز صبري بك ، وهو مصدر مهم من المصادر التي يعتمد عليها في موضوع البحث ، لأنه يتحدث عن فترة الشريف حسين في الحجاز ، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٣٤٢هـ ، كما حضر المؤلف الأحداث التي حصلت بين الحسين والحكومة المصرية بشأن البعثة الطبية والحجاج المصريين ، وأستفدت من هذا المصدر إفادة كبيرة في الفصل الأول والرابع .

٤ – توحيد المملكة العربية السعودية : لمحمد المانع ، وهذا مصدر مهم ايضاً ، خاصة وأن المؤلف عاصر الأحداث مع الملك عبدالعزيز آل سعود ، وأستفدت منه في الفصل السابع والثامن والتاسع ، وهي الفصول التي تتحدث عن النزاع الذي حصل بين الحسين في الحجاز وابن الرشيد في حائل مع الملك عبدالعزيز آل سعود ، وتتبع النزاع بينهم حتى ضم السلطان عبدالعزيز آل سعود جبل شمر والحجاز ، وتم

توحيدها مع بعض المناطق الاخرى .

٥ - مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى : لفائز الغصين ، وهذا المصدر مهم بالنسبة للبحث ، وتنبع أهميته بانه عاصر الأحداث في شمال الحجاز وشرق الأردن وسوريا في عهد حكومة الحسين ، ووصف لنا معارك القوات العربية مع القوات العثمانية بقيادة أبناء الحسين والحلفاء في الحجاز وشرق الأردن وسوريا ، وأستفدت من هذا المصدر في الفصلين الأول والثاني .

٦ - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى : لأحمد قدري الذي عاصر أحداث سوريا ، وهذا مما جعله من أهم المصادر العربية المهمة بالنسبة للبحث ، حيث تحدث عن الجمعيات العربية في الولايات السورية ، وزيارة بعض زعماءها للشريف حسين في مكة ، فأستغل موقفهم المؤيد له لصالحه ، وأعلن الثورة على القيادات الاتحادية في الحكومة العثمانية في الحجاز وسوريا وشرق الأردن وعسير معاً ، وبما أن المؤلف معاصر للأحداث واشترك في صنعها . فقد وصف لنا علاقة الحجاز في عهد الحسين بالسوريين وتطور المعارك فيها ، وموقف دول الحلفاء من الشريف حسين تجاه بلاد الشام ، التي كان يطمع أن يربط مصيرها بمصيره رغم معارضة دول الحلفاء .

٧ - تاريخ نجد الحديث وملحقاته : لأمين الريحاني ، وهو أديب معاصر ، جاب المنطقة ، والتقى بحكامها ، وشهد بنفسه بعض أحداثها المهمة ، ودون رواياته عن الأحداث في المنطقة ، ويؤخذ عليه في كتاباته الطابع القصصي ، والذي يفيد في أكثر الأحيان في تقريب الحديث عن القارىء ، والذي يعاب عليه أنه يذكر الحوادث في أغلب الأحيان دون تحديد زمن معين لحدوثها ، مما يوقع القارىء في الخطأ . ولكن بالرغم من هذه العيوب إلا أنه أمكن الاستفادة من معلوماته في فصول الرسالة . كما تمت الاستفادة أيضاً من كتابه الآخر والذي بعنوان ملوك العرب .

٨ - كتاب ((خمسون عاماً في جزيرة العرب)) ، وكتاب جزيرة العرب في القرن العشرين : لحافظ وهبه وهو كاتب مشهور وكان أول إرتباطه بالكويت التي تعرَّف فيها على السلطان عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م ، ومن ثم التحق بخدمة عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ، وقد جاءت رواياته عن الفترة الأولى -

في أغلبها مختصرة جداً ، لكنه لا يمكن إغفالها ، لأنها مستمدة مما اطلع عليه من أوراق رسمية أو مما سمعه من الإمام عبدالعزيز آل سعود أو من المحيطين به ممن شاركوا معه في الأحداث مشاركة فعَّاله ، مما أعطى هذا المصدر أهمية كبيرة في البحث .

كما أنه هناك كثير من الوثائق والدراسات اعتمدت عليها في البحث ، من أهمها :

١ - الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهد العربي الفيصلي والأنتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٤٦م ، لحسن الحكيم : وهو أيضاً من المصادر المهمة ، التي وصفت أحداث فترة البحث في سوريا ، أثناء دخول قوات الحسين لدمشق .

٢ - وهناك مذكرات الأمير زيد ، وكتاب صفحات مطوية (وثائقية) ، والمراسلات التاريخية في ثلاثة اجزاء : لسليمان موسى ، قام بنشر هذه المؤلفات التي تعتبر مصادر مهمة بالنسبة للبحث ، وتنبع أهميتها بأنها عبارة عن وثائق منشورة تتحدث عن الحكومة العربية في دمشق ، التي أقامها الشريف حسين تحت قيادة ابنه فيصل ، والذي كان يتطلع أن يكون حاكماً على سوريا نيابة عن والده .

٣ - الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين : لعبدالله بن حسين : يعتبر هذا المصدر من المصادر الأساسية التي تمت الاستفادة من معلوماته بحذر شديد في البحث ، خاصة وأنه من قادة الثورة في الحجاز وأخيراً تولى إمارة شرق الأردن بعد سقوط الحكومة العربية في سوريا في يد الفرنسيين ، ولقد تم أخذ بعض معلوماته بحذر شديد لأن فيها مدحاً لحكومة الاشراف في الحجاز وسوريا .

٤ - العهود المتعلقة بالوطن العربي : لوجيه علم الدين ، ويعتبر هذا الكتاب دراسة وثائقية ومرجعاً مهماً بالنسبة للبحث ، وتنبع أهميته من الوثائق التي نشرت فيه .

٥ - تاريخ مقدرات العراق السياسية : لمحمد طاهر العمري ، وتنبع أهمية هذا المرجع إلى كثرة الوثائق التي نشرت فيه ، وتتحدث عن الأحداث التي قامت في العراق وسوريا وشرق الأردن خلال فترة البحث وموقف الشريف حسين منها ، وكل هذه الأبحاث تم النظر في معلوماتها بحذر شديد ، ومقارنتها بالحقائق والوقائع التاريخية المعاصرة ، والنظر إليها بعين مجردة .

كما استفدت أيضاً من بعض المصادر الأجنبية ، وتنبع أهميتها في اعتماده على الوثائق التي استخدمت في تلك الدراسات . ومن أهمها :

(1) Baker, Randall : King Husain and the King dom of Hejaz.

وقد أفادني هذا المرجع فيما يخص حكومة الحسين في الحجاز ، حيث تحدث عن الثورة في الحجاز ، والخلافات التي قامت بين الحسين والإخوان التابعين للإمام عبدالعزيز آل سعود حول واحتي تربة والخرمة ، وسرد بعض الأحداث التي حدثت بعد ذلك بين الأشراف في الحجاز وعاهل نجد حتى تم ضم الحجاز للدولة السعودية ، وتنبع أهمية هذا المرجع إلى كم الوثائق البريطانية التي اطلع عليها المؤلف وأوردها في هذا الكتاب .

(2) D.van Der Meulen : the wells of Ibn Saud .

تناول هذا المرجع الأوضاع السياسية في نجد ، والموقف المتوتر بين الحجاز ونجد . الذي أدى إلى إخراج الحسين وأبناءه من الحجاز بالقوة ، وتبرز أهمية هذا المرجع باعتماده على الوثائق البريطانية .

(3) Zeine N. Zeine : the Struggle for Arab Indepenence .

يتحدث هذا الكتاب عن الجمعيات السورية والثورة العربية ، التي أعلنها الشريف حسين في الحجاز ، ووصف حملات الشريف العسكرية على سوريا ، والإتفاقيات السرية التي عقدتها دول الحلفاء ضد الحسين ، والقيادات العربية في بلاد الشام وسرد الأحداث التي قامت في سوريا حتى إلى ما بعد سقوط الحكومة العربية في سوريا ، وقد أعتمد المؤلف على عدة وثائق بريطانية مهمة ، منها : وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O.) .

(4) Helms, Christine Moss : The Cohesion of Saudi Arabia .

أستعرض المؤلف في الفصل الأول من كتابه الأحداث التي وقعت بين الحسين في الحجاز وعاهل نجد ، ومنها أحداث تربة والخرمة التي ادت في النهاية إلى ضم ابن سعود الحجاز دولته . وقد استقى الكاتب معلوماته التاريخية من بعض الوثائق البريطانية المهمة ، ومنها سجلات وزارة المستعمرات الهندية (I.O.R) ، وأستفدت من هذا المرجع في بعض فصول البحث .

(5) Williams, Kenneth : Ibn Saud Th Puritan King Of Arabia .

لقد عالج هذا المصدر المهم الأحداث التي حصلت بين الحجاز ونجد ، حيث أستعرض المؤلف في الفصول الأولى من كتابه النزاع الذي قام بين عاهل نجد والشريف حسين في الحجاز ، والذي أدى إلى إنهيار حكومة الأشراف في الحجاز على يد السلطان عبدالعزيز آل سعود .

ثالثا : الدوريات المعاصرة : بالإضافة إلى المصادر والمراجع الآنفة الذكر ، كان لابد لنا من أن نستفيد بما كتبته بعض الدوريات العربية عن أحداث البحث ، خاصة المعاصرة منها ، وقد أستفدت بصفة خاصة من جريدة القبلة ، والأستقلال والمقطم والبلاغ والمؤيد وغيرها ، من الصحف التي عاصرت الأحداث ، هذا بالإضافة إلى بعض الصحف المحلية والعربية التي كتبت عن تلك الفترة من قريب أو بعيد .

وهكذا اعتمدت في بحثي هذا على عدد قيم من المصادر والمراجع المهمة ، وأنني عندما أذكرها أو أخصها بالإشارة والتنويه ، فإنما ذلك من أجل التأكيد على أنها كانت من الدعائم الأساسية لهذه الدراسة ، ولكن هذا لا يعني – أبداً – أن أقلل من أهمية المراجع الأخرى التي رجعت إليها ودونتها في فهرس المراجع . فقد أفادتني جميعاً – بلاشك – في دراسة الموضوع وإخراج البحث في صورته النهائية .

وقد حرصت قدر الإمكان أن يكون منهجي تحليلياً في كثير من المواضيع ، كما راعيت في هذا البحث الترابط والتسلسل التاريخي ، وصياغة الحقائق والأراء التي بين يدي في عبارات دقيقة تعبر تعبيراً صحيحاً عن المعنى المقصود دون عناء .

وقد أقتضت طبيعة هذه الدراسة التي تناولتها أن أقسمها إلى تمهيد وتسعة فصول ، ثم الخاتمة والنتائج وملاحق البحث ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

ولقد جعلت **التمهيد** مدخلاً للبحث : تناولت فيه الأحوال السياسية للأقطار العربية المجاورة للحجاز منذ أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري الموافق للعقد الأول من القرن العشرين الميلادي إلى قبيل قيام ثورة الشريف حسين في الحجاز . مبتدئاً أولاً بالأحوال السياسية في الحجاز ومدى اهتمام الدولة العثمانية به ، نتيجة لما يتميز به من أهمية دينية لوجود الحرمين الشريفين فيه ، وموقعه الاستراتيجي بين بلاد الشام واليمن ، هذا بالإضافة إلى ما تتمتع به ولاية الحجاز من إمتيازات إدارية

ومالية أنفردت بها عن غيرها من الولايات العربية . تناولت بعد ذلك في إلمامة سريعة الأوضاع السياسية خلال الفترة السابقة الذكر في سوريا وشرق الأردن والعراق واليمن وعسير ومصر وحائل ونجد قبل أن يعلن الشريف حسين ثورته في الحجاز على القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية .

أما **الفصل الأول** : فقد أستعرضت فيه علاقة حكومة الشريف حسين في الحجاز بسوريا ، حيث بدأت هذا الفصل بالاتصالات السرية التي أجراها الشريف حسين بالقيادات السياسية في سوريا قبل اعلان ثورته في الحجاز ، والتي كانت ترزح في ذلك الوقت تحت سيادة العناصر الاتحادية التي سيطرت على الدولة العثمانية ، فأستغل الحسين نفورهم من العثمانيين ، وعرض عليهم إعلان الثورة ضد الدولة العثمانية ، في الوقت الذي عقدت فيه دول الحلفاء إتفاقاً سرياً فيما بينها يهدف إلى تقسيم الولايات العربية في سوريا والعراق إلى مناطق انتداب . تحدثت بعد ذلك عن تقدم قوات الشريف حسين من الحجاز بعد اعلان ثورته تجاه بلاد الشام بمساندة دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا ، وانضمام بعض القيادات العربية في شرق الأردن وسوريا والعراق إليه ، وتتبع سير المعارك بين قوات الحسين والعثمانيين إلى أن سقطت دمشق في يد فيصل بن حسين ، وقيام فيصل بإعلان حكومة عربية جديدة في سوريا تابعة لوالده ، ثم أستعرضت بعد ذلك دور حكومة الحسين في الأحداث التي قامت في سوريا بعد اعلان الحكومة العربية في دمشق ، والتي أدت إلى عرض القضية في مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس ، ومثل فيصل والده في هذا المؤتمر . ثم تناولت بعد ذلك سياسة بريطانيا تجاه الحسين بعد المؤتمر المذكور وما أبدته من إتجاهات تغاير ماتعهدت به للحسين . أذ أتسمت سياستها منذ ذلك الحين بالسلبية حتى خرجت نتائج المؤتمر مخيبة لآمال الشريف .

واستعرضنا في **الفصل الثاني** : الأوضاع السياسية في شرق الأردن أثناء قيام الثورة في الحجاز ضد القوات العثمانية ، وعلاقة الحسين بمنطقة شرق الأردن أثناء وبعد الثورة العربية وموقفه من الثورات التي قامت في شرق الأردن بعد سقوط الحكومة العربية في سوريا ، والتي أدت إلى إشعال الثورة في مناطق شرق الأردن ضد الوجود البريطاني والفرنسي في سوريا تضامناً مع أهالي شرق الأردن . ثم تحدثت بعد ذلك

عن زيارة الحسين لإمارة شرق الأردن وأثر تلك الزيارة على الأهالي ، وموقف بريطانيا منه ، ثم تناولت بعد ذلك مشكلة العقبة ومعان ، والأساليب البريطانية التي اتخذتها لنفسها لاقتطاع المنطقتين المذكورتين من الحجاز لشرق الأردن .

أما **الفصل الثالث** : فقد أستعرضت فيه علاقة حكومة الحجاز بالعراق مبتدئاً بعلاقة الحسين في الحجاز بالحركة الوطنية في العراق التي اعلنت الجهاد ضد البريطانيين ، ثم أنهيت هذا الفصل بقضية الموصل ، وموقف الحسين من هذه القضية .

وخصصت **الفصل الرابع** : للحديث عن علاقة حكومة الحسين في الحجاز بالحكومة المصرية في السنوات الأخيرة من حكمه ،والخلافات التي حدثت بين الحكومتين حول البعثة الطبية ، التي كانت ترافق الحجاج المصريين سنوياً من مصر إلى الحجاز ، خلال مواسم الحج ، وموقف بعض المصريين الذين أدوا فريضة الحج عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣هـ من هذا الخلاف .

والمشاكل التي حدثت بين أمير الحج المصري ، وقائم مقام حكومة الحسين في الحجاز ، والتي أدت إلى عودة أمير الحج المصري بحجاجه إلى مصر ، وما انتهت إليه تلك الخلافات مع استمرار بعض السلبيات والايجابيات بين الحكومتين حتى تم ضم الحجاز للدولة السعودية .

وتناولت في **الفصل الخامس** : علاقة حكومة الشريف حسين في الحجاز باليمن في عهد الإمام يحيى حميد الدين ، والوفود المتبادلة بين الحكومتين لإنهاء النزاع القائم بين إمام اليمن والقيادات العثمانية في صنعاء ، وانهيت هذا الفصل بالحديث عن بنود الحلف الذي عُقد بين الشريف حسين وإمام اليمن والذي لم يكتب له النجاح .

وجاء **الفصل السادس** : للحديث عن علاقة حكومة الشريف حسين في الحجاز بعسير ، وفيه تمت دراسة موقف شريف مكة تجاه عسير في عهد الدولة العثمانية ، ومشاركته الفعلية بواسطة أبنائه في قيادة الحملات العسكرية ، التي أرسلتها الدولة ضد محمد علي الإدريسي في عسير ، فاستغل أبناؤه وجودهم بين القبائل العسيرية ، فوسعوا من نفوذهم لصالح والدهم الحسين ، وقد أستمر النزاع بين الحسين والأدارسة في منطقة عسير ، حتى خروج القوات العثمانية من عسير . وبالتالي تتبعت الأحداث التي حصلت بين الحسين والأدارسة بعد تحالف الحسين مع آل عائض أمراء عسير ضد الأدارسة والإمام عبدالعزيز آل سعود الذي وجد ترحيباً من معظم القبائل واستطاع أن

يضم عسير إلى نجد بحكمته وسداد رأيه .

وفي **الفصل السابع** : تم استعراض علاقة أمراء حائل بالدولة العثمانية قبل قيام ثورة الحسين في الحجاز ، وموقف حكام حائل من الثورة في الحجاز ، ثم أنهيت هذا الفصل باستعراض بعض التطورات التي طرأت مؤخراً بين أمراء حائل والشريف حسين بعد خروج الدولة العثمانية من مسرح الأحداث في البلاد العربية ، وعلاقته بعاهل نجد حتى ضم حائل لآل سعود .

وكان **الفصل الثامن** : مخصصاً للحديث عن العلاقات السياسية بين الإمام عبدالعزيز آل سعود في نجد والشريف حسين في الحجاز ومراحل تطور الخلافات بينهما ، وموقف بريطانيا من هذا النزاع ، ثم استعرضت بعد ذلك أحداث القتال الذي حدث بين الحسين والإمام عبدالعزيز آل سعود في واحتي تربة والخرمة ، ونتائج هذا القتال على الطرفين ، ثم استعرضت بعد ذلك تطور العلاقات السياسية بين الحجاز ونجد حتى انعقاد مؤتمر الكويت عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ، و تناولت فيه مبادرة الحكومة البريطانية لحل النزاع بين الطرفين ، والذي أدى إلى زيادة تعقيد المشكلة بين الجانبين نتيجة لإستفزازات الحسين ، حيث قام بمنع الحجاج النجديين من أداء فريضة الحج ، وما تبع ذلك من أحداث .

ويعتبر الفصل **التاسع هو الاخير** : ومسك الختام فقد استعرضت فيه مؤتمر الكويت ، وضم الحجاز للدولة السعودية على يد السلطان عبدالعزيز آل سعود ، فتناولت فيه أولاً أحداث مؤتمر الكويت ونتائجه عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣-١٩٢٤م ، ثم استعرضت بعد ذلك مراحل ضم الحجاز . من بداية الهجوم على الطائف ، وتنازل الحسين لإبنه علي عن الحكم ، ثم مرحلة دخول مكة سلماً ، وحصار جدة ، وما تخلل هذه المرحلة من وساطات رسمية أو غير رسمية لحل النزاع بين الطرفين ، ثم أنهيت الحديث عن هذا الفصل بسقوط جدة ، وإنهاء حكم الأشراف للحجاز على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود .

وتم ختم هذه الدراسة بموجز لإبراز النتائج التي توصل إليها البحث . وملحقاً بالوثائق التي أحببت أن أوردها مجتمعة للفائدة ولدعم معلومات البحث .

وأنني – الآن – وأنا أقدم هذه الدراسة ، لأرجو أن أكون قد وفقت في إختيار أنسب الطرق والمناهج ، لخدمة هذا الموضوع ، وتقديم الدراسة في تسلسل زمني وترتيب منطقي ، يسهلان عملية الطرح الموضوعي ، والتحليل الاستنتاجي للوصول إلى غاية البحث ومنتهاه ، وفي الوقت نفسه أشعر بأن هناك شيئاً من التقصير . ولكن عزائي أنني ما أزال في بداية الطريق والكمال لوجه الله سبحانه وتعالى .

وعلى أية حال ، فهذه رسالتي أضعها بين يدي السادة أعضاء لجنة المناقشة ، فإن لاقت صدى أستحسان وتقدير ،فلأن الأستاذ الدكتور المشرف كان العين الثاقبة في رصد حركاتها ، واليد الحازمة في قبض زمامها حتى وصلت إلى بر الأمان إن شاء الله ، بعيداً عن مهاوي الردى ومزالق الأخطاء بقدر الإمكان وإن ظهر فيها بعض النقص والتقصير فحسبي أنني رأيت نوراً فمشيت فيه بقدر ما أتسعت قواي الفكرية والنفسية لإحتضانه والسير فيه ، وحسبي ذلك عذراً من الزلل والتقصير . والله يتولانا بالرعاية والسداد والتوفيق .

التمهيـــد

أ - الأحوال السياسية لمنطقة الحجاز وبعض الأقطار العربية المجاورة منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري وحتى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

١ - الأوضاع السياسية في الحجاز.
٢ - الحالة السياسية في سوريا.
٣ - الأوضاع السياسية في الأردن.
٤ - الموقف السياسي في العراق.
٥ - الأحوال السياسية في مصر.
٦ - الأحوال السياسية في عسير واليمن.
٧ - الحالة السياسية في نجد وحائل.

ب - الثورة العربية (دوافعها وآثارها).

١ - الأوضاع السياسية في الحجاز

لقد أهتمت الدولة العثمانية ببلاد الحجاز إهتماماً كبيراً ، لأنه محط انظار المسلمين في اقطار الدنيا ، وذلك نتيجة لما يتميز به من أهمية دينية لوجود الحرمين الشريفين في مكة والمدنية المنورة اضافة إلى ما يتمتع به هذا الاقليم من موقع هام على البحر الاحمر ، حيث تمتد سواحله لمئات الاميال على هذا البحر ، ولهذا مما جعل الحجاز (*) يتمتع بعدة امتيازات إدارية ومالية أنفردت بها هذه الولاية عن غيرها من ولايات الدولة ، وأهم هذه الامتيازات :

١ - الحكم الذاتي : فلقد ابقت الدولة العثمانية على حكم ذاتي خاص بإقليم الحجاز عرف بنظام (الشرافة) ، كما درجت على تعيين معظم الموظفين من أبناء الحجاز (١) .

٢ - المساعدات المالية : كان الحجاز يتلقى كل عام اعتمادات مالية ضخمة يأتي أكثرها من حصيلة الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين ، وفقراء مكة والمدينة المنورة والموجودة في مصر .

٣ - الإعفاء الضريبي : كان الحجاز لا يقدم الضريبة الاجتماعية التي كانت تدفعها بقية الولايات العربية للدولة العثمانية في كل عام ، كما أعفى أهل الحجاز أيضاً من الضرائب الشخصية والعقارية (٢) .

٤ - الإعفاء من التجنيد : كان سكان مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وسائر مدن الحجاز يتمتعون بالإعفاء العام من التجنيد ، وأي نوع من الخدمة العسكرية .

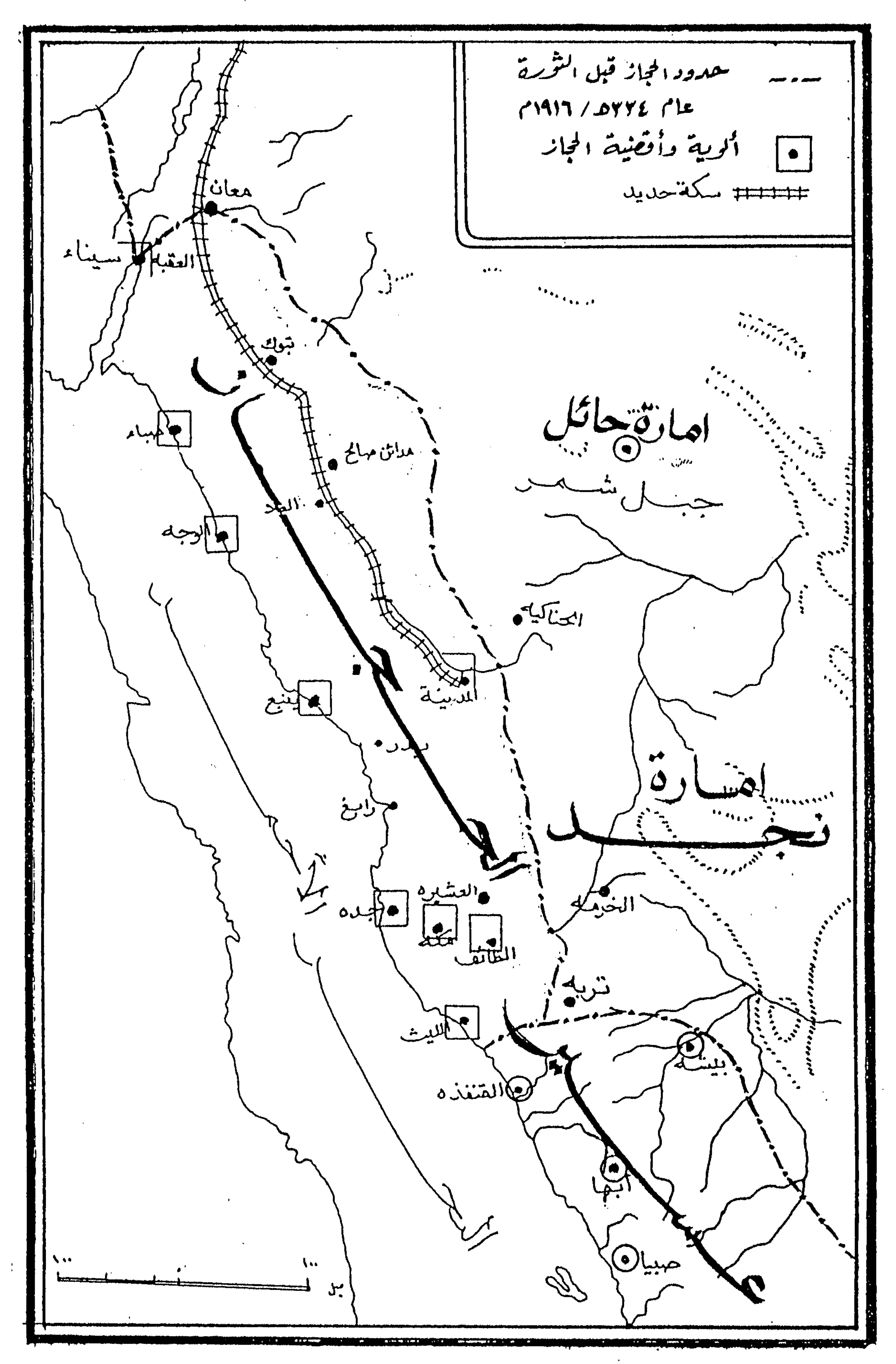
وعلى أية حال ، فقد أكتفت الدولة في الحجاز بإقامة عدة حاميات عسكرية في بعض المدن الحجازية

(*) الحجاز : تضم ولاية الحجاز متصرفتين ، وخمس اقضية وست " نواح " ، ويسمى متصرف لواء المدينة محافظة المدينة المنورة ومتصرف لواء جدة قائمقام الوالي ، ويتبع المدينة اربعة اقضية هي ينبع البحر ، والوجه ، وسوارقية ، والعقبة ويتبع لواء جدة قضاء واحد . واما منصب إمارة مكة المكرمة فيتولاه احد الاشراف الذي يتمتع باسمى مقام . ويبلغ عدد افراد الحامية في بلاد الحجاز عادة حوالي ٧٠٠٠ فرد مع ثلاث بطاريات . ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، (ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥م) ، ص ٩٦ - ٩٨ . زيادة لتوضيح ذلك انظر ، الخريطة رقم (١) ، ص ٣ .

(١) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الأسلامية ، (ط٢ ، عمان ، مكتبة المنار ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١٨٥ .

(٢) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، (ط٥ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٧م) ، ص ١٥٢ .

الخريطة رقم (١)



نقلاً عن طالب محمد وهيم: مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م، ص ٤٤٦.

كجدة ومكة المكرمة والمدنية المنورة وينبع [(١)] . وعن طريق هده الحاميات أصبح من السهل عليها التدخل السريع في حالة قيام أي ثورات داخلية ضدها ، كذلك أمكن لهذه الحاميات صد أي ثورة تظهر في الولايات المحاذية للحجاز كاليمن ومنطقة عسير [(٢)] . وبالاضافة إلى الموقـع السياسي المهم للحجاز ، فإن لهـذه المنطقة أهميــة دينية بالغة في قلب كل مسلم في العالم ، نظراً لوجود الحرمين الشريفين ، ولذلك اولت الدولة العثمانية ولاية الحجاز أهمية خاصة ، فقامت بالتنظيم والاشراف على طرق الحج إشرافاً فعلياً ، واعتبر السلطان عبدالحميد الثاني [(*)] في بداية عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠م من أهم واجباته في الحجاز هو تسيير وتنظيم قوافل الحج ، باعتبار أن الحج ليس فريضة دينية فحسب بل هو كذلك بمثابة مؤتمر اسلامي سنوي يلتقي فيه المسلمون من كافة المعمورة ، وهذا مما جعل السلطان العثماني يعمل جاهداً على ضمان وسلامة أمن الحجاج والزائرين لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا بالإضافة إلى بعض أعماله التي قام بها في الحجاز ، ومن أهمها :

١ -تعمير الحرمين الشرفين ، وقد أنفق على ذلك مبالغ طائلة من خزينة الدولة العثمانية .

٢ -إنشاء خط حديد الحجاز ،والذي بدأ العمل فيه عام ١٣١٨هـ/١٩٠١م ، وتم الانتهاء منه وتسييره في عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م بين دمشق والمدينة المنورة .

٣ - زيادة الاموال التي كانت تدفع للقبائل التي تسكن على طول طريق الحج .

ولعل إنشاء الخط الحجازي يرجع بالدرجة الأولى إلى إدراك المسئولين العثمانيين لأهمية ولاية الحجاز ، وتيسيراً لاداء فريضة الحج ، فانبثقت عن ذلك فكرة مشروع إنشاء خط حديد يربـط الحجـاز

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، (بيروت ، دار الكاتب العربي ، د.ت) ، ص ٤٤ .

(٢) أبو الفتوح رضوان وأحمد عزت عبدالكريم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، (القاهرة ، ،مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ، ١٩٨٥م) ، ص ٥٩ .

(*) عبدالحميد الثاني : ولد في ٢١ سبتمبر عام ١٨٤٢م ، في قصر أبيه السلطان عبدالمجيد الذي كان أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب في الدولة العثمانية ، حيث استحدث الباب العالي (رئاسة مجلس الوزراء) ، الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة ، ويقاسم السلطان نفوذه في حكم الدولة ، وبعد ما توفى والده خلفه عمه عبدالعزيز الذي نهج طريقة والده في الاصلاح والتحديث ، ولكنه رغم ذلك لم ينج من مؤامرة رجال القصر ومعظمهم من جماعة (تركيا الفتاة) ، وفي ٣١ أغسطس عام ١٨٧٦م بويع بالخلافة وكان عمره في الرابعة والثلاثين من العمر . واستمر في الخلافة إلى عام ١٩٠٩م حيث قررت جمعية الاتحاد والترقي التي خلعة . انظر تفاصيل ذلك . موفق بن المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الاسلامية ، ص ٥٣ - ٦٠ .

بمنطقة الشام ، ومنها بمركزالدولة في أسطنبول ، وقيل إن أحمد عزت باشا العابد (*)، السكرتير الثاني للسلطان عبدالحميد الثاني هو الذي شجع السلطان على تقوية صلته بالحجاز نظراً لوجود الأماكن المقدسة به ، وقد رأى أن مد سكة الحديد للحجاز سوف يعزز الوجود السياسي العثماني في الحجاز ، حيث أنه يحقق غرضين كبيرين ومنهما : أولاً : خدمة حجاج بيت الله الحرام وذلك بايجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة للحجاج الذين يتعرضون دائماً لهجوم بعض القبائل البدوية على قوافلهم ، ثم طول المسافة ومشقة الرحلة في الطرق الصحراوية على الجمال - وكانت هي الوسيلة الوحيدة الناجحة آنئذ - وما يترتب على ذلك من نفقات باهظة يتكبدها الحجاج (١) .

ولذا فان وجود خط للسكة الحديدية بين بلاد الشام والحجازسينهي على كل المشكلات التي يعاني منها الحجاج وتوصيلهم إلى المدينتين المقدستين مكة والمدينة المنورة بيسر وسهولة وتكلفة معقولة .

وثانياً : دعم حركة الجامعة الإسلامية ، وتقوية الصلات بين البلدان الإسلامية المختلفة . وقد جعل السلطان عبدالحميد الثاني قضية الوحدة الإسلامية الدعامة الأساسية للدولة الاسلامية ، واتخذها سياسة عليا للدولة كي يلتف المسلمون حوله وتقوى أواصر الدولة العثمانية الضعيفة ، وتستطيع مواجهة الاطماع الأوربية في العالم الإسلامي .

كما أنه سوف يساعد السلطان عبدالحميد الثاني على جعل الحجاز تحت حكمه المباشر ، بعد أن كان الحجاز تابعاً لولاية مصر تحت حكم محمد علي ، وهذا مما خاف منه السلطان عبدالحميد الثاني أن يعود الحجاز تحت الحكم المصري ، في الوقت الذي وقعت فيه مصر تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٢٩٩ هـ /١٨٨٢م ، كذلك كان السلطان يخشى من التدخل البريطاني في ولاية الحجاز نظراً لوقوع قناة السويس ، ومضيق باب المندب تحت السيطرة البريطانية ، بالاضافة إلى تخوفه من اشراف الحجاز للاتصال بالبريطانيين ، بعدما اشيع خبر مفاده انه هناك اتصال تم بين الاشراف ذوى عون والبريطانيين .

(*) أحمد عزت باشا العابد : سوري من دمشق ، أنتدبه السلطان عبد الحميد الثاني كاتباً ثم رشحه سكرتيراً ثانياً له ، وكان ذا عقلية فذة ممتازة تم تحت اشرافه إنجاز العديد من المشروعات ، منها الربط بين فزان وطرابلس بخط بري ، والربط بين دمشق والمدنية المنورة بخط تلغرافي ، كما شارك في الأشراف على مشروع السكة الحديدية الحجازية، أنظر ، أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الأسلامية ، ص ١٨١ .

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ، (دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٢٧م) ، ج٥ ، ص ١٨٥ .

أما من الناحية العسكرية ، فإن مد سكة الحديد للحجاز يساعد على تسهيل نقل القوات العثمانية ، والإمدادات العسكرية إلى شبه الجزيرة العربية ، وسرعة القضاء على الفتن بها حال اندلاعها ، وخاصة في الولاية الحجازية والولايات المجاورة له كعسير واليمن ، لأن صعوبة المواصلات كان عاملاً من العوامل التي أضعفت خضوع هذه الولايات والمتصرفيات للدولة العثمانية (١) .

وفي عام ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م أعلن السلطان عبدالحميد الثاني إلى العالم الإسلامي رغبته في مد خط حديدي يربط دمشق بالاراضي المقدسة في الحجاز ثم يمد بعد ذلك من دمشق إلى اسطنبول (Istanbul) عاصمة الدولة العثمانية موضحاً لهم أهمية هذا الخط بالنسبة لقاصدي الحج سنوياً ، وما كان يواجهونه من صعوبات كثيرة في ذهابهم وإيابهم على ظهور الإبل ، من عناء الحر والبرد في رحلتهم الطويلة ، هذا بالإضافة إلى مايعانونه من مخاطر على أرواحهم وأموالهم نتيجة لغارات القبائل البدوية ، وإعتداءاتها المتكررة على سالكي الطرق الصحراوية المؤدية للحرمين الشريفين ، وصعوبة سيطرة الدولة على هذه القبائل . وقد لقيت هذه الفكرة قبولاً كبيراً عند كثير من المسئولين العثمانيين والعرب والعالم الاسلامي ، ولذلك عزم السلطان عبدالحميد الثاني بعد الاتكال على الله في العمل على بناء الخط الحديدي الذي يبدأ من دمشق ، وينتهي إلى الأراضي المقدسة في المدينة المنورة ومنه الى مكة المكرمة (٢). وقبل أن يبدأ السلطان عبدالحميد بالمشروع أعلن على المسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي بياناً عاماً يناشدهم فيه بالمساهمة والتبرع بالأموال لإنشاء هذا الخط الحيوي ، وحرص السلطان أن يكون على رأس قائمة المكتتبين فاكتتب بما قيمته ربع مليون ليرة ، ليبرز للعالم الإسلامي أهمية ذلك الخط الذي يخدم قاصدي بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج أحد أركان الإسلام الخمسة ، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد الإعلان عن المشروع توالت التبرعات من سائر موظفي الدولة ، كما أصدر السلطان قراراً بخصم عشرة في المائة من مرتبات موظفي الدولة من المدنيين والعسكريين لصالح المشروع ، كما طلب من سكان الولايات المساهمة في إنشاء هذا المشروع ، وقد ساهم أمير مكة ووالي الحجاز اللذان دفعا حوالي (مائة) ألف ليرة عثمانية ، هذا اضافة إلى التبرعات التي وصلت من المسلمين الهنود الذين تحمّسوا لهذا المشروع الخيري منذ الإعلان عنه ، رغم محاولة بريطانيا منعهم من المساهمة في هذا

---

(١) أبو الفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٩ .

(٢) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، ص ١٨٥ ؛ السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ١٨٤٠-١٩٠٩م ، (القاهرة ، ١٩٧٠م) ، ص ١٢٢ .

المشروع ، ولكن تراجعت اخيراً تحت ضغط مسلمي الهند . كما عرضت فرنسا على الدولة العثمانية أن تقدم لها قرضاً كبيراً لقاء تنازلها عن المشروع ، وقد غطت التبرعات التي جمعت من العالم الإسلامي ما يزيد على ثلث النفقات (١) .

وفي الوقت نفسه ، قام السلطان عبدالحميد الثاني بتعيين شريف جديد على الحجاز هو الشريف عون الرفيق بن محمد عون ، وذلك في التاسع من ذي الحجة عام ١٢٩٩هـ/الثاني والعشرين من سبتمبر ١٨٨٢م قبل أن يبدأ مشروع الخط الحديدي إلى المدينة المنورة ، وحال وصول الشريف إلى مكة المكرمة قدم الولاء المطلق للحكومة العثمانية في الحجاز(٢) . وبدأ مهام وظيفته الجديدة ، حيث قام بفرض الضرائب الباهظة على الأهالي ، و إرسالها إلى خزينة الحكومة العثمانية في إسطنبول (٣) ، حتى يكسب رضا السلطان ، كما أنه أخذ في معاملة الحجاج معاملة قاسية ، مما يتنافى مع ما أعلنه السلطان عبدالحميد الثاني من تسهيل سبل الأمن والراحة للحجاج في الحجاز . وقد أدت هذه الأعمال الاستفزازية إلى تدهور الأوضاع في الحجاز اقتصادياً وسياسياً خلال تلك الفترة ، ويظهر أن هذه الأعمال كانت منسجمة مع رغبة الوالي العثماني في الحجاز أحمد راتب باشا ، حيث لم يعارض أي عمل يقوم به الشريف عون في الحجاز ، ما دام أنه يظهر ولاءه الشديد للسلطان .

وعلى أية حال ، فقد أدت هذه التصرفات التعسفية التي قام بها الشريف عون في الحجاز إلى قيام بعض الثورات المعارضة له في البادية ، خاصة وأن البدو الحجازيين ينظرون إلى بناء الخط الحجازي على أنه عمل عدائي موجه ضدهم ، ففيه قطع لأرزاقهم ، لأنهم هم الذين يقومون بحركة نقل الحجاج والبضائع بجمالهم عبر الصحراء إلى المدن الحجازية ، وخاصة المدينتين المقدستين وبينهما وبين ميناء جدة وينبع ، ويجنون من وراء ذلك قوتهم (٤) ، كما أن بناء الخط - في اعتقادهم - تسليط من الأفرنج ولاسيما الألمان على بلادهم .

---

(١) أبوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) إسماعيل حقي أوزون جارشلي ، ترجمة خليل علي مراد : أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، (منشورات مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٨١ .

(٣) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، (ط٦ ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج٢ ، ص٥٥٦.

(٤) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٤٥ ؛ سليمان موسى : المرسلات التاريخيه ١٩٠٤ - ١٩٠٨م ، (ط١ ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٣م) ، ص ٢٣ ؛ عبدالله بن الحسين : الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ، (ط٢ ، بيروت ، الدار المتحده للنشر ، ١٩٧٩م) ، ص ٩٩ .

ولهذا أخذت تضع العراقيل في سبيل تعطيل بناء الخط الحديدي ، مما كان له الأثر الكبير على تدهور الأحوال الأمنية في منطقة الحجاز ، فطلب السلطان العثماني من الشريف عون والوالي العثماني في الحجاز العمل على تطويق الوضع الأمني المتوتر في الحجاز والذي أخذ في الأزدياد ، فبادر الشريف بتكثيف اتصالاته بشيوخ القبائل المقيمة على الطريق بين المدينة المنورة ومكه للتفاهم معهم على تهدئة الوضع المتفاقم في الحجاز وأوضح لهم محاسن الخط الحديدي الذي تنوي الحكومة العثمانية بناءه بين دمشق والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة وجدة وينبع رغم الصعوبات المالية التي تواجهها الدولة العثمانية في ذلك الوقت (١) .

كما طلب منهم الموافقة على إنشاء خط للتلغراف من دمشق إلى المدينة المنورة باشراف السكرتير الثاني للسلطان عزت باشا العابد (٢) .

وقد تمت المفاوضات مع شيوخ القبائل الحجازية بحضور والي الحجاز أحمد راتب باشا - وأثناء ذلك - أبدى شريف مكة رغبته الشديدة في أن يبدأ العمل في مد سكة حديد الحجاز من جدة إلى مكة المكرمة ، ومنه إلى المدينة المنورة دون إنتظار وصول الخط من بلاد الشام إلى المدينة المنورة (٣) . وقد تم رفع هذه الفكرة إلى السلطان عبدالحميد الثاني في اسطنبول موضحاً الفائدة التي تعود من وراء تنفيذه ، حيث أشار بأن ذلك سوف يساعد على تدفق حركة مرور الحجاج بكل يسر وسهولة ، وإنعاش التجارة بين جدة ومكة والمدينة المنورة ، كما أنه سوف يوفر أيضاً عائداً إقتصادياً وفيراً ، يمكن الاستفادة منه في تمويل مد الخط الحديدي من المدينة المنورة إلى بلاد الشام (٤) .

لكن هذا العرض الذي قدمه الشريف عون لم يحظ بموافقة السلطان عبدالحميد الثاني ، لأن الصعوبات لازالت ماثلة أمام أعين السلطان والمشرفين معه على تنفيذ هذا المشروع ، ومن أهمها منع غارات البادية المتكررة على العاملين في تخطيط وبناء الخط الحديدي بين المدينة المنورة ودمشق ، وذلك عن طريق الشريف عون والاستعانة بالوالي العثماني في الحجاز على إرسال قوات عثمانية للمنطقة للسيطرة على القبائل التي تعرض العمال إلى الخطر ، وذلك لأنعدام الأمن والنظام في الحجاز ،

---

(١) السيد محمد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية دراسة وثائقية ، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٧٠ - ١٧١ ؛ ابوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٩ .

(٢) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، ص ١٩١ .

(٣) أبوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٩ .

(٤) أحمد فهد الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

ولخشية السلطان العثماني من التورط في حرب أهلية طويلة داخل ولاية الحجاز تستغلها بعض الدول الاستعمارية لصالحها التي تحاول عرقلة المشروع (١).

ولقد عمل الشريف عون على تهدئة الأحوال الأمنية ، حيث شرح لرجال القبائل مزايا خط حديد الحجاز ، وما تتمتع به المنطقة في المستقبل اقتصادياً وسياسياً بعد الإنتهاء من مشروع الخط الحديدي الذي يربط دمشق بالمدينة المنورة ، وقد نجح الشريف عون في مساعيه ، وأستطاع تهدئة ثورات القبائل بين المدينة ومكة ، بعدما بين لهم اهداف المشروع والنتائج الطيبة المأمولة منه ، مما جعل العمل في تخطيط وبناء الخط الحديدي يستمر بخطى حثيثة .

ولكن لم يعش الشريف عون طويلاً ليرى نهاية الخط ، حيث توفي عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م قبل أن يصل الخط إلى المدينة المنورة (٢)، فتولى بعده في شعبان عام ١٣٢٣هـ/سبتمبر ١٩٠٥م شرافة مكة الشريف علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالمعين بن عون ، الذي بذل جهوداً كبيرة في تسهيل إكمال الخط ، لكنه واجه معارضة شديدة من رجال القبائل الحجازية بعد وفاة الشريف عون .

فرأت الدولة العثمانية أن تعين المشير كاظم باشا قائد الجيش الخامس ومديراً عاماً للمشروع فوصل المدينة المنورة وبرفقته فرقة عسكرية مسلحة بهدف المحافظة على سلامة الفنيين والمهندسين الذين يعملون على بناء السكة الحديدية (٣).

وعندما وصل المشير كاظم باشا إلى المدنية المنورة شعر بعدم كفاية الفرقة العسكرية التي ترافقه في أداء واجبها على أكمل وجه ، نتيجة لزيادة غارات رجال البادية عليها ، ولذا طلب من السلطان العثماني تزويده بفرقة إضافية اخرى تشتمل على فرسان ومشاة لحماية المهندسين ، لإتمام الخط في الأراضي الحجازية ، ومعاقبة البدو الذين يعرضون عمال مشروع الخط بالخطر ، وتم إرسال تلك القوة التي استطاع بموجبها كاظم باشا من اعتقال ثمانية من شيوخ القبائل المقيمة بين مكة والمدينة المنورة ، الذين كانوا يعارضون مشروع الخط ويعملون على إثارة سخط البدو ضدهم ، ولكنه لم يلبث أن أفرج

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ، جـ٥ ، ص ١٨٥ .

(٢) عبدالفتاح حسين المكي : تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الأسلام ، (الطائف ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ٤٠٢-٤٠٣ .

(٣) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، ص ١٨٥ ؛ ابراهيم رفعت باشا : مرآت الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، (ط٢ ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) ، ج٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

عنهم بناءً على تعليمات السلطات العثمانية في إسطنبول ، خوفاً من أن يؤدي اعتقالهم إلى زيادة زعزعة الأوضاع الأمنية في المنطقة ، وقيام بعض شيوخ القبائل الحجازية بتحريض البدو بشن غارات على عمال المشروع (١) ، مما سوف تكون عواقبه وخيمة على المشروع والمنطقة معاً .

وعندما أحست الدولة العثمانية بتمرد القبائل ، طلبت من شريف مكة الجديد علي بن عبدالله بإن يحاول حل مشكلة الاعتداءات التي قامت بها بعض العشائر البدوية ضد العاملين في بناء الخط الحديدي . وقد أستجاب الشريف علي لطلب الحكومة ، وقام بعقد بعض الإتفاقيات مع شيوخ القبائل المحاذية لطريق قوافل الحجاج ، ودفع لهم مساعدات مالية كبيرة مقابل إيقاف اعتداءاتهم (٢) . وقد ساعد هذا العمل الدولة في إتمام إيصال الخط الحديدي من دمشق إلى المدينة المنورة ، وبعد الانتهاء من إتمام الخط أقيم في المدينة المنورة حفل كبير بمناسبة الانتهاء منه ووصول أول قطار إلى المدينة المنورة ، وذلك في شهر شعبان عام ١٣٢٦هـ/سبتمبر ١٩٠٨م . وبذلك قدم السلطان عبدالحميد الثاني خدمة كبيرة لحجاج بيت الله وتسهيل وصولهم إلى الاراضي المقدسة ، وهذا العمل الذي قدمه يعد برهاناً على قوة شعوره الديني ببناء سكة حديد الحجاز ، كما انه نجح السلطان في ايجاد وسيلة فعالة للنقل البري إلى شبه الجزيرة العربية ، وأن هذا الطريق فاق الطريق البحري عبر قناة السويس من ناحية السرعة والسهولة ، وقد جاء اخر هذا العام نهاية لعهد السلطان عبدالحميد الثاني وبداية عهد جديد وهو تسلط الاتحاديين (*) على السلطة في الدولة العثمانية ، هذا مما جعل الشريف علي بن عبدالله يعلن استقالته

---

(١) السيد محمد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية ، ص ١٧٧ .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٥ ، ص ١٨٧ ؛ أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، ص ٨٥ .

(*) جمعية الاتحاد والترقي غير تركية ولا إسلامية زعماؤها كانوا جميعاً وبدون استثناء من الماسونيين .. أعضاء هذه الجمعية في دهاليز المحافل الماسونية ، وبمعاونة السفارات الغربية استطاعت هذه الجمعية أن تنقلب على السلطان عبدالحميد الثاني وأن تدعو إلى سياسة تتريك جميع الشعوب المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية ، وعندها أنفجر الموقف . وكان هذا التوقيت هو الوقت المناسب الذي وضعه الغرب والشرق على السواء لضرب هذه الدولة عن طريق القومية العربية والقومية التركية . الأهرام ، عدد ٩٤٩٣ ، ١٩٠٩/٦/٩م .



من الشرافة (١) . وغادر الحجاز عن طريق قناة السويس إلى القاهرة خشية من بطش العناصرالاتحادية المسيطرة على الحكومة العثمانية (٢) .

فعين الاتحاديون بدلاً منه الشريف عبدالإله بن محمد ، وهو أخ لعون بن رفيق ، والذي كان مقيماً في اسطنبول في ذلك الوقت إلا انه توفى فجأة قبل سفره إلى الحجاز لإستلام مهامه (٣) .

وفي الوقت الذي كان فيه منصب الشرافة شاغراً في مكة ، بدأ الحجاز يتدهور اقتصادياً وسياسياً نتيجة لاشتعال ثورات رجال القبائل من جديد على الطرق بين كافة المدن الحجازية (٤) .

كما أنه نتيجة لوفاة الشريف السابق بقي منصب الشرافة شاغراً ، مما أفسح المجال لتجدد النزاع القديم بين آل عون بشخص الشريف حسين بن علي (٥) المقيم في ذلك الوقت في اسطنبول ، وآل زيد بشخص الشريف علي بن حيدر ، فأخذا يبذلان قصارى جهدهما في السعي لدى الباب العالي للظفر بمنصب شرافة مكة (٦) ، وكان الشريف علي بن حيدر يرى أنه هو أحق بالشرافة من الحسين بن علـي ،

---

(١) هناك روايات تقول إن الشريف على بن عبدالله بن عبدالمعين لم يستقل ولم يهرب ، بل إنه عزل عن الشرافه بعد أن بلغ الاتحاديون في اسطنبول بتباطؤ في إعلان الدستور الجديد ، كما بلغهم أنه ساعد في فتنة القبوري في ٢٨ رمضان ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فأصدروا أمرهم بعزله ، وتولية الشريف عبدالإله ابن محمد الذي كان مقيماً في اسطنبول . أنظر ، عبدالفتاح حسين المكي : تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الاسلام ، ص ٤١١ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٤٤ .

(٣) السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩م ، ص ١٢٤ ؛ عبدالله بن الحسين : الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ، ص ٤٦ .

(٤) ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، (ط١ ، الرياض ، مكتبة مؤسسة النور ، د.ت) ، ج٢ ، ص ٨٣ .

(٥) لقد استنكر الشريف حسين بن علي المظالم التي قام بها ابن عمه الشريف عون الرفيق ضد المواطنين في الحجاز ، فاشتد الخلافات بينهما ، فاتهم الشريف عون ابن اخيه الشريف حسين بن علي بالتحريض على ارسال شكوى للسلطان عبدالحميد وعمل على الإيقاع به ، فنفي إلى اسطنبول عام ١٨٩٣م وعام ١٨٩٤م لحق به اولاده الثلاثة : علي وعبدالله وفيصل ، وبعد فترة اصدرت الاوامر بنفي عدد من العلماء والفقهاء الذين استنكروا اعمال عون الرفيق ومظالمه ، فأقام في اسطنبول ستة عشر عاماً ، وهناك قام بخدمة الدولة ، حيث عين عضواً في مجلس شورى الدولة ، وهناك انصرف إلى العناية باولاده وتعهدهم بالتربية والتعليم ، انظر ، سليمان موسى : الحركة العربية ، ٤٥ - ٤٧ .

(٦) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز (١٩١٦-١٩٢٥م) دراسة في الأوضاع السياسية ، (ط١ ، البصره ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ص ٣٥ .

وجدير به أن يعيدها إلى ذوي زيد .

أما الشريف حسين بن علي ، فكان يقيم مع أسرته في اسطنبول ، ويطمع أن يستغل وجوده ويفوز بالشرافة ، في الوقت الذي تريد الحكومة العثمانية مؤازرة الاشراف لها في الحجاز للقضاء على الاضطرابات التي تحدث بين القبائل الحجازية والسلطات العثمانية بين حين وآخر ، لأنها ترى فيهم ما يساعد الوالي العثماني في إدارة الحكم في الحجاز ، وأنها كانت تعتقد واهمة بأنه في مقدورها عن طريق الأشراف السيطرة على رجال القبائل ، وجعلهم خاضعين مطيعين لنفوذ الدولة في المنطقة الحجازية .

وكان رجال (الاتحاد والترقي) (*) يميلون في بادي الأمر إلى إعطاء إمارة مكة للشريف علي بن حيدر، إلاّ أنه تضاربت الأراء في تحديد موقف كل من السلطان عبدالحميد الثاني ، ورجال جمعية الاتحاد والترقي في تعيين الشريف حسين بن علي في هذا المنصب ، إذ يرجح البعض تنصيبه إلى الجمعية وإصرارها على ذلك رغم معارضة السلطان لهذا التعيين (١) ، لأنه كان يرتاب في نوايا الحسين وأهدافه في فصل الحجاز عن الدولة متى ما سنحت له الفرصة . بينما يخالف آخرون هذا الرأي ، فالاتحاديون كانوا عازمين على إسناد المنصب للشريف علي بن حيدر ، لولا مقاومة كل من السلطان والصدر الأعظم ضمن مساعيهم الرامية إلى الحد من نفوذ جمعية الإتحاد والترقي (٢) .

ورغم هذا التضارب في الاراء فهناك أمرٌ لا شك فيه ، وهو أن الاتحاديين في الدولة العثمانية ، كانوا أصحاب السلطة الفعلية ، وتعيين الحسين أو غيره هي من صلاحياتهم ، رغم تمتع السلطان عبدالحميد الثاني بقوته في هذه الأونه ، إلاّ أنه ربما يكون مشغولاً بقضايا أخرى مهمة ، وعلى رأسها رغبته في إزاحة الاتحاديين واسترداد مكانتهُ في سلطة الدولة التي سلبت منه .

(*) جمعية الاتحاد والترقي غير تركية ولا إسلامية زعماؤها كانوا جميعاً وبدون استثناء من الماسونيين .. أعضاء هذه الجمعية في دهاليز المحافل الماسونية ، وبمعاونة السفارات الغربية استطاعت هذه الجمعية أن تنقلب على السلطان عبدالحميد الثاني وأن تدعو إلى سياسة تتريك جميع الشعوب المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية ، وعندها أنفجر الموقف . وكان هذا التوقيت هو الوقت المناسب الذي وضعه الغرب والشرق على السواء لضرب هذه الدولة عن طريق القومية العربية والقومية التركية . الأهرام ، عدد ٩٤٩٣ ، ١٩٠٩/٦/٩م .

(١) لنثروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، (ط٢ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧١ م) ، ج٤ ، ص ٣٨٣ .

(٢) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٢٤ .

وعلى أية حال ، فإن السياسة التي أنتهجها الاتحاديون بعد سيطرتهم على الدولة العثمانية في الحجاز ، كما سنرى للسير وفق الاصلاحات الجديدة الذي أعلنوه عوضاً عن نظامه القديم بعد ثورتهم (١) ، تؤكد على رغبتهم في إزاحة العناصر المعارضة لهم ، وهذا ما دفعهم إلى تعيين الحسين ابن على أميراً على مكة (٢) ، ويعود ذلك إلى بعض العوامل التي جعلتهم يختارون الشريف حسين لإمارة مكة بعد ما بدأت الأمور في التدهور سياسياً واقتصادياً في ولاية الحجاز ، ومن أهم هذه العوامل :

اولاً : الوعود الكثيرة التي صار الشريف حسين بن علي يوعد بها العثمانيين بقدرته على مقاومة أمراء المناطق في كل من عسير واليمن .

ثانياً : حاجة القادة العثمانيين إلى أمير عربي قوي من أهل المنطقة يقف ضد المعارضين لهم من القبائل في الحجاز ، وغيرها من المناطق المجاورة للحجاز .

ثالثاً : حاجة الحكومة المركزية في اسطنبول إلى أمير قوي في مكة يساعدهم في إنجاح مشروع الخط الحديدي في الحجاز ، والذي كان مفروضاً أن يتم ربطه ببقية المدن الحجازية وحمايته من غارات البدو عليه (٣) . ولهذه الأسباب مال القادة الإتحاديون إلى جانب الحسين بن علي ، فسعى الشريف عبدالله إلى والده بضرورة استغلال الفرصة والمطالبة بالمنصب . وأمام ضغوط ابنه عبدالله اقتنع بوجهة نظره ، فكتب مذكرة إلى السلطان عبدالحميد الثاني بواسطة الصدر الأعظم كامل باشا (٤) ، فأخذ الشريف عبدالله هذه المذكرة بنفسه وقدمها للصدر الأعظم في اسطنبول ، فقبل بالمنصب وأصدر فرماناً يقترح فيه بتولية الشريف حسين بن علي شريفاً على إمارة مكة ، وقد صدر هذا الفرمان في السادس من شوال عام ١٣٢٦هـ / الحادي عشر من اكتوبر ١٩٠٨م (٥) . فقام الشريف عبدالله بن حسين بمقابلة

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف الحسين ، ص ٣٧ .

(٢) جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ترجمة على أحمد شكري وتحقيق عبدالحميد محمود ، (بغداد ، مطبعة البصري ، ١٩٦٣م) ، ص ٢٥٢ .

(٣) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٩٨ ؛ ابوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٩ .

(٤) عبدالله بن الحسين : الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ، ص ٥٠ .

(٥) أنظر فرمان توليه إمارة مكة في الملحق رقم (١) و (٢) و (٣) ، ص ٨٥٤ - ٨٥٧ .

السلطان عبدالحميد الثاني فأطلعه على اقتراح الصدر الأعظم فوافق عليه ، وطلب مقابلةالشريف حسين . وابلغ كاتب السر الشريف حسين بضرورة حضوره إلى قصر التشريفات لمقابلة السلطان . فتوجه الشريف إلى القصر السلطاني وقابل السلطان فأبلغه بتعيينه شريفاً على مكة المكرمة[١] . ثم سافر الشريف حسين في الموعد المحدد إلى الحجاز لإستلام مهامه ، فوصل في الثاني عشر من ذي القعدة عام ١٣٢٦هـ/السادس من ديسمبر ١٩٠٨م ، وحال وصوله استقبل بالترحيب من أعيان الحجاز في جدة ، حيث خطب باسمهم السيد عبدالله بن قاسم زينل الذي رحب بالشريف حسين باسم أهل الحجاز ، وأوضح له بترحيب الحجازيين به ، وأنهم يأملون منه أن يعدل عن الأساليب الإدارية القديمة ، وعن المظالم التي كان يقترفها الشريف عون الرفيق وعلي باشا ضد السكان [٢] ، وبعد الخطاب استلم الحسين مقاليد إمارة مكة رسمياً ، وعينوا بجانبه كاظم باشا و الياً عثمانياً على الحجاز ، ويجمع في يده السلطة العسكرية والإدارية ، ومنها : إدارة الجيش النظامي ، والمحاكم وإدارة الأموال ، وكان مقر إقامته مبنى الحميدية بجوار الحرم المكي الشريف[٣] .

أما نصيب الشريف حسين في الإمارة فكان ينحصر في رعاية شئون البادية ، وتمتد سلطته أحياناً على جميع الأراضي الحجازية ، وعليه أن يعمل على تأمين قوافل الحجاج الوافده إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج ، وإخضاع رجال القبائل للدولة .

وكان الحسين حريصاً منذ توليه إمارة مكة على إظهار ولائه للاتحاديين ، الذين أصبح لهم النفوذ الأعلى في الدولة العثمانية بعد عزل السلطان عبدالحميد

---

(١) هنادي يوسف عوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٣٦ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٥.

(٣) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) ، ص٧ ؛ ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، ج٢ ، ص ٨٧ .

الثاني في أواخر عام ١٣٢٦هـ/ وأوائل عام ١٩٠٩م [١]، وهذا مما أتاح للعناصر الاتحادية الاستيلاء على السلطة في الدولة العثمانية ، فسيطروا على جميع المناطق العربية ، وفي مقدمتها الحجاز الذي أعتبرهُ العثمانيون من أهم المناطق العربية نظراً لما يتمتع به هذا البلد من مكانة دينية ، وموقع استراتيجي مهم في شبه الجزيرة العربية [٢].

وعندما آلت الإمارة في الحجاز للشريف حسين بن علي وتمكن من توطيد نفوذه على القبائل قام يعمل على مضايقة الوالي العثماني كاظم باشا ، مما جعله ينزعج منه ويستقيل من منصبه ، فعينت الدولة العثمانية بدلاً عنه الفريق فؤاد باشا والياً على الحجاز ، فتوجه في الحال إلى مكة المكرمة ، ويبدو أنه لم يكن على وفاق مع الشريف حسين ، فطلب الحسين من السلطات العثمانية عزل الوالي الجديد ، فأستجاب العثمانيون لطلبه ، وقاموا بعزله وتعيين مكانه كامل بك والياً على الحجاز بدلاً من الوالي السابق [٣] .

---

(١) لقد جاء عزل السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م ، على يد حزب تركيا الفتاة حيث تشكلت منظمة سرية من ضباط الجيش الثالث في مناستر وسلانيك وغيرها ، وكان غايتها اسقاط حكم عبدالحميد ، وفي اغسطس عام ١٣١٥هـ قام طلعت افندي مع سبعة من اصدقائه بتشكيل اول خلية لجمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ، فسمع النبأ أحمد رضا وهو احد كبار اعضاء حزب تركيا الفتاة بباريس بالتنظيم الجديد ، فاتصل بطلعت ،وطلب منه أن يقيم للجمعية فرع في باريس واطلق عليه اسم التنظيم الخارجي لجمعية الاتحاد والترقي ، فجرى اول انتخاب في التنظيم الداخلي بتدبير من طلعت افندي الذي رقي إلى درجة كاتب اول في إدارة البريد . فاحس المحفل الماسوني في سلانيك بان طلعت سيكون له مستقبل كبير في الدولة العثمانية فاتصلوا به وسجلوه في عداد الماسونيين ، وبعد ذلك رقي إلى عدة درجات في المحفل الماسوني ، فاخبر عبدالحميد الثاني بذلك في اوساط الجيش الثالث وذلك عن طريق جواسيسه ، وفي هذه الاثناء وصل طلعت إلى اسطنبول لتوثيق العلاقة مع تنظيم اسطنبول لحزب تركيا الفتاة ، فالقي القبض عليهما ، ولكن افرج عنهما ، ولدى عودتهما إلى سلانيك وجد ان نشاط الجمعية قد ازداد ودخل فيها شخصيات هامة في الجيش من بينهم (البكباشي - جمال باشا - جمال بك ، وقائد الجناح فتحي بك - فتحي أوقياد) كلهم قادة في الجيش الثالث ، ومع توغل القيادات الاتحادية في كل الامور الداخلية للدولة بدأ يهتز عرش السلطان عبدالحميد ، وبدأ يتقلص عرشه وفي عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م ، قامت الثورة عليه اتهموه بالاستبداد واعلنوا الحرية والعدالة والمساواة وفتحت ابواب السجون وانتشر الأف المجرمين من مختلف الاجناس في انحاء المملكة فكانوا سبباً في خلق كثير من المتاعب ، انظر تفاصيل ذلك في ، مصطفى طوران : اسرار الانقلاب العثماني ، (ط٤ ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ٤٩ - ٥٦ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٩٨ ؛ هنادي يوسف غوانمه : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٣٧ .

(٣) عبدالكريم محمود غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ - ١٩١٨م ، (دمشق ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ، ج١ ، ص ٣٢٦ .

وعندما وصل الوالي الجديد إلى الحجاز ، رأى أن الشريف حسين قد تمكن من بسط نفوذه على جميع القبائل في الحجاز ، وذهب إلى ابعد من ذلك من توسيع نطـاق حدود سيطرته على المناطق المجاورة ، فحاول الوالي أن يقلص من نشاطه بافتعال بعض الاحداث واختلاقها للاساءة للشريف ، والعمل على تنحيته عن الامارة وذلك من اجل اخضاع الحجاز لنظام الحكومة المركزية (١) ، وتلك الاعمال جعلت الشريف حسين يستاء من هذا التصرف ، فأضطر العثمانيين أن يطلبوا من الوالي مسايرته حتى لا يخرج عن طاعة الدولة (٢) .

وفي الوقت نفسه ، عمدت الحكومة العثمانية على تقليص نفوذ أمير مكة ، بفصل المدينة المنورة عن ولاية الحجاز ، وجعلتها محافظة مستقله تابعة لوزارة الداخلية باسطنبول ، وعينت علي رضا باشا الركابي (*) محافظاً لها . وجرى ذلك دون علم والي الحجاز كامل بك وأمير مكة الشريف حسين ، وقد احتج الوالي على هذا الإجراء وهدد بالاستقالة .

أما أمير مكة ، فقد أرسل رسالة للصدر الأعظم يسأله عن مسئوليات الإمارة عن قوافل الحجاج والزوار للديار المقدسة ، فهل هي كما كانت إلى مدائن صالح أم إلى محل معين بين الحرمين ؟ . ولكن الصدر الأعظم أجاب بأن هذا الإجراء لا يؤثر على مسئوليات إمارة مكة من ناحية الحجاج ، بل القصد منه هو ربط المدينة المنورة بمركز السلطنة بسبب وجود السكة الحديدية وخطوط التلغراف فيها ، والذي كثير

---

(١) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥ م ، ص ٣٧ .

(٢) نبيل عبدالحي رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس ، (جده ١٩٨٣م) ، ص ٢١٠ .

(*) علي رضا باشا الركابي : كان من أبرز الشخصيات السياسية في سوريا ، ولد في دمشق عام ١٨٦٦م ودخل المدرسة الحربية في اسطنبول ، وتخرج منها والتحق بالجيش العثماني ، وتدرج في المناصب العسكرية حتى وصل سنة ١٩١٢م إلى رتبة لواء ، وعين بعد ذلك قائداً للجيش في القدس ثم محافظاً وقائداً في المدينة المنورة ثم نقل بعد ذلك إلى العراق ، ثم أحيل على التقاعد في سنة ١٩١٤م بعد أن أشار على الدولة بالبقاء على الحياد في الحرب العالمية الأولي ، فعاد إلى دمشق قبل الثورة ، فاضطر إلى مدارات أحمد جمال باشا حتى لايسيء إلى بلده فأصبح رئيسا لبلدية دمشق ، وبقي على صلة بالمواطنين السوريين ، ولما دخل الجيش العربي دمشق سنة ١٩١٨م عين حاكماً عسكرياً ، وبقي في هذا المنصب حتى خلفه الشريف زيد بن حسين ، وعين بعدها مديراً للحربية (أى وزير الدفاع حتى إعلان الأستقلال وتتويج الشريف فيصل بن حسين حاكماً على سوريا نيابة عن والده الشريف حسين ، فكان أول رئيس للوزراء بعد الاستقلال ، وعاد إلى دمشق في سنة ١٩٢٦م معتزلاً السياسة وقام فيها حتى وفاته في ٢٥ مايو ١٩٤٢م ، أنظر ، عبدالعزيزالعظمه : مرآة دمشق ، ص ٢٢٨ .

ما يتعرض لهجوم رجال البادية وعجز الوالي ايقافهم ، كما أنه يضمن سرعةالمخابرات بين المدينة المنورة والعاصمة .(١)

ويظهر أن هذا الإجراء كان يهدف في الحقيقة إلى الحد من سلطة الأشراف والوالي العثماني في الحجاز وإضعاف نفوذهم ، ولم تمر هذه الإجراءات بسلام بل أدت إلى بعض الاضطراب والمشاكل التي أشعلها الشريف حسين في الحجاز ، مما اضطرت الدولة إلى تعيين والياً جديداً قوياً على الحجاز هو المشير عبدالله باشا ، وزودته بتعليمات صارمة للوقوف أمام تحركات الشريف حسين وأعوانه من الحجازيين . وبسط النظام للحكومة المركزية .

وعندما وصل الوالي الجديد إلى مكة واستلم مهامه ، حاول أن يحد من تحركات الشريف حسين وأعوانه ويحد من نفوذه إلا أنه لم يستطع ايقافه ، فقام الاتحاديون بعزله وتعيين بدلاً منه حازم بك والياً على الحجاز (٢) .

وخلال فترة وجود الوالي الجديد في الحجاز ، حاول الشريف حسين أن يبرز موقفه على الساحة السياسية في الحجاز عن طريق التقرب إلى السلطة الجديدة في الدولة العثمانية ، فأخذ يظهر لهم ولاءه كأحد الرجال المخلصين للدولة والمؤيدين لسياستها ، والمدافع عن مصالحها في كل من الحجاز وعسير ، وهذا مما جعل رجال جمعية الاتحاد والترقي يعيدون النظر في موقفهم السلبي تجاهه ، فأخذوا يثقون فيه ويميلون إليه في بداية الأمر لتحقيق أغراضهم السياسية في المناطق المجاورة للحجاز (٣) . فطلبوا منه أن يبذل قصارى جهده لمقاومة رجال القبائل ، والأمراء المحليين المعارضين لسياستهم في عسير واليمن .

وقد وصفوه بأنه هو الأمير القوي الذي يستطيع أن يقضي على أطماع الأمــراء المحليين المنشقين عن طاعة الدولة في شبه الجزيرة العربية (٤) ، هذا بالاضافة إلى حاجتهم الماسة في ذلك الوقت لأمير قوي يساعدهم في إنجاح إكمال مشروع مد خط السكة الحديدية إلى بقية المدن الحجازية .

---

(١) عبدالله بن الحسين : الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ، ص ٧٨ ..

(٢) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٤٣ .

(٣) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، (القاهرة ، دار الكاتب الجامعي ، د.ت) ، ص ٢٣٥ .

(٤) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٦٨ .

وفي الوقت نفسه ، حاول الشريف حسين أن يحد من سلطة الوالي حازم بك ، وقد ترتب على ذلك حدوث قطيعة بين الشريف حسين والوالي في الحجاز ، استمرت إلى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وهي السنة التي قامت فيها الحرب الإيطالية العثمانية ، وطيلة هذه الفترة لم يستطع الشريف حسين الوقوف في وجه العناصر المعارضة لسياسة العثمانيين في الحجاز وباديته ، حتى في عسير ، لأنه كان يخشى خروجهم عن طاعته في المستقبل بعد انشغال قوات الدولة في بعض الحروب خارج شبه الجزيرة العربية ، واتصرافها عن تتبع جيوب المعارضين في الحجاز وعسير واليمن (١). وهذا مما جعله يحاول كسب ود العناصر المعارضة لسياسة الدولة في ولاية الحجاز وعسير واليمن ، خاصة وأنه بدأ يشك في موقف العثمانيين تجاهه . وقد ترتب على ذلك تغييرات سياسية تجاه حكومة العثمانيين على أمل أن تنتهي الحرب بانتصار العثمانيين ، فيستطيع دعمه بقوات كبيرة تخلصه من القوى الحجازية المعارضة لسياسته ، ومنها : رجال القبائل التي بدأت تتهمه بالولاء للعثمانيين ، فأخذت في إحداث بعض القلاقل داخل المدن الحجازية وخارجها ، مما أدى إلى تدهور الأمن داخل المدن وعلى طرق القوافل ، إمستغلة انشغال الدولة في حربها مع بعض البلدان الأوربية . اما الشريف حسين فانه رأى من الأفضل إتباع سياسة معتدلة تجاه العناصر المعارضة من الحجازيين ، حتى يكسب ودهم وعدم معارضتهم لخططه ، وفي الوقت نفسه لم يمتثل للأوامرالتي يصدرها الاتحاديون في الدولة العثمانية ، ومن ذلك أنه عارض أمراً اصدرته الحكومة العثمانية بايعاز من القادة الاتحاديون ينص على تطبيق نظام التجنيد الاجباري على الحجازيين ، وكذلك امتنع عن جمع تكاليف مد خط سكة حديد الحجاز من المدنية إلى مكة من الأهالي ، حيث طلب الاتحاديون بإلزام أهل الحجاز بدفعها على شكل ضرائب تفرض على كاهلهم ، كما أبدى معارضته الشديدة لنظرية الحكم المركزي الذي يريد العثمانيون في اسطنبول تطبيقه على الحجاز خوفاً من تمرد الشريف حسين عليهم والاستقلال بحكم الحجاز .

---

(١) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية وفي تاريخ العراق الحديث ، (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٧٥ .

وعندما رأى القادة الاتحاديون معارضة الشريف حسين لتنفيذ أوامرهم وعدم قدرة واليهم في الحجاز على تقييد صلاحيات الشريف قاموا بتطبيق قانون الولايات الجديدة على الحجاز (١) ، لدعم سلطتهم المركزية على الحجاز والحد من سلطته ، ولكن الشريف حسين عارض تطبيق القوانين الجديدة ، وبدأ يعمل على استمالةالقبائل الحجازية إلى جانبه بتشجيعهم على معارضة تنفيذ القوانين والأنظمة الجديدة ، حتى لا يفقد الحجاز إستقلاله الذاتي (٢) .

ولقد أدت المعارضة إلى تدهور الأوضاع السياسية والأمنية في الحجاز ، محدثة بعض المناوشات بين القبائل الحجازية والجنود العثمانيين المرابطين في الثكنات العسكرية في المدن الحجازية الرئيسية ، الذين صدرت إليهم الأوامر بالوقوف في وجه الشريف وأعوانه ، وتطبيق الحكم المركزي بالقوة على ولاية الحجاز مثل بقية سائر الولايات العربية الأخرى (٣) .

ولقد أصبح الصراع بين الشريف حسين والوالي في الحجاز يأخذ شكل الند للند ، وكان كلٌ منهما يسعى لكسب الأهالي إلى جانبه والعمل على عزل خصمه ، وأمتدت حركة المؤيدين له حتى شملت الحجاج الوافدين إلى مكة من الولايات العربية ، وقد انتهى الأمر برجحان كفة نفوذ الشريف حسين على التوالي ، حيث كثر أنصاره ومؤيدوه من القبائل الحجازية والتي أكدت له وقوفها إلى جانبه ضد سلطات الولاة العثمانيين في الحجار .

وخلال تلك الفترة ، تولى سعيد باشا الصدارة ، فبادر إلى تلبية رغبة الشريف حسين الذي قدم شكوى إلى الحكومة في اسطنبول ، يشكو الوالي من محاولة اضعاف سلطته ومدى تذمر الحجازيين منه ، فنقل حازم بك إلى بيروت ، وعين مكانه منيف باشا

---

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، (بيروت ، دار النهار ، ١٩٧٠م) ، ص ٧٥ ؛ توفيق على برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ -١٩٢٤م، (القاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٠م) ، ص ٤٧٩ ؛ عبدالعزيز رفاعي وآخرون : دراسات في الشرق الأوسط ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ، ص ٣١ .

(٢) عبدالكريم محمود غرايبه : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٣٢٦ .

(٣) أحمد فهد بركات الشوابكة: حركة الجامعة الاسلامية ، ص ١٩٥ .

والياً وقائداً على الحجاز [١] .

وفي عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م أدرك الشريف الخطر الذي يحيط به من عداء الحكومة العثمانية له بعد تعيين الوالي الجديد على الحجاز ، والذي كان شديد البطش بالأهالي بناء على التعليمات المبلغة له من القادة الاتحاديين ، فزادت هذه الاعمال من مخاوف الشريف ، وأخذ يسعى لإدخال المدينة المنورة تحت سلطته المباشرة . ولكن فشلت كل محاولاته ، نتيجة لفقدان التوازن السياسي بينه وبين الوالي الذي أصبح يجمع في يده السلطة العليا في الحجاز [٢] ، فخاف الشريف حسين من السياسة التي يظهرها القادة الاتحاديون في الدولة العثمانية ضده ، وأنه لايستطيع مقاومة سياستهم بمفرده ، ورأى أنه من الضروري أن يلجأ لدولة أجنبية كبرى تساعده ، ورأى أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي يمكنها مساندته في نزاعه المحفوف بالمخاطر مع القاده الاتحاديين والباب العالي ، وكل ذلك من أجل الحفاظ على منصبه مهما كلفه الأمر .

وإزاء تلك الأحداث أمر الحسين نجله عبدالله عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م بان يتصل بالمعتمد البريطاني اللورد كتشنر (Lord Kitchener) [*] في القاهرة وهو في طريقه من الحجاز إلى اسطنبول [٣] ، وفيما كان عبدالله في طريقه من الحجاز إلى اسطنبول حل ضيفاً على حاكم مصر (الخديوي عباس حلمي الثاني) ، فقام بزيارة للورد كيتشنر بسراي القبة وبحضور الخديوي . وفي الوقت نفسه ، قام كتشنر بزيارته في قصر عابدين وبرفقته

---

(١) عبدالكريم محمود غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٩٠٠-١٩١٨م ، ج١ ، ص٣٢٦ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٣٥ .

(*) اللورد كتشنر : قائد الجيش البريطاني في مصر لمدة إحدى عشرة سنة (١٨٨٩-١٩٠٠) ، وقائداً عاماً في لندن إحدى عشرة سنة من عام (١٩٠٠-١٩١١م) ثم عاد بعدها إلى مصر ليشغل منصب معتمد وقنصل عام لبريطانيا ، وكان ذا معرفة في شئون البلاد العربية حتى أنه أصبح ابعد البريطانيين شهرة في بلاد العرب ، ثم عين وزيراً للحربية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ، أنظر، حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٧ .

(٣) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، (دمشق ، منشورات مجلة الفكر العسكري ، ١٩٧٨م) ، ص ١٩٢ ؛ سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ١٢ - ١٣ .

رونالدستورز (Storrs) (*) احد موظفي القنصلية البريطانية في مصر . وقد فوجيء عبدالله بن حسين بهذه الزيارة ، وهناك استغل هذه الزيارة وعرض مطلب والده للمعتمد البريطاني ، ومنها : أن يطلب من حكومته في لندن أن تأيده فيما ينوي القيام به ضد القيادات الاتحادية في الحكومة العثمانية ، وعليها أن تساعده في منع وصول أي قوات أو إمدادات عسكرية جديدة من اسطنبول وغيرها من الولايات العربية إلى الحجاز (١) . لأن تلك الإمدادات أو القوات إذا نجحت السلطات العثمانية في إيصالها إلى الحجاز عن طريق قناة السويس فإنها سوف تدعم قوة الوالي في ولاية الحجاز المتوتر سياسياً ضد الوالي ، وتجعله قادراً على عزل الشريف أو تضييق الخناق عليه والتنكيل بأنصاره من الحجازيين ، ووضع ولاية الحجاز تحت سلطة العثمانيين المباشر ، كما أنه سوف يساعد على إلغاء الامتيازات المحلية ، ومن أهمها إعفاء سكان الحجاز من دفع أي ضرائب لخزينة الدولة (٢) .

ولكن هذه المباحثات لم تحقق الهدف المطلوب بالنسبة للشريف حسين ، لأنه يوجد بين بريطانيا والدولة العثمانية اتفاقيات ، وهذا مما جعلها تحتفظ في بداية الامر على مطلب الحسين .

وأثناء ذلك استعاد الاتحاديون قوتهم بعد الإنتهاء من حرب البلقان عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، فأعادوا الكرة مرة أخرى بالضغط على الشريف حسين بعدما لاحظوا زيادة نشاطه المتنامي ، ودعم القبائل الحجازية له (٣) ، فانزعج الشريف بالتطورات الأخيرة ضده ، فأرسل نجله عبدالله

(*) ستورز (Storrs) احد موظفي القنصلية البريطانية والسكرتير الشرقي للمندوب السامي البريطاني في القاهرة .

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، (ط٢ ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٣٤٣ ؛ مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، (الكويت ، دار الوثائق ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٩٤ .

(٢) عبدالكريم محمود غرايبة : مقدمة في تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٣٢٦ .

(٣) أمين سعيد : اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٤٦ .

إلى اسطنبول مرة ثانية ليشرح للمسئولين أثر الموقف السياسي المتردي الذي طرأ من جانب الحكومة العثمانية تجاه ولاية الحجاز ، وما ترتب على ذلك من الفوضى والاضطرابات في الحجاز ، كما حمل عبدالله رسالة إلى السلطان محمد رشاد يحذره من مغبة بعض الأعمال التي ربما تحدث مستقبلاً في الحجاز ، نتيجة للمضايقات التي يرتكبها الوالي ضد الشريف حسين وأنصاره .

وقد كان لهذه الزيارة نتائجها الايجابية ، حيث اخذت الحكومة العثمانية تحذيرات الشريف حسين موضع الاهتمام ، فأرسلت وهيب باشا في ربيع الأول عام ١٣٣١هـ / فبراير١٩١٣م والياً وقائداً عاماً على الحجاز ، وكان معروفاً بصداقته وتحمسه الشديد للعثمانيين . وكانت ترافقة قوات عسكرية كاملة الاستعداد من سلاح وذخائر ومؤن ، وقد جمعوا بيده السلطتين العسكرية والإدارية ، مع إعطائه صلاحيات واسعة بغية التخلص من الشريف حسين وأنصاره ، وجعل الحجاز تحت السلطة المباشرة للحكومة العثمانية .

وحال وصول الوالي وهيب بك إلى الحجاز ، قام بزيارة الشريف حسين في الطائف ليطلعه على الصلاحيات التي انيطت له من الحكومة العثمانية في اسطنبول ، ثم عاد بعد ذلك إلى مكة المكرمة ، وقام بتنفيذ الأوامر في جمع الأموال من الأهالي بالقوة لتغطية تكاليف إمداد الخط الحديدي الحجازي من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة . وقد أدت هذه الأعمال إلى قيام بعض الأشتباكات بين رجال الوالي والأهالي الحجازيين المؤيدين للشريف حسين في المدن الحجازية وتمرد القبائل بين مكة و المدينة المنورة ، وهذا مما أدى إلى تخوف الشريف من هذه الاضطرابات ، فقام من جانبه يستعد لمقاومة الدولة خوفاً من الانتقام (١) .

وعندما أدرك الوالي العثماني في الحجاز بخطورة الوضع السياسي الذي تدهورفجأة على يد الشريف حسين ومؤيديه من القبائل الحجازية ، أخذ يخطط

---

(١) أمين سعيد : المرجع نفسه ، ص ٤٦ - ٤٧ .

سراً لإعتقاله ، حسب التعليمات المبلغة له من الحكومة ، على شرط أن لا يثير القبائل ضد العثمانيين (١) . إلاّ أنه لم ينجح في تحقيق رغبة الحكومة العثمانية ، مما جعله يقوم ببعض التصرفات الاستفزازية ضد القبائل المناصرة للشريف ، والتي كادت أن تؤدي إلى حمل السلاح ضد الحكومة العثمانية ، وفي الوقت نفسه ، استطاع الشريف حسين أن يكشف مخطط الوالي في الحجاز ضده فاخذ يتجنب المواجهة معه ، في الوقت الذي قام فيه الأهالي في مكة وجدة بتنظيم مظاهرات كبيرة تهتف بسقوط الوالي ، وتطالب بالبقاء على الإمتيازات الحجازية التي يتمتع بها الحجاز سابقاً ، كما أعلنوا رفضهم القاطع بمد الخط الحديدي بين المدينة المنورة ومكة المكرمة .

وفي الوقت نفسه ، أعلن الحسين من جانبة رفضه القاطع للنظام الجديد ، وأشار بأن أهل الحجاز يرغبون التمسك بحقوقهم القديمة ، وبالشروط التي بويع بها السلطان سليم الأول بعد ضمه للحجاز ، وقد أدى ذلك إلى تعطيل المواصلات بين المدن في الحجاز ، وتوقفت الحركة التجارية فيها ، كما أعترضت القبائل قوة عسكرية كانت في طريقها إلى جدة ، وتم إعادتها إلى حيث أتت بالقوة ، ويمكن أن نرجع هذا التأييد والدعم الشعبي لموقف الشريف إلى إتفاق وجهات النظر في إتخاذ موقف موحد لأهالي الحجاز والشريف ضد أي تغيير يحاول أن ينفذه الوالي في الحجاز ، ويؤدي ذلك إلى الأضرار بما يتمتع به أهل الحجاز من الإمتيازات ، التي كانت قد منحتها الدولة العثمانية لهم عندما ضمت الحجاز لها .

ولتأكيد موقف الشريف حسين من تحركات الوالي العدائية في منطقة الحجاز ، فإنه اجتمع بوهيب باشا ، ونصحه بالكف عما جاء من أجله ، وضرورة احتفاظ

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م) ، ص ٢٢٧ .

(٢) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى في تاريخ العراق الحديث ، ص ٥٨ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٢٦ .

الحجاز بحقوقه وامتيازاته القديمة (١) . وفي الوقت نفسه ، أبرق للحكومة العثمانية في اسطنبول بهذا الخصوص معبراً عن إستيائه البالغ لتوتر الأوضاع السياسية في الحجاز ، نتيجة لما يقوم به الوالي من تصرفات استفزازية أدت إلى سلب الحقوق الوطنية للحجازيين ، وعدم الوفاء بالالتزامات والواجبات المطلوب من الحكومة العثمانية تحقيقها .

ولقد انتهز بعض ضعاف النفوس من البدو حالة الفوضى في البلاد ، فأخذوا يمارسون أعمال السطو والنهب على الطرق المؤدية إلى المدن الحجازية ، ومنه الطريق المؤدي إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فأدرك الوالي في مكة خطورة الموقف ، فتقدم باعتذار للشريف حسين ، وطلب منه بتوجيه ضربة ضد الخارجين عن طاعته من أبناء البادية الحجازيين ، على شرط أن يحتفظ الشريف حسين بمركزه ونفوذه ، فأستجاب الشريف حسين لذلك الطلب ، فوجه نجله فيصل على رأس قوة عسكرية كبيرة من الحجازيين لتأديب رجال البادية الذين كانوا سبباً في إثارة جوّ من الاضطرابات والفوضى على الطرق الرئيسية بين المدن الحجازية إلاَّ أن تلك القوة لم تنجح في أداء مهمتها .

فأضطرت أخيراً الدولة إلى إصدار بيان عام قرئ في الحرم الشريف على الناس ، أعلنت فيه بعدم الإخلال بحقوق الإمارات ، وبقاء الامتيازات الممنوحة للحجاز ، وأنها لاتفكر الآن في مد الخط الحديدي بين مكة والمدينة المنورة .

وبالرغم من هذا البيان الواضح الذي أشار فيه بأن يعيد للحجاز كل حقوقه التي حاولت الدولة سلبها منه إلاَّ أنه لم تتوقف الفوضى التي عمت المدن الحجازية فاضطرت الحكومة العثمانية إلى توجيه أوامرها للوالي في الحجاز بتوجيه أحد القادة العاملين عنده للقيام بحملة عسكرية لتأديب القبائل التي سببت الفوضى والاضطرابات في الحجاز ، إلاَّ أنه عجز عن تنفيذ هذه المهمة هو الآخر على الوجه المطلوب ، نتيجة لتوسع المقاومة في المناطق الحجازية وصعوبة القضاء عليها ، فحاول الوالي على إزاحة الشريف حسين من منصبه حتى يخلو له الجو ، ويستطيع تطبيق سياسته التعسفية ضد الأهالي في الحجاز (٢) . كما طلب من الحكومة الاتحادية سرعة إمداده

---

(١) فؤاد حمزه : قلب جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٢١.

(٢) جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ٢٥٢ .

بقوات إضافية ، لتمكينه من القيام بالمهمة المناطة به ، فأستجابت الحكومة لطلبه ، وارسلت حملة عسكرية بقيادة (طلعت باشا) (*) ، إلاّ انها لم تأخذ بنصيحة الصدر الأعظم تجاه الحجاز ، بل أخذت في ممارسة نفس السياسة التعسفية السابقة ضد الأهالي الحجازيين ، مما زاد الوضع السياسي تدهوراً ، وبدلاً من إيقاف هذه الاضطرابات في الحجاز بالطرق السلمية ، فإن الحكومة العثمانية أرسلت القائد أنور باشا ، وطلبت منه إتخاذ التدابير اللازمة لإيقاف الاضطرابات بالقوة ، وإعادة الاستقرار إلى الحجاز في أسرع وقت ممكن لصالح الحكومة في اسطنبول ودعمته بفرقة عسكرية اضافية من أزمير لتتولى القيام بعودة الاستقرار في الولايات الحجازية ، مما زاد الوضع اكثر تعقيداً .

وعندما علمت الجماعات العربية والعثمانية التي كانت تساعد الحجازيين في اسطنبول بتدهور الأمور في الحرمين الشريفين سارعت إلى التصدي لها بسرعة ، حيث أعلن (محمود باشا (*)) وزير الحربية اعتراضه على معالجة الأمور بالقوة ، كما انه لم يتوان في إبلاغ الصدر الأعظم بما خططه أنور باشا من رغبته في خلع الشريف حسين من الإمارة ، وهذا مما يؤدي إلى تعقيد الوضع العام في الحجاز ، فاضطرت الحكومة العثمانية إلى اجراء بعض الاتصالات بين الأطراف لإيقاف الاضطرابات في الحجاز التي

(*) طلعت باشا (١٨٧٤-١٩٢١م) : هو محمد طلعت باشا أحد الزعماء الثلاثه في جمعية الاتحاد والترقي ، عمل وزيراً ثم صدراً أعظم ، فصار بعد ذلك أحد أهم قادة الإتحاد والترقي ويتمتع بذكاء حاد ينسب إلى عائلة محدودة الدخل والثقافه والتعليم ، اشتغل في بداية حياته مدرساً للغة التركية ، وتدرج حتى أصبح صدراً أعظم ، ثم استقال من منصب الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة) بعد استقالة سعيد حليم باشا على أثر إحتجاجه على دخول الحرب دون علمه ، وهرب بعد ذلك إلى أوربا بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، واغتيل بعد ذلك في برلين على يد الأرمن في ١٦ مارس عام ١٩٢١م . أنظر . محمد حرب : مذكرات السلطان عبدالحميد ، ص ٢٧٦ .

(*) محمود باشا ١٨٥٦-١٩١٣ ؛ ولد في بغداد ومات في اسطنبول . قائد تركي ورجل دولة . عربي الأصل ابوه سليمان فائق كتخدا أوغلو . كان من كبار موظفي ولاية بغداد ، تلقى محمود دراسته الأولى في بغداد . ثم انتقل إلى اسطنبول ليدخل المدرسة العسكرية . ثم دخل المدرسة الحربية وانتهى دراسته فيها وعمل مدرساً فيها ثم ارسلته الدولة في مهمات عسكرية إلى كل من المانيا وفرنسا ، ورقي عام ١٩٠١م إلى رتبة فريق ثانٍ ، ثم عين بعد ذلك إلى فريق أول عام ١٩٠٥م ثم عين قائداً للجيش الثالث وتعاون مع كبار زعماء الاتحاد والترقي . وكان مقر قيادته في سلانيك وعمل تحت إمرته مصطفى كمال (أتاتورك) ، وساهم في الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد الثاني واصبح بعد ذلك قائداً للجيوش الأول والثاني والثالث ثم اصبح وزيراً للحربية . واستقال من وزارة الحربية في عام ١٩١٢م وفي عام ١٩١٣م وعن طريق الاتحاد والترقي اصبح صدراً اعظم مع توليه وزارة الحربية . وفي ١٩١٣/٦/١١م استطاع ثمانية اشخاص اغتيال محمود شوكت باشا . أنظر، محمد حرب : مذكرات السلطان عبدالحميد ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

أشعلها أنور باشا وحل الخلافات بين الشريف حسين والوالي بالطرق الودية [١] . وقد نجحت تلك المساعي في اقتناع الحكومة بالتخلي عن قرارها الذي تنوي منه التخلص من الشريف حسين ، بعد أن أخبر الصدر الأعظم المسئولين في الدولة بأن فرنسا تحاول صرف ثلاثة ملايين ونصف ليرة على حركات عسكرية جديدة من الحركات المناهضة للدولة في الولايات العربية السورية ، مما جعل الحكومة العثمانية تسارع إلى إنهاء حالة التوتر القائم في الحجاز ، وأكد الصدر الأعظم في اسطنبول في برقية رفعها للشريف حسين في مكة بموافقة الحكومة على احتفاظه بالإمارة بشرط أن يوافق على تنفيذ مشروع مد الخط الحديدي إلى مكة [٢] .

وخلال تلك الفترة التي كان يسودها التوتر السياسي بين السلطات العثمانية والحجازيين كانت هناك اتصالات قام بها عبدالله بن الحسين مع المسئولين في اسطنبول ، حيث استعرض خلالها وبالذات في اجتماعه مع طلعت باشا مختلف وجهات النظر ، وبالأسباب التي أدت إلى تفاقم الخلافات بين والده والحكومة العثمانية [٣].

وأشار بأن الدولة العثمانية ، تحاول إضعاف مكانة والده في ولاية الحجاز ، لاخضاعه للإجراءات المتبعة في الولايات العربية الأخرى خلافاً لما يراه والده في الحجاز ، وهي رغبته في الحفاظ على العلاقات القديمة [٤]، والأبقاء على الإمتيازات التي كان يتمتع بها الحجاز عن غيره من الولايات العربية منذ ان ضم الحجاز للدولة العثمانية ، وهو إعفاء سكانها من الضرائب .

وأن شريف مكة لن يسمح بإعطاء الفرصة للقوات العثمانية للقضاء عليه . بالإضافة إلى أن السكة الحديدية سوف تكون سبباً في قطع أرزاق الكثير من أهالي الحجاز الذين اعتادوا على نقل البضائع والحجاج بين المدن ، والذي يعتبر مصدراً هاماً لقوتهم (٥) . إلاّ أن المسئولين في العاصمة ، وفي مقدمتهم طلعت باشا وزير الداخلية أصّر على ضرورة مد الخط الحديدي إلى مكة وجدة .

ويبدو أن موقف الشريف حسين جاء ليعبر عن تخوفه من أن يكون هذا المشروع نذير شؤم

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٤٦-٤٨ .

(٢) جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، (بيروت ، دار المكتب العالمي للتأليف ، ب . ت) ، ص ٢٦ .

(٣) عبدالكريم محمود غرايبه : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٤) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥م) ، ص ٤١ .

(٥) عبدالله بن الحسين : الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين ، ص ٩٩ .

يهدده بزوال مركزه في الحجاز في ظل الظروف المتدهورة بينه وبين الدولة العثمانية في الحجاز بسبب استفزاز الولاة له ، وأن إيصال الخط الحديدي بين مكة والمدينة المنورة ، سيسهل بالتأكيد أي جهد للعثمانيين لإخضاعه إذا لزم الأمر(١) ، وذلك لسهولة نقل الجند والمعدات على هذا الخط إلى مكة ، والذي سوف يساعد الحكومة في نهاية الأمر الى القضاء عليه بسهولة ، ولذلك قام الشريف حسين بوضع كل العراقيل والمبررات لتعطيل تنفيذ مشروع خط سكة الحديد بين مكة وجدة .

وقد كشفت وثائق المراسلات التي عثر عليها رجال الشريف في المدينة المنورة عن مخطط وهو عبارة عن رسائل متبادلة بين وهيب باشا الوالي على الحجاز وأحمد جمال باشا (*) الذي وصل بلاد الشام والياً أواخر عام ١٣٣٢هـ /١٩١٤م (٢) ، وكانت تحتوي على جميع المخابرات التي تمت بينه وبين حكومته بشأن مقاومة الشريف حسين ، والتخلص منه في أسرع وقت ممكن .

فاتخذها الشريف برهاناً قاطعاً على ما يخطط ضده من جانب العثمانيين في تلك الفترة (٣) ، ويمكن القول بأن الثقة أصبحت مفقودة بين الشريف حسين والحكومة العثمانية في الحجاز بعد هذه الحادثة ، فأبلغ الحسين السلطات العثمانية في اسطنبول بمضمون تلك الوثائق ، وطلب الاستفسار عنها (٤) . لكن السلطات العثمانية حاولت التهرب منها وتهدئة الموقف المتوتر في الحجاز، بعزل وهيب باشا والي الحجاز وتعيين غالب باشا بدلاً منه على أساس أنه أكثر ليناً ودبلوماسية منه ، وصادف تعيينه حادثة المدرعة التي جعلت جمال باشا يساوره الخوف من موقف الشريف حسين والحجازيين معاً ، مما جعله

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(*) أحمد جمال باشا (١٨٧٢-١٩٢٢م) ، وزير البحرية في عهد الاتحاديين في الدولة العثمانية ، حيث تخرج من المدرسةالحربية باسطنبول ، وانتمى إلى حزب الاتحاد والترقي ، وقام بدور فعّال في تهيئة الانقلاب عام ١٩٠٨م ، فأصبح من أكثر رجال الحزب نفوذاً ، وعين والياً عسكرياً في أظنه سنة ١٩٠٩م وبغداد عام ١٩١١م ثم اسطنبول ، وعين بعد ذلك وزيراً للبحرية ، ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م عين قائداً وولياً عسكرياً في سوريا ، وهناك نكل بالأحرار العرب ثم عاد إلى تركيا ، ولما انتهت الحرب العالمية بخسارة المانيا وتركيا هرب على باخرة المانية مع (طلعت بك) و(أنورباشا) ، وفي سنة ١٩٢٢م قتل على يد شخص أرمني في تفليس . انظر عبدالعزيز العظمة : مرآة الشام (تاريخ دمشق وأهلها)، ص ٢٢٦؛ موفق المرجة : صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني أو الخلافة الإسلامية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) ابراهيم فوزان الفوزان : إقليم الحجاز وعوامل النهضة الحديثة ، ص ١٣٩ .

(٣) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٤٩ .

(٤) فؤاد حمزه : قلب جزيرة العرب ، ص ٣٢١ .

يشكك في صدق نوايا الشريف ، وأنه يبيت النية للأنفصال عـن كيان الدولة (١) .

وكان سبب حادثة المدرعة ، هو قيام احدى السفن الألمانية بإطلاق نيرانها تجاه سواحل جدة ، مما أدى إلى اشتعال النيران في مخزن للوقود واحتراق أكثر من ألف طن من البترول المخزون للأغراض العسكرية ، إلاّ أن إحدى السفن البريطانية المرابطة في البحر الأحمر والمقابلة لجدة أستطاعت أن تلاحقها وتدمرها ، فخرج إليها البدو وأخذوا ما يحتاجونه منها من المؤن والذخيرة (٢) ، واعتقد الاتحاديون أن هذا الهجوم لم يكن إلا بايعاز من الشريف حسين ، الذي أراد بهذا العمل التقرب من البريطانيين ، ولكن أحمد جمال باشا أسرّ هذا الحادث في نفسه ، ولم يكتب إلى الشريف حسين ليستفسر عن السبب ، وفي الوقت نفسه بدأ يتقرب للبريطانيين .

وعندما علم الشريف بتقرب الوالي كتب إلى بريطانيا كتاباً مشبعاً بروح الود ، ويطلب منها مساعدتها للحجازيين ، الذين يعارضون السياسة التعسفية التي تمارسها العناصر الاتحادية في الدولة العثمانية في الحجاز .

وتلى تلك الرسالة إتصالات أخرى بين مندوبي الشريف حسين في الحجاز والمعتمد البريطاني في القاهرة في أواخر عام ١٣٣٢هـ / أوائل ١٩١٤م ، وكان يمثل الشريف نجله عبدالله الذي كان دائم الاتصال بالمسئولين البريطانيين في القاهرة ، في الوقت الذي تحاول فيه بريطانيا استمالة الدولة العثمانية الى جانبها في الحرب ضد دول الوسط أو ابقائها على الحياد في أقل تقدير .

وقد توسعت هذه الاتصالات أثناء قيام الحرب العالمية الأولى بين دول الحلفاء ودول الوسط والتي منها الدولة العثمانية ، ولم تقتصر على بريطانيا وحدها ، بل شملت بعض الجمعيات العربية المعارضة للقيادات الاتحادية في الحكومة العثمانية في الولايات السورية في بلاد الشام ، وتوطدت هذه العلاقات بين تلك الجمعيات وبين الشريف حسين من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ، والقضاء على استبداد القادة الاتحاديين في بلاد الشام في بداية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، وهذا ما سنعرضه في موضوع العلاقات الحجازية السورية قبيل قيام الثورة العربية عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م ، والذي أدى أخيراً إلى إعلان الشريف حسين باستقلال الحجاز عن الحكومة العثمانية في اسطنبول .

---

(١) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية وأسبابها ومقدماتها وتطوراتها ونتائجها ، (بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) ، ج٦ ، ص ٣ .

(٢) أنظر تفاصيل الطراد الألماني الذي دمره طراد بريطانيا قبالة سواحل جدة ، إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولي النهي والعرفان ، ج٢ ، ص ١٦٧-١٦٨ ، وكذلك حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٢٥ - ٢٦ .

٢ - الحالة السياسة في سوريا

كانت سوريا منذ أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري الموافق للعقد الأول من القرن العشرين الميلادي ، خاضعة للسيادة العثمانية ، وتمثل جزءً مهماً من كيانها السياسي ، وكانت مقسمة إلى ولايات مستقلة ، منها : (ولاية دمشق ومركزها دمشق ، وولاية حلب وتشمل فوق حدودها الحاضرة انطاكية والاسكندرونه وألوية أخرى عديدة في الشمال (١) ، ومعظم سكان المناطق الشمالية من الأرمن والترك ، وولاية بيروت) (٢) ، وهذا بالإضافة إلى ثلاث متصرفيات أخرى ، وهي : القدس مركز إدارة فلسطين المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالعاصمة السورية ، وجبل الدروز ، ودير الزور (٣) .

والأمر الذي يهمنا هنا ، هو التعرف على الوضع السياسي في الولايات السورية في بلاد الشام ، والتي حظيت في بداية الأمر بنوع من التنظيمات الإدارية ، لم تحظ بها أي ولاية عربية أخرى ، وخاصة ولاية الحجاز وعسير واليمن .

وعلى أية حال ، فبالرغم من اهتمام الدولة العثمانية بالتنظيمات الإدارية في ولاية الشام إلاَّ أنه حدثت بعض المشاكل السياسية في آخر عهد السلطان عبدالحميد الثاني وبالتحديد عام ١٣١٦هـ / ١٩٠٠م ، حالت دون تطبيق التنظيمات الإدارية بدقة في الولايات السورية ، ويرجع ذلك إلى بعض العقبات ، ومنها :

أولاً : استمرار فساد الجهاز الاداري في الدولة العثمانية خاصة في أواخر عهد السلطان عبدالحميد الثاني ، ويعود ذلك إلى فساد الولاة الذين كانوا يحكمون الولايات السورية الآنفة الذكر نيابة عن الحكومة العثمانيه ، إذ فقدت الكفاءة والأمانه والإخلاص في العمل ، وكانت تصرفاتهم تنبع من مصالح شخصية وأطماع ذاتية (٤) .

ثانياً: أن تطبيق التنظيمات الإدارية كان بصورة جزئياً في المدن الرئيسية وليس

---

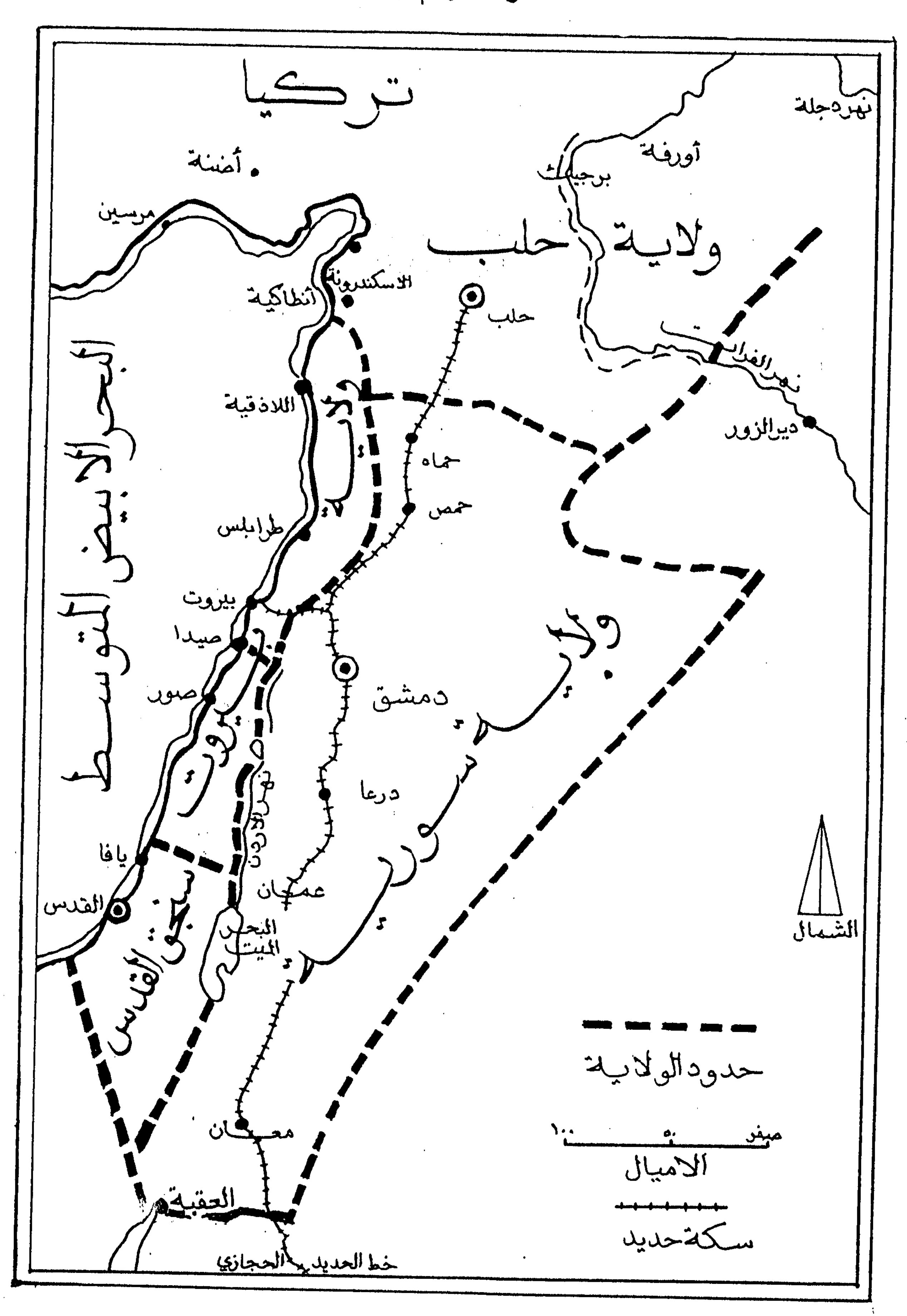
(١) أنظر الخريطة رقم (٢) ، ص ٣٠ .

(٢) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، (ط٢ ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٨٠م) ، ص ١٦ ؛ محمد رجائي ريان : مصالح فرنسا الأقتصادية في سورية . (مجلة الدراسات التاريخية ، دمشق ، السنة الثامنة ، العدد ٢٧ - ٢٨ ، سبتمبر ١٩٨٧م) ، ص ٣٤ .

(٣) وجيه كوثراني : بلاد الشام ، السكان الإقتصادية والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين " قراءات في الوثائق "، (ط١ ، بيروت ، الدراسات التاريخية ١٩٨٤م) ، ص ١٦٥ .

(٤) عبدالعزيز محمد عوض : بحوث في تاريخ العرب الحديث ١٥١٤-١٩١٤م ، (عمان ، مكتبة المحتسب ، د.ت) ، ص ٧٨ .

الخريطة رقم (٢)



التقسيمات الإدارية في سوريا تحت الادارة العثمانية . كما رسمها فيليب خوري في كتابه: اعيان المدن القومية العربية . ص ٨٨

في كل الولاية ، وذلك بسبب قوة قبضة الدولة عليها بحكم كونها مراكز إدارية يقيم فيها الوالي وكبار موظفي الولاية .

ثالثا : زيادة الضغط الأوربي على الدولة العثمانية ، في الولايات العربية السورية سعياً للحصول على الإمتيازات فيها ، وتدخلها السافر لتأييد بعض الطوائف ومنها المسيحية ، مما أضعف مكانة الدولة وهيبتها في أعين رعاياها وشجع تدخل الفرنسيين في سوريا ولبنان .

وهذا ما حدث في بلاد الشام القريبة من اسطنبول ، والتي كانت ترابط بها الجيوش العثمانية ، وخاصة المدن الكبيرة منها ، مما حال دون قيام أي مقاومة ضد سياسة الدولة الجديدة الهادفة إلى تطبيق الأنظمة الإدارية الجديدة منذ عهد السلطان عبدالحميد الثاني .

لكن هذا الموقف الذي قامت الدولة العثمانية بتطبيقه في المدن السورية لم يقابله نجاح مماثل في الأرياف والمناطق النائية ، والتي تعتبر أن الإصلاحات والتنظيمات تدخلٌ في شئونها الخاصة ، وتعريضاً لإستغلالها الذي نعمت به منذ فترة طويلة .

وعندما أدرك السوريين بإصرار الحكومة العثمانية على تطبيق الأنظمة الإدارية بالقوة ، والذي أقتبس من الأنظمة الفرنسية ، قاموا بنشاط واسع ضد هذه الأنظمة ، فشهدت دمشق وحلب وحماه وحمص ، نشاطاً سياسياً في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ، من أجل إيقاف العمل بالقوانين التي تحاول الدولة تطبيقها بالقوة في الولايات السورية ، فقام بعض الضباط والمدنيين من الشبان السوريين في دمشق بتكوين جمعية تعمل على إسقاط حكم السلطان ، وإعادة الأنظمة القديمة التي تعيد لهم الحرية والاستقرار ، وإحياء الروح الوطنية العربية في الولايات السورية العربية (١) .

ويبدو أن هذه الجمعية كانت على صلة وثيقة بالشيخ طاهر الجزائري ، الذي كانت له بعض الدروس العلمية ، التي يلقيها على الشبان السوريين في مسجد دمشق ، وكان يعرفهم بأمجاد العرب التاريخي والثقافي ، ويحثهم على تعليم النشء الجديد من الشبان ، والعمل على فتح مدارس أهليه لتعليم الراغبين منهم (٢). وهذا

---

(١) تاج السر أحمد حران : تطور الفكر القومي العربي من خلال العلاقات العربية – التركية في الفترة ١٩٠٨-١٩١٤م ، (بغداد ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص١٢ ؛ المقطم ، العدد ٥٨٨٦ ، ١١ أغسطس ١٩٠٨م ؛ ابوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٥ .

(٢) ابو الفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٥ – ٥٦ .

ما جعل السوريين يهتمون أكثر من ذي قبل بثقافتهم الاسلامية ، وكان غرضهم الأساسي هو الحفاظ على حضارتهم واستقلالهم داخل كيان الدولة العثمانية ، خوفاً من التفكك والانهيار ، وهو أمر أثار تعاطف المسلمين في الدولة العثمانية ، خاصة وانه أخذت الصحف اليومية التي أنشأها السوريون في دمشق تنشر بعض المقالات التي تكشف عن رغبة السوريين ، وكانت عاملاً آخر جعلت العرب في المناطق السورية يهتمون بما تكتبه تلك الصحف عن الأحداث السياسية التي عمت بعض المدن السورية ، وخاصة ما يرافق نشر تلك الأحداث من تعليقات سياسية ، حيث أشار السوريون في صحفهم بان العرب في سوريا يرغبون في توحيد العمل مع الدولة لرفع مستوى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن ثم إعلاء شأن العرب الذين يكونون الجزء الغالب في الدولة .

وعلى أية حال ، فلقد لعبت الصحافة السورية دوراً بارزاً أستطاعت من خلاله أن يكون لها رأياً عاماً في سوريا بين الأهالي ، فاعلنت بأنها تهتم بالمشاكل الداخلية وتسعى دائماً إلى تطوير العلاقات بين السوريين والعثمانيين في بلاد الشام عامة وسوريا خاصة .

ولقد استغلت فرنسا الفوضى في الولايات السورية ، وتعثر استمرار التنظيمات الإدارية على نطاق واسع في الولايات السورية ، والذي أدى إلى قيامها بفرض نوع خاص من التعامل في ظل الظروف السياسية المزرية ، بسبب كثرة الأحداث المستمرة على يد الولاة ، وفشل تحسين الوضع السياسي العام خدمة لمصالحها في المنطقة السورية ، والتي من أهمها المصالح الاقتصادية و الأعمال التنصيرية المتمثلة في النواحي الثقافية ، والخدمات الاجتماعية والسياسية ، (فأنشأت مستشفيات ومصحات ودور لليتامي والعجزة) [1]، مما دفعها إلى رسم الخطط التي تخدم استراتيجيتها واتجاهها الدبلوماسي للهيمنة على بلاد الشام عامة والسوريين خاصة .

ومن هذا المنطلق ، سعت فرنسا لمنافسة الدولة العثمانية في سوريا ، للاستفادة من التحركات العربية المتنامية في الولايات السورية ، التي أستطاعت أن تسخرها لمصالحها ، وترسيخ أقدامها في المنطقة مستغلة موجة الاستياء التي عمّت سكان سوريا في ظل السياسة الجديدة للدولة في الولايات السورية .

---

(١) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ص ١٧١ .

وفي الوقت نفسه ، حاولت بحذر شديد استغلال المواقف المعارضة في سوريا ، للحصول على امتيازات أوسع من الدولة العثمانية في المناطق السورية ، للوصول إلى أهدافها الاستعمارية في المنطقة بحجة رعاية مصالح الأقليات غير الأسلامية .

وفي الوقت نفسه ، حاولت فرنسا فرض سياستها على السكان السوريين في المدن دون الأرياف بالأغراءات المالية ، فقامت بتشجيع الحركات والزعامات في المدن السورية الكبيرة وغيرها من المدن الشامية الأخرى ، والتي كانت تعمل في الميدان السياسي . ويتضح لنا منها أن تلك السياسة كانت تتجاذبها اتجاهات مختلفة وانتماءات عديدة منها الانتماء الوطني والثقافي الأجنبي ، والذي من خلاله حاولت فرنسا تثبيت أقدامها بواسطة عدة طرق ، من أهمها : تشجيع إرسال الارساليات الأجنبية التنصيرية ، وتوجيه الحركات والزعامات المؤيدة لها في المدن الرئيسية الشامية ، والتي كانت تعمل في الميدان السياسي أو الصحفي لخدمة أهدافها ، والمحافظة على امتيازاتها في المدن السورية (١) .

كما استغلت فرنسا حاجة السكان للمال ، وأهميته عندهم من أجل دعم المشاريع التنموية في سوريا ، فسعت إلى بذل المال وتوفيره في المجالات التي تستطيع من خلالها الوصول إلى تحقيق أهدافها السياسية والثقافية في بلاد الشام ، فوضعت لذلك سياسة خاصة عرفت فيما بعد بالمشروع الفرنسي(٢)، ومنه بناء مرفأ بيروت ، ومد خطوط السكك الحديدية بين دمشق وبيروت وحلب ورياق ثم من دمشق إلى حمص ثم ادمجت بعد ذلك شريكة (دمشق - حلب) برأسمال قدره (١٢٥) مليون فرنك فرنسي على اعتبار انها مشاريع فرنسية ، وفي مجال التجارة مثلت صادرات سوريا إلى فرنسا المقام الأول (٣) . وكل هذه المشاريع التي أقيمت لكسب انظار السوريين لصالحها مستغلة حالة الفوضى التي عمّت الولايات السورية عقب خلع السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م .

---

(١) محمد خالد وآخرون : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، (ط١ ، المكتبة العصرية ، د.ث) ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، (جامعة البصره ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٨م) ، ص ١٣٩ .

(٣) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص١٧٠ .

وقد تنبهت بعض الزعامات السياسية والدينية في بلاد الشام ، لما تخطط له فرنسا في بلادهم ، وحاولت إقناع السكان بخطورة تأثير ذلك الموقف على النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية ، وأنه من غير المستحسن الخروج عن طاعة الدولة التي سيطر عليها الاتحاديون في تلك الفترة الحرجة التي كانت تمر بها بلادهم ، إلاَّ أن فرنسا لم تأبه لذلك بل سارعت في تنفيذ مخططاتها بتشجيع حركات التنصير في البلاد مستغلة غفلة سلاطين الدولة العثمانية ، والذين كان من واجبهم الوقوف في وجه التغلغل الاستعماري في البلاد العربية ، وعدم تمكين أي دولة أجنبية من التدخل في شئون سكان الولايات والمتصرفيات العربية ، وكذلك محاولة امتصاص غضب حركات المعارضة العربية في المدن الشرقية لسوريا ، ولاسيما تلك التي ظهرت في بيروت ، والتي كانت تطالب بادخال إصلاحات إدارية ومالية إلى ولاياتها ، وحل نظام اللامركزية الإدارية ، وكانت تضم في صفوفها عناصر إسلامية ومسيحية ، تنادي بتنفيذ ولو جزء يسيراً من مطالبها بدلاً من ترك حركات المعارضة تتفاقم وتتوسع في المدن السورية[1] ، مما يمكن فرنسا من تسخير تلك الحركات لصالحها الخاصة . فنجد أن فرنسا استفادت منها ، حيث قامت بدعم تلك الحركات ومعاملة زعاماتها بالحسنى ، وأخذت تتقرب من العائلات الكبيرة في دمشق ، كما عملت على استمالة بعض الصحف الإسلامية بالاغراءات المادية ، وخصصت بعض المنح للطلاب المسلمين للدراسة في جامعات فرنسا [2] .

وعندما شعرت فرنسا بأن بريطانيا ربما تكون المنافس الوحيد لها في المنطقة خاصة وأنها تملك المنافذ البحرية ، سارعت إلى الاتصال بالزعامات البريطانية لتوضيح وجهة نظرها ، فما كان من بريطانيا إلاَّ أن طمأنت فرنسا بأنه ليس لها أية مطامع سياسية في بلاد الشام (لبنان وسورية) وأنها تعتبرها مناطق نفوذ فرنسية [3] .

وعلى نفس هذا المنوال أخذت فرنسا في كسب ود الجمعيات والزعامات الإسلامية خشية أن يتجهوا إلى إتجاه مضاد لها ، كما قامت بتقديم إعانة مالية كبيرة لصحيفة (المقتبس) الدمشقية ذات الاتجاه الإسلامي ، والتي تصدرفي دمشق في محاولة منها

---

(١) بيهم محمد جمال : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، (بيروت ، ١٩٥٠م) ، ج٢ ، ص٢٢ .

(٢) وجيه كوثراني : بلاد الشام ، ص ٨٥ ؛ مصطفى خالد وآخرون : التبشير الأستعماري في البلاد العربية ، ص ٥٧ .

(٣) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص١٧٣

لكسب تأييد سياستها في المنطقة ضد الاتحاديين في بلاد الشام [١] .

ونتيجة للموقف البريطاني فإن ذلك أدى إلى طمأنة الأوساط الاقتصادية في فرنسا نسبياً ، فأخذت تبني أهدافها على هذا الموقف البريطاني ، والذي أدى إلى الاعتراف بالمشاريع الفرنسية السابقة الذكر ، وهذا بدوره دفع رجال الأعمال الفرنسيين إلى زيادة توسيع نشاطهم في المنطقة السورية في سنتي ما قبل الحرب العالمية الأولى ، حيث زادت من الدعم المالي للمؤسسات والجمعيات ذات الأهداف الاستعمارية ، إضافة إلى منح الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة للحصول على الاحتكارات والامتيازات لإنشاء هذه المشروعات [٢] .

ولتأكيد حسن السياسة البريطانية تجاه التحرك الفرنسي في بلاد الشام ، ولإبراز أهمية التوافق في الأهداف والنوايا الاستعمارية بين البلدين ، فإن وزير الخارجية البريطاني اللورد كراي (Lord Crey) ، أوضح تلك النوايا للسفير الفرنسي في لندن مؤكداً له بأن بريطانيا تطمع في فلسطين وشرق الأردن والعراق [٣] .

وبهذا التأكيد اطمأنت فرنسا من حياد بريطانيا تجاه سياستها الاستعمارية في المنطقة ، فسارعت إلى تشكيل لجنة رسمية أطلق عليها لجنة الشئون الفرنسية مهمتها رسم خطة جديدة لتحركاتها في بلاد الشام ، وعقدت عدة اجتماعات ومناقشات ثم أصدرت في ربيع الأول ١٣٣١هـ/١٩١٣م تقريراً مفصلاً يحدد منطقة النفوذ الفرنسي على النحو التالي : (أن منطقة النفوذ الفرنسية هو ما يطلق عليها اسم سوريا ، وتشمل بيروت ودمشق وقسماً من ولاية حلب ، واعتبار لواء الإسكندرونه خارجٌ عن هذه الحدود) [٤] .

---

(١) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص٥٥ ؛ محمد رجائي ريان : مصالح فرنسا الاقتصادية في سورية ، (مجلة الدراسات التاريخية في سورية ، جامعة دمشق ، السنة الثامنة ، العدد ٢٧-٢٨ ، ١٩٨٧م) ، ص ٤٥ .

(٢) جلال أحمد : الشرق العربي والغربي ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩م) ، ص ٢٥ .

(٣) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص٧٣ ؛ ابراهيم الراوي : من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ، (بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ص ٤٦ .

(٤) عبدالعزيز عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ - ١٩١٤م ، (القاهرة،دار المعارف،١٩٦٩م) ص ٦١ .

وفي الوقت الذي تركز فيه فرنسا على وجودها في سوريا بالاغراءات المالية ، لما تنشده من مصالح اقتصادية وسياسية لها (١)، كان هناك حكومة الاتحاديين تنادي بالاصلاحات المحلية في كل الولايات السورية ، لكن الاصلاح الذي يدّعونه محدود لا يخرج عن كونه إصلاح بعض أوجه نظام الضرائب والطرق ، دون الاعتناء بالتعليم والاصلاح الزراعي ... الخ (٢).

ولكن دعوة الإصلاح قوبلت بالشجب من جانب السوريين ، وبخاصة المسلمون منهم متبرؤن منها ، ومؤكدون للقادة الاتحاديين بإرتباط السوريين بالعرش العثماني فقط ، وأن مطالبهم تتركز في الإصلاح الإداري الحقيقي وهو إحياء الروح الوطنية ، وإظهار أمجاد العرب وإحياء التراث العربي في مختلف الأداب والعلوم والفنون ورفع أحوالهم الاقتصادية ، وكف يد الموظفين عن المظالم ، وإصدار دستور يقيد الحكومة ويجعل الشعب مهيمناً على تصرفاتها (٣)، إلاّ أن الدولة حاولت توحيد صفوف المواطنين السوريين وتعبئة قواهم المادية والروحية لمقاومة الدول الأجنبية .

وعلى أية حال ، فقد كشفت جمعية الاتحاد من سيطرتها على الوزارة والجيش والصحافة ، وأصدرت قانوناً صارماً على الصحافة للحد من حرياتها وحرية نقدها للحكومة (٤).

ولقد أدت هذه التصرفات إلى معارضة الصحفيين من مسلمين و مسيحيين في الولايات السورية لهذه المواقف التي تمنع الأهالي من إبداء رأيهم في السياسة الاتحادية الظالمة التي تطبقها في المناطق السورية .

ونتيجة لهذا الموقف السياسي المتدهور في سوريا ، فقد اتخذ السوريون موقفاً صلباً من جريدة طنين الناطقة رسمياً باسم الحكومة العثمانية ، وحمّلوها مسئولية نفور السكان في الولايات السورية ، وطالبوها بضرورة الحفاظ على كيانهم ، ولغتهم

---

(١) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص ١٧٨ .

(٢) تاج السر أحمد حران: تطور الفكر القومي العربي من خلال العلاقات العربية تركية في الفترة ١٩٠٨-١٩١٤م ، ص ٣١ .

(٣) ابوالفتوح رضوان وآخرون : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٥٦ .

(٤) عبدالرحمن الشهبندر : الثورة الوطنية ، (دمشق ، ١٩٣٣م) ، ص ٣٠ ؛ إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، (جامعة الموصل ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ٧٨ .

العربية في الدولة ، واتخذت الصحف العربية - حتى الموالية منها للاتحاديين - موقفاً واضحاً ورافضاً من أن اللغة التركية هي لغة التعليم في المدارس في سوريا ، وهذا يعني إضعاف للغة العربية .

ولقد طالبت الزعامات السورية الصحف الاتحادية بالتخلي عن هذه السياسة إذا أرادوا إيجاد وحدة وتفاهم بين عناصر الدولة في سوريا وغيرها ، وحاولوا أن يوضحوا وجهة نظرهم من أن مصالحهم السياسية تحتم عليهم عدم الانفصال عن الدولة العثمانية رغم هيمنة الاتحاديين ، وحاولوا إقناع بعض القيادات العثمانية المتأثرة بالاتحاديين بحسن نواياهم وإخلاصهم للدولة العثمانية وتحسين الأحوال الإدارية في الولايات السورية .

وفي الوقت نفسه ، حذّر الزعماء السوريون من النوايا الفرنسية تجاه العرب المسلمين في بلاد الشام عامة والمناطق السورية خاصة ، من أن فرنسا استغلت الخلاف مع العثمانيين وبدأت تضع خططها السياسية بالاغراءات المالية وذلك لتتغلغل أكثر في المناطق السورية ، خاصة الساحلية منها ، ولكن الاتحاديين لم يهتموا بالتحذيرات التي وجهت لهم خلال تلك الفترة (١) .

وعندما فشل السوريون في تحقيق مبدأ المساواة بسبب رفض العثمانيين النظر في شكاوي العرب في بلاد الشام ، بدأ القادة العرب ينصرفون إلى مطالب أكثر ، حيث قامت الزعامات السورية بنشر مقالات بأقلام كتاب سوريين - منهم حقي العظم ، ووالي الدين - تناقش وتتحدث عن مطالب عربية ذات سمات لامركزية ، أي أنها تطالب باللامركزية في الإدارة لسوريا (٢) ، وتعتبر هذه مرحلة جديدة من تطور حركة الوعي عند العرب .

وكان هذا من نتائج سياسة الكبت ، والضغط على الحريات التي مارسها الإتحاديون ، والتي أدت إلى ظهور بعض الجمعيات العربية السورية في داخل الولايات السورية وخارجها ، ومنها ما هو سري وآخر علني ، وكان غرض هذه الجمعيات هو تحسين أحوال العرب في الولايات العربية في بلاد الشام داخل إطار الدولة العثمانية ، ومعاملتها على قدم المساواة في التعليم ، وفي إدارة الحكم في المنطقة ، ثم المحافظة على

---

(١) خيرية قاسمية : الوطن العربي بسير الاتجاه القومي ودوافع التجزئة في فترة الحربين العالميتين (مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة دمشق ، السنة الرابعة ، العدد الحادي عشر ، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ / يناير ١٩٨٣م) ، ص ٩٢ .

(٢) المقطم : عدد ٦٩٢٠ ، ٣ يناير ١٩١٢م .

حقوق السوريين في بلادهم (١).

وبذلك برزت بعض الجمعيات السرية ، ومنها :

١ - **الجمعية (العربية الفتاة)** (٢) : برزت هذه الجمعية منذ عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م في باريس بعيداً عن دمشق ، وقد أخذت هذه الجمعية عملها بالحذر والكتمان ، وكان أعضاؤها لا يضمون إليهم أحداً إلاّ بعد أن يمر بتجربة طويلة ، يتأكدون من صدق عهده . وكان هدفها الأساسي هو السعي لاستقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ، التي تخضع للقادة الاتحاديين وعن أي سلطة أجنبية (٣) ، وبعد ما عجز السوريون من أخذ حقوقهم من الحكام الاتحاديين في الدولة العثمانية ، أنتقلت هذه الجمعية إلى بيروت ثم إلى دمشق عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، وأصبحت قريبة من الولاة العثمانيين وأنصارهم في الولايات السورية ، وطالبوا القادة العسكريين في دمشق باحترام حقوق السكان مع التأكيد على ضرورة الإصلاح الإداري من منطلق اللاّمركزي (٤) .

٢ - **الجمعية القحطانية** : برزت هذه الجمعية السرية في عام ١٣٢٧هـ/أواخر عام ١٩٠٩م (٥) ، في

---

(١) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٦ ، ص ٩٣-٩٤ ؛ محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٠٢ .

(٢) الجمعية العربية الفتاة : برزت في باريس عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م من قبل لفيف من الطلاب العرب ، ولكن لم تتأسس إلا عام ١٩١١م على يد سبعة من الطلاب العرب المسلمين ، الذين كانوا يدرسون فيها ، ومنهم : رستم حيدرالبعلبكي ، وتوفيق السويدي ، وعوني عبدالهادي ، ومحمد محمصاني ، وجميل مردم الدمشقي ، ورفيق التميمي ، وعبدالغني العريس ، وأستمرت في باريس تطالب بالاستقلال والتحرر عن الدولة الاتحادية ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بيروت فدمشق عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، لتكون قريبة من الاتحاديين في بلاد الشام . زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، (ط١ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٢٤ ؛ إحسان هندي : كفاح الشعب السوري ، ص١٤ ؛ عبدالكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م ، (ط١ ، دمشق ، مكتبة أطلس ، ١٩٧٤) ، ص ٥٣٨ .

(٣) محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٠٢ .

(٤) مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، (ط١ ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية والعالمية ، ١٩٥٦م) ، ص٤٧ ؛ محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، (ط٢ ، القاهرة ، الطباعي الجامعي ، ١٩٨٩م) ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، (ط١٠ ، الأردن - عمان ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠م) ، ص ٤٧ ؛ مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ، ص ٦٦ .

(٥) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٢ .

اسـطنبول بعد إنشاء المنتدى الأدبي (١) ، وكان قيامها على يد مجموعة من العسكريين والمدنيين العرب ، ولعل من أبرز مؤسيسا " عزيز علي المصري " وسليم الجزائري وعبدالحميد الزهراوي . وكان غرض هذه الجمعية هو اقامة دولة عربية واحدة تتبع الدولة العثمانية وتضم الاجزاء العربية ويكون لها مجلس نيابي خاص وتباشر الحكم فيها ادارة محلية خاصة وان تكون العربية هي لغتها الرسمية وقد جاءت هذه الفكرة محاولة لحل المشكلة المعقدة التي أوجدتها سياسة الاتحاديين المركزية في الحكومة العثمانية في بلاد الشام . غير أن هذه الجمعية لم تعمر طويلاً رغم نشاطها البارز نتيجة لإكتشاف سرها بسبب خيانة أحد أعضائها للثقة ، مما دفع بأعضائها إلى تجميد نشاطهم ، فانحلت الجمعية تدريجياً (٢) .

٣ - **جمعية العهد** : تعد هذه الجمعية من أبرز التنظيمات السياسية في الحركة العربية ، التي برزت في بلاد الشام وخاصة في سوريا ، حيث عمد الجناح العسكري في الحركة العربية إلى تشكيل تنظيم عسكري (سري) من القادة العسكريين العرب لمواجهة سياسة الاتحاديين في الولايات السورية . ويعود أمر تشكيل هذه الجمعية إلى مؤسسها القائد " عزيز المصري " (٣) ، أما أهدافها فتتمثل في الحصول على الاستقلال الذاتي للأقاليم العربية ، وعلى حد قول أحد أعضائها : (إنهم لم يكونوا يفكرون في الانفصال ، وإنما الحصول على إدارة عربية محلية ، ولغة عربية رسمية على أن تشترك مع العنصر التركي

---

(١) المنتدى الأدبي : كان المنتدى الأدبي أقدم التنظيمات أنشأه جماعة من الموظفين والنواب والأدباء والطلاب في اسطنبول في صيف عام١٩٠٩م ، لتكون مقراً يلتقي فيه العرب . ولم يكن لهذا المنتدى أهداف سياسية علنية ، ولكنه كان يتمتع بقسط كبير من التأثير السياسي ... وتركز عمله الأساسي في توضيح الأفكار والآراء لا في صنعها . أنظر التفاصيل ، جاسم محمد حسن العدول وأخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٢ ؛ عبدالكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م ، ص٥٣٦-٥٣٧ ؛ وكذلك إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ٤٠٧ ؛ مصطفي محمد طحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) جورج أنطونيوس : اليقظة العربية ، ص ١٨٦ ؛ محمود حسن صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، (القاهرة ، مطابع دار الوزان ، ١٩٩٠م) ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٣) لا تتفق المصادر المعنية حول تاريخ نشأة هذه الجمعية ، فعزيز علي المصري يذكر أنه أسس الجمعية في عام ١٩١٢م . وبينما حدد أمين سعيد تاريخ نشأتها في أواخر ١٩١٣م ، أما أنطونيوس فحددها في بداية عام ١٩١٤م. وقد ارتأينا أن تكون نهاية ١٩١٣م هو تاريخ ظهورها بشكل واضح ، ذلك أن الجمعية لم تبد واضحة النشاط إلا في مطلع عام ١٩١٤م . أنظر : ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ٤١٥ .

في إدارة سياسة الدولة العامة) [(١)] .

اقتصرت هذه الجمعية على العسكريين ، ولم يقبل منها إلاّ عدد قليل من العناصر المدنية الموثوق بنزاهتها . ولما كان العنصر العراقي أكثر العناصر عدداً في الجيش العثماني ، كانت له قوته في الجمعية . هذا وقد أصبح لها فروعها في العديد من المدن العربية كبغداد والموصل وبيروت ودمشق ، فاتسع نشاطها في بلاد الشام عامة وسوريا خاصة [(٢)] ، ولكن كشفت الدولة نشاطها الذي برز بشكل واسع ، فقامت السلطات الاتحادية ببعض الاجراءات الانتقامية التي تمثلت في إبعاد القادة العرب البارزين من الولايات السورية ، والاستغناء عن خدمات بعضهم واتخاذ سياسة الشدة والصرامة مع من بقي من القادة العرب في دمشق تجاه قادتها عموماً .

٤ - **جمعية الإصلاح** : وهي تضم مختلف الطوائف ، وعلى رأسها أحمد مختار بيهم وسليم سلوم وأيوب ثابت ، وكان هدفها الأساسي هو وضع مشروع يضمن الحكم الذاتي على غرار حزب اللأمركزية الساعي لتحقيق الأستقلال الذاتي للولايات العربية[(٣)] .

وعندما أعلنت برنامجها في السابع والعشرين من صفرعام ١٣٣٠هـ/الخامس عشر من فبراير عام ١٩١٢م ، قامت عدة مظاهرات تأييد لها في دمشق وحلب وبغداد والبصره ، تؤيد بأن تبقى الشئون الخارجية والدفاع والمواصلات والمالية تابعة للعاصمة ، وما عدا ذلك فيبقى في يد الإدارة المحلية . كما طالبوا بأن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية ، واستعمالها في مجلس النواب إلى جانب اللغة التركية ، وأن تكون الخدمة العسكرية للعرب محلية [(٤)] .

ولقد قابل الأهالي في بلاد الشام عامة ، والمناطق السورية خاصة ظهور هذه الجمعية بمظاهر الابتهاج ، الأمر الذي لم يرق للحكومة الاتحادية ، فداهمت مراكزها في بيروت احدى الولايات السورية في الخامس عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٠هـ/الثاني من إبريل

---

(١) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٥٠م) ، ج١ ، ص ٣٠-٣١ ؛ مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ص ٧٨ - ٧٩ ؛ توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤م ، ص٥٥٧ ؛ محمد صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ١٧١ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٧ .

(٣) عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٤٧ .

(٤) عبدالكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م ، ص٥٣٩ ؛ جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٥ ؛ محمد صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ١٧٢ .

١٩١٣م ، الأمر الذي أثار سخط سكان الولاية الذين وقفوا في وجه السلطات الاتحادية . وانتهجت العناصر الاتحادية سياسة العنف ضد المعارضة ، فزاد بذلك الهياج وأدى إلى قيام المظاهرات العامة في الولاية . فلجأت الحكومة أخيراً إلى نوع من المرونة معها ، ووعدت بإجراء الإصلاحات المطلوبة ... غير أن هذه السياسة كانت وقتية لإمتصاص غضب السكان ، وخطوة مقنعة نحو تكريس السلطة المركزية في الولاية (١) .

وإضافة إلى ذلك ، قامت جمعيتان سريتان هما : جمعية اليد السوداء وجمعية العلم الأخضر ، ولكنهما لم تفعلا شيئاً يذكر ، ويقال : إن هدفهما الاساسي هو القضاء على العرب الذين يعارضون الحركة العربية في سوريا وغيرها من المناطق العربية في بلاد الشام ، ولكنهما سرعان ما اضمحلتا وزالتا (٢) . كما ظهرت بعض الحركات التي أصبحت جامعة ، حيث شملت جميع الولايات السورية ، وتمركزت في أوساط الجالية السورية في القاهرة وبيروت ، وهي فوق هذا وذاك ذروة المحاولات العربية لتحقيق مطالب وحقوق العرب في بلاد الشام المقسمة إلى ولايات صغيرة ، خضعت خلال تلك الفترة للاتحاديين المسيطرين على الحكومة العثمانية ، وبدأ هذا الإحساس بالحركة اللامركزية في النصف الثاني من عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، حينما بدأت تنشر سلسلة من المقالات بأقلام سورية في الصحف المحلية السورية ، تعالج موضوع الحكم اللامركزي بصفة عامة في الولايات السورية ، وتضع أنسب الأنظمة للحكم في الأقاليم العربية في بلاد الشام (٣) .

ولكن الأمر تطور بعد ذلك فأصبحت حركة اللامركزية ، تجمع في صفوفها السوريين المسلمين والمسيحيين ، وربما يكون لأول مرة - من أجل غرض واحد ، وهو منح سوريا نظاماً لامركزياً ، تتحقق به العدالة السياسية للعنصر العربي ، ويضمن لهم الحقوق ، ويكون هو الدرع الواقي ضد سياسة القادة الاتحاديين ، والتي ما فتيء العرب

---

(١) وجية كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٢١٠ - ٢١٢ .

(٢) احمد مصطفى الأعظمي : القضية العربية ، ج٦ ، ص ٣٩ .

(٣) المقطم : عدد ٦٩٣٩ ، ٣٠ يناير ١٩١٣م .

يتضررون منها منذ عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٨م (١) .

وعندما أحس الاتحاديين بالخطر من هذه الحركات العربية المعارضة لسياستهم أتهموها بالخيانة ، وبدأوا يشددون على زعمائها ، فتعثرت هذه الحركة وفشلت في تحقيق أهدافها ، وأدى ذلك إلى إيقاف الإصلاحات الإدارية التي شرعت اللجنة الإصلاحية بتنفيذها في سوريا (٢) .

وساعد ذلك إلى إتساع الفجوة بين القيادة العربية في سوريا والحكومة العثمانية من ناحية أخرى ، ويئست بعض الزعامات العربية السورية من موقف القادة الاتحاديين الجائر عليهم ، وبدأوا يفكرون جدياً في بديل للعثمانيين في بلادهم .

فقام الصحفيون السوريون بفتح فروع لهم في عدة مدن سواء كانت في سوريا ، مثل : دمشق وحلب وحماه أو خارج سوريا كالقدس التي يطلق عليها سوريا الجنوبية حينذاك وبغداد والبصرة ، يطالبون بسقوط العناصر الاتحادية ، التي وقفت أمام تنفيذ مطالبهم الاصلاحية (٣) . وساعدهم على ذلك التنافس الشديد الذي حدث بين الاتحاديين وحزب الائتلاف في الدولة العثمانية نتيجة لسياستها داخل وخارج البلاد ، وأدى إلى الانقسامات بين صفوف أعضائها من المعتدلين والمتطرفين ، وأدى النزاع بين الحزبين الى سقوط العناصر الاتحادية المسيطرة على الدولة العثمانية في الثالث من شعبان عام ١٣٣٠هـ/ السابع عشر من يولية ١٩١٢م ، على يد حزب الحرية والائتلاف (٤)، وبذلك زالت عقبة كبرى ، كانت تقف في وجه مطالب السوريين .

وقد توقع الزعماء العرب في الولايات السورية بأن حزب الائتلاف سيكونون أكثر ليناً وعدلاً من الإتحاديين مع المواطنين وبهذا السقوط الذي مني به الاتحاديين شجع السوريون على المطالبة

---

(١) تاج السر أحمد حران : تطور الفكر القومي العربي من خلال العلاقات العربية – التركية ، ص ٦٣ ؛ مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ٦٨ .

(٢) أنظر تفاصيل اللجان في ، وجية كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٣) F.O.371/1495 - 2982, NO. 592, Marling to Grey, dated 10 july 1912; Lewis, B., : The Emergence of Modern Turkey, London, 1968.

(٤) حزب الائتلاف : ظهر بعد خروج الدولة العثمانية من طرابلس الغرب ، وأدى ذلك إلى زيارة حركة المعارضة في مجلس المبعوثين في وزارة حقي باشا ، وأدى إلى إسقاطها ، ولم تكتف بذلك بل عمدت إلى تكوين حزب جديد عرف باسم حزب الحرية والايتلاف : في الثامن من نوفمبر ١٩١١م ، والذي ضم في عناصره الحزب الحر المعتدل وجماعة من الاتحاديين المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي ، وقد ساهم بعض المبعوثين العرب في تشكيل هذا الحزب الذي ضم عناصر مختلفة ، تجمعهم فكرة معارضة —

بالإصلاحات الادارية اللا مركزية وحتى الحكومة الجديدة شجعت الذين ينادون بالإصلاح من السوريين في القيام بحركتهم اللأمركزية ، في الوقت الذي كانت فيه الظروف مهيئة لاحداث إصلاح جذري في الدولة العثمانية .

ولقد استغل السوريون الموقف السياسي بعد سقوط الحكومة السابقة ، فكونوا في عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م حزباً أسموه بحزب اللامركزي الإداري العثماني ، وأنتخب رفيق العظم رئيساً له ، وأسكندر عمون نائباً له ، وحقي العظم سكرتيراً ، ومحب الدين الخطيب مساعداً للسكرتير (١) .

وسعى الحزب نحو غرضين هما : حث الحكام العثمانيين على ضرورة تبني نظام اللامركزية في الحكم ، وتأليب الرأي العام العربي وراء هذا الهدف لتوحيد صفوفهم مع الدولة العثمانية (٢) .

كما أعطى حزب اللامركزية أهمية كبرى في تطور الحركة العربية في سوريا ، لكونه أول خطوة منظمة من أجل تحقيق المطالب العربية ، وكان القادة العرب اكثرهم من السوريين يطالبون بالاستقلال الذاتي ، بغرض الحفاظ على هوية تلك الدولة العثمانية ، والإبقاء عليها قوية منيعة في وجه كل الأخطار المحيطة بها ، ومنها : التهديدات الفرنسية التي تحاول خلال تلك الفترة ضم سوريا إليها ، وأكدت أكثر من مرة على حقيقة حيوية المصالح الفرنسية في سوريا ، ثم إن بعض قطع الأسطول الفرنسي زادت من زيارتها المتكررة للسواحل السورية ، وكذلك كثفت قناصل فرنسا من نشاطها فيما يخص بحماية المؤسسات الكاثولويكية في سوريا وبيروت ، ولا عجب إذاً أن يثير كل هذا النشاط الفرنسي مخاوف الزعماء السوريين في مصر وبيروت على مصير

ـ جمعية الاتحاد والترقي والايمان باللامركزية . فتفاقم الصراع بين الاتحاديين والايتلاف في مجلس المبعوثين . وأدى إلى زيادة حدة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي ، كما أدى إلى اتهام حزب الحرية والأئتلاف بخطر الصهيونية ، وأتهم الاتحاديين بالميل إليهم . فاستمرت المعارضة حوالي ثلاثة أشهر تدعو بعدم شرعية الحكومة ومجلس المبعوثين الجديد ، وطالبوا باقامة انتخابات حرة ، وعدم تدخل الجيش في السياسة . كما أوعزوا إلى محمود شوكت باشا وزير الحربية بالإستقالة ، فاستجاب لدعوتهم في ٢١يولية ١٩١٢م ، وتألفت بعده وزارة إئتلافية جديدة برئاسة أحمد مختار باشا ، ثم كامل باشا ، وحل مجلس المبعوثين وأعلنت الحكومة الجديدة عن عزمها إلى تطبيق مبدأ اللامركزية . أنظر ، إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، ص ٨١ .

(١) F.O.371/1812 - 18393, The Annual Report, for 1912, P. 4 - 5 .

(٢) عبدالكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦م ، ص ٥٣٧ ؛ أحمد مصطفى الأعظمي : القضية العربية ، ج٦ ، ص ٤١-٤٢ ؛ مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ٧٠ .

بلادهم ، ويؤكد لهم صحة تلك الشائعات القائلة بأن فرنسا ستحتل سوريا [١] .

كما أعلنت القيادات العربية بأن هدفها منحصرٌ في الحصول على المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين العرب السوريين والعثمانيين في سوريا ، وأن تتوحد الجمعيات العربية في ظل حكومة محلية ، لها نظامها داخل كيان الدولة العثمانية [٢] .

وقد بدأت هذه الجمعيات العربية في توحيد كلمتها في المنطقة السورية ، لتحقيق مطالب السكان ، والتي ترتكز في الحصول على قيام إدارة عربية محلية في الولايات العربية في بلاد الشام يشارك العثمانيون في ادارتها سياسياً وعسكرياً [٣] .

وفي عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م عاد الاتحاديون إلى الحكم من جديد ، وبدأوا يواصلون تطبيق سياستهم المركزية لتتريك العرب .

وفي الوقت نفسه ، كانت باريس تشهد تحركاً عربياً لمناقشة القضية العربية وما جد فيها من أفكار ، فقد عمد عدد من المثقفين والطلبة العرب ، وأغلبهم من السوريين المقيمين في باريس إلى عقد مؤتمر عربي عام في الفترة من ١٣ - ١٨ رجب عام ١٣٣١هـ/١٨ - ٢٣ يونية ١٩١٣م [٤] ، في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس ، برئاسة السيد عبدالحميد الزهراوي (مندوب حماة) ، ومندوب اللجنة العليا لحزب اللامركزية (٥) .

ولقد تبنى هؤلاء المسؤولون عقد مؤتمر ومن أهدافه البحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية . وعليه فإن اللجنة التحضيرية للمؤتمر ارتأت أن يكون حزب اللامركزية هو المشرف على المؤتمر ، ووجهت الدعوة للحزب تطلب منه أن يختار من بين زعمائه ممثلاً يرأس

---

(١) تاج السر أحمد حران : تطور الفكر القومي العربي من خلال العلاقات العربية - التركية ، ص ٦٨ .

(٢) محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٢٤ .

(٣) جلال يحيى وآخرون : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٣٠٠ ؛ علي حسون " تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٤١ ؛ شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨م ، ج١ ، ص٢٥٧ .

(٤) لعل أبرز من ساهم في تنفيذ هذه الفكرة هم : عبدالغني العريسي ، ومحمد طباره ، وتوفيق فايد ، وجميل مردم وعوني عبدالهادي وتوفيق السويدي ، وآخرون . أنظر التفاصيل ، زهير الشلق : من أوراق الأنتداب ، ص ٣٥ .

(٥) عبدالكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦م ، ص ٥٣٨ ؛ محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

جلسات المؤتمر واستجاب لهذه الدعوة عدد من أعضاء حركة اللامركزية (١) .

ومن أبرز النقاط التي أتفق على بحثها في المؤتمر تكاد تنحصر في حقوق العرب للحصول على الاستقلال الذاتي ، ومنه إحترام حقوق السكان في الولايات السورية مع التأكيد على ضرورة الإصلاح الإداري في المنطقة ، وكان هذا المؤتمر آخر مظهر للنشاط العربي بصورة علنية قبل الحرب العالمية الأولى (٢) .

ومن مسائل محور المؤتمر كالتالي :

١ - الحياة الوطنية ومناهضة الإحتلال الأجنبي .

٢ - حقوق العرب في الدولة العثمانية .

٣ - ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية .

٤ - الهجرة من سوريا وإليها .

وبعد مناقشات المؤتمر الذي أتسم بالصراحة والاتزان ، أصدرت بعض القرارات ، ومنها :

أولا : إحترام الحقوق السياسية للعرب ، بصورة تمكنهم من المشاركة في إدارة المؤسسات الحكومية ، خاصة في الولايات العربية في بلاد الشام ، ومنها على سبيل المثال : دمشق وحلب وحماة من المدن السورية الكبيرة .

ثانيا : المطالبة بإصلاحات جذرية ، وعاجلة في الدوله العثمانية .

ثالثا : التأكيد على عروبة المنطقة ، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد العربية ، ورفض سياسة التتريك التي أنتهجها الاتحاديون(٣).

رابعا : تعيين بعض الزعماء العرب في مجلس الأعيان والقضاء الأعلى .

خامسا: أن تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية السورية إلاً في الظروف التي تدعو للاستثناء .

سادسا : إيجاد إدارة مركزية في كل ولاية .

سابعا : تحسين مالية جبل لبنان .

ثامنا : يجب أن تبلغ هذه القرارات للحكومة العثمانية .

وأضيف إلى هذه القرارات ملحق يوضح أن هذه المطالب بمثابة برنامج سياسي للعرب في الولايات العربية السورية ، وينبغي الالتزام بها مع الامتناع عن قبول أي منصب إذا لم يعمل على تنفيذه (٤) .

ففي أول الأمر استعملت الحكومة العثمانية اسلوب الشدة فالقت القبض على عدد من اعضاء الجمعية في بيروت ، ولكن جمعية الاتحاد والترقي خافت من عواقب هذه الحركة وايقنت انها إذا لم

---

(١) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٦ .

(٢) محمد عزة دروزه : حول الحركة العربية الحديثة ، ج١ ، ص٤١ ؛ محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية دراسة للقضية العربية في خمسين عاماً ١٨٧٥ - ١٩٢٥م ، ص ٧٥ .

(٣) Zeine, Zeine, N .: The Emergence of Arab Nationalism, Beirut, 1966, P.186 ;

شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني ١٨٠٠ - ١٩١٨م ، ج١ ، ص٢٥٦ .

(٤) الأهرام : عدد ١٠٦٩٨ ، ٧ يولية ١٩١٣م .

تعالج الامر بحكمة وعقل فقد تفلت بلاد العرب من ايديهم ، ولذلك ارسلت مدحت باشا إلى باريس ليتباحث مع احرار العرب ويتفق معهم على افضل الطرق التي تعيد إلى الامتين العربية والتركية الثقة المتبادلة والصداقة الوطيدة القديمة التي ربطت بين الامتين لعدة قرون ، وبعد عدة اجتماعات مع اعضاء الجمعية العربية في باريس تم الاتفاق بين الطرفين ووقع مدحت باشا نيابة عن الحكومة العثمانية على معظم قرارات المؤتمر ، غير أن هذه الخطوة التي اتخذت إنما كانت لامتصاص غضب الحركة العربية في سوريا خلال تلك الفترة ، إذ سرعان ما نقض الاتحاديون إتفاقهم بالمماطلة ، وشرعوا في تصفية الحركة السورية بمختلف الأساليب سواءً من خلال الحملات الإعلامية أو السياسة التعسفية التي تفرضها على تحركات الجمعيات العربية في الأقاليم السورية أو بإبعاد القيادة العربية العسكرية من الولايات العربية ، ومصادرة أموال من بقي منهم (١) .

ولقد أدت هذه السياسة التعسفية إلى حالة من النفور والاشمئزاز العام عند المواطنين السوريين بمختلف فئاتهم ، فبعد إخفاق الحركة العربية في تحقيق مطالبهم ظهرت موجة من الشعور بالغضب لديهم ، وأصبحت محاولة الاتفاق مع الاتحاديين في الدولة العثمانية أمراً ميؤساً منه ، ومما زاد الطين بله أن الاتحاديين بعد أن أحرزوا هذا النصر بالاحتيال والخداع ، أخذوا يعاملون السكان بضرب من القسوة ، وهذا مما زاد من حدة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في الولايات السورية .

وعندما تفاقمت الازمة في سوريا رأت السلطات الاتحادية أن تجابه الحركات العربية بالقوة ، فأرسلت القائد أحمد جمال باشا إلى بلاد الشام (٢) ، فوصل إلى دمشق في السابع من محرم عام ١٣٣٢هـ/الخامس من سبتمبر ١٩١٤م ، فأستقبل باحتفال رسمي على أساس أنه الوالي الجديد على سوريا وله صلاحيات معتبرة حسب التقسيمات الإدارية العثمانية لها (٣) .

وفي الوقت الذي دخل فيه أحمد جمال باشا سوريا مروراً بحلب إلى حماه وحمص فبعلبك فدمشق ، طفق يشير في خطبه إلى ضرورة تعزيز الصلات بين الأتراك والعرب ، كما أشار

---

(١) البرت حوراني : الفكر العربي في عهد النهضة ، (ط٣ ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٧٩م) ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ؛ إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ٤١٠ ؛ جاسم العدول وآخرون : الوطن العربي المعاصر ، ص ١٦ .

(٢) جهاد مجيد محي الدين : المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا ١٩١٥-١٩١٦، (مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة، العدد ١٦ ، ١٩٨٠م) ، ص ١١٤ .

(٢) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٦ ، ص٣٠ ؛ عمر الديراوي : الحرب العالمية الأولى ، عرض مصور : (ط٨ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م) ، ص ٤٧٥ .

كذلك في خطبه بأن هذين الشعبين مقضي عليهما بالفناء في هذه اللحظة الحرجة التي توسعت فيها شقة الخلاف بينهما (١) .

ثم أخذ يتظاهر بالكراهية للاتحاديين ، وسياستهم التعسفية للعرب في الولايات العربية السورية ، وأظهر اعترافه مبدئياً باستعمال اللغة العربية في الإدارات المحلية والمدارس السورية ، ومنح السوريين بعض الامتيازات في الشئون الإدارية (٢). ولكن هذه التصريحات ماهي إلاّ مجاملة وخداع للسكان المعارضين لسياسة الحكومة ، والكشف عن مطالب الجمعيات الإصلاحية السالفة الذكر ، والسعي إلى معرفة كيفية القضاء عليهم ، فنراه يحاول إستمالة القيادات السورية إليه ، حيث اتصل بهم ووعدهم بالاصلاحات ، وقد وقعت هذه التصريحات موقعها في المدن السورية رغبة منهم في تكوين وحدة مع الدولة العثمانية ضد الاعتداءات الخارجية ، مادام الإتحاديون سوف يعدلون عن سياستهم التعسفية ضد السكان في الولايات السورية .

وبعد ما استقر أحمد جمال باشا في دمشق ، وتعرف على الأوضاع السياسية في الولايات السورية ، بدأ ينفذ مخططه ، حيث قام بإلغاء الامتيازات التي كان يتمتع بها السكان السوريون ، والقضاء على الحركات المعارضة لحركة تتريك العرب .

ولم يكتف بذلك ، بل اتبع سياسة البطش والنفي لبعض القيادات العربية ونجح في ذلك إلى درجة كبيرة ضارباً عرض الحائط بكل التصريحات والشعارات ، التي كان ينادي بها عند وصوله إلى دمشق ، وأخذ يعد العدة لإنجاح مشروعاته ، ومن أهمها : العمل على فرض السياسة التي ينادي بها الاتحاديون في الحكومة العثمانية ، ومن أهمها السير قدماً في عملية تتريك العرب .

وعندما رأى أحمد جمال باشا بطء تنفيذ مخططه التعسفي لجأ إلى طريقة أخرى ، وهي السعي إلى إدخال النساء في معترك الأحداث السائدة على الساحة العربية في المدن السورية الرئيسية ، فأوكل إلى والدته مهمة تأسيس جمعية نسوية في دمشق تعمل على مساعدة الجنود العثمانيين ، ومعالجة الجرحى الذين أوكل إليهم مهمة قمع الحركات المعارضة في المدن السورية ، وكذلك مساعدة أسرهم ، وقد انضم حولها الكثير من النساء ، وقامت بدور بارز في مساعدة سياستهم التي فرضها أحمد جمال باشا عند وصوله إلى دمشق ، إلاّ أن والدته لم تستطع أن تعمل شيئاً أمام السيل

---

(١) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٤٦ .

(٢) جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ٢١٥ ؛ محمد كمال رافق : العرب والعثمانيون١٥١٦-١٩١٦م ،ص٥٤٣ .

العارم من المعارضين في سوريا ، مما جعله يعدل عن سياسته التعسفيه [١] . ويقوم بفكرة أخرى ارسال جيش من المدرسات العثمانيات اللواتي يتقنَّ الدعاية ضد السوريين في دمشق وحمص وحماه وحلب ، وبعض الولايات التابعة لسوريا ، مثل : بيروت وغيرها ، لإضعاف المعارضين له في ظل الوضع السياسي المتوتر في المنطقة [٢] .

وعندما فشلت محاولاته في المجال النسوي ، سارع إلى استخدام المجال الديني ، فأعلن بأنه سوف يؤسس مدرسة دينية في القدس إحدى المتصرفيات التابعة لسوريا لتخريج دعاة يساهمون في بث الدعوة الأسلامية في بعض الولايات العربية وأقطار العالم ، وكان الهدف الحقيقي من وراء هذه الدعاية ما هو إلا خدعة ، قام بها بعد ما توسعت المظاهرات في الولايات العربية وادرك بخطورتها .

وبعدما رأى أن الأمور تسير في غير صالحه ، بدأ يكشف عن نواياه الحقيقية عن طريق الممارسات الأستبدادية ضد القيادات العربية في الولايات الشامية ، وعلى رأسها المناطق السورية من قتل ونفي وسجن ، وذلك حتى يصفو له الجو ويسيطر على كل الشؤون السياسية في البلاد تلبية لرغبة القادة الاتحاديين ، ولم تكن تحركاته في سوريا فحسب بل نراه يعمل على تجهيز حملات عسكرية لإرسالها إلى مصر بحجة طرد البريطانيين منها .

وحتى تكون هذه الحملة ناجحة ، فإنه بذل جهوداً كبيرة لدعم قواته ، حيث طلب من الشريف حسين في الحجاز أن يعلن الجهاد ، ويرسل إليه حملة عسكريةللمشاركة في الحرب ضد البريطانيين [٣] ، ووعده بإن يكون له ثلث الحجاز ، وأن يتمتع بالإمارة أولاده من بعده بالوراثة . ولكن الشريف حسين ماطله في تحقيق طلبه نتيجة للنزاع القائم بينه وبين الوالي في ذلك الوقت ، فلم يرسل إليه أي جندي ، مع العلم أن الشريف حسين كان بإمكانه تجهيز أربعين الفاً من رجال القبائل له ، وتزويدهم بما يحتاجه من البنادق والذخائر اللازمة ، لأن سلطة الشريف حسين على هذه القبائل أقوى من سلطة الوالي الذي يقيم في الحجاز وانما جاء رده بان على الدولة العثمانية ارضاء العرب في المقام الأول ، وذلك باعلان العفو العام عن المسجونين السياسيين ، ومنح سوريا والعراق إدارة اللامركزية ، وإعتبار الشرافة بمكة معترفاً له بحقه الموروث والمتفق عليه منذ عهد السلطان .

وعندما أحس أحمد جمال باشا بعدم استجابة الشريف حسين لمطالبه ، سارع إلى إصدار قرار بحل

---

(١) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٣ ، ص ٨ .

(٢) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٥٤ .

(٣) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني (١٨٠٠-١٩١٨م) ، ج١ ، ص ٢٥٨.

كتيبة تدريب الضباط العرب في سوريا بهدف تضييق الخناق على الزعامات والقيادات العربية في سوريا [(١)]، وكرر في الوقت نفسه ، تأكيده بإعلان الجهاد المقدس ، وأهاب بالمسلمين في العالم إلى الكفاح المشترك للدفاع عن الإسلام ، ورد المعتدين المستعمرين عن بلاد الشام [(٢)]، وعاود مطالبته مرة أخرى للشريف حسين أمير مكة المكرمة بأن يجهز حملة عسكرية ليرسلها له في دمشق [(٣)].

ولكن الشريف حسين لم يتسرع في الرد على أحمد جمال باشا ، بل سارع إلى عقد لقاء سري مع مجموعة من الضباط البريطانيين في منطقة الشعيبة [(*)]، وذلك من أجل اتخاذ موقف موحد ضد نوايا أحمد جمال باشا . وهذا اللقاء جاء متزامناً مع يئس بريطانيا من امكانية استمالة الدولة العثمانية الى جانبها في الحرب ضد دول الوسط ، واتضح لها مدى تأثير النفوذ الألماني على القادة العثمانيين .

وفي الوقت الذي كان فيه أحمد جمال باشا ينتظر وصول القوات الحجازية إليه ، تسربت إليه بعض المعلومات عن المقابلات السرية التي عقدها الشريف حسين مع البريطانيين في القاهرة بواسطة نجله الشريف عبدالله ، فأحدث ذلك الخبر صدمة له ، مما أدى إلى زيادة تدهور العلاقات بين القيادات الاتحادية في سوريا والشريف حسين في الحجاز [(٤)].

ومن الملاحظ ، فإن أحمد جمال باشا . كان يهدف من إعلان الجهاد المقدس ليس محاربة القوى الاستعمارية بقدر ماهو محاولة إضعاف المواطنين في بلاد الشام وإشغالهم عن التظاهر ضده ، ولذلك قام بتجهيز عدد كبير من المتطوعين السوريين بعدما اغراهم بالنصر على البريطانيين ، وتنظيم خطوط المواصلات وإنشاء طريق بين بئر السبع إتجاه الإسماعلية .

وبهذه الخطوة بدأت تتكشف لدى العرب في الولايات السورية في بلاد الشام و العراق والحجاز ، الأهداف الخفية التي يضمرها أحمد جمال باشا لهم ، في الوقت الذي يحاول فيه استمالتهم إلى جانبه ، ويكرر لهم أهوال الأخطار والوعود لمعاونتهم في شن حرب مقدسة ضد البريطانيين والفرنسيين في الولايات السورية ، بدعوى تحرير بقية الأرض الاسلامية من الغاصبين .

---

(١) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، (بيروت ، دار الشوري ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ١٠٤ .

(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٤٦ ؛ جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ١٦٣.

(٣) Foster, Henry . A.: Iraq , New york , 1972, P.49 ;

داكوبرت ميكوش فون : عبدالعزيز ، ترجمة أمين رويحة ، ص ١٢٨ .

(*) الشعيبة : قرية صغيرة على ساحل البحر الأحمر بالقرب من مكة المكرمة .

(٤) Zeine , Zeine, N.: the Struggle from independence, New york , 1977, P. 4 - 5 .

وعلى الرغم من تلك الدعاية ، فإن حركات المعارضة العربية في الولايات السورية ، لم تضعف بل أخذت تظهر بصورة علنية محاولة شجب وفضح سياسة أحمد جمال باشا في سوريا ، وذلك عندما لاحظ السوريون مراوغة أحمد جمال من العهود ، والقرارات التي يوعد بها الأهالي في الولايات السورية ، ولتحقيق ذلك بدأت هذه الحركات تدرس أحسن السبل إلى تحقيق أهدافها ، وكانت تضم في تنظيماتها مجموعة كبيرة من الطبقات المثقفة ، التي كانت على درجة كبيرة من الوعي السياسي والثقافي ، والتي عجز أحمد جمال باشا في القضاء عليها [١] .

فعملت تلك الجمعيات على دعم الاتصالات المباشرة فيما بينها وبين القيادات السورية بطريقة سرية ، ولكن أحمد جمال باشا استطاع كشف أمر هذه الاتصالات ، فأصدر أمره إلى المسئولين في جريدة الإصلاحيين ، وهي جريدة (القبس) و (المفيد) للدعاية له ، وقام بتغيير سياسته تجاه الزعماء السوريين ، فطمأنهم بأنه سوف يعمل على تحقيق مطالبهم إذا هدأت الامور ، غير أنه لم يكن جاداً في ذلك ، إذ لم تكد تلك الثورات تهدأ ويعود الصفاء والاستقرار للمنطقة عامة إلا ونجده فجأة وبلا مقدمات يصدر قراراً عسكرياً بتفريق أول كتيبة ضباط من الشبان العرب في دمشق ، والذين كان عددهم يتراوح نحو ثمانين شاباً [٢] . فأدى هذا العمل إلى عودة الاضطرابات من جديد بين الأوساط العربية في الولايات السورية ، نتيجة للسياسة المناهضة التي كان ينتهجها الاتحاديون ضد العرب في سوريا ، مما شجع القوات الأجنبية وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا إلى التدخل في الشئون الداخلية للسكان ، بحجة مساعدتهم للتخلص من حكم الاتحاديين الجائر وحماية مصالحهم في المنطقة ، خاصة وإن كانت لبريطانيا وفرنسا علاقات تجارية كبيرة مع سوريا قبل وصول أحمد جمال باشا إليها [٣] ، وهذا بدوره

---

(١) زيادة للتفاصيل عن الجمعيات النسائية . أنظر ، أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٣ ، ص ١١ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٦٩ ؛ محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٢٠ .

(٣) أنظر تفاصيل العلاقات التجارية . محمد رجائي ريان : مصالح فرنسا الاقتصادية في سوريا ، (مجلة الدراسات التاريخية بجامعة دمشق ، السنة الثامنة ، العددان ٢٧ ، ٢٨ ، ١٩٨٧م) ، ص ٤٥ - ٥١ ؛ محمد صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص٢٨٢-٢٨٤ .

أدى إلى ظهور تيارات فكرية بين العناصر المسيحية تؤيد النفوذ البريطاني والفرنسي ، في الوقت الذي بدأ فيه رجال الأعمال السوريين ، ومنهم : المسلمون في التذمر من الأساليب التعسفية التي أخذ الاتحاديون في تطبيقها عليهم ، والتي لم تحقق أي نوع من الاستقرار لهم [١] ، بل إنها أفقدتهم كثيراً من المكاسب التجارية التي كانوا يحصلون عليها سابقاً .

ومن المفروض أن يعمل أحمد جمال باشا على كسب ود السكان في المنطقة لحاجته لهم ، كعنصر فعّال في تحقيق النصر على الدول الاستعمارية ، التي أصبحت تهدد البلاد العربية عامة والولايات السورية خاصة ، وتتآمر على تقسيمها بحجة أنها الوريث الوحيد للدولة العثمانية التي تعيش تحت سيطرة الاتحاديين .

وفي الوقت نفسه ، فوجيء العرب في الولايات السورية في أواخر عام ١٣٣٢هـ/ يونية ١٩١٥م بنبأ مفاده اعتقال عبدالكريم الخليل وبعض القيادات السورية دون إي سبب مقنع [٢] ، ووقف السوريون يراقبون نتائج التحقيق التي كانت تجرى سراً في عالية أمام المجلس العسكري ، الذي يطلق عليه اسم (ديوان الحرب العرفي) [٣] .

ولقد طلبت الزعامات السورية بأن يطلق سراح من أعتقل منهم ، لعدم وجود ما يستوجب إدانتهم ، ولكن فشلت كل محاولاتهم ، وعلقوا على أعواد المشانق في بيروت بقرار أصدره ديوان الحرب ، وصدق عليه - أحمد جمال باشا [٤] ، بإعدام أحد عشر شخصاً من أبرزهم : أحمد حسن طباره ، وعلى الأمنازي ، ومسلم عابدين ، ومحمد المحمصاني ، ومحمود العجيم ، ونور القاضي وحمد الشنطي وغيرهم [٥] .

---

(١) وجيه كوثراني : بلاد الشام ، ص ٢٦٢ .

(٢) جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ٢٢٤ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص٦٠ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، (دمشق ، مطابع أبن زيد ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ، ص ٤٢ .

(٤) محمود صالح منسي : جرترو دبل أداة الاستعمار البريطاني في العراق ، (المجلة التاريخية المصرية ج١ ، القاهرة ، ١٩٧١م) ، ص ٢٠١ ؛ وجية كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٢٤٥ .

(٥) أنظر تفاصيل ذلك . عبدالعزيز العظمة : مرآة الشام ، ص ٢٢١ .

ولم يكن هذا الحدث إلا بداية حلقة من الاعتقالات والمذابح الجديدة ضد كبار الزعماء والعلماء العرب في الولايات السورية ، فلقد تلى ذلك الحدث بآخر عندما قام أحمد جمال باشا باعتقال حقي العظم الذي كانت له عدة رسائل ومنشورات تدعو إلى إعلان استقلال الولايات العربية السورية ، ولكن أحمد جمال باشا اعتبر أن نشر هذه الرسائل بين الزعماء السوريين (رغم موافقته) استفزاز له ، فألقى القبض على حقي العظم ومساعديه ، وحاكمهم بتهمة الخيانة والاتصال اللامركزية ، وبكبار العلماء السوريين ، وقام باعدامه مع مجموعة من الزعماء الذين وافقوه على نشر الرسائل في سوريا (١) .

ونتيجة لذلك فقد ثار العرب في سوريا على الاتحاديين ، بعد أن أستنفذوا كل وسائل التعاون في سبيل الاصلاح الإداري مع جميعة الاتحاد والترقي ، وبدأ السوريون يجمعون شملهم في الولايات السورية ، وأصبحت لديهم قوة هائلة من الضباط العرب ، الذين خدموا في الجيش العثماني سابقاً ، وكانت لهم علاقة وطيدة بالحجاز وبعض الولايات والمتصرفيات العربية الأخرى .

وعندما أدرك أحمد جمال باشا بتزايد القوة العربية في سوريا وأصبحت تهدده ، سارع إلى عزل بعض الضباط العرب بعد ما كشف أمرهم ، وأرسل الفرقة الخامسة والعشرين العسكرية في سوريا وهي الدعامة الأساسية له إلى جبهة خياف ، وهي قلعة تقع شرق دمشق ، وكانت بقيادة أنور باشا الذي وصل في محرم سنة ١٣٣٣هـ/أوائل يونية ١٩١٥م إلى بلاد الشام (٢) ، وحال وصوله بدأ يشعل نار الوطنية بين السكان في الولايات السورية بالخطب وقصائد الثناء ، وهذا ما طمأن الأهالي فسلموه مقاليد أمورهم (٣) . ويظهر أن هذا الكيل من الخطب والمدح الذي اتخذه أنور باشا ، ما هو إلا

---

(١) جهاد مجيد محي الدين : المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا ١٩١٥-١٩١٦م ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة البصره ، العدد ١٦ ، ١٩٨٠م) ، ص ١١٩.

(٢) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ٨٤ .

(٣) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٣ ، ص ٣٠ .

خدعة لكشف أبعاد وخطط التحركات العربية المناهضة لسياسة أحمد جمال باشا الاستبدادية ضد السكان السوريين واللبنانيين معاً ، فبعد أن تمكن من كشف أبعاد تلك التحركات ، شرع في ابعاد الوحدات العسكرية العربية المتبقية في الولايات العربية السورية واحدة تلو الأخرى إلى غاليبولي بعيداً عن بلادهم ، ويحل محلها الكتائب العسكرية العثمانية المعروفة بتعصبها واستبدادها بالعرب ، ليقوي مركزه في سوريا ولبنان ، ثم بدأ ينفذ خطته الأخرى ، وهي : القضاء على الروح المعنوية بإعدام بعض الزعامات العربية في سوريا ، وبث الجواسيس بين السكان في بلاد الشام ، للقضاء على ما بقي من السوريين المعارضين لسياسة الحكومة العثمانية (١) .

ومن جهة أخرى أستغلت اليد الأجنبية الحالة السياسية السائدة خلال تلك الفترة في الولايات السورية في بلاد الشام ، فبدأت تنشر الدعايات والشائعات بين السوريين ضد العثمانيين ، ومن ذلك الموقف الفرنسي الذي أبرز تعاطفها مع الحركات المعارضة في سوريا وتأيد مطالبها ، حيث أوضحت للسوريين إحترامها وتقديرها وتفهمها لقضيتهم (٢) ، وحاولت التدخل لدعم الحركات العربية المعارضة ضد سياسة الاتحاديين ، ولكن السوريين رفضوا أي تدخل في شئون وطنهم ، واكتفوا بأن يقتصر الدعم الفرنسي على النواحي الاقتصادية ، وبشرط أن يبقوا مستقلين عنها (٣) . ونظراً لأن هذا المطلب السوري لا يحقق الأهداف والنوايا الفرنسية في المنطقة ، مما جعل الفرنسيين لم يقبلوا ذلك الشرط ، وأدركوا أهداف الحركة العربية المعارضة التي أخذت في الانتشار في المدن الرئيسية بسوريا ، وقيام القوات العسكرية الاتحادية ببسط سيطرتها بالقوة على كل الولايات السورية ، مما سوف يؤدي ذلك إلى تهديد المصالح الفرنسية في بلاد الشام ، فأضمرت فرنسا الشر وسارعت للعمل على بث الفتن والاضطرابات بين القوى المتصارعة ، ولتحقيق ذلك سارعت إلى بعث الرسائل إلى قناصلها في جميع الولايات العربية في بلاد الشام ، تخبرهم بأنه تحقق لديها

---

(١) محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٢١.

(٢) وجية كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ – ١٩٢٠م ، ص ١٠٧ .

بأن الحركة العربية في سوريا قد انقلبت ضد المصالح الفرنسية ، ولذلك عليهم أن يظهروا رغبتهم في مساعدة الأهالي من أجل كسب الرأي العام لصالحها ، ولكن الهدف الحقيقي الذي كانوا يسعون إليه هو إشعال نار الفتنة بين القادة الاتحاديين والعرب في الولايات السورية ، والعمل على القضاء على رؤوس الحركات العربية المعارضة لسياستها (١) .

وعلى أثر ذلك تطورت الأزمة في سوريا ، وبدأت فرنسا تغري السكان بالثورة ضد القوات الاتحادية ، في الوقت الذي أخذ فيه أحمد جمال باشا يعمل جاهداً على تنفيذ خطتة العدوانية ضد الأهالي في الولايات السورية ، مما أدى إلى زيادة المصادمات العسكرية بين السوريين والقوات العثمانية في الولايات العربية في بلاد الشام (٢) .

ولقد انكشف سؤ النوايا لدى الوالي أحمد جمال باشا أمام الأهالي في سوريا بصورة أوضح ، وذلك عندما أخذ الاتحاديون ينفذون سياستهم بقمع زعماء الحركات السياسية ، التي بدأت تظهر جلياً في ولايتي دمشق وبيروت ، تشجع الأهالي على المقاومة ، كما قام الاتحاديون بتعيين معظم أعضاء مجلس النواب والوزراء في أغلب الولايات السورية من العنصر الاتحادي او المتأثر بهم ، ماعدا وزيراً واحداً من العرب ، كما احتكروا قيادة الجيش ومراكز الولاة وعزل كل القادة العرب من الجيش ، ومعنى ذلك لم يبق في لجنة جمعية الاتحاد والترقي أي عربي (٣) . كما فرض التجنيد الإجباري على المواطنين ، وزادت الضرائب لمواجهة متطلبات الجيش ، وصودرت الحريات في جميع الولايات السورية (٤) ، هذا بالاضافة إلى إعدام ونفي عدد كبير من المعارضين السوريين إلى اسطنبول ليكونوا تحت رقابة الحكومة .

ولقد أدت هذه التصرفات إلى زيادة التوتر في سوريا ، وزاد الوضع السياسي

---

(١) توفيق برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤م ، ص ٥٢٤ ؛
ساطع الحصري : نشوء الفكرة القومية ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤م) ، ص ١١٧.

(٢) وجية كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص١٤٦ .

(٣) سليمان موسى : في سبيل الحرية ، قصة الثورة العربية الكبرى ، ص ١٦ .

(٤) Petran, Tabitha : Syria, london , 1972, P.54;
محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة في العالم الإسلامي والشرق الأوسط في التاريخ الحديث ، (القاهرة ، دار الأنصار ، ١٤٠١هـ) ، ص ١٩٧ .

تعقيداً في كل الولايات السورية ، وانعدم الأمن وساءت الأوضاع الاقتصادية ، وعم الغلاء ، وتدهورت القيمة النقدية ، وانتشرت المجاعة بين الأهالي (١) .

وفي عام ١٣٣٣هـ/عام ١٩١٥م أحس الإتحاديون بالموقف السياسي المتوتر تجاههم في سوريا ، فسارع أحمد جمال باشا بإلقاء القبض على عدد كبير من الشخصيات السورية المرموقة ، التي لها وزنها في الحياة السياسية العامة في سوريا ، فأودعهم السجون لإضعاف معنوياتهم (٢) ، كما قام بجولة ثانية على بعض المدن السورية ، فأعدم من اشتبه فيه وكان بعضهم ينتمي إلى الجمعيات العربية خاصة بعدما عثر على أوراق تثبت تورطهم على حد قوله في نشاطات معادية ضد الساسة الاتحاديين في الدولة العثمانية .

لكن حقيقة الأمر كما يظهر من هذه الوثائق التي عثر عليها أحمد جمال باشا في قنصلتي فرنسا في دمشق وبيروت ، لم تكن تهدف إلى الانفصال عن الدولة العثمانية (٣) ، وإنما كانت تهدف إلى مطالبة القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية بالعمل على إصلاح الإدارة ، والمرافق العامة في الولايات العربية السورية وتحسين مستوى المعيشة للسكان في المدن والارياف السورية .

ويقول خلوصي باشا : (ان جمال باشا حاكم سوريا سلمه وثائق كانت معه تم ضبطها في القنصلية الفرنسية في دمشق وبيروت ، ولم يشير إلى مضمونها ، وإنما أفاد بأن هذه الوثائق تدل دلالة واضحة على أن بعض رجال الحركات المعارضة داخل سوريا ومن غير المسلمين ، كانوا يعملون سراً تحت الحماية الفرنسية ، وبإرشاد منها ضد أحمد جمال باشا في سوريا) (٤) .

---

(١) Petran, Tabitha: OP. cit, P. 54-55 ; Hourani, A. H.: Syria and Lebonan, Vol. 2, 1946, P. 49.

(٢) محمد ثابت الشاذلي : المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٢٩ - ١٩٢٣م ، (القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٧٧ .

(٣) جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ١١٦ ؛ شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية ١٨٠٠ - ١٩١٨م ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

(٤) عبدالعزيز العظمة : مرآة الشام ، ص ٢٢١ ؛ فائق بكر الصواف : العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة مابين ١٢٩٣ - ١٣٣٤هـ/ ١٨٧٦ - ١٩١٦م ، (د.مط ، ١٩٧٨م) ، ص ٢٦١ ؛ محمد كرد علي : المذكرات ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

غير أن أحمد جمال باشا تغاضى في بداية الأمر عن هذه الأدلة تمشياً مع سياسته التي اتبعها في أول عهده ، وهي استمالة الحركات المعارضة والعلماء للوقوف إلى جانبه ضد أي اعتداء خارجي ، كما انه خاف من استياء الرأي العام العربي والإسلامي من سياسة الاتحاديين(١) وتهدئة مخاوف المسيحيين في المدن السورية (٢) .

ولقد استغلت فرنسا هذا الموقف السياسي المتردي في سوريا ، فسارعت إلى استمالة بعض الشخصيات العربية ، ولاسيما المسيحيين منهم ، بواسطة قنصليتها في دمشق وبيروت ، والتي بدأت تصنع منهم قوة معارضة داخل الولايات السورية ضد العثمانيين . ومما ساعد فرنسا في الوصول إلى هذا الموقف السياسي هو تجاوب بعض الزعماء العرب في الولايات السورية في دمشق ولبنان ، ممن أبدوا استعدادهم للتعاون معها ضد أحمد جمال باشا ، نتيجة لسؤ معاملته للسكان في الولايات العربية في بلاد الشام .

وأهم ما يلاحظ في هذا التطورهو قيام فرنسا بتقديم الدعم المالي ، للسكان الذين على الساحل السوري وجبل لبنان ، والعمل على ربط الأقسام الجغرافية في الساحل بالداخل ، وبذلك وفرت منفذاً على البحر للحصول على المنتجات الزراعية وغيرها من المواد الخام من سهول سوريا الداخلية (٣) ، وبهذه الطريقة استطاعت أن تتصل وتستميل عدداً كبيراً من السوريين المسيحيين والمسلمين ، وأخذت قنصلياتها في دمشق وبيروت تستقبلان الجماعات السورية المعارضة لسياسة أحمد جمال باشا ، ووضع المخططات لهم ضد العثمانيين ، واعطائهم الوعود بتكوين دولة عربية مستقلة عن السلطة العثمانية ، تزخر بالاستثمارات المالية الفرنسية في بيروت وجبل لبنان ، وتتوفر لها أقوى الروابط الأدبية والسياسية مع المسيحيين ، ومن بيروت تستطيع أن تتوغل إلى داخل سوريا وخاصة إلى دمشق .

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص ٩٨ ؛ محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٢٨٥ .

(٢) أنظر التفاصيل في ، وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٣) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٢٨٣ .

ولعل هذه الإغراءات الآنفة الذكر جعلت المسيحيين في سوريا يخططون إلى الثورة ضد القيادات الاتحادية ، لتحقيق رغباتهم بالانفصال عن الدولة العثمانية ، ويبدو أنهم حاولوا القيام ببعض الثورات بالتنسيق مع الحكومة الفرنسية ، التي تعهدت لهم من جديد بأنها ستفتح ذراعيها لتأمين الدعم المالي للزعماء السوريين الداعين إلى الاستقلال عن الحكومة العثمانية التي ترزح لسلطة الاتحاديين ، لخشيتها من ضياع مصالحها التجارية في سوريا ولبنان ، التي كانت مهددة بالضياع بسبب محاصرة العثمانيين للمصالح الفرنسية ، ومنع الأهالي من التعامل معها (١)، خاصة وأن احمد جمال باشا استطاع أن يكشف الاتصالات التي جرت بين الحكومة الفرنسية والزعامات السورية واللبنانية وقام بإفسادها .

ومن الجدير بالذكر ، فإن هذا التأييد الفرنسي دفع السوريين إلى السعي حثيثاً إلى تحقيق أهدافهم مهما كلفهم من تضحيات ، خاصة بين ضباط الجيش والمسئولين وأصحاب المهن والطبقات المتعلمة (٢) ، كما دفعهم إلى الاتصال بدعاة الحركات العربية في كل من القاهرة والحجاز ، وعلى ما يبدو أن الشريف حسين أيد فكرة الانفصال والاستقلال ببلاد الشام عن الحكم العثماني ، خاصة عندما رأى الأوضاع السياسية المتردية فيها بسبب تعسف الاتحاديين (٣) ، وهذا بدوره شجع الحكومة الفرنسية أخيراً ، وجعلها تعمل على توسيع نشاط المعارضة بين السوريين في الداخل ، والمقيمين في الخارج كمصر ، حيث عينت السير البرت ديفانس (Defans) مندوباً لها في القاهرة ، وكان واضحاً أنه سيعمل على تعبئة الرأي العام لصالح فرنسا (٤) ، وهذا بدوره دفع العناصر العربية

---

(١) مكي الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات ، د.ت) ، ص ٦ – ٧ .

(٢) Foster, Henry : op. Cit , P.38 .

(٣) Hourani , A. : OP. cit, Vol. 2, P. 41 .

(٤) مكي الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، ص ٦ ؛
Hourani, A. : OP. cit, VOL.2 P. 41 .

في سوريا إلى زيادة نشاطها ضد السلطة الاتحادية في الدولة العثمانية ، من اجل إقامة دولة عربية مستقله عن الدولة العثمانية بعد سيطرة الاتحاديين عليها ، فشعر أحمد جمال باشا بالخطر الذي يدور حوله في الولايات العربية في بلاد الشام ، فقام بالقاء القبض على من أفلت من يده من المعارضين السوريين في دمشق وأمر بشنقهم (١) . كما قام بسجن مجموعة كبيرة منهم ، وطارد الآخرين محاولاً القضاء عليهم ، كما تم ترحيل بعضهم إلى مناطق بعيدة عن سوريا لإضعاف من بقي منهم .

أما السوريون الباقون من ذوي المكانة المرموقة ، فإنه وضعهم تحت الرقابة المشددة ، حتى لا يقوموا بأي ثورة ضد الحكومة العثمانية في الولايات العربية السوريا (٢) .

---

(١) نوري السعيد : مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨م ، ص ٣٠ .

(٢) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، ج٣ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

٣ - الأوضاع السياسية في الأردن

تمثل منطقة شرق الأردن جزءاً هاماً من بلاد الشام ، حيث إنها تشكل وحدة تاريخية وسياسية ضمن الولايات العربية العثمانية في بلاد الشام (١) .

وكان الوجود العثماني فيها إسمياً ، بمعنى أنها كانت دائمة التأثير في الأحداث التي تجري داخل الولايات العربية السورية ، باعتبارها همزة وصل بين أجزائها ، فهي تصل فلسطين بالعراق ، وتصل دمشق بشبه الجزيرة العربية (٢) .

ونظراً لأهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي ووجود مراكزها المهمة ، مثل : مدينة معان والعقبة التي تطل على البحر الأحمر ، ونتيجة لأهمية موقعها أنشأ فيها العثمانيون عدداً من القلاع والبرك تمتد على طول الطرق البرية بهدف تأمين راحة قوافل الحجاج المارة بتلك الطرق بين المدن، والعمل على حمايتهم من هجمات البدو(٣).

وبالرغم من عدم استتباب الأمن في منطقة شرق الأردن إلاَّ أن العثمانيين لم يحاولوا إقامة جهاز حكومي ثابت لها لتوطيد النظام ، ونشر الأمن في ربوع شرق الأردن ، مما أدى إلى تدهور الأحوال الأمنية ، والتي أصبحت محلاً للمنازعات العشائرية المحلية (٤) . وذلك لأن حكم العثمانيين للبلاد كان يتميز بالقوة والفتور أحياناً ، حسب قرب أو بعد موقع تلك العشائر من مركز الولاية ، كما تتفاوت قوة السلطة من موقع لآخر ، حسب نوعية تضاريس المنطقة ، فالمناطق السهلية دائماً تكون السلطة فيها أقوى من المناطق الجبلية ويعود ذلك إلى صعوبة التضاريس ، بمعنى أن الدولة لم ترسل ولاة عثمانيين إليها ، مثل : الحجاز واليمن وبعض الولايات في بلاد الشام (٥) .

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٦ م ، (اربد ، دار الصلاحي للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ) ، ص ٢٣ .

(٢) بلال حسن التل : الرد محاولة للفهم ، (عمان مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية-الراضي،١٩٧٨م) ، ص ٧ .

(٣) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٦م ، ص ٢٣ .

(٤) يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الأردن ، القسم الحضاري ، (عمان ، وزارة الثقافة والشبان ، ١٩٧٩م) ، ص ٢٤ ؛ محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمار شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م)، ص٢٤.

(٥) عمر عبدالعزيز عمر : محاضرات في تاريخ لبنان الحديث ، (بيروت ، مطبعة كريدية أخوان ، منشورات جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٩م) ، ص ١٧ - ١٨ .

ويرجع ذلك إلى طبيعة سكان منطقة الأردن البدوية أو العشائرية ، التي أستوطنت بقاعاً واسعة من هذه الأراضي ، وكانت تفضل دائماً الترحال فتنتقل بين المناطق التي يكثر فيها الرعى ، وتنزل فيها حينما يطيب لها المقام في المواسم والفصول ، ففي الصيف مثلاً يأوون إلى قرب الهضاب الداخلية في الأردن ، وفي الشتاء يرحلون إلى البادية ، حيث يعودون إلى منابتهم وطبيعتهم الأصلية (١).

وهؤلاء البدو المستقرون والمتجولون يؤلفون أكثرية السكان في شرق الاردن ، يضاف إليهم الحضر من العرب أو من الشركس الذين يقيمون في جرش والزرقاء ، وبهذا نجد أن السكان في شرق الأردن غير مستقرين في أماكن معينة حتى تستطيع الدولة أن تفرض عليهم النظام ، وبذلك لم تهتم الدولة بهم .

إلاً أنه نتيجة لمد خط حديد الحجاز منذ عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، والذي أصبح يقطع شرق الاردن من الشمال إلى الجنوب ، أدركت الدولة العثمانية بأهمية شرق الأردن ، فعملت على إجراء بعض التعديلات في الأنظمة فيه ، وقد أحدث هذا التعديل تحولاً في وسائل السفر بين الولايات العربية في بلاد الشام ، فأصبح بمقدور المواطنين التحول لأول مرة من السفر على ظهور الدواب إلى السفر بواسطة السكة الحديدية ، والتي ساعدت بدورها على توطيد الأمن ، ورعاية مصالح الدولة العثمانية في المنطقة بصورة أفضل ، خاصة بعد اقامة المراكز الأمنية والتجارية على طول الطريق عبر منطقة شرق الأردن (٢). كما أدى هذا التحول إلى سرعة إنتقال بعض القبائل البدوية القادمة من نجد والحجاز وبادية الشام والعراق إلى الاردن (٣) . ومن أهمها : قبيلة بني صخر التي أنتشرت منذ القرن التاسع عشر في منطقة البلقاء ، وعجلون ، وقبائل السرحان والعجيلي ، وكثيرٌ ما قدم إلى هذه المناطق الأردنية بعض أبناء عشائر الشرارات القادمين من شمال شبه الجزيرة العربية وعشائر أخرى مثل بني عباد ، والعدوان والعنيمات ، التي أستقرت في المناطق الجنوبية من الأردن ، وفي منطقة الكرك والبلقاء (٤) .

---

(١) محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ٤٧٦ .

(٢) محمود العابدي : عمان في ماضيها وحاضرها ، (عمان ، منشورات امانة العاصمة ، ١٩٧١م) ، ص ١١٧ .

(٣) محمد أحمد الصلاح :الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٦م ، ص ٢٦ .

(٤) محمود العبادي: عمان في ماضيها وحاضرها ، ص ١١٨ .

كما أحاطت قبائل حميد والحجايا والسليط والحويطات بالطفيلة ، وكانت أقوى هذه القبائل الحويطات التي أمتد نفوذها من الكرك حتى المويلح في شمال الحجاز (١) .

وعندما سيطر حزب الاتحاد والترقي عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م على مقاليد السلطة في الدولة العثمانية ، وما تبع ذلك من صدور إعلان بالأنظمة الإدارية الجديدة ثم الإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني ، وأدى ذلك إلى تدهور الأحوال السياسية والأمنية في الأردن ، وخيم عليها عهد مشئوم يشوبه قلة الأمن ، كما سيطر البدو على مناطقهم ، فأخذت كل منطقة من مناطق شرق الأردن ، مثل : الكرك والطفيلة ومعان والسلط ، تدير أمورها بنفسها وتدافع عن كيانها وتحمي أموالها من غارات البدو عليها .

ولقد أزداد الوضع تدهوراً في الاردن ، بعد دخول الاتحاديين طرفاً في الحرب العالمية الأولى بجانب المانيا والنمسا ، فأخذ الاتحاديون في فرض الخدمة العسكرية الاجبارية ، على سكان الأردن ، كما فرضت على غيرهم من سكان الولايات العربية الأخرى ، كما قام الاتحاديون بفرض الضرائب الباهظة على السكان .

ولقد أدت هذه الأعمال إلى نفور الأهالي من الدولة ، والانضمام إلى الجمعيات العربية المعارضة في معظم الولايات السورية ومصر والعراق ، وذلك لمقاومة سياسة التسلط التي فرضتها جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية ضد أبناء المنطقة ، وخاصة من العرب ، كما قام بعض الأهالي بطلب المساعدة من الشريف حسين في الحجاز للتخلص من سياسة الاتحاديين الجائرة عليهم ، خاصة بعدما قام والي دمشق باخضاعهم بقسوة ووحشية شديدين ، وبعد عامين من ذلك اعلنت الحكومة العثمانية العفو العام عن السجناء والفارين من المتمردين من اعيان الكرك واربد والسلط والزرقاء وغيرها . وكان لهذا التمرد اثر كبير في نفوس الاهالي الذين لم يترددوا في انطوائهم تحت لواء الثورة العربية .

---

(١) فريد ريك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة بهاء الدين طوقان ، (عمان ، مطبعة دار الإيتام الإسلامية ، ١٩٣٤م) ، ص ٨٠ - ٨١ .

٤ - الموقف السياسي في العراق

قد يكون من المفيد أن نوجز الأوضاع السياسية والإجتماعية في العراق ، منذ العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري الموافق أوائل القرن العشرين ، والذي كانت تتنازعه الاتجاهات الطبقية ، حيث كان مقسماً إلى عدة طبقات ، منها : طبقة صغيرة من العراقيين التي تؤمن إيماناً قوياً بالوحدة الإسلامية ، التي يمثلها الحاكم العثماني في اسطنبول ، وهم على العموم أنصار السلطان عبدالحميد الثاني ، وأكثرية هذه الطبقة من الأكراد والعراقيين العرب السنيين ، الذين يشعرون بكيانهم وتضامنهم مع العثمانيين بدعوى انهم مسلمين ، وهذا بعكس بعض النزعات القومية العثمانية تجاههم (١) ، وكان لابد من أن يشعر العراقيون بعروبتهم وحضارتهم ، ويسخطون من سيطرة العثمانيين عليهم في العراق .

وفضلاً عن ذلك ، كانت اسطنبول تعج بالعرب الذين كانوا نشطين في جمعياتهم العلنية الخاصة ومنظماتهم السرية ، وقد تأثر العراقيون بهذه الفعاليات ، وانضموا إليها ، وهذا مما جعل السلطان العثماني يهتم بهذه الطبقة الآنفة الذكر ، وهذا الاهتمام أدى بدوره إلى الاهتمام ببعض المناطق العراقية .

أما الطبقة الأخرى ، وهي الأكثرية من أصحاب القرى والمدن ، فكانوا يعانون من الفقر والجهل والمرض وسوء الأحوال الاجتماعية ، وليس لهم إتجاه سياسي واضح ، ولكنهم ، كانوا يشعرون بشدة وطأة حكم الاتحاديين المسيطرين على البلاد ، لأنها تجبى منهم الضرائب ، وتلزمهم بالتجنيد الاجباري ، وهذا مما أدى إلى نفورهم من السيادة العثمانية . نتيجة للسياسة التعسفية التي أتبعتها الدولة معهم ، والتي أدت إلى عزلتهم وتجاهلهم كقوة فعالة في السياسة المحلية .

كما أنه هناك فئة ثالثة ، وهي : فئة الضباط العراقيين ، والتي كانت تطالب بنفوذ أوسع في السلطة في العراق (٢) ، والتوسع في فتح المدارس بمختلف

---

(١) وميض جمال عمر نظمي : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق ، (مركز دراسات الوحدة العربية) ، ص ١٣٧ .

(٢) إبراهيم حمدي الراوي : من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ، ص ٢٠ - ٢١ .

المراحل الدراسية ، وتشجع بعض الطلاب الطموحين على مواصلة التعليم من أجل الحصول على مراكز عليا في البلاد ، وفتح المجال للمواطنين للانضمام إلى وحدات الجيش العثماني المختلفة (١) ، وذلك بعد تخرجهم من المدارس العثمانية في اسطنبول ، للدفاع عن البلاد من التهديدات الاستعمارية التي كانت تحيط بالمنطقة .

ونتيجة لذلك ، برزت فئة المتعلمين العراقيين من ذوي المهن العسكرية بوجه خاص ، وبدأوا يطالبون بالتنظيم السياسي الأكثر فاعلية في العراق ، وانضم عدد كبير من أفرادها إلى صفوف المعارضين داخل العراق وخارجها ، وكانت هذه الفئة تملك مؤهلات جيدة بشكل خاص ، لأنها جيدة التأسيس والتنظيم والأكثر فاعلية في العراق ، وأن عدداً كبيراً من أفرادها أحرزوا خبرة عسكرية وإدارية من العثمانيين . وعندما بدأت السلطات العثمانية تقسو عليهم ، قامت بعض الفئات العراقية بالاتصال البريطانيين في مصر (٢) .

وكان معظم رؤساء قيادات الحركات المعارضة العراقية في داخل العراق وخارجها من الضباط الذين حصلوا على التعليم والتدريب العسكري في الخارج ، وممن كانت لديهم النزعة الاستقلالية عن السيادة العثمانية .

وكان من أهم مطالبهم هو المشاركة الفعلية في إدارة مرافق الدولة في الولايات العربية ، وخاصة في العراق ، كما أنهم أصبحوا يطمعون في تأسيس جيش وحكومة عربية .

وأن مجموع هذه العوامل ، يفسْر مدى اشتداد النشاط السياسي بين الضباط العراقيين في بلادهم ، وقد أدى هذا إلى تأسيس جمعية العهد ، والتي كان أغلب أعضائها من العسكريين العراقيين الذين لعبوا دوراً بارزاً في تاريخ العراق السياسي في إسطنبول عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م (٣) .

ومنذ قيام هذه الجمعية فإنها أخذت تطالب بالحقوق العربية ، ودعت إلى تأسيس حكومة عربية في العراق ، يكون أغلب أعضائها من العراقيين للمشاركة في إدارة شؤون

---

(١) وميض جمال عمر نظمي : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القوميةالعربية (الاستقلالية) في العراق ، ص ١٤٠ .

(٢) وميض جمال عمر نظمي : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) سليمان موسى : جمعية العربية الفتاة ،(العربي الكويت ، العدد ١٥١، ١٩٧١م) ، ص ٥٤ .

الحكم في العراق ، ولم تطلب بالاستقلال التام أو الإنفصال عن جسم الدولة العثمانية (١) .

وعندما بدأ الاتحاديون آنذاك يتبعون سياسة معادية للعرب في بلاد الشام ، والعراق ، وأصبحت الحرب العالمية الأولى على وشك الإشتعال ، بدأ العسكريون العراقيون يشككون من قدرة الدولة العثمانية على مواجهة هذه الحرب ، وهذا مما جعل (عزيز علي المصري) (*) يرسل رسالة شديدة اللهجة إلى أعضاء قياديين في جمعية العهد في العراق ، ينهاهم فيها عن إتخاذ أي عمل عدائي ضد العثمانيين ، وذلك لأن دخول الجمعيات العربية الحرب سيجعل ولاياتها العربية عرضة للغزو الأجنبي ، وإن من واجبهم الوقوف إلى جانب العثمانيين(١) . إلاّ أنه يبدو أن فكرة التعاون مع البريطانيين والتي كانت الجمعيات العربية تؤيدها لتحقيق إستقلال العرب ، كانت فكرة مغرية على الأقل بالنسبة لبعض الضباط العراقيين .

وهذا مما أدى إلى هروب بعضهم ، ومنهم : (محمد شريف الفاروقي) (*)من صفوف القوات العثمانية ، وتسليم نفسه إلى السلطات البريطانية في مصر ، وهناك أدلى بتصريحات مفادها أن الأهداف والمبادىء العربية تؤيد إقامة دولة واحدة تتألف من العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية ، وتقوم على الأسس التالية :-

---

(٢) محمد مهدي البصير : نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر (بغداد ، مط ، ١٩٤٧م) . ص ١٠٧ .

(*) عزيز المصري : ولد عزيز على المصري سنة ١٧٨٩م في مصر وبعد أن أكمل تحصيله الإبتدائي أرسله والده إلى المدرسة الحربية في اسطنبول فتخرج منها سنة ١٩٠٦م برتبة ملازم ثان ، وترأس الحركة العربية في بداية مطلع القرن العشرين ، وفي سنة ١٩١٣م عاد إلى اسطنبول فأسس جمعية العهد، وفي سنة ١٩١٤م أاعتقل وأصدرت الحكومة الاتحادية بحقه حكماً بالإعدام إلا أن العرب ثارت ثائرتهم واحتجوا لدى السلطان العثماني فانصاع لهذا الاحتجاج وأبدل حكم الأعدام إلى السجن المؤبد ، ثم أطلق سراحه بعد تدخل من بعض الشخصيات العربيه ، وحينما نشبت الثورة العربية عام ١٩١٦م استدعى عزيز على أن يقوم بتنظيم الجيش العربي هناك فسافر إلى الحجاز وعين قائداً للجيش العربي غير أنه لم يلبث فيها طويلاً فقد استقال بعد بضعة أشهر ، ثم رجع إلى القاهرة حيث شغل عدة مناصب في الجيش المصري ، وفي عام ١٩٥٤م سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي ، توفي في شهر يونيه عام ١٩٦٥م . أنظر ، محمد حرب : مذكرات السلطان عبدالحميد ، ص ٢٧٨ .

(١) وميض جمال عمر نظمي : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية [الاستقلالية] ، في العراق ،ص ١٤٥ .

(*) الفاروقي ينتمي إلى عائلة غنية في الموصل ، وكان عضواً في العهد . وبعد هروبه إلى مصر أصبح ممثل الملك حسين لدى الانجليز في القاهرة .

اولا : عقد معاهدة صداقة مع البريطانيين .

ثانيا : تخضع الأقطار العربية في حكمها لمبدأ غير المركزية .

ثالثا : يكون الشريف حسين أمير مكة وهو الخليفة او السلطان على الدولة الجديدة .

وعندما علمت بريطانيا بنوايا الجمعيات العربية في الولايات السورية ، استغلت هذه الفرصة ، وبدأت تتطلع إلى ترسيخ العداء العثماني في أذهان العرب ، وتفيدهم بأنه ليس لها مطامع سياسية أو اقتصادية في المنطقة ، إلاّ أن العثمانيين تنبهوا للمخططات البريطانية ، وحاولوا استمالتها والتقرب منها ، وقد نجحت الدبلوماسية العثمانية في اسطنبول في استمالة بريطانيا إلى جانبها ، وقد أدى هذا إلى تزويدها بعدد كبير من الخبراء البريطانيين الذين أستعانت بهم الحكومة العثمانية في العراق (١) ، ودعتهم للقيام باعداد التصاميم الفنية لإحياء مشاريع الري في البصرة ، ثم ارسلت بريطانيا خبراء وفنيين لدراسة طبيعة أرض العراق بالإضافة إلى دراسة مشاريع أخرى (٢) .

ولعل أول ما حصلت عليه بريطانيا من نفوذ قبل الحرب العالمية الأولى بعد موافقة السلطات العثمانية سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، على منحها مشروع إنارة شط العرب ، ووضع الحوامات فيه ، والمحافظة عليها تأميناً لسير السفن .

وقد كان من نتائج هذا المشروع هو تحويل البصرة إلى بحيرة هندسية لفتت بها أنظار الساسة البريطانيين بعد أن كانت هذه المناطق مقتصرة على النشاط التجاري البريطاني . ولأهمية هذا المشروع فإن بريطانيا أصدرت في أواخر سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م أوامرها السرية بإرسال حملة عسكرية بهدف حماية مصالحها في العراق ، وكان هذا التحرك العسكري للبريطانيين هو بداية التدخل البريطاني السافر في الشئون الداخلية للعراق ، لكي تصرف أنظار العرب عن تحركاتها الاسغلالية ، كما أنها سعت إلى تطمين العراقيين المقيمين على ضفتي شط العرب (٣) ، بأن

---

(١) عبدالرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، (ط٣ ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٧م) ، ص ٥٩ .

(٢) المس بيل : فصول من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، (بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٤٩م) ، ص ١٠ .

(٣) المس بيل : فصول من تاريخ العراق الحديث . ص ١١ - ١٢ .

لايتخوفوا من أي شيء ، ولن يتعرض لهم أحد بسوء مادامـوا يقفون موقفاً ودياً ومحايداً في نزاعها مع العثمانيين وعليهم عدم مؤازرة الجنود العثمانيين ، أو محاولة حمل السلاح علناً ، في الوقت الذي أخذت فيه القوات العسكرية البريطانية تزحف على المدن العراقية الجنوبية ، وتعمل على ترسيخ أقدامها وسلطتها هناك .

وتلى ذلك قيام نائب الملك في الهند بزيارة خاصة لمدينة البصرة ، وهناك خطب في عدد كبير من وجهائها وشيوخ القبائل العربية ، يعدهم بمستقبل زاهر بعد أن تخلصوا من العثمانيين على حد تعبيره .

كما أصدر الجنرال مود (Moud) منشوره الشهير إلى أهالي بغداد وبعض المدن العراقية الكبيرة ، يذكّرهم بأن الغرض من التحركات الحربية البريطانية في العراق ، ما هو إلاّ من أجل دحرّ العدو العثماني ، وأن البريطانيين لم يدخلوا قاهرين أو أعداء ، وإنما جاؤا منقذين ، ثم أسهب بعد ذلك في ذكر مظالم العثمانيين ، التي أدت إلى الحالة السيئة التي أصابت العراق .

وكل هذه التصريحات كانت محاولة لكسب العراقيين إلى جانب بريطانيا ضد الدولة الإسلامية العثمانية ، والتي وقفت عدة سنين أمام المطامع البريطانية في الوطن العربي ، والتي تسعى إلى إستغلال خيرات ولاية العراق ، وإخضاع أهلها للسيطرة البريطانية ، وهذا ما سوف نبينه بوضوح في الفصول القادمة .

٥ - الأحوال السياسية في مصر

بالنسبة للأوضاع السياسية في مصر في بداية القرن الرابع عشر الهجري الموافق القرن العشرين الميلادي ، وبالتحديد قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، فقد تربع على عرشها اللورد كرومر (ايفلين بيرنخ) رغم تبعيتها الرسمية للسلطان عبدالحميد الثاني ، وكان كرومر يستمد سلطته في حكم مصر بتفويض من الحكومة البريطانية ، وقوته العسكرية من الاحتلال البريطاني الرابض في مصر منذ عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م (١) .

وقد كان الاحتلال الأجنبي الاستعماري المشكلة الكبرى التي واجهت مصر في ذلك الوقت ، مما جعل قادتها الوطنيين يوحدون جهودهم لتحرير أراضيهم من الاستعمار البريطاني مستعينين في ذلك بالدولة العثمانية المسلمة قبل هزيمتها في الحرب العالمية الأولى (٢) .

وعندما زاد نشاط الحركات الوطنية في مصر ضد الاستعمار البريطاني ، أرسلت بريطانيا وفرنسا لممثليها في القاهرة عدة رسائل يطلبون من رؤساء الجمعيات الوطنية العمل على تهدئة الحركات الوطنية ، بعد أن زاد تعلقهم بالدولة العثمانية والتي يعتبرونها المنقذ الوحيد للبلاد من الاحتلال الأجنبي ، على أساس أن السلطان العثماني هو صاحب السيادة للأمة الإسلامية (٣) .

وفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م زادت اليقظة الوطنية عند المصريين وكثفت الحركات الوطنية من نشاطها ، من أجل إستقلال مصر ، وإسترداد حريته .

ولقد تحمّل هذه المسئولية مصطفى كامل ، الذي يعد أحد أقطاب المقاومة الوطنية ، وقد كانت له إستراتيجيته خاصة في تعبئة الشعور الوطني في الداخل عن طريق خطبه المؤثرة ، التي أثار بها الرأي العام الأسلامي في الخارج ضد الاحتلال البريطاني ، وإحترام العلاقة الخاصة التي تربط مصر بالدولة العثمانية ، على أساس

---

(١) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ٩٨ .

(٢) محمد فؤاد شكري : مصر والسودان أو وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣م) ، ص ١٩٩ .

(٣) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٤٧ .

أنها حامية الوطن العربي من التدخل الاستعماري عبر العصور الماضية .

ويروى (أن العرب التابعين للسلطة العثمانية ، لم يكونوا على تفاهم تام مع العرب الذين وقعوا تحت نير الاستعمار ، فمصر مثلاً كانت تعاني من مظالم البريطانيين وغطرستهم ، مما أنساهم مظالم القادة الاتحاديين ، وفساد حكمهم ، وجعلهم يرونهم إخواناً منقذين لهم ، وخصوصاً بعد إعلان الدستور العثماني ، في حين أن العرب الباقين والذين يعيشون تحت السيطرة العثمانية ، كانوا ينظرون إليهم على أساس أنهم أعداء مخربين وقساة ظالمين)(١) .

ومن أجل ذلك كان أهالي شرق قناة السويس مجمعين على كره الاتحاديين ، ويحاولون التخلص منهم ، بينما أخوانهم في غرب القناة عقدوا كل آمالهم في التخلص من الحكم الاستعماري ، الذي أستغل خيرات البلاد .

ولهذا القول السابق الذكر ما يعزز القول بأن قادة الحركة الوطنية في مصر كانوا يرون في العثمانيين أنهم منقذين لا أعداء متربصين لهم ، وقد تجلّى ذلك بوضوح في حادثة العقبة .

ولقد عزمت الدولة العثمانية مد خط سكة حديدية من معان إلى العقبة ، وذلك لتقوية مراكز القوات العثمانية في تلك المناطق على حدود مصر ، لتهدد المركز البريطاني - فأعترضت بريطانيا على ذلك المشروع ، لأنه يعتبر تهديداً لمصالحها في مصر فوقف الأهالي المصريون إلى جانب العثمانيين ، وهاجموا بريطانيا في خطب المساجد والنوادي العامة ، مما آثار الجماهير ضدها ، فشعرت بريطانيا بالخطر الذي يهدد مركزها السياسي في مصر أمام الحركات الوطنية الغاضبة ، هذا مما جعلها تحظر على الأهالي التجمعات في الأماكن العامة لصالح العثمانيين ، ومنع الاضطرابات حتى لا يهتز وجودها أمامهم ويشعرون بضعفها .

ولقد بدأت الحكومة البريطانية في العمل على إضعاف الحركة الوطنية عن طريق إنشاء أحزاب جديدة ، كحزب الأمة الذي يضم في صفوفه كبار الأثرياء من المصريين ، والذين أخذوا على عاتقهم مهمة الدعوة إلى التعاون مع سلطات الاحتلال البريطاني ، ونبذ أفكار دعاة الوحدة الإسلامية في بقية الأقطار العربية .

---

(١) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١٠١ .

ولقد تولى كتشنر دار العمادية في مصر ، في الوقت الذي كان فيه الحزب الوطني يجمع التبرعات لجهود الدفاع العثماني ، ويوجه البيانات المتتالية ضد اضطهاد السلطات البريطانية الحاكمة ، وانتهى ذلك النشاط بنشوب الحرب العالمية الأولى بين الدولة العثمانية وحلفاءها من دول الوسط ودول الحلفاء ، وقد أستطاعت الحكومة البريطانية قطع كل الاتصالات بين المصريين وبقية البلدان العربية الأخرى التي قامت فيها حركات عربية تنادي بالاستقلال عن الدولة العثمانية ، ووضعت رقابة شديدة على الأهالي ، ومنعت الاجتماعات العامة ، وقامت بحملة إعتقالات واسعة ، أسفرت عن زج عدد كبير من المواطنين في السجون والمعتقلات ، فيما نفت عدداً آخر دون إجراء تحقيق معهم أو محاكمتهم (١) .

وهذا مما زاد النشاط السياسي للأهالي ، والذي غلبت عليه النزعة الوطنية الإسلامية ، بالرغم من المضايقات الشديدة من انصار الاحتلال البريطاني حتى بعد قيام الحرب العالمية الأولى وهذا ما سنستعرضه في الفصول القادمة .

---

(١) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٣٤٣ .

٦ - الوضع السياسي في اليمن وعسير

خضعت اليمن للحكم العثماني تلقائياً وبدون قتال ، ولكن لم يكن الحكم العثماني في اليمن مستقراً مثل غيره من البلدان العربية ، وذلك بسبب الثورات والاضطرابات المتوالية ، التي كان يثيرها حكام المناطق والقبائل ضد بعضهم البعض بين فترة وأخرى ، وبينهم وبين الولاة التي ترسلهم الدولة العثمانية لحكم المنطقة اليمنية . وطبيعي فإن اليمن شأنه شأن بقية الإمارات العربية المحلية بشبه الجزيرة العربية له ظروفه الاجتماعية الخاصة ، فقد كانت الوحدة الاجتماعية المسيطرة فيه هي القبيلة ، وحتى التشكيلات السياسية كانت تتكون من إمارات ومشيخات تعتمد بالدرجة الأولى على النفوذ الأسري (١) .

ومن أبرز هذه الإنتفاضات تلك التي قادها الإمام يحيى حميد الدين ، نتيجة لما كانت تمر به المنطقة في تلك الفترة من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاسية ، فعاصر تلك الأحداث السياسية ، والتي تمخض عنها صراعات داخلية قائمة على الرغبة في التخلص من الحكم العثماني ، وذلك أثناء مشاركته لوالده في الحكم مشاركة فعلية ، والتي دعته إلى الهجرة مع والده سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م إلى جبل يعرف بالأهنوم باليمن (٢)، وهنالك استطاع استمالة القبائل إليه وشجعهم على الثورة ضد الوالي العثماني . وكان الهدف الرئيسي من تلك الثورة هو الدفاع عن مراكز الزيدية في اليمن .

وحاول العثمانيون إخضاع الثورة التي قامت ضدهم ، ولكنهم لم ينجحوا وذلك لوعورة الجبال في اليمن ، وصعوبة الوصول للمركز الرئيسي للثوار في صعدة والجبال المحيطة بها .

وقد أدت هذه الثورة إلى زيادة نشاط الحركات المطالبة بانفصال اليمن عن

---

(١) السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ١٩٠٤ - ١٩٤٦م، (ط٢ ، القاهرة ، مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧١م) ، ص ٤٢ .

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣٤٨ ؛ فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، (ط٢ ، بيروت دار العودة، ١٩٧٩م) ، ص ١٥٥ .

العثمانيين ، وكانت كل من القوتين تتجاذب النصر من حين إلى آخر [(١)] . فلم تنقطع ثورات اليمنيين ضد مراكز الحاميات العثمانية ، تلك الثورات التي أصبحت أمراً مألوفاً لدى اليمنيين رغم حياتهم البسيطة وظروف بيئتهم الجبلية القاسية .

وعندما توفي الإمام المتوكل على الله والد الإمام يحيى حميد الدين في التاسع عشر من ربيع الأول ١٣٢٢هـ/الموافق الرابع والعشرين من ابريل ١٩٠٤م ، وكان الوالي العثماني آنذاك في اليمن هو توفيق باشا ، وقد جرت الاتصالات المباشرة وغير المباشرة بين الجانب اليمني والعثماني من أجل عقد صلح لإنهاء الثورة ضد العثمانيين ، إلاَّ أنها لم تنجح [(٢)] ، وذلك لأن الإمام يحيى الذي حل محل والده سار على نهج أبيه في مقاومة العثمانيين ، فأعلن عليهم حرباً شاملة في عدة مراكز في اليمن ، كعمران وثلا وحجة وغيرها ، وتقدم منها لمحاصرة صنعاء[(٣)] . وكان معه من المؤيدين زهاء عشرين ألف يمني من جميع أنحاء اليمن ، وعند وصولهم إلى صنعاء فرضوا عليها حصاراً شديداً استمر ستة أشهر حتى أستسلمت الحاميات العثمانية له ، وقام الوالي بتسليم صنعاء للثوار ، وانسحبوا إلى بلاد حراز [(٤)] ، فدخلت القوات اليمنية صنعاء ، وذلك بموجب إتفاق عقد بين الجانبين ، وكان دخولهم لها في السابع عشر من شهر صفر عام ١٣٢٣هـ/الواحد والعشرين من ابريل ١٩٠٥م ، وبسقوط صنعاء في يد الثوار أعلنت معظم المناطق اليمنية ولاءها للإمام يحيى حميد الدين ، باستثناء مانص عيه الإتفاق من بقاء نفوذ العثمانيين في تعز وبلاد آب ، وكذلك بلاد حراز [(٥)] . ولكن فوجيء اليمنيون في ربيع الآخر ١٣٢٣هـ/يونيو ١٩٠٥م بقوات عثمانية كبيرة بقيادة أحمد فيض ، أرسلتها الحكومة العثمانية

---

(١) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٢ .

(٢) محمد يحيى الحداد : تاريخ العام لليمن ، (ج٥ ، ط١ ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ، ص ٥ .

(٣) فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) حسين بن أحمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تول ملك اليمن من ملك وإمام ، (القاهرة ، مطبعة البرتير ي ، ١٩٣٩م) ، ٨٦ .

(٥) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣٤٨ ؛ فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، ص ١٥٥ .

لتشديد قبضتهم على اليمن (١) ، وكان أحمد فيض خبيراً بشؤون اليمن ، وكان يطمع في تكرار ولايته فيها ، وتعتبر ولايته لليمن هذه الولاية الثالثة .

وعندما وصل أحمد فيض إلى بلاد حراز ، انضمت إليه القوات العثمانية المرابطة فيها ، بعدما أنسحبت من صنعاء ، فواصل تقدمه نحو صنعاء مستعيناً بقوته العسكرية ، فوصلها من الناحية الغربية بصعوبة بالغة ، وذلك بسبب حرب القبائل له وهو في طريقه من حراز إلى صنعاء (٢) . ولما وصلها أنسحب منها الإمام يحيى إلى بلاد حاشد خشية أن يفرض عليه العثمانيون الحصار، وقد برر الإمام يحيى إنسحابه عن صنعاء بالخوف عليها من نهبها وتخريبها بالمدافع العثمانية (٣) .

وبالرغم من انسحاب الإمام يحيى من صنعاء ، إلاّ أنه واصل حربه ضد العثمانيين عن طريق حرب العصابات . وبفضل من الله ثم بفضل مساعدة اليمنيين ومناصرتهم له أجبر الوالي العثماني على االتراجع بقواته إلى المنطقة الشمالية من اليمن ، وهناك واجه مقاومة عنيفة من اليمنيين ، أدت إلى خلخلة قواته وضعف معنوياتها ، وتعذر تقدمه نحو الشمال ، وأصبحت قواته شبه محاصرة بين قبضة الثوار اليمنيين ، مما أضطر السلطات العثمانية العمل على فك الحصار عن قواتها ، وعرض التفاوض مع الإمام يحيى ، فأرسلت في عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م وفداً من مكه إلى صنعاء لمقابلة الامام وإنهاء الأزمة معه ، وحال وصول الوفد قدم شروطة والتي ارادها أن تكون أساساً للصلح المزمع عقده بينه وبين العثمانيين (٤) .

إلاّ أن الدولة العثمانية قامت بإرسال والٍ جديد لليمن هو الوالي حسن تحسين ، وذلك في عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، خلفاً للوالي أحمد فيض . وكان الهدف الرئيسي من

---

(١) عبدالله عبدالكريم الجرافي : المقتطف من تاريخ اليمن ، (ط٢ ، بيروت منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ٢٢٠ .

(٢) محمد يحيى الحداد : التاريخ العام لليمن ، ص ٧ .

(٣) فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ، ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، ص ١٦٠ .

(٤) أنظر تفاصيل الشروط التي يريد فرضها الإمام يحيى في ، محمد يحيى الحداد ، التاريخ العام لليمن ، ص ١٠ ؛ وكذلك أنظر . عبدالواسع الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

إرسال الوالي الجديد ، هو ما عرف عنه من تسامح واتزان ، وتعقل في الأوساط العثمانية في محاولة وقف وتهدئة الأمور ، وإصلاح الأوضاع في اليمن (١) . ويبدو أن الوالي الجديد نجح بعض الشيء في مهمته ، ويتضح ذلك في إرسال وفداً يمنياً إلى اسطنبول لإيجاد حل حاسم للقضية اليمنية ، ولكن تلك المحادثات التي جرت بين الجانبين فشلت لعدة أسباب ، كان من بينها ما أبداه بعض رجال الدولة العثمانية من أن إقامة الحدود في اليمن يخل بالقانون الأساسي في جميع الولايات العثمانية (٢) .

وفي تلك الأثناء ، حدث الانقلاب العثماني ، وخلع السلطان عبدالحميد الثاني ، كما تم تعيين متصرف تعز مصطفى كامل والياً على اليمن بدلاً من الوالي حسن تحسين (٣) ، إلاّ أنه لم يستمر طويلاً حيث عين مكانه محمد علي باشا ، الذي انتهج سياسة العنف في اليمن ، وهي السياسة التي أملتها عليه حكومة الاتحاديين في اسطنبول ، بهدف تطبيق مركزية الحكم على الولايات العربية ، ومنها اليمن .

وظلت الحكومة العثمانية تمارس سياسة الشدة والعنف في اليمن (٤) ، الأمر الذي ضاعف من ثورة اليمنيين ضدها (٥) ، مما حمَّل الحكومة العثمانية على إرسال حملة عثمانية قوية بقيادة عبدالله باشا ، وذلك لإخماد الثورة اليمنية ، ولكنه توفى قبل تنفيذ مهمته ، فأصدرت الأوامر إلى القائد أحمد عزت باشا قائد التعزيزات العثمانية في المنطقة ، والذي أستطاع بحنكته السياسية أن يعقد صلح بين العثمانيين والإمام يحيى عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، وهو الصلح الذي عرف باتفاقية (دعان) (٦) .

---

(١) فاروق عثمان أباضة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، ص ١٦٩ .

(٢) عبدالواسع الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٣) فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م ، ص ١٧٠ .

(٤) المؤيد ، العدد ٦٢٦٩ ، في محرم ١٣٢٩هـ/٢١ يناير ١٩١١م ، ص ٤ .

(٥) المؤيد ، العدد ٦٢٧٣ ، ٢٤ محرم ١٣٢٩هـ/٢٤ يناير ١٩١١م ، ص ٢ .

(٦) أنظر تفاصيل الاتفاقية في ، محمد يحيي الحداد : التاريخ العام لليمن ، ص ١٧ ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣٥٢ .

وقد جاء هذا الصلح كنتيجة حتمية منطقية لإيقاف حدة الصراع العثماني اليمني ، وكان متمشياً مع المطالب العثمانية واليمنية ، حيث أعترف لكل من الطرفين في وضعه وحقوقه له ، بل إن الإمام يحيى كسب نتيجة هذا الاتفاق وحصل على حقوقه ، وإن قيدت هذه الحقوق بموافقة الحكومة العثمانية ، والتصديق عليها .

وكان من أهم تلك المكاسب الموافقة على تكوين جيش نظامي يمني ، مما أدى إلى إنخراط الكثير من اليمنيين في سلك الجيش العثماني المرابط في اليمن ، فتعلم اليمنيون أموراً عسكرية كثيرة من العثمانيين ، استفاد منها الإمام يحيى في جيشه النظامي بعد الإستقلال .

أما عسير (*) – فكانت حسب التقسيم الإداري العثماني – جزءاً من الدولة العثمانية ، إلاّ أنه صار للأدارسة فيها خلال أواخر القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي نفوذ روحي ، استغله محمد علي الإدريسي ، ليحقق لنفسه نفوذاً سياسياً إلى جانب النفوذ الديني .

وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري الموافق أوائل القرن العشرين ، بدأت تظهر خطورته في عسير على الدولة العثمانية (٢) . ولقد أدركت الحكومة العثمانية الخطر الذي يهددها في عسير وهو قيام الإمارة الإدريسية بقيادة محمد علي الإدريسي الذي أستطاع بحنكته خلال فترة قصيرة أن يكون السيد المطاع ، وصاحب الكلمة النافذة كأمير على جزء كبير من تهامة عسير ، وقد أصبح خطره يهدد الحكومة العثمانية ، ويسعى لإخراج النفوذ العثماني من منطقة عسير(٣) ، حيث أستطاع أن يستغل ثقافته الواسعة ومقدرته الإدارية والسياسية في اجتذاب قبائل المنطقة إليه ، مما زاد من خطورته على الدولة العثمانية في عسير (٤) .

(*) يراد بمنطقة عسير ، هنا الجزء الجنوبي الغربي من البلاد عدا منطقة جازان . وتمتد من حدود اليمن جنوباً إلى بلاد زهران شمالاً ، ومن البحر الأحمر غرباً إلى تَثْليث وبِيْشه شرقاً . وتتكون من تهامة المحاذية للبحر الأحمر في الغرب ، تليها جبال السراة ، ثم الهضبات الواقعة شرقها .

(١) السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ١٩٠٤ – ١٩٤٦م ، ص ٨٩ .

(٢) يوسف حسن العارف : أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير ١٣٢٦ – ١٣٣٠هـ/١٩٠٨ – ١٩١٢م ، (ط١ ، نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، ص ٧٣ ؛ كمالي باشا ، الأهرام . العدد ١٤٥١٢ ، ١٩٢٤/١١/١٠م .

(٣) فاروق عثمان أباظة : سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ، (الكويت ، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٢٠ .

ومن هنا ، قررت الحكومة العثمانية تعيين سليمان شفيق باشا متصرفاً جديداً على منطقة عسير لمراقبة تحركات الإدريسي ، ومعرفة مدى تأثيره على أهالي عسير . وعندما وصل القنفذة اتضح له أن الإدريسي قد أستفاد من الظروف التي كانت تعيشها منطقة عسير في ظل الحكم العثماني ، فبدأ الإدريسي ينشر دعوته ، فوجد إقبالاً كبيراً من الاهالي لقبول دعوته خاصة في تهامة عسير (١) ،

كما استغل الحروب والمنازعات بين القبائل العسيرية فقام بدور الوسيط بينهم ، فجمع شمل القبائل في تهامة عسير على مواثيق الصلح الذي عقده بينهم ، وتحقق من ذلك لهم نوع من الوحدة القبلية التي تدين لمحمد علي الإدريسي ، فتحقق له من الصلح النجاح الكبير والسمعة الحسنة بينهم (٢) . وعندما وجد من يعارضه في المنطقة ، استخدم سلطانه القبلي ، وسمعته الدينية فأعتبرهم خارجين على النظام .

وأمام هذه المواقف الخطيرة في عسير كان المتصرف العثماني يحرر التقارير السرية ويبعثها إلى حكومته في اسطنبول ، موضحاً لهما أن الموقف في متصرفية عسير يزداد سوءاً وأن الأدارسة يوالون تقدمهم تجاه المناطق التي تحت سلطة الحكومة ، ولابد من وضع حل عاجل لإيقاف تقدم الادارسة عن عسير .

وأدركت الحكومة العثمانية خطورة الوضع المتدهور في عسير في ظل التفوق الإدريسي ، ولكنها لم ترد عليه باستخدام القوة في حل مثل هذه المسألة ، لا سيما وأنها تعيش في ذلك الوقت ظروفاً قاسية ، فقررت أن تسلك مع الأدارسة أسلوب المهادنة ، وأن تعقد معهم صلحاً حتى تتفرغ لمشاكلها الداخلية ، والقريبة من العاصمة نفسها .

فارسلت وفداً عثمانياً رفيعاً لدراسة أوضاع عسير المتدهورة ، ومحاولة عقد صلح مع الإدريسي يوقفه عند حده . وعلى أثر ذلك أعلن الإدريسي أنه ليس عدوا للدولة العثمانية ، وإنما يسعى لخدمة المنطقة في ظل هذه الظروف المتوترة ، فيأمر بتطبيق شرع الله ، ويصلح بين القبائل لإنتزاع جذور الشر بينهم ، وإعادة الأمور إلى نصابها .

---

(١) عبدالمحسن البركاتي : الرحلة اليمانية، (القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، ص ٦.

(٢) محمد أحمد العقيلي : تاريخ الخلاف السليماني ، (ط٢ ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢ ، ص ٦٣٨ .

وفي الخامس من ذي الحجة من عام ١٣٢٧هـ/الموافق السابع عشر من ديسمبر ١٩٠٩م ، وصل الوفد العثماني على كره إلى المكان المعد للاجتماع حيث استقبلهم الإدريسي ورجاله ، فعقد الاجتماع فأظهر للوفد العثماني نيته الحسنة تجاه العثمانيين ، وأنه لا يسعى إلى المطالبة باستقلال المنطقة ، وانما يريد ان تحظى باهتمام الحكومة العثمانية ، أو تتركها وشأنها في تسيير مصالحها ، وشئونها تحت إمرة الإدريسي .

وبعد مشاورات بين الطرفين عرض الإدريسي مطالبه للصلح مع العثمانيين ، وهي كالتالي :

اولاً : أن ترفع الضرائب المفروضة القديمة على القبائل ، وتكتفي بالزكاة الشرعية من المحصولات الزراعية والمواشي ، وأن يكون هو المكلف بجمع الزكاة ، وأن يكون له في نظير ذلك الثلث منها (١) .

ثانيا : أن يسمح له بتكوين جيش من المواطنين ، لحفظ الوطن من التهديدات الخارجية .

ثالثا : أن يعين على وظيفة قائم مقام لتهامة عسير .

رابعا : وفي مقابل ذلك يعترف الإدريسي بتبعيته للدولة العثمانية .

ولما تم الإتفاق على ذلك ، طلب الإدريسي من سعيد باشا أن يكتب شروط الاتفاق وأن يوقع من الباشا ومنه ، وأن يرسل الباشا لكافة القبائل من تهامة إلى عسير كتباً يأمرها فيها بأن تكون خاضعة لأوامر الإدريسي حتى يتمكن من الإصلاح الحقيقي في المنطقة (٢) .

وعلى أية حال ، فقد انخدع القائد العثماني والوفد المرافق له واستحسنوا ذلك ، وتم الاتفاق على ذلك ثم سافر سعيد باشا بجيشه إلى صنعاء للانضمام إلى الجيش المحارب للإمام يحيى ، فصفا الجو للإدريسي ، وأحس بنشوة النجاح الذي حققه ، عندما حصل على اعتراف الدولة العثمانية بوجوده حاكم شرعي ، وقائم مقام في المنطقة ، وبدأ يوطد وجوده بين القبائل العسيرية لتحقيق مأربه ، فقام بالاتصال بانصاره . كما قام بتوزيع الكتب على مشائخ قبائل تهامة عسير والسراة ، ويظهر لهم فيها خلاف ما أبداه للوفد العثماني ، مع أنه بدأ بتأليب عربان تهامة لصالحه حتى أتحدوا معه وصاروا تحت

---

(١) عبدالمحسن البركاتي : الرحلة اليمانية ، ص ٧٠ ؛ يوسف حسن العارف: أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير ١٣٢٦ - ١٣٣٠هـ/٨-١٩ - ١٩١٢م ، ص ٧٧ .

(٢) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٩ .

طوع أمرة في أسرع وقت ، ومن ثم بدأ يحرضهم على الثورة ضد الدولة العثمانية (١).

ولم يكتف بذلك بل أخذ يعلن تحديه للدولة العثمانية في بعض الثغور ، ومنها على سبيل المثال : ثغر الشقيق معتذراً أن الأهالي لا يرغبون في وجودهم بينهم ، وقام بحماية الفارين من سخط المتصرف العثماني في عسير ، وبدأ يصدر الأحكام الشرعية في المنطقة دون التصديق عليها من الجهات المختصة في الدولة العثمانية بأبها .

كما قام بطرد الموظفين العثمانيين الذين عينوا في الجمارك بناء على إتفاقية الحفائر معللاً بذلك بأن الموظفين العثمانيين لا يراعون حرمة الدين ، وأنهم يجاهرون بالمعاصي . ولقد أدى ذلك إلى قيام المتصرف العثماني بمطالبة الحكومة العثمانية بإرسال قوة عسكرية لإيقاف النفوذ الإدريسي المتزايد في عسير ..

ولكن الحكومة العثمانية اعتذرت من تزويده بقوة عسكرية في ظل الظروف التي تعيشها ، وانما أمرته بمحاولة تعطيله عن أي عمل جديد يقوم به ، لكسب الوقت حتى تتمكن من ارسال قوة عسكرية في وقت آخر لمحاربته والقضاء عليه (٢) .

وعلى أثر ذلك ، اجتمع المتصرف العثماني بالإدريسي لحل الموضوعات التي تتعلق بالجمارك وموظفيها ، ولكن لم يتم أي شيء بينهم . وعندما رجع المتصرف إلى أبها شاهد بوادر ثورة الإدريسي بين قبائل تهامة عسير .

وفي شهر ذي القعدة ١٣٢٨هـ/الموافق نوفمبر ١٩١٠م فجر الإدريسي ثورته ضد العثمانيين في عسير (٣)، حيث أصدر أوامره إلى قواته مع القبائل المؤيدة له بمحاصرة أبها ، وتطويق مراكزالقوات العثمانية ، كمقدمة لطردهم من عسير والاستقلال بحكم المنطقة ، وماهي إلاّ أيام حتى استولت قواته على بعض المناطق القريبة من أبها ، وأخذت تستولي على القرى والجبال القريبة من أبها(٤)، حتى وصلت إلى أبها وشددت الحصار عليها واستمر حوالي ستة أشهر ذاق فيها العثمانيون والأهالي في

---

(١) عبدالمحسن البركاتي : الرحلة اليمانية ، ص ٧٠ .

(٢) يوسف حسن العارف : أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير ١٣٢٦ - ١٣٣٠هـ/١٩٠٨ - ١٩١٢م،ص٧٨ .

(٣) محمد بن أحمد العقيلي : مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير ، (ط١ ، نادي ابها الادبي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان ، ج٢ ، ص ١٠٤

أبها الجوع والعطش (١) ، مما جعل المتصرف العثماني يطلب عقد اجتماع مع الإدريسي ، لإجـــراء صلح بين الطرفين ، ولكن الإدريسي رفض ذلك العـــرض ، لأنه أدرك أن العثمانيين يسعون جاهدين للحصول على هدنة مؤقتة لفك الحصار عن قواتهم ، ولكن الإدريسي ، عندما قرر الخروج عن طاعة الدولة العثمانية لم يدرك أنه وقع في خطأ كبير بخضوعه للإيطاليين والذين قدموا له مساعدات كبيرة ، حيث أخذ من الإيطاليين سلاحاً فاستخدمه ناراً وسياسة على عدوها وعدوه (٢).

وعندما رأت الدولة العثمانية حراجة الموقف في عسير ، رأت أن تستفيد من نفوذ أمير مكة المكرمة - الشريف حسين - وقواته العسكرية ، فطلبت منه إرسال قوات للمساعدة في فك حصار أبها ، وفي الوقت نفسه ، أرسلت قوة عثمانية أخرى تسانده ، وقد التقي الجيشان - الحجازي والعثماني معاً - ضد القوات الإدريسية في القنفذة ، ومنها بدأت تحركها بقيادة ابنيه فيصل وعبدالله واشترك في معارك طاحنة مع الأدارسة على طول الطريق من القنفذة حتى أبها (٣) .

وعندما أدركت القوات الإدريسية في أبها بعدم قدرتهم على مواجهة الجيش الحجازي والعثماني المشترك جاءتهم الأوامر من محمد علي الإدريسي بفك الحصار عن أبها ، والعودة إلى المراكز العسكرية في سواحل عسير إنتظاراً لتجهيزا قوات عسكرية اضافية اخرى .

وعلى أية حال ، فقد أستمر النزاع العسكري بين الأدارسة في عسير والعثمانيين وفشلت الحكومة العثمانية في تحقيق أي نصر عليه في عسير ، وخاصة بعدما انضم الأدارسة إلى جانب إيطاليا وبريطانيا قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى .

أما الشريف حسين فإن علاقته بالعثمانيين ، كانت تتحدد دائماً برغبته الشخصية

---

(١) عبدالمحسن البركاتي : الرحلة اليمانية ، ص ٩ - ١٠ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ٢١ .

(٣) الأهرام ،العدد ١٠١٤٠ ، ١٩١١/٧/٢٠م.

في الإستقلال منها (١) ، رغم أن الدولة العثمانية أختارته هو القائم باخماد الثورات في عسير ، لما يعرفه من عادات البادية وطريقة اخضاعها (٢) .

وعلى كل حال ، فإن الدولة العثمانية لم تهتم بأمر الإدريسي في البداية ، إذ اعتبرته أحد رجال الدين الذين سرعان ما تنطفي نجومهم . بينما تجاهلت الشريف حسين أمير مكة المكرمة وأعتبرته " حديث نقمة " وسينتهي أمره سريعاً ، إذ كان الشريف يتمتع ببعض النفوذ الاسمى على بعض قبائل عسير ، ويطمع أن تكون له اليد العليا عليها ، ولكن الإدريسي حال بينه وبين مطامعه ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

---

(١) فاروق عثمان أباظة : سياسة بريطانية في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م ،ص١٦ .

(٢) إبرهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان ، ص١٠٤ .

٧ - الحالة السياسية في نجد وإمارة حائل

لقد أستغل محمد بن رشيد آل رشيد أمير حائل الخلاف بين الأسرة السعودية في نجد ، فأعلن استقلاله بامارة حائل ، والتي كان أميراً عليها من قبل آل سعود سابقاً ، ثم أخذ بعد ذلك يعد العدة لبسط نفوذه على الرياض مستغلاً الخلاف بين آل سعود ، فخرج بجيش كبير من أنصاره أستطاع بواسطته أن يفرض سلطته على نجد في حوالي عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م بعد انهيار الوحدة السياسية لبلدان نجد ، التي سهر آل سعود على بنائها خلال فترة حكمهم للدولة السعودية الأولى والثانية ، مما حول مناطق نجد إلى حالة من الفوضى والاضطرابات (١) ، فأصبح كل أمير أو شيخ قبيلة يحكم داخل مدينته أو بين أفراد عشيرته حكماً فردياً ، فساد الانقسام ، وعمّت المناوشات ، وأنتشر النهب والسلب في الأقاليم النجدية .

وبعد وفاة محمد بن رشيد وخلفه عبدالعزيز بن متعب آل الرشيد بدأ يتطلع إلى فرض سلطته الصارمة على معظم البلدان النجدية ، ولم يكتف بذلك بل قام بمناوشة بعض جيرانه ومنهم الكويت الذي يعتبر المنفذ الرئيسي لنجد ، وحدثت بينهما معركة عرفت بمعركة الصريف ، بالقرب من بريدة ، والتي قتل فيها عدد كبير من الجانبين (٢) .

وبعد هذه المعركة انتقل عبدالعزيز ابن الرشيد من الصريف ودخل بريده ، فصادر أموال الأهالي ، وأستخدم مع أهلها كل أنواع القسوة ، فقتل الكثير منهم ، مما جعل اهل القصيم ينفرون من حكمه . كما كبر عليهم ان يروا حاكم حائل يتمتع بهذا السلطان ، وهو ليس اقدم منهم بيتاً ، وانما القوة هي التي املت عليهم الخضوع والاستسلام لابن الرشيد .(٣)

وفي الواحد والعشرين من ذي القعدة ١٣١٨هـ/الموافق الحادي عشر من مارس ١٩٠١م ، كتب شيوخ وأعيان القصيم إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود يطلبون منه معاونتهم ضد حكم عبدالعزيز بن رشيد آل رشيد ، وطلبوا منه ظهوره إليهم ، وهذا

---

(١) زاهية قدورة : شبه الجزيرة العربية ، كياناتها السياسية ، (بيروت دار النهضة العربية ،د.ت) ، ص ٣٦ .

(٢) وثائق سعودية – التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين ابوظبي ومسقط والمملكة العربية السعودية – عرض الحكومة السعودية ، ج١ ، ص١٧٣ ؛ سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ، (الرياض ، مطابع الرياض ، ١٩٨٠م) ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٣) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، (ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م) ، ج١ ، ص ١٢٠ .

مما زاد من حماسة الإمام عبدالرحمن آل سعود للقيام بهذه المهمة ، فأستجاب لطلبهم [(١)] ، فأرسل ابنه الإمام عبدالعزيز بقوة صغيرة من أتباعه ، فكانت خطته ترمي في البداية إلى ضرب العشائر التابعة لإبن رشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو فغزا في طريقه بعض قبائل قحطان المناصرة لابن رشيد ، والذي كانوا على منهل يسمى حلبان ، ثم أعاد عليهم الكرة مرة أخرى ، وبعد فترة وجيزة غار على مطير ، ثم أنسحب إلى جهة الأحساء بعدما نجح في ذلك والتف حوله جمع كبير من القبائل .

ولما علم عبدالعزيز بن رشيد بذلك وهو في الحفر بكثرة غزوات الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وانتصاراته المتتابعة لإعادة بناء الدولة كما كانت عليه سابقاً . فإنه لم يكترث به ، وحينما جاءته التأكيدات بهذه التحركات ، أرسل إلى شيخ مطير فيصل الدويش والى ولاة الدولة العثمانية في كل من البصرة وبغداد ، يحثهم للوقوف في وجه آل سعود ، وأنصارهم في المناطق التي أيدتهم ، كما أخذ يحرض العثمانيين عليهم ، مما جعل الدولة العثمانية تعلن تهديداتها ضد كل من يتعاون مع ابن سعود من أهل نجد .

ولما علم البوادي بالتهديدات العثمانية ، فإنهم أخذوا يتفرقون عن الإمام عبدالعزيز آل سعود ، لخوفهم من بطش العثمانيين بهم [(٢)] ، وفي الوقت نفسه ، أخذ ابن رشيد يشدد قبضته على الأقاليم النجدية ويعامل أهلها بقسوة .

وتلقى الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود تلك الأخبار من بعض النجديين الذين هربوا من نجد إلى الكويت ، خوفاً من بطش ابن رشيد ، فلما سمع بذلك جمع حوله رجال القبائل الموالية له ، وأستطاع في وقت قصير جمع جيش بلغ تعداده حوالي ألفي رجل أغلبهم من سبيع ، ولكن بسبب تضييق متصرف الأحساء العثماني ، وتهديداته لهم أنفض عنه معظم رجال القبائل ولم يبق معه إلا صحبه الذين خرجوا معه من الكويت . ونفر قليل ممن تبقى من جيشه السالف الذكر ، ولكن ذلك لم يضعف من عزيمته القوية بل واصل تقدمه إلى الرياض بهذا العدد القليل من الرجال في ستار من الكتمان . وبفضل من الله ثم بفضل الخطة التي وضعها لاسترداد الرياض ، استطاع

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : أمراء وغزاة ، قصة الحدود والسيادة الاقليمية في الخليج (دراسة وثائقية) ، (لندن ، دار الساقي ، ١٩٨٨م) ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد عرابي نخله : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م ، (الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ص ٢٢٨ .

الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود دخول مدينة الرياض والقضاء على أميرها ابن عجلان التابع لابن رشيد ، وذلك في اليوم الخامس من شوال لسنة ١٣١٩هـ/الموافق الخامس عشر من يناير ١٩٠٢م [١] .

وما أن علم أهالي الرياض بدخول الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود لها ، حتى سارعوا لتأييده ويعود ذلك لما لاقوه من التنكيل أثناء حكم عبدالعزيز بن متعب آل الرشيد لهم [٢] .

وبعد خضوع الرياض أخذ الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود يعمل جاهداً على توطيد حكمه على بقية مناطق نجد ، في الوقت الذي بدأ الأهالي في المناطق النجدية يتقدمهم رؤساء العشائر ، يتوافدون إلى الرياض معلنين تأييدهم له ، وبذلك خضعت أغلب مناطق نجد للحكم السعودي الواحدة تلو الأخرى . أما المناطق الأخرى التي أعلنت العداء له ، فإنه حاربها وضمها إلى دولته [٣] ، فأستطاع بذلك أن يضم مناطق العارض واليمامة ، والوشم وسدير ، ثم أخذ بعد ذلك يراقب الأحداث المجاورة له بعين نافذة ، ليعد العدة ضد أعداءه .

وفي أواخر سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م تحرك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود على رأس قوة عسكرية لضم القصيم إلى دولته ، فألتقى في طريقه قرب عنيزه بقوة من اتباع ابن الرشيد فهزمها ، ثم دخل عنيزه يوم الخامس عشر من محرم ١٣٢٢هـ/الثاني والعشيرن من مارس ١٩٠٤م ، ثم تابع بعد ذلك تقدمه على القرى القريبة من عنيزة للقضاء على الخارجين عن طاعته وبهذه الحملة استطاع أن يضم منطقة القصيم [٤] ، وخرج إليه أهلها فرحين بمقدمه إليهم وبايعوه على السمع والطاعة .

---

(١) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ، في ماضيها وحاضرها ، (بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ،ب . ت) ، ج٢ ، ص ٤٢ .

(٢) وثائق سعودية – التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين ابوظبي ومسقط والمملكة العربية السعودية – عرض الحكومة السعودية ، ج١ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٤) أمين سعيد : تاريخ الدولة السودية ، (بيروت ، دار الكاتب العربي ، د.ت) ، ج٢ ، ص ٣٧ ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣٣٣ .

وعندما علم ابن رشيد بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أستولى على القصيم وبايعوه اهلها ، أرسل إلى والي البصرة ، والقبائل بحائل يستنفرها ضد القوات السعودية (١) ، وقد تمكن الإمام عبدالعزيز آل سعود بفضل من الله من هزيمة قوات الدولة العثمانية وابن الرشيد في معركة البكيرية (*) في ربيع الأخر ١٣٢٢هـ/مايو - يونية ١٩٠٤م (٢) ، وعادت هذه القوات إلى الخبراء والرس بعدما كبدتها خسائر فادحة (٣) ، وتعقبتها القوات السعودية فحدثت بينهما معركة الشنانة في الثامن عشر من رجب ١٣٢٢هـ/ الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٠٤م ، ثم معركة قصر ابن عقيل ، والتي أدت إلى تراجع قوات ابن رشيد إلى خارج منطقة القصيم .

ونتيجة للهزائم المتوالية التي حلت بالقوات العثمانية المساندة لابن رشيد في القصيم ، فإنها أخذت تتبع أسلوب المراوغة عن طريق المفاوضات حول تبعية منطقة القصيم ، لتجعل منها منطقة محايدة ، على أن تتواجد فيها حامية عثمانية ، وأن يكون الإمام عبدالعزيز آل سعود قائمقام عليها تابع للدولة العثمانية (٤) ، ولكن الإمام عبدالعزيز رفض هذا العرض ، الذي يرسخ الوجود العثماني في المنطقة ، ويجعل من الامام عبدالعزيز آل سعود أميراً تابعاً لها . وعلى أثر هذا أستؤنفت المعارك من جديد بين القوات السعودية والقوات العثمانية المساندة لإبن الرشيد ، وقد عززت القوات العثمانية الموجودة هناك بحملتين عسكريتين إلى المنطقة أحداهما أتت عن طريق العراق تحت قيادة المشير أحمد فيض باشا ، والثانية قدمت عن طريق المدينة المنورة بقيادة صدقي باشا ، ولكن الإمام عبدالعزيز استطاع بخطته من محاصرة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد في روضة مهنا (*) ، وهناك قتل عبدالعزيز ابن

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم :أمراء وغزاة ، ص ١٨٠ ؛ سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ، ص ٧٠ .

(*) البكيرية : تقع البكيرية إلى الغرب من مدينة بريدة ، وتبعد عنها بـ(٥٢) كيلو ، عمر غرامة العمروي : المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية ، جـ١ ، ص ١٠١ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : أمراء وغزاة ،ص ١٨٠ ؛ سعود بن هذلول: تاريخ ملوك آل سعود ، ص ٧٠ .

(٣) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٣٣٤ .

(٤) محمد عرابي نخله : تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م ، ص ٢٢٩ .

(*) روضة مهنا : ارض منبسطة جرداء من الشجر والعجر ، اي كثبان رملية متحركة تقع الي الشمال الشرقي من مدينة بريدة عاصمة القصيم ، وتبعد عنها بـ(٤٩) كيلو ، ومهنا هو : ابن صالح أبا الخيل أمير بريدة وتوابعها من القصيم ، قتل عام ١٢٩٢هـ ، انظر عمر بن غرامة العمروي : المعالم الكفرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية ، ج١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

الرشيد في الثامن عشر من صفر ١٣٢٤هـ/ الرابع عشر من ابريل ١٩٠٦م ، فخلفه على إمارة حائل ابنه متعب الذي وجد نفسه غير قادر على مواصلة المعارك ضد الإمام عبدالعزيز آل سعود ، فطلب الصلح ، وبدأت المفاوضات بين الفريقين وانتهت بعقد اتفاق يتم بموجبه توقف القوات السعودية عن التقدم إلى حائل ، وبعده عاد الامام عبدالعزيز آل سعود إلى الرياض منتصراً .

وهكذا فشلت المحاولات التي بذلتها الدولة العثمانية ، لجعل القصيم منطقة تابعة لها ، ولم يجد القادة الذين أرسلتهم إلى المنطقة سبيلاً لتحقيق هدفها ، فقرروا الرحيل عن المنطقة .

ولكن الجو لم يصفو كلياً للإمام عبدالعزيز آل سعود ، حيث تكون حلف ضده ، وكان من أطرافه هو سلطان بن الرشيد الذي خلف متعب بن رشيد و فيصل الدويش رئيس قبيلة مطير ، ونايف الهذال رئيس قبيلة العمارات (١) . ولكن الإمام عبدالعزيز آل سعود أستطاع التغلب على أطراف هذا الحلف الواحد بعد الآخر ، وذلك قبل نهاية عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، وتلى ذلك ظهور فتنة أخرى أمامه وهي فتنة الهزازنة في الحريق عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، حيث شقوا عصا الطاعة عليه واستطاع بفضل من الله ثم بحنكته السياسية أن يتغلب على هذه الفتنة (٢) . والتي كاد ابن رشيد أن يستغلها لصالحه ، وأخذ الإمام عبدالعزيز آل سعود في التحرك نحو الشمال تجاه حدود القصيم الشمالية ، وقد توج هذا التحرك بانتصاره على تحالف أهالي عنيزه في صفر ١٣٢٨هـ/ فبراير -١٩١١م قرب الحميمة (٣) .

وقد أدت انتصارات الإمام عبدالعزيز آل سعود على الخارجين عن طاعته إلى تقوية مركزه في مناطق نجد حاضرة وبادية بصورة مذهلة ، حيث أخذت جموع القبائل

---

(١) عمر بن غرامة العمروي : المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٢) إبراهيم جمعه : الأطلس التاريخي للدولة السعودية (الرياض ، ادارة الملك عبدالعزيز ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ص ١٥٢ ؛ إبراهيم بن عبيد العبدالمحسن : تذكرة أولي النهي والعرفان ، ج٢ ، ص ٩٥ .

(٣) خالد حمود السعدون : العلاقات بين نجد والكويت ، ١٣١٩هـ - ١٣٤١هـ/١٩٠٢م - ١٩٢٢م ، (ط٢ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ص ١٢٨ .

تفد إليه ، معلنة تأيدها ومبايعتها له على السمع والطاعة لما لمسوه من إستقرار ، ونشر العدل وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في عهده .

وعندما أدركت الحكومة العثمانية ضعف ابن رشيد وزيادة النشاط السعودي واسترداد معظم المناطق النجدية التي تحت سلطة ابن الرشيد بدأت في إقامة جبهة في وجه الإمام عبدالعزيز آل سعود لإضعاف نشاطه (١) ، حيث أوعزت إلى الشريف حسين بن علي بمؤازرتها والتحرش بالقوات السعودية ، ومما يؤسف أن الشريف حسين استجاب لمطالب العثمانيين ، وأخذ يجهز نفسه للمسير إلى القصيم محاولاً إحتواءها ، كما أنه كتب في شهر شعبان سنة ١٣٢٨هـ/الموافق سبتمبر ١٩١٠م إلى مبارك الصباح أمير الكويت يطلعه على عزمه هذا ، ويطلب منه أن يمده ببعض المساعدات الضرورية . ولكن مبارك الصباح تباطأ في الرد عليه ، لأنه غير راض بذلك .

وعندما تأخر عليه رد مبارك خرج الشريف حسين بن على في عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م بقوة كبيرة من عتيبة وبوادي الحجاز والقوات النظامية ، ونزل القويعية فأقام بها ، وبعث بالرسائل إلى ابن رشيد يستنجده ضد الإمام عبدالعزيز آل سعود (٢) .

ولما وصلت رسائل الشريف حسين إلى ابن رشيد يطلب منه النجدة فما كان في وسعه إلا أنه جهز قوة قوامها ثمانمائة مقاتل من أهل حائل ، لنجدة الشريف ، وبهذا العمل خرق اتفاقية الصلح التي عقدت بينه وبين الإمام عبدالعزيز آل سعود .

فعندما أمر قوته بالتحرك ، كتب وكيل ابن رشيد زامل السبهان كتاباً إلى أمير القصيم عبدالله بن جلوي ، يقول له : (إن بيننا وبين الشريف حسين معاهدة تضطرنا إلى مساعدته) (٣) .

وهكذا لم يكن الشريف حسين يرغب في الحرب ضد الإمام عبدالعزيز آل سعود وأهل نجد ، وإنما كان قصده الحقيقي هو إزعاج ابن سعود واضطراره إلى الخضوع لشروط يحددها الشريف نفسه ، ويفرضها على الإمام عبدالعزيز آل سعود ، ليحقق أمنية وعد بها من الدولة العثمانية فقط .

وعلى كل حال ، فقد تحركت قوات الشريف حسين ووصلت الشعراء أول قرى

---

(١) خيرالدين الزركلي : شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبدالعزيز ، ج١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) عمر بن غرامة العمروي : المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية ، ج١ ، ص ٨٠ .

(٣) إبراهيم بن عبيد العبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

نجد ، وعندما سمع الإمام عبدالعزيز آل سعود خبر الحملة ، بعث أخوه سعد بن عبدالرحمن يستنفر حاضرة بوادي نجد في الوشم والشعراء وماحولها ، وعندما وصل سعد إلى الشعراء هاجمته فرسان من عتيبة تابعة للشريف حسين حينذاك ، فظن أنهم سيكونون معه ، فلما أدركوه وعلم بقصدهم حاول الإفلات منهم ، لكنهم بعثوا وراءه رسولاً بمائة فارس فقبضوا عليه وأتوا به إلى الشريف حسين كرهينة (١) . وبالرغم من هذا الاعتداء من جانب الشريف حسين على مناطق تابعة لآل سعود إلاّ أن الإمام عبدالعزيز آل سعود خاف على اخيه سعد وأخر أثر الدخول معها ، وقام بمراسلته ومخاطبته بالود وأخيراً تدخل خالد بن لؤي في إطلاق سراح أخوه من الأسر (١) .

وفي شهر ربيع الأول ١٣٣١هـ/ابريل ١٩١٣م ، أنتهز الإمام عبدالعزيز آل سعود فرصة انشغال العثمانيين بحربهم في البلقان ، فخرج بقوة كبيرة من أهل الرياض ، وبعض القبائل النجدية الموالية له ، وسار بهم من الرياض إلى الخرج قاصداً الأحساء ، بعد ما تهيئت له الفرصة ، حيث تم له استرداد الأحساء بالرغم من وجود القوات العثمانية التي تفوق قواته عدداً وعدة وقوة ، والذي امر بترحليها إلى البصرة في الخامس من جمادى الأولى ١٣٣١هـ/الثالث عشر من إبريل ١٩١٣م وبعد أن دخلها أمر قواته أن تتقدم إلى العقير ، حيث استولى عليها ثم اتجهت إلى الشمال حيث تمكنت من دخول القطيف وعلى اثر ذلك فر أفراد الحامية العثمانية منها إلى البحرين ، وبذلك خضعت المنطقة الممتدة من الكويت شمالاً حتى قطر جنوباً تحت الحكم السعودي ، ولم تجد الدولة العثمانية أمامها من سبيل لتسوية الأمور مع الإمام عبدالعزيز آل سعود ، سوى التفاوض معه عن طريق الوالي العثماني في البصرة بواسطة السيد طالب النقيب الذي حاول ان يدخل في مفاوضات مع الامام ، لكنه رفض التدخل في شئون المناطق الخاضعة له .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م وانضمت الدولة العثمانية إلى دول الوسط ضد بريطانيا وفرنسا ، أزداد الموقف حرجاً بالنسبة له ، وبخاصة بشأن علاقاته مع الاتحاديين الذين حولوا الدولة العثمانية إلى دولة علمانية ، وساندوا خصميه ابن رشيد في حائل ، والشريف حسين في الحجاز ، ومساندتهم لهما وإمدادهما بالسلاح والمال ضد المناطق والقبائل الخاضعة لسيادته ،

---

(١) محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢٨٦ .

(٢) إبراهيم بن عبيدالعبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

فأحس الإمام عبدالعزيز آل سعود بخطر الحرب على البلاد العربية وقام بتوجيه دعوة عامة لأمراء العرب للإجتماع معهم لمناقشة الأوضاع المستجدة ، وتوحيد كلمتهم لمجابهة التيارات المعادية للإسلام ، وخاصة من الدول الاستعمارية الكبرى التي تتربص بهم لإستنزاف خيراتهم . ولكنه لم يصل إلى نتيجة لحل هذه المشكلة .

وعندما أقتنع الإمام عبدالعزيز آل سعود بأن بعض الحكام المحليين في شبه الجزيرة ومنهم الموالين للعثمانيين لايريدون الاتفاق معه ، مما جعله يتجه إلى ترسيخ دعائم دولته ، فعمل على إقامة الهجر للقبائل النجدية لتوطينها والاهتمام بالزراعة والاستقرار ، وصارت هذه الهجر بمثابة تجمعات دينية وعسكرية وعمرانية حضارية ، فكان لسكانها دور كبير في الدفاع عن الوطن إذا ما طلب منهم الإمام عبدالعزيز آل سعود حينما تتعرض دولته لأي اعتداء خارجي ، ولقد قام هؤلاء بدورٍ بارزٍ في الحرب التي خاضها الإمام عبدالعزيز آل سعود آنذاك ضد أعدائه (١) .

---

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب ، ج١ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

ب - الثورة العربية (دوافعها)

يمكن تصنيف الدوافع التي أدت إلى قيام الثورة العربية ضد الدولة العثمانية إلى عدة عوامل ، ومنها :

١ - العوامل الشخصية الداخلية والخارجية : لقد ظهرت بعض الخلافات الشخصية بين الشريف حسين والقيادات الاتحادية في الدولة العثمانية بسبب السياسة التي درج الاتحاديون على إنتهاجها حال توليهم مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ، والتي لم ترض الشريف حسين في الحجاز ، ومنها : محاولاتهم المتكررة للقضاء على نفوذه في الحجاز ، وقد أشتد الخلاف ووصل ذروته ، عندما أراد الاتحاديون عزله عن إمارة مكة المكرمة والقضاء عليه ، بعدما كشفوا أطماعه في الاستقلال بالحجاز ، مما جعلهم يعينوا وهيب باشا المعروف بشدته قائداً عسكرياً ووالياً على الحجاز [(١)] . ولكن الشريف حسين كشف مهمته من المحفظة السرية التي سقطت منه والتي تتضمن مراسلات سرية بين الوالي في الحجاز والحكومة العثمانية في اسطنبول حول التخلص من الشريف حسين وابناءه وأن يقضي على المتمردين في الحجاز[(٢)] . أما العامل الخارجي فيعود إلى حملة الإعدام والنفي والاعتقالات التي نفذها جمال باشا في صفوف زعماء الحركة العربية في الولايات العربية السورية ، والتي كانت عاملاً قوياً في اثارة مشاعر الحسين وإيجاد نوع من عدم الرضا في نفسه ، خاصة بعدما اتصل بالمسئولين في الحكومة العثمانية واوفد إليهم ابنه فيصلاً الذي طالب بالعفو العام عن جميع المتهمين السوريين ، ولكن الاتحاديين لم يوافقوا على العفو العام عنهم أو إعطاء سوريا ما تطلبه من نظام اللامركزي [(٣)] .

ولقد أشتد الخلاف بعد هذه الاتصالات التي قام بها الشريف حسين بواسطة نجله فيصل والذي استغل مروره بدمشق أثناء زيارته إلى اسطنبول ، فأتصل بالزعامات العربية السورية في دمشق ، وعقد معهم عدة اجتماعات ، واتفقوا معه على إعلان الثورة ضد القيادات الاتحادية المسيطرة على البلاد وحمّلوه وثيقة

---

(١) خير الدين الزركلي : ما رأيت وما سمعت ، (الطائف ، مكتبة المعارف ، ١٣٩٨هـ) ، ص ٢٧ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ١٢٣ .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٣ ؛ خيرية قاسمية : العلاقات العربية في بلاد الشام التركية من خلال مذكرات أوراق فوزي القاوقجي ١٩١٢ - ١٩١٨م ، (بحث مقدم للمؤتمر الثالث للعلاقات العربية التركية ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٩٨٥م) ، ص ١٤ ؛ عبدالعزيز عوض : الاتجاهات السياسية في بلاد الشام ، (إربد ، الأردن ، ١٩٨٣) ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

يطلق عليها ميثاق دمشق (١) ، وهي تحمل شروط الانضمام للشريف حسين وقبول زعامته وقيادة الثورة ، والتي أستغلها الشريف حسين لأغراضه الشخصية ، بعدما أتفق مع الحكومة البريطانية على المساندة مالياً وعسكرياً ضد حكومة الاتحاديين في ثورته ، حيث تبادل الحسين مع الحكومة البريطانية عشرة رسائل ، كانت أولها من الشريف حسين في الثامن والعشرين من رمضان عام ١٣٣٣هـ/الرابع عشر من يوليه عام ١٩١٥م ، وآخرها رسالة مكماهون الجوابية المؤرخة في السابع من جمادى الأولى عام ١٣٣٤هـ/الحادي عشر من مارس عام ١٩١٦م (٢). وكان الشريف حسين يحلم بان يكون ملكاً على دولة عربية مستقله وبمساندة بريطانيا في الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية توعد الشريف والزعماء الآخرين الأوهام مقابل أن يعلنوا الحرب على الدولة العثمانية (٣) .

٢ - العوامل المحلية : الأوضاع الاقتصادية في الحجاز ، فعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، قبل موسم الحج بثلاثة أشهر ، كان البريطانيون خلال تلك الفترة غير واثقين من إخلاص الدولة العثمانية لهم ، ليقينهم أنها متحالفة أو ستتحالف مع الألمان ، فضربوا الحصار على سواحل البحر الأحمر(٤) . فتعطل الموسم وتوقف سفر الحجاج إلى الحجاز ، وأحس الحجازيون بالضائقة المالية ، ومع إستمرار الحرب ، تدهورت حالة الحجاز الاقتصادية ، حيث زادت الفاقة والجوع لأهالي الحجاز ، وبدلاً من أن تقدم الحكومة المعونة وتمدهم بالأغذية والأموال ، راحت تطالبهم بدفع قسط من المال والسلاح ، فزاد الأمر سوءً في الحجاز ، مما أضطر الأهالي إلى بيع أبواب بيوتهم من شدة الجوع ، ومن البديهي أن الخروج من تلك الحالة المخيفة إنما كانت بمحالفة بريطانيا ، والتفاهم معها لإلغاء قيود الحصار البحري عليهم ، حتى تعود

---

(١) أنظر تفاصيل ميثاق دمشق ، مصطفى الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) أنظرتفاصيل الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون في حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية من ١٩١٥-١٩٤٦م ، ص ٧-٢٣ ؛ وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ٢٥-٤٠ .

(٣) مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية و التطبيق ، ص ١٠٩ .

(٤) خير الدين الزركلي : ما رأيت وما سمعت ، ص ٢٨ .

البواخر إلى ارتياد سواحل الحجاز حاملة إليهم الحجاج والأموال (١) .

٣ – العوامل الدينية : إن الإسلام حفظ للأمه الإسلامية حقها ، وقدرها ، فعندما جاء الاتحاديون وأستولوا على السلطة في الدولة العثمانية ، وسلبوا من السلطان عبدالحميد الثاني جميع سلطاته ، وابتعدوا عن التقيد بالتعاليم الإسلامية ، وساروا على سياسة عنصرية محضة ، وجاهروا في أقوالهم التي نشروها في الكتب والصحف التي جاهرت بالطعن في الإسلام ، مثل كتاب (قوم جديد) ، الذي أشتهر بما فيه من الكفر والضلال والاضمحلال ، ومجلة (اجتهاد) التي شوهت سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وحطت من قيمته أثناء كلامها بلهجات مخالفة للإسلام ، ومن أفعالهم أنهم أبطلوا الصلاة في المدارس الحربية ، والحقوها بإصدار الأوامر إلى الجنود في مكة والمدينة المنورة وبلاد الشام تجبرهم بعدم الصوم في رمضان ، ومما زاد الطين بله لجؤهم إلى خلق البدع والأحداث في الإسلام (٢) .

فكانت هذه الأقوال والأعمال التي صدرت من القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية دافعاً قوياً للشريف حسين على إعلان الثورة ضدهم على اعتبارهم كفاراً حادوا بالدولة عن طريق الدين ومنهج الشرع القويم ، ومهدوا السبيل للمرور منه على الدين الإسلامي وإحتقار أئمته . وأعتبر الناس أن هذه التصرفات التي صدرت من الاتحاديين إهانة بالدين الإسلامي ، وذلك حسبما جاء في المنشور الذي أعلنه الشريف حسين يبين لهم فيه أسباب الثورة (٣) ، كما أن الواقع أثبت أن أحمد جمال باشا هو المسؤول عن إزهاق العشرات من أرواح الأبرياء ، وتشريد العائلات العربية من الولايات العربية في سوريا ، وكان معروفاً بميوله إلى الطورانية التي كانت تقاوم الدين الإسلامي .

٤ – البلاد العربية كانت في موقعاً استراتيجياً جعل الدول الأوروبية تستغل مكانة الشريف حسين في مكة وتشجعه على الثورة ضد العثمانيين ليتخلص منها ، حيث كان البريطانيون يدركون أهمية

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ١٠٥ .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٦١ ؛
Zeine, Zeine N.: op. cit, P. 87 .

(٣) أنظر تفاصيل منشور الشريف حسين حول أسباب إعلان الثورة ، حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٧٧-٨٥ .

البلاد العربية من الناحية الاستراتيجية ويولونها اهتماماً زائداً ، غير أنهم كانوا على علاقة ودية مع الأتراك أيضا ، ولهذا فقد أظهر البريطانيون في البداية لعبدالله بن الحسين في اتصالاتهم الأولى عدم رغبتهم في مساعدة العرب على الثورة ضد الحكومة العثمانية نظراً للعلاقات الوديه التي تربط بين البلدين ، وعندما أعلنت تركيا الحرب مع الألمان ورأوا الخطر الذي يهدد مصالحهم في المنطقة العربية ، أخذ الساسة البريطانيون يصرفون كل همهم إلى منع حصول أي اتصال بين العرب والعثمانيين أولاً ، ثم استمالة العرب إلى جانبهم (١) .

ونظراً لتهديد القادة الاتحاديون للمصالح البريطانية في منطقتي قناة السويس والخليج العربي ، فإن بريطانيا صارت تقدر أهمية موقف العرب بالنسبة لها ، وكان ستورز (Storrs) المعتمد البريطاني في مصر أول من رأى وجوب استغلال التوتر السائد بين الشريف حسين والعثمانيين لصالح حكومته ، وهذا مما زاد من تدعيم هذا الرأي الخطر الناجم عن وجود البعثة العسكرية الألمانية في الحجاز ، والتي كانت تهدد باحتلال عدن ، وقطع المواصلات على البحر الأحمر ، وهذا مما جعل أيضاً الحكومة البريطانية تتجاوب مع الشريف حسين وتقوم بإرسال رسالتين إلى عبدالله بن الحسين في الحجاز ، تعرض فيهما تقديم المساعدات اللازمة للعرب ، في حالة اعلان الثورة على الدولة العثمانية ، وذلك لنيل الاستقلال التام عن سلطة الاتحاديين .

وبعد الهجوم العثماني على قناة السويس ، في الثامن عشر من ربيع الأول عام ١٣٣٣هـ/الثاني من فبراير عام ١٩١٥م ، أعلن السير مكماهون (Macmahon)(*) في الثامن عشر من رجب عام ١٣٣٣هـ/الأول من يونيه عام ١٩١٥م بأن بريطانيا تنوي بعد الانتهاء من الحرب مساعدة العرب ، من أجل نيل استقلالهم والاعتراف بالخلافة العربية بدلاً من الخلافه العثمانية .

---

(١) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ، ص ٧٥ .

(*) مكماهون (Macmahon) : بريطاني الأصل يشغل منصب المندوب السامي البريطاني في مصر والسودان ، وبعد إعلان الشريف حسين الثورة كان المسئول عن السياسة لها ، دخل في المراسلات الهامة المعروفة بين الشريف حسين وبريطانيا والتي استمرت تسعة أشهر لتحديد نقاط التفاهم بين الجانبين ، ثم عينته بريطانيا ممثلاً لها في لجنة التحقيق الدولية - كراين التي أرسلت لتقصي الحقائق في سوريا ولبنان ولكن بريطانيا سحبت مندوبها من اللجنة بعدما سافرت اللجنة إلى بلاد الشام للاستفتاء ، أنظر ، حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٠ .

ولقد أعطت هذه الوعود دافعاً قوياً للشريف حسين وبعض الزعماء العرب في سوريا بإعلان الثورة على الدولة العثمانية ، وانضمامهم في الحرب إلى جانب البريطانيين ، ولكن لم يعلموا أن ذلك مجرد خدعة استعمارية بريطانية .

أما الدوافع التي جعلت الثورة تنطلق من الحجاز بدلاً من الولايات العربية الأخرى كبلاد الشام وغيرها إلى عدة عوامل دينية واستراتيجية وتاريخية .

فمكة أقدس مكان في العالم العربي والإسلامي ، وإليها ترنو أفئدة المسلمين ، وبهذا تعتبر مهد العرب ومصدر هجراتهم ، مما جعل أحرار العرب يلتفتون إليها ، ويعتبرونها المكان المناسب لتحمل أعباء الثورة على العثمانيين (١) .

كما أن قرب بلاد الشام من اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية ، وسهولة المواصلات بينهما يسهل للجيوش الاتحادية القضاء على أية حركة تقوم في بلاد الشام ، بينما يمتاز الحجاز ببعده عن الدولة ، ووعورة أرضه وصعوبة مواصلاته ، مما يعرقل حركة الجيوش العثمانية المعادية وتنقلاتها في الحجاز .

كذلك فإن سياسة أحمد جمال باشا التعسفية ، والمتمثلة في شنق واعتقال ونفي وتجويع ، أوجدت حالة من القلق بين الأهالي في سوريا ، فأشاعت اليأس في النفوس ، وبعثت الرعب والفزع في القلوب ، مما حال دون التفكير باشعال الثورة في سوريا ، ولا سيما أثناء وجود الجيش الرابع العثماني ، وإبعاد جميع القوات العربية إلى جبهات القتال في الدردنيل والقوقاز ، وإحضار قوات عثمانية محضه بدلاً منها .

كما أن طبيعة أرض الحجاز وسكانه ، شجعت على انطلاق الثورة فيه ، وذلك لأن الشعب كان يعيش منذ زمن بعيد حياة بدوية قاسية ، واعتادوا على الحروب ، ولذلك لهم صبر على المتاعب وإجادة حروب العصابات بين الجبال والصحارى .

كل هذه الأسباب أدت إلى إشعال نار الثورة العربية من أرض الحجاز ، ومن ثم لتنتشر إلى بقية مناطق بلاد الشام .

---

(١) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ، ص ٤٠ .

الفصل الأول

العلاقة بين حكومة الشريف حسين في الحجاز وسوريا قبيل وأثناء الانتداب الأوروبي .

أ - علاقة الحجاز بسوريا قبيل الثورة الحجازية .

ب - العلاقات الحجازية السورية أثناء قيام الثورة العربية ١٣٣٤-١٣٣٨هـ /١٩١٦-١٩٢٠م .

جـ - الموقف السياسي للحجاز من الاحتلال الفرنسي لسوريا ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م .

د - موقف حكومة الحجاز من أحداث المعارضة السورية للانتداب الفرنسي عام ١٣٣٩-١٣٤٠هـ /١٩٢١-١٩٢٢م .

أ- علاقة الحجاز بسوريا قبيل قيام الثورة الحجازية :

١٣٣٤هـ/١٩١٦م

كانت العلاقات بين الحجاز وسوريا طول فترة الحكم العثماني علاقة قوية ومتينة ، وتتمثل هذه العلاقات في جميع المجالات الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وقد استمرت هذه العلاقات بين البلدين حتى بعد استيلاء حزب الاتحاد والترقي على السلطة في سوريا والحجاز عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٩م واتبعوا سياسة تعسفية ضد السوريين ، مما أدى إلى زيادة نشاط أعضاء الجمعيات العربية في سوريا وتوسعت الاتصالات بين البلدين الشقيقين من أجل التخلص من حكم الولاة العثمانيين الجائر عليهم بعد استيلاء العناصر الاتحادية على السلطة .

ومن خلال التتبع التاريخي لتلك العلاقات أثناء سيطرة القادة الاتحاديين على الحكومة العثمانية ، نجد أنه جرت عدة اتصالات سرية بين القيادات السورية والشريف حسين في مكة المكرمة قبل قيام الثورة عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م .

ففي موسم حج عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م أجرت بعض الشخصيات السورية عدة مقابلات سرية مع شريف مكه ، لمناقشة الأوضاع السياسية المتدهورة في الولايات والمتصرفيات السورية ، هذا بالإضافة إلى اللقاءات الودية التي قام بها ابنه عبدالله في نفس العام مع السوريين مستغل مروره بدمشق ، حيث أرسله الشريف حسين إلى اسطنبول لمقابلة أعضاء الحكومة العثمانية نيابة عنه لمناقشة الوضع السياسي المتدهور في سوريا والحجاز ، واستغل وجوده في اسطنبول ، وقام بعدة مقابلات مع الزعماء السوريين الموجودين في اسطنبول ، ومنهم كبار العسكريين العرب الذين نقلتهم القيادة العامة في الحكومة العثمانية من سوريا قصراً إلى اسطنبول ووجد منهم الرغبة للاجتماع معهم لمناقشة بعض الأمور التي تهمهم ، مما جعله يتقرب إليهم ويعقد معهم عدة مباحثات ناقش خلالها بعض التطورات السياسية التي طرأت مجدداً على الساحة السورية ، فأوضحوا له سوء الموقف السياسي المتدهور في سوريا نتيجة لأعمال البطش والقمع التي تمارس ضد المواطنين السوريين في كافة المناطق السورية .

ولقد تأثر الشريف عبدالله بما سمعه وهو في اسطنبول من تعسف القيادات العثمانية المتأثرة بالعناصر الاتحادية ، فاستعجل العودة إلى الحجاز لعرض ما سمعه ورأه على والده . وعند وصوله إلى مكة المكرمة عن طريق القاهرة ، عرض نتائج مباحثاته التي اجراها مع الزعماء السوريين الموجودين في اسطنبول على والده ،

حيث أوضح له معاناة السوريين في المنفى ، وحثه على سرعة التدخل لإنقاذهم من تسلط الاتحاديين ، الذين لجأوا إلى إعدام ونفي بعض الشخصيات السورية البارزة إلى المناطق العثمانية البعيدة عن الولايات العربية .

وطالبه أيضاً أن يستغل مكانته في الحجاز (لوجود الحرمين الشريفين فيه) ، وأن يوجه نداءً عاماً إلى العالم الإسلامي والعربي ، يوضح لهم فيه الموقف المتوتر في سوريا ، وأن يحاول إقناع الحكومة البريطانية بان تتراجع عن موقفها السلبي تجاهه ، لإنها سبق وأن أبدت تحفظها على مساعدته ضد سياسة القيادات الاتحادية التعسفية في الولايات السورية ، بحجة أن بينها وبين الدولة العثمانية صداقة قديمة ، ولا يمكن للحكومة البريطانية إعلان عدوانها على العثمانيين ، لأنه ربما يتعارض مع مطامعها في المنطقة . إلاّ أن الشريف حسين أخذ الأمور بحذر شديد ، خاصة وأن سكان الحجاز يعتمدون في معيشتهم خلال فترة الحج على وفود الحجاج ، وبعض الواردات التي تأتي من بلاد الشام ، ولو أنه أعلن تمرده أو أظهر عداءه للدولة العثمانية التي أصبحت العوبة في يد القادة الاتحاديين لقطعوا الواردات السورية عن الحجاز ، وبهذا يقع في ضائقه مالية ، مما يسهل عليهم القضاء عليه (١) . وقد اكتفى بمراقبة الأحداث في الولايات العربية السورية بحذر شديد ، وتوسيع نشاط إتصالاته بالمعتمد البريطاني في القاهرة وبالمواطنين السوريين في دمشق .

وبعدما بدأت القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية تنادي العرب بالجهاد المقدس ضد الدول الأوربية عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م ، لاحظت بريطانيا ظهور تيار إسلامي شديد النزعه الدينية ، يعمل على التفاهم مع العناصر الإسلامية للإستجابة لنداء الحرب الدينية ضد الدول الأوربية بسبب ما عرف عن أطماعها الاستعمارية في الأقطار العربية ، وكان هذا التيار تغذيه التوجيهات الإسلامية التي أنطلقت من مفهوم الخلافة (٢) . وهذا مما جعل الحكومة البريطانية تتراجع عن موقفها تجاه العثمانيين ، وقامت بمحاولة إضعاف مركزهم العسكري في سوريا ، لأنها كانت لها أطماع كبيرة في البلاد العربية ، والعمل على تلبية نداء العرب .

وعندما أندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، دخلت الدولة العثمانية

---

(١) أمين سعيد : الوطن العربي ، (دار الهلال ، د.ت) ، ص ٥٠ .

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٣٦٣ .

الحرب إلى جانب دول الوسط وكلفت أحمد جمال باشا أحد أقطاب الاتحاديين في الدولة العثمانية ، ووزير البحرية بمهمة عسكرية في سوريا ، على رأس الجيش الرابع (١) ، تستهدف القيام بهجوم على القوات البريطانية المرابطة في قناة السويس ، ثم التوجة إلى سوريا والتمركز فيها لإعادة الأمن والنظام في في الولايات السورية ثم يأتي بعد ذلك دوره في الحجاز (٢) .

ولما وصل إلى دمشق في الثامن عشر من محرم عام ١٣٣٣هـ/الخامس من ديسمبر ١٩١٤م ، بعد أن قام بالمهمة الأولى سارع إلى تسلم عمله الجديد قائداً عاماً للجيش العثماني في الولايات السورية وواليأ عاماً على المنطقة العربية ، وكانت دائرة نفوذه العسكرية والإدارية تشمل جميع البلاد العربية الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى اليمن جنوباً . وقد أتخذ من دمشق مقراً لقيادته العسكرية والإدارية لسرعة الاتصال بحكومته في حالة حصول اي ظرف طارىء . وأول عمل قام به عقد اجتماع مع زعماء قادة بعض الحركات العربية الاصلاحية في سوريا ليبين لهم ما تنوي عمله الحكومة من اصلاحات إدارية وذلك لاستمالتهم ولكسب ودّهم ، ومن ابرز من اشترك في الاجتماعات عبدالكريم الخليل (٣) .

كما أنه أصدر أمراً عسكرياً بتفريق كتيبة ضباط من العرب في دمشق ، وعددها حوالي ثمانين ضابطاً من الشبان العرب كلهم من خريجي المدارس العالية في اسطنبول ، وأمربإرسالهم إلى ميادين القتال في الدردنيل والقوقاز بعيدين عن وطنهم خوفاً من تشجيع الأهالي أو تدبير انقلاب ضده في سوريا (٤) .

وعلى أية حال ، فإنه لم يقم بهذا الإجراء إلاّ بعد ما تأكد من اللقاءات السرية التي تمت بين الشريف حسين في الحجاز ، والزعماء السوريين عن طريق ابنه الشريف عبدالله قبل مجيئه إلى سوريا ، ورأى أن يقوم بهذا العمل لكي يقطع العلاقه بين السوريين والشريف حسين المؤيد لقضيتهم .

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٥٨ ؛ محمد الخير عبدالقادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١١٠ .

(٢) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي . ص ٢٥٩ .

(٣) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٢٨٤؛حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٥ .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٩ .

وبعدما تخلص من معظم العسكريين العرب والزعماء العرب عن سوريا ، بدأ يضع خططه بتوطيد مركزه في الولايات السورية بتنفيذ بعض الاجراءات التعسفيه ضد المواطنين السوريين الأبرياء لإضعاف معنوياتهم (١).

وفي الوقت نفسه ، فإن هذه الأعمال التي نفذها جمال باشا تدل على مدى نواياه العدوانية التي يخفيها للعرب في الولايات العربية السورية وغيرها من الاقطار العربية الاخرى وذلك لتتريك جميع البلاد العربية .

ولقد أدت هذه الأعمال إلى زيادة شقة الخلافات بين العثمانيين والسوريين ، فاضطر السوريون إلى توسيع دائرة نشاطهم بتكثيف اتصالاتهم السرية مع الشريف حسين لمواجهة الحركات الانتقامية الذي يمارسه الوالي العثماني من أجل التخلص منهم (٢).

ولقد طالت دائرة الاعتقالات لتشمل جميع رجال الحركات العربية المعارضة لسياسة الاتحاديين وتأكد للجميع بأنها حركة انتقاميه تعسفية ، مما جعلهم يفكرون في مصيرهم المجهول وأيقنوا من أن أحمد جمال باشا يريد القضاء عليهم وعلى حركتهم في المهد قبل أن تتوسع فعقدوا عدة اجتماعات في دمشق واتفقوا أخيراً على إرسال رسالة سرية للشريف حسين في مكة (٣) . يطلبون منه أن يساعدهم وينقذهم من سياسة القادة الاتحاديين الجائرة عليهم ، ولتحقيق الاستقلال التام لهم ، خاصة وأن الأوضاع الجديدة التي طرأت خلال تلك الفترة في سوريا تمنعهم من القيام بأي حركة ضد الوالي ، وهذا ما جعل بعضهم يتجه إلى الحجاز لما له من مكانة دينية بين العالم العربي والاسلامي لتكوين جبهة معارضة ضد العناصر الاتحادية في الولايات السورية ، وليكون الحسين هو قائدها إذا أحسن النية ووافق على مطالبهم وهو إجراء بعض الإصلاحات الإدارية أو الاستقلال عن الدولة العثمانية (٤) .

---

(١) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي ، ص ٢٥٩ .

(٢) سليمان موسى : في سبيل الحرية وقضة الثورة الكبرى ، ص ٢٢ ؛ جورج انطونيوس : اليقظة العربية ، ص ٢٣٣ .

(٣) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، (دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٦م) ص ٢٣ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٢٧ .

(٤) محمود صالح منسي : موقف أهل الشام من التبعية للحجاز إبان الحرب العالمية الأولى ، (مجلة الشرق الأوسط ، عدد ٢ ، ١٩٧٥م) ، ص ٧٢ .

وفي شهر ربيع الآخرعام ١٣٣٣هـ/يناير ١٩١٥م ، شرع زعماء المعارضة السوريين الموجودين في سوريا بتجديد اتصالهم بالشريف حسين في الحجاز ، حيث استغلت جمعية (الفتاة العربية) المعارضة لسياسة الوالي العثماني في دمشق فرصة سفر أحد أعضائها البارزين من الضباط العرب وهو فوزي البكري (*) شقيق نسيب البكري عضو جمعية (الفتاة) إلى الحجاز فسلموه رسالة خاصة للشريف حسين في الحجاز باسم المواطنين السوريين والعراقيين ومن بينهم كبار الضباط العرب في الجيش العثماني ، فحواها أنهم يسعون الى الاستقلال عن الدولة العثمانية إذا لم تتمكن من إصلاح الإدارة إصلاحاً حقيقياً يجعل البلاد بمأمن من استيلاء الدول الأجنبية الذين يريدون أن ينتهزوا فرصة نفور العرب من العثمانيين لإحتلالها واستنزاف خيراتها ، لأن كل عربي أصبح يعرف نوايا الاتحاديين السيئة في الدولة العثمانية وقصدهم واضح وهو تتريك البلاد العربية . وختموا رسالتهم بطلب للشريف حسين بأن يتولى قيادة الحركة العربية لتأمين حقوقهم في الولايات العربية عامة وسوريا خاصة وإذا وافق على ذلك الطلب فعليه ان يوافق على استقبال وفداً من الجمعية في مكة أو يرسل إلى دمشق مندوبين عنه للاتفاق معهم على طريقة التنفيذ (١) . فحمل فوزي البكري هذه الرسالة إلى مكة المكرمة ، وعند وصوله سلم الرسالة للشريف حسين ، وأوضح من جانبه سياسة الاتحاديين العنصرية التي أخذت تزداد في سوريا على الرغم من وعود الوالي العثماني المتناقضة للأهالي في بداية وصوله الذي وعدهم بمستقبل باهر بعد تنفيذ الإصلاحات الإدارية في الولايات السورية ، وإعطائهم الحرية الكاملة في ممارسة حقوقهم المشروعة في وطنهم (٢) . كما أكد فوزي البكري للشريف حسين بأنهم يحمّلونه مسئولية قيادة الحركة العربية ، وتحمّل المسئولية بدلاً من الاتحاديين الذين شوهوا سمعة العرب أمام العالم الإسلامي (٣) .

(*) فوزي البكري : شاب من أسرة شامية شهيرة في بلاد الشام تم تجنيده حديثاً في الجيش التركي ، وتقلد منصباً شرفياً في حرس الشريف ، ثم أنضم بعد ذلك إلى أعضاء جميعة (الفتاه العربية) ، وحلف اليمين ، ولهذا أرسل من قبل الجمعية التي أصبحت مدينة دمشق مقرها ، أنظر ، محمد كمال يحيي : حركة المعارضه للحكم العثماني في الشرق العربي ، ص ١٦٢ .

(١) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠٣ .

(٢) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى في تاريخ العراق المعاصر ، ص ٦٧ ؛ حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى١٩١٦-١٩٢٠م،ص ٧٣ .

(٣) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٢٧ ؛ Zeine, Zeine. N. : OP. cit, P.4

فأستجاب الشريف حسين بتحفظ على هذا العرض ، ويرجع ذلك إلى النزاع القائم بينه وبين الوالي وهيب باشا في الحجاز الذي اتهمه بتدخله في الشئون الداخليه في الحجاز (١) ، وخشيته من أن تقوم الحكومة العثمانية بتنحيته عن السلطة وإحلال أحد الأشراف الموالين لها محله فيما لو جهر بمعارضته للدولة العثمانية وتأييده للتفوق العربي في سوريا .

ونظراً لتأخر رد الشريف حسين على الرسالة التي تلقاها ، أرسلت القيادة العربية في سوريا رسالة ثانية إلى مكة مع الشيخ كامل القصاب ، الذي سافر إلى الحجاز تحت ستار زيارة الأماكن المقدسة ، فقام بتسليم الرسالة للشريف حسين ، والتي تتضمن مطالب السوريين المتمثلة في رغبتهم في الاستقلال التام عن العثمانيين أو تقديم المساعدة المادية والعسكرية لهم ، وأن يرد عليهم في أسرع وقت ممكن ليستعدوا للتحرك ضد قيادة الاتحاديين في دمشق (٢) .

لكن الشريف حسين لم يرد على تلك الرسائل في بداية الأمر ، بالرغم من تكرر مطالب السوريين له في رسائل أخرى . ولعل تأخر رده على رسائل الجمعيات العربية السورية في دمشق ، راجع إلى تخوفه الشديد من انتقام والي الحجاز وهيب باشا منه ، حيث أنه كان يراقب عن كثب نشاط الشريف السياسي تجاه سوريا بواسطة جواسيسه في الحجاز ، ولربما قد اكتشف بعض الاتصالات السرية التي جرت بينهما نتيجة للضغوط التي كان يمارسها ابنه عبدالله لمساعدة السوريين على أمل أن تخضع له جميع البلاد العربية ، ويكون منها مملكة عربية مترامية الاطراف تحت سلطته ولكنه لم يتم له ذلك إلاّ اذا كشف اتصالات بكل البلاد التي سوف تتكون منها مملكته التي يطمع إقامتها ، ومنها : سوريا والعراق بالإضافة إلى الحجاز (٣) ، وربما يعود تأخره بالرد على زعماء الجمعيات السورية إلى رغبته في انتظار نتائج

---

(١) محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٦٢ .

(٢) محسن محمد صالح : التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨م ، (ط٢ ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ، ص ٧١ .

(٣) محمود صالح منسي : موقف أهل الشام من التبعية للحجاز إبان الحرب العالمية الأولى ، (مجلة الشرق الأوسط ، عدد ٢ ، ١٩٧٥م) ، ص ٧٣ - ٧٤ .

مباحثاته مع بريطانيا ، التي يئست من إمكانية استمالة الدولة العثمانية إلى جانبها في الحرب مع دول الوسط وبدأت تُظهر مرونة في محادثاتها الأخيرة مع نجله الشريف عبدالله ووعدته بالتعاون مع والده الشريف حسين الذي بدأ يتطلع إلى الزعامة على البلاد العربية . فوجدت منه بريطانيا أداة يمكنها بواسطته تحقيق مطامعها في البلاد العربية ، لأنها ترى أنها الوريث الوحيد للدولة العثمانية في المنطقة العربية خدمة لمصالحها الاستعمارية .

ولكن والي وهيب باشا في الحجاز تأكد من العلاقة الوثيقة التي تربط بين الشريف والسوريين عن طريق المراسلات التي تمت بين الطرفين بطرق سرية ، مما جعله يحس بالخطر الذي يحيط به ، فبدأ يرصد تلك التحركات ، وفي الوقت نفسه قام بالضغط على الشريف لإخضاعه للدولة .

وعندما أحس الشريف حسين بما يخطط له الوالي العثماني في الحجاز وهيب باشا احتج ورفع برقية عاجلة في ربيع الآخر عام ١٣٣٣هـ/بداية مارس ١٩١٥م إلى أنور باشا وزير الحربية ونائب القائد العام في اسطنبول يبين فيها مطالب السوريين(٢) ، والتي منها :

أولاً : إعطاء السوريين ما يطلبونه من النظام اللامركزي .

ثانيا : إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين السوريين ، وإعادة المنفيين منهم إلى بلادهم .

ثالثا : جعل إمارة مكة المكرمة ، وراثية في أولاده من بعده ، وإبقائها على حالتها الحاضرة .

كما بين له في هذه البرقية أنه في حالة قبول أنور باشا هذه المطالب ، فيتعهد الشريف حسين بحشد القبائل الحجازية بقيادة أبنائه في ميدان المعارك ، للوقوف بجانب الحكومة العثمانية في الحرب العالمية الأولى .

لكن أنور باشا رفض تلك المطالب وأرسل برقية عاجلة إلى الشريف في الحجاز ، يشير فيها بأن طلب العفو عن بعض المتهمين السوريين وتطبيق نظام لامركزي في سوريا

---

(١) عبدالعزيز نوار : وثائق سياسية من تاريخ لبنان الحديث ١٩١٧ - ١٩٢٠م ، (بيروت ، دار الأحد البحيري ، ١٩٧٤م) ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ؛ محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٢٩ .

وبقاء إمارة مكة وراثية لأولاده من بعده أمر خارج عن اختصاصه [١] .

وبعد هذه البرقية السالفة الذكر تأكد الشريف حسين من نوايا العناصر الاتحادية تجاه الحجازيين والسوريين معاً ، وأبدى رغبته في زيادة التعاون مع السوريين لتقريب وجهات النظر عن طريق ممثلي الحركات العربية في الجمعيات العربية المنتشرة في المناطق السورية ، لمعرفة وجهات النظر والأهداف التي يسعون إلى تحقيقها ، إلاّ أنه كان حذراً في تعامله معها ، تحسباً من احتمال تسوية خلافاتهم مع الحكومة العثمانية .

ولذلك قام بدراسة الأمر بجد وعزم مع مستشاريه في مكة المكرمة وبعدها أجرى عدة لقاءات سرية مع الزعماء السوريين لتبادل الآراء حول التطورات الجديدة لمعرفة بعض الجوانب العدوانية التي يشكو منها السكان في الولايات السورية ، وبعد أن اتضح له الأمر سارع إلى رفع برقية إلى الصدر الأعظم طالباً منه السماح له بإيفاد أحد أبنائه إلى اسطنبول نيابة عنه ليعرض عليه بعض المطالب السياسية ، ومنها : إيقاف الاعدامات والنفي التي تنفذ في حق المواطنين السوريين [٢] ، وكذلك عرض الخلافات التي طرأت مؤخراً بين الشريف حسين ووهيب باشا في أوائل عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م كخطوة أولى في سبيل الوصول إلى تحقيق أهدافها [٣] .

وقد وافق الصدر الأعظم على طلب الشريف ، فاختار ابنه فيصل نيابة عنه بالسفرللتباحث مع الحكومة العثمانية ، وكانت مهمته محدودة في العاصمتين : الأولى في دمشق عاصمة الولايات العربية السورية التي اصبحت تحت سيطرة أحمد جمال باشا ، والثانية في اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية ومقر الحكومة [٤] ، ومن هذه المهمات مايلي :

اولا : الاتصال بالزعماء السوريين في دمشق ، ومعرفة قوة الحركات العربية المعارضة لسياسة القائد العثماني المتاثر بحزب الاتحاديين فيها ، ومدى جدية موقفهم من العرض الذي قدمته بريطانيا لوالده وهو الدعم المالي والعسكري ضد الدولة العثمانية وضمان

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) محمد كمال يحيى : المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٦٣ .

(٣) محمود صالح منسي : موقف أهل الشام من التبعية للحجاز إبان الحرب العالمية ، (مجلة الشرق الأوسط ، عدد ٢ ، ١٩٧٥م) ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج٢ ، ص ٦٠١ .

استقلال البلاد العربية ، ومعرفة مالديهم من خطط يسيرون عليها في المستقبل .

ثانيا: الاتصال بالصدر الأعظم سعيد حليم ، وتسليمه الأوراق السرية ، التي عُثر عليها في محفظة وهيب باشا في الحجاز ، والتي تثبت سوء نية الحكومة العثمانية من المخابرات التي وجدت فيها نحوه (١) .

ثالثا: دراسة الأوضاع السياسيه في الحجاز والولايات العربية السورية مع الحكومة في اسطنبول ، والاتصال بمن يمكن الأتصال بهم من رجالاتها المعتدلين تجاه السوريين ، وبعض الشخصيات العربية السورية التي نفتهم الحكومة العثمانية ، وأخذ آرائهم فيما يجب العمل به تجاه الموقف السياسي الجديد الذي طرأ مؤخراً على الساحة السورية ، وفي الوقت نفسه ، يبدي للقائد احمد جمال باشا في هذه الزياره ولاءالشريف حسين لحكومة العثمانيين ومدى ارتباطه بها (٢)، مع أن مهمته الرئيسيه كانت الاتصال سراً بالزعماء السوريين في دمشق لتوثيق روابط العلاقات معهم .

وفعلاً سافر فيصل بن الحسين إلى دمشق ، لتحقيق الجزء الأول من مهمته الرئيسية التي سافر من أجلها ، وكان وصوله لها في الثاني عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٣هـ/السادس والعشرين من مارس ١٩١٥م ، فأستقبلهُ هناك أحمد جمال باشا وقدم له مظاهر الترحيب والود ودعاه للإقامة في مقر القيادة العامة . ولكن فيصل اعتذر له خوفاً من أن يكشف أمره ، وفضَّل أن يحل ضيفاً على آل البكري بعيد عن أعين المسئولين العثمانيين (٣)، وقد مكث في دمشق حوالي أربعة أسابيع قبل أن يتوجه إلى اسطنبول.

وخلال الفترة التي قضاها فيصل في دمشق ، عقد عدة اجتماعات سرية مع رجال الحركات العربية السورية المعارضة لسياسة جمال باشا ، واطَّلع على أسرارها وأهدافها (٤) ، وقام بزيارات خاطفة لبعض السوريين البارزين في جمعية (الفتاة)

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٥٤ .

(٢) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣ ؛ طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ – ١٩٢٥ م ، ص ٥٢ .

(٣) Petran , Tabitha : op. cit, p.53;
محمد ثابت الشاذلي : المسألة الشرقية " دراسة وثائقية "عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩–١٩٢٣ ، (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٢٧٥؛ يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، (ط٢ ، بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٨٠م) ، ص ١٤٤ .

(٤) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ٢٣٦.

في دمشق ، لمعرفة مدى صدق موقفهم من والده الذي أيد استقلالهم لصالحه ، واستنكر الأعمال القمعية التي يرتكبها أحمد جمال باشا ضد المواطنين السوريين ، وإهماله لمطالب الأهالي في سوريا ومنها الاصلاحات الادارية [١] .

وبعد هذه المباحثات التي تمت بين الطرفين تم الاتفاق على عقد اجتماع قبل السفر إلى اسطنبول مع أعضاء جمعيتي (العربية الفتاه) و (العهد) ، وخلال تلك الاجتماعات جرى تبادل وجهات النظر بين الجانبين بحذر وحرص شديدين ، وقد تردد السوريون كثيراً في البداية بما يريدونه ، لأن الشريف حسين لم يوضح موقفه الفعلى تجاههم خلال تلك الفترة مع أنه استنكر الأعمال التعسفية ضدهم في بداية الأمر ، كما أن ابنه فيصلاً كان غريباً في تعامله معهم ، وكان معروفاً بميوله للعثمانيين سابقاً بعكس أخوه عبدالله الذي يميل إلى البريطانيين ، لذا كان الجميع يتحدثون معه بحذر وتحفظ شديدين ، مما جعل فيصلاً يسارع إلى الإعلان عن موقفه المؤيد تجاههم والمعارض لسياسة الوالي العثماني [٢] ، وأكد لهم بان تفضيله للعثمانيين في السابق كان ناجماً عن مخاوفه الشديدة من أطماع بريطانيا في جنوب العراق ، وأطماع فرنسا في بلاد الشام ، وهي أطماع معروفة للجميع ، كما أن العروض التي قدمتها بريطانيا لوالده لم تعط أي ضمانات صريحة له تبدد مخاوف العرب . فأجابه ياسين الهاشمي أحد ممثلي المنظمات العربية السورية ، بقوله : (بأن سوريا لاتحتاج إلاّ لزعيم عربي قوي يدافع عن الحقوق العربية في الولايات السورية ، وقد وقع الاختيار على الشريف حسين لترأس الحركة السورية ضد الاتحاديين) [٣] ، وبعد هذا التصريح تغير مجرى الحديث ، إذ دل على أن وحدة المشاعر بين الشريف فيصل ومحدثيه من السوريين متطابقة ، وبدأ السوريون في شرح الأسباب التي دفعتهم إلى تكثيف الاتصال بالشريف حسين في الحجاز لمساعدتهم ضد ظلم العناصر الاتحادية المسيطرة على المناطق السورية ، ورأوا أنه بإمكانه مساعدتهم للخروج من محنتهم لوجوده في مكة المكرمة أطهر بقعة على وجه الأرض ولقرب الحجاز من سوريا .

---

(١) محمود صالح منسي : موقف أهل الشام من التعبية للحجاز إبان الحرب العالمية الأولى ، (الشرق الأوسط ، عدد ٢ ، ١٩٧٥م) ، ص ٧٤ .

(٢) محمود صالح منسي : حركة اليقظه العربية ، ٢٨٧ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٦ .

وقد وجد فيصل أن هذه الفرصة المناسبة التي طالما ينتظرها والده ليزيد من اطماعه ، مما يسمح له بتولي الزعامة على البلاد العربية وتوسيع رقعة بلاده مستغلاً الخلافات القائمة بين القيادات الاتحادية والسوريين وتأييد بعض القيادات العربية في بلاد الشام (١).

وبعد أن تطابقت الآراء وتوطدت العلاقة بين فيصل والزعماء السوريين في دمشق ، سادت روح المودة والتفاهم وكخطوة عملية في تأكيد هذا الترابط المتطلع إليه ، انضم الشريف فيصل إلى عضوية الجمعيات السورية ، وحلف اليمين ثم أجتمع بأعضاء جميعة (العهد) ، وهي المنظمة السرية التي تضم معظم ضباط الجيش من السوريين (٢) ، فأوضحوا له بأنهم يرغبون الانفصال عن الدولة العثمانية ، والارتباط بالشريف حسين . ولكن الرغبة كان يكبحها الخوف من المطامع الفرنسية والبريطانية والإيطالية والروسية (٣).

وبهذا التصريح لمس الشريف فيصل الرغبة الصادقة من السوريين في التخلص من الاتحاديين ، وأوضح لهم من جانبه موقف والده في الحجازمن معارضته الشديدة لمبدأ الظلم والتعسف من العناصر الاتحادية للسوريين . كما كشف لهم سبب سفره إلى اسطنبول .

وبعدما تاكد فيصل من تقارب وجهات النظر بينه وبين الزعماء السوريين اشار لهم بإعجابه الشديد بما شاهدُه خلال إقامته في دمشق من حماس شديد حول توطيد العلاقة بينهم وبين والده ، وأبلغهم بان كتشنر (Kitchener) رفع رسالة من القاهرة إلى والده في الحجاز تضمنت الرسالة وعداً بانه إذا انحاز إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية فان الحكومة البريطانية تضمن تأمين سلطته كشريف يتمتع بكافة حقوقه وامتيازات الشرافة ، كما تضمنت(٤) وعداً بمساعدة العرب في محاولاتهم نيل الحرية بشرط تحالفهم مع بريطانيا (٥). ثم ترك لهم حرية مناقشة الموضوع ، وغادر دمشق إلى أسطنبول ليعرض الجانب الظاهري لمهمته مع الحكومة العثمانية ، فوصلها في الثامن من جمادى الآخر عام ١٣٣٣هـ/الثاني والعشرين من إبريل عام ١٩١٥م (٦) ، حيث أستقبل استقبالاً

---

(١) سليمان موسى : في سبيل الحرية قصة الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢ .
(٢) Petran, Tabitha: op. cit, p. 53 .
(٣) جورج أنطونيوس : اليقظة العربية ، ص ٢٣٧ .
(٤) إن ماعرضه كتشنر من ضمانات لم تشتمل على أية ضمان كافي حيث أشار فيصل لوالده بأن لفرنسا مطامع في بلاد الشام ولبريطانيا في المناطق الجنوبية من العراق وأن ماعرضه كتشنر يحتاج إلى توضيح أكثر .
(٥) Petran, Tabitha: op . cit, p.53 .
(٦) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٣٦٧.

كبيراً وأجرى عدة إجتماعات مع المسؤلين ، وأبدت السلطات العثمانية استعدادها لتلبية طلباته ، فاستغل توددهم له فأجرى عدة مباحثات مع سعيد حليم الصدر الأعظم ، وطلعت بك وأنور باشا وزير الحربية(١). وعرض عليهم موضوع شكوى والده من وهيب باشا والي الحجاز الذي أصبح يضايقه مضايقة شديدة ويقف حائلاً أمام كل تصرفاته ، ثم أطلع بعد ذلك الحكومة على بعض الوثائق السرية التي سقطت من محفظة وهيب باشا والتي تبين سوء نواياه وحكومته تجاه الشريف حسين (٢)، ثم عرض فيصل بعد ذلك شكوى السوريين من السياسة التعسفية التي درج عليها الوالي أحمد جمال باشا في البلاد العربية السورية ، والتي لا ترضي الحجازيين والسوريين على حد سواء لما تربطهم من أواصر الدم والدين والتاريخ ، وتتمثل هذه السياسة التعسفية التي أرتكبها أحمد جمال باشا الوالي في سوريا ضد السكان السوريين من إعدام ونفي وغير ذلك بهدف القضاء على نفوذ العرب في سوريا .

وقد طلب الشريف فيصل من الحكومة العثمانية إيقاف مثل تلك الأعمال التعسفية في سوريا التي أدت إلى زيادة تذمر الأهالي منها . وفي الوقت نفسه ، حاول التوصل مع الحكومة العثمانية لإيجاد إتفاق يكفل إستقلال الحجاز على أساس اللامركزية الإدارية ، ولكن المسئولين في اسطنبول ألحو له بعدم الرضى عن موقف الشريف حسين من كثرة تدخله في الشئون الداخلية في الحجاز والولايات العربية السورية ، وبمماطلته من تزويد أحمد جمال باشا بالمجاهدين الحجازيين ضد القوات البريطانية في قناة السويس .

وعندما هَّم الشريف فيصل بالسفر إلى الحجاز ، تسلم رسالة من الصدر الأعظم ، وأخرى من طلعت باشا إلى الشريف حسين ، يؤكدون له بأنه لابد من توضيح موقفه تجاه الحكومة العثمانية ، كما يجب عليه إرسال

---

(١) محمود عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٣٣٠ .

(٢) في أوائل شهر فبراير عام ١٩١٥م سقطت حقيبة وهيب باشا أثناء سفره مع الشريف علي بن الحسين من مكة إلى المدينة المنورة وكان واجهتهما قناة السويس للاشتراك في حملة جمال باشا ، فعثر أحد أعوان الشريف علي الحقيبة ، واطلع على ما فيها من مكاتبات سرية كانت تدور بين حكومة اسطنبول والوالي العثماني على الحجاز للفتك بالشريف حسين واولاده ، إلى جانب القضاء على استقلال الحجاز . انظر ، أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٥٥ ؛ السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٤٠ .

الجند إلى دمشق للانضمام إلى قوات أحمد جمال باشا لقتال البريطانيين في القناة (١) . كما أكدوا عليه أيضاً بعدم الاتصال برجال الحركات العربية المعارضة لسياسة الدولة العثمانية في سوريا وعليه أن يقطع علاقته معهم . وقد أحس الشريف فيصل بفشل مسعاه ، فغادر اسطنبول عائداً إلى دمشق لإكمال مهمته الاساسية ، حيث وصلها في التاسع من رجب عام ١٣٣٣هـ/الثالث والعشرين من مايو عام ١٩١٥م ، ومكث بها بضعة أيام لمراقبة الأوضاع السياسية التي أستجدت بعده في دمشق (٢) ، وتابع خلال وجوده اجتماعاته ، حيث عقد عدة لقاءات مع الزعماء السوريين الذين قابلهم سابقاً ، وكان يحدوهم الأمل في الاستقلال ، فشرح لهم نتيجة مباحثاته مع المسؤولين العثمانيين المخيبة لآمال والده والسوريين معاً .

ويبدو أن الوالي العثماني في بلاد الشام علم فيما يقوم به فيصل بن الحسين في دمشق من محادثات مع السوريين ، فقام بتنفيذ بعض الاعدامات فيمن اشتبه فيه وذلك ليؤكد للسوريين فشل مساعي فيصل ووالده . كما قام بترحيل بعض الشخصيات السورية المرموقة التي لها علاقة وطيدة مع الشريف حسين في الحجاز إلى أزمير وبروسيا ، وقرة شهر ، وأسكي شهر ، وكوتاهية (١) . فكانت الأسرة تؤخذ من بيتها وهي لاتدري ماذا يراد بها ؟ فتساق تحت رقابة شديدة من الشرطة ، وتترك هناك تحت رقابة الحكومة المحلية التي تتصدق عليهم بما يقيتها من الطعام (٢) . وقد مات الكثير من أفراد هذه الأسر نتيجة لتجويعهم . ولذلك نجد أن الشريف فيصل اطلع عليها وغضب من هذه الاعمال وأخذ يفكر بجد في الخروج من هذا الوضع السياسي المتدهور الذي يشاهده يومياً أثناء اقامته في دمشق قبل أن

---

(١) إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى ودوافعها وحصادها ، ص ١٨ .

(٢) جهاد مجيد محي الدين : المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا ١٩١٥-١٩١٦م ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد السادس عشر ، ١٩٨٠م) ، ص ١٣٥ ؛ عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م، ج١ ، ص ٣٣٠ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي في الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٢ .

(٤) جلال يحيى (وآخرون) : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٣٤٥ ؛ أحمد عزت الأعظمي : اليقظة العربية أسبابها ومقوماتها ، ص ١٠٩ .

يغادرها إلى الحجاز (١). ولتأكيد ذلك فإنه كرر وقام ببعض الزيارات السرية لكبار الشخصيات السورية الذين لم يكشف عن ولائهم للشريف في دمشق للتعرف على أحوال الأهالي ، ومدى إصرار السوريين على الثورة ضد الدولة العثمانية ، وعلى ما تم إتخاذه أثناء غيابه في اسطنبول . ثم أجتمع بعد ذلك ببعض الزعماء الوطنيين من السوريين وأعضاء جمعية (العهد) و (العربية الفتاه) ، فوجد أنهم مجمعون أثناء غيابه على المشاركة في الثورة مع الشريف حسين ، وأبدوا استعدادهم التام للتحالف مع بريطانيا ومنحها الأمتيازات الاقتصادية والعسكرية في هذه البلاد إذا أعترفت باستقلالهم وإنهاء الامتيازات الأجنبية (٢). ووافقوا على أن يتولى الشريف حسين زعامتهم ، وقيادة الثورة ضد العناصر الاتحادية في البلدان العربية ، وكان هؤلاء القادة حريصين على أن لايعلنوا ثورتهم إلاّ بعد الحصول على ضمانات كافية من بريطانيا تحقق الاستقلال للبلاد العربية (٣) .

وقبل مغادرة الشريف فيصل دمشق إلى الحجاز أقسم ستة من أعضاء الجمعية (العربية الفتاة) يمين الولاء للشريف حسين وأخبروه بأنهم على استعداد كامل لإشعال نار الثورة العربية في سوريا بدون مساعدة ، ولايريدون من الشريف إلاّ عزمهُ على قيادة الحركة العربية . كما أنهم لايطلبون منه إلاّ أن يكون قائداً لهذه الثورة ، ثم كتبوا ميثاقاً ، يتضمن الشروط التي يطالب السوريون تحقيقها ، واتفقوا أن يحمل فيصل هذا الميثاق إلى والده في مكه ، وطلبوا منه أن يعرض والدهُ على الحكومة البريطانية شروط المفاوضات إذا كانت تقبل هذه الشروط أساساً للعمل المشترك معها ، وأرفقوا بها مصوراً يعين الحدود للبلاد العربية من الناحية الجغرافيه في آسيا (٤) ، وهي البلاد التي كانوا يرون ضرورة البحث حولها على أساس حصولها على الاستقلال عن الدولة العثمانية ، فسلمت هذه الاتفاقية السريه له ، والتي فوضوا فيها

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، (عمان ، دار النشر والتعهدات والتوزيع ، ١٩٥٧م) ، ٧٧ .

(٢) Petran, Tabitha: op. cit , p. 53 ;
عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م ، ج١ ، ص ٣٣١ .

(٣) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١١٢ .

(٤) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ٦٣ .

الشريف حسين للقيام بالمباحثات مع بريطانيا باسم السوريين [(١)] ، ويعترفون له بالملكية على البلاد العربية الواقعة داخل الحدود الموضحة في الخريطه المرفقه بالاتفاقية ، وكأنهم بذلك يعالجون السيء بالأسوء فهم يثورون على القادة الاتحاديين الذين شوهوا صورة الإسلام والدولة الإسلامية منذ توليهم السلطة ، ويلجأون الآن إلى بريطانيا التي تطمع أن تكون الوريثة الوحيدة للدولة العثمانية في البلاد والبحار العربية الإسلامية خدمة لمصالحها الاستعمارية .

وقد أطلق على هذه الوثيقة اسم (ميثاق دمشق) ، وقام بتوقيعه كل من الشيخ بدر الدين الحسيني ، والفريق شكري الأيوبي الهاشمي ، وعلي رضا الركابي[(٢)] ، وأشترك في صياغة إعدادها - عبدالغني العريسي - وذلك قبل أن يُقبض ، عليه ويقدم للمحاكمة ، وتعهد الجميع بالموافقة أن يكون الشريف حسين متحدثاً رسمياً ووكيلاً عنهم في قضيتهم [(٣)] . ومن أهم المطالب التي يطالب بها السوريون في هذه الوثيقة : [(٤)]

اولا : يجب أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة داخل الحدود التي تتمثل من خط مرسين إلى خط عرض ٥٣٧ شمالاً ، ومنه على طول خط بيرجيك وأدرفه ماردين - وجزيرة ابن عمرو العماديه إلى الحدود الإيرانيه ، وفي الشرق تتمثل الحدود من إيران حتى الخليج العربي ، وفي الجنوب حتى المحيط الهندي باستثناء عدن ، ومن الغرب على طول أمتداد البحر الأحمر ثم البحر المتوسط حتى مرسين (أي أنها تشمل بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ماعدا عدن) [(٥)] .

ثانيا : إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية التي كان يتمتع بها الأجانب في نطاق نظام الامتيازات في الدولة العثمانية .

---

(١) محمد أسعد أطلس : تاريخ العرب ، (ط٢ ، دار الأندلس ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ص٥٨ ؛ وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٢٥١ .

(٢) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٢٤٢ .

(٣) عبدالفتاح حسين إسماعيل المكي : تاريخ أمراء الحرام عبر عصور الأسلام ، ص ٤١٨ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٨ .

(٤) فيصل أبو خضراء : تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمة... والحل (الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ، ١٤١١) ، ص ١٠٢ ؛ مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢١-١٢٢ ؛ امين سعيد : ثورات العرب في القرن العشرين ، ص ٤٢ .

(٥) مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ١٠٦.

ثالثا : إبرام معاهدة تحالف دفاعي بين بريطانيا العظمى والدولة العربية المستقلة وذلك حفاظاً على استقلال البلاد العربية وتأميناً لأفضلية بريطانيا الاقتصادية .. وعلى أن يكون هذا التعاون في كل شئ ، في القوة العسكرية والبحرية والجوية .

رابعا: تعترف الحكومة العربية بأفضلية بريطانيا في كل المشروعات الاقتصادية داخل البلاد العربية ، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية (١) .

خامسا: مدة الاتفاق خمس عشرة سنة ، وأذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

وعلى أية حال ، فإن هذه هي الشروط التي كانت تتمسك بها الزعامات العربية في بلاد الشام لكي يقوموا بثورة عربية ضد القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية وعلى أن يعلنها الشريف حسين في مكة المكرمة لما لها من قدسية ويبذلوا اقصى جهدهم لمؤازرة قضية الحلفاء .

وكان الهدف الأساسي للسوريين هو الاستقلال عن الدولة العثمانية استقلالاً مضموناً من أي تدخل أجنبي . وأكدوا على فيصل بأنه إذا كانت بريطانيا مستعدة للاعتراف للعرب بهذا الإستقلال ، فإنهم حينئذ يرحبون بالتحالف معها مع عدم تغيير بنود الشروط السابقة(٢) .

وكان فيصل يرى أن هذه الشروط هي اقل ما يمكن المطالبة بها في سبيل قيام العرب بالثورة ، ثم حلف الزعماء الرئيسيين يمين الولاء لوالده ، وتعاهدوا على أن يعتبروا الشريف حسين هو ممثل العرب ، وان تنهض الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام هبة رجل واحد إذا صدقة النية واتفقت بريطانيا مع الشريف حسين على تحقيق الشروط الواردة في ميثاق دمشق .

وبعدما أنهى مهمته ، غادر الشريف فيصل دمشق إلى الحجاز حاملاً معه مطالب السوريين ، ونتائج مباحثاته مع الحكومة العثمانية وأعضاء الجمعيات الوطنية السورية(٣) ، وفي هذه الأثناء كانت السلطات البريطانية في مصر على علم باجتماعات فيصل مع السوريين المعارضين لسياسة الدولة العثمانية عن طريق جواسيسها وكلفت ستورز (Sttors) وكلايتون (Clayton) (*) بمهمة اجراء عدة مباحثات مع الزعماء السوريين الفارين من بطش

---

(١) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ١٨١ ؛ هنادي يوسف عوانمه : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠-١٩٢٥م ، ص ٦٠ .

(٢) فيصل أبو خضراء : تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمة .... والحل ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) لبيب عبدالستار : التاريخ المعاصر ،ص ٤٠ ؛ لدنجتون ريتشارد ، لورنس في البلاد العربية ، ص ١٤٨ .

(*) كلايتون (Clayton) : كان حاكماً عاماً للسودان ، وقائد للجيش البريطاني، ثم حل بعد ذلك محل مكماهون في منصب المندوب السامي البريطاني في مصر وفلسطين ، وظل يتولى المسئوليات السياسية والعسكرية البريطانية بالنسبة للثورة حتى نهاية الحرب العالمية الأولي ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد وهناك مات عام ١٩٢٠م بعد ان قضى فيها ستة اشهر مندوباً سامياً لبريطانيا، انظر . حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى، ص ٧٧ .

الوالي احمد جمال باشا إلى مصر ، وكان في طليعتهم عزيز المصري والسيد رشيد رضا على أمل إقناعهما بأن مستقبل بلادهم مرهون بالتحالف مع الحكومة البريطانية (١). ولكن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة إيجابية لصالحها ، لأن الشخصيات العربية المقيمة في مصر أصدرت بياناً عاماً ينص على ضرورة الحصول على ضمانات الاستقلال الكامل لجميع البلاد العربية كشرط اساسي للتعاون مع بريطانيا للثورة ضد العناصر الاتحادية التي سيطرت على الحكومة العثمانية .

ولاشك فإن موقف هؤلاء الزعماء يهدف بالدرجة الأولى إلى الاستقلال عن العثمانيين ، ولكنهم يعالجون ذلك بوضع مصيرهم في يد بريطاينا التي لا تعمل إلأ ما تراه مناسباً لصالحها الأستعمارية . وكان الاجدر بهم عدم الالتفاف لأي قوة أجنبية مادام أنه لها مطامع في البلاد العربية ، كما أنه كان من الواجب جعل ثورتهم من أجل الإصلاح والبناء وليس من أجل الشعارات القومية وهو ما كان له آثاره السيئة على الأمة العربية والإسلامية ، وجعلها لقمة سائغة للاستعمار الأجنبي الذي خيم عليها فترة من الزمن واستنزاف خيراتها (٢) .

وفي السابع من شعبان عام ١٣٣٣هـ /العشرين من يونيه عام ١٩١٥م وصل فيصل مكة عائداً من اسطنبول ودمشق ، وحال وصوله إلى مكة قدم لوالده تقريراً مفصلاً عن مهمته التي كلف بها وأوضح له مشاهداته ونتائج اجتماعاته مع المسئولين السوريين في كل من دمشق واسطنبول ومدى موقف الحكومة العثمانية منهم ثم سلمه نسخة ميثاق دمشق الموقع من الشيخ بدر الدين الحسيني أحد علماء دمشق وآخرون ، رمزاً لثقة أهل الشام به (٣). فرأى الشريف حسين أن يرسل الميثاق إلى المعتمد البريطاني في القاهرة ، دون أخذ أي تعهد من بريطانيا بالالتزام بالشروط التي طلبها السوريون . وهذا يدل على قصر نظر الشريف حسين عن أمور السياسة والحكم ، مما يوقع البلاد والعباد في متاهات سياسته يخيم على سوريا خاصة والبلاد العربية عامة ظلام الاستعمار والاستبداد البريطاني والفرنسي(٤) .

وعلى اية حال ، فان الشريف حسين يجهل كل شيء عن البريطانيين واخلاقهم وأساليبهم الاحتياليه معتقداً أنهم على أتم الأستعداد لإجابته على كل ما يطلب منهم إعتماداً على وعودهم البراقه له ولذلك

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ط٤ ، ص ٢٤٨ .

(٢) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧ ؛ مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٢ .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الحسين ، ص ٦٥ .

نراه يتجاهل كل هذه الاعتبارات لأجل مصالحه الخاصه ، لأنهم وعدوه بأنه سوف يكون زعيماً للعرب .

ولقد أرسل الشريف حسين الشيخ محمد عارف بن عريفان بشروط السوريين ، وطلب منه ايصالها والعودة في غضون اسبوعين[١] ، ولم تكن هذه الشروط تحمل أي توقيعاً ، وقد أرسلها في الثاني من رمضان ١٣٣٣هـ/ الرابع عشر من يوليه ١٩١٥م ، وقد سلمت هذه الشروط للمندوب البريطاني في مصر مكماهون (Macmahon) الذي خلف كتشنر [٢].

وقد تضمنت المذكرة شروط العرب للأنضمام إلى بريطانيا إذا صدقة النية ووافقت عليها ، وهذه الشروط تعتبر أساساً للتحالف الذي يقبله العرب معها ، وهي الشروط التي تضمنها ميثاق دمشق ، مع إضافة شرط آخر وهو إعترافها بالخلافة للشريف حسين ، كما ذيلت بملحق ينص على أن البنود الخاصة بالمساعدة المتبادلة تظل سارية المفعول لمدة خمسة عشر عام، وقد تمدد باتفاق الطرفين [٣].

وكان الشريف حسين مصراً على تنفيذ حدود المنطقة العربية التي حددتها جمعتي الفتاة العربية والعهد اللتين وضعتا ميثاق دمشق والتي يطمع أن تكون تابعة لسيطرته ، ولذلك طالب عدة مرات باستقلال البلاد العربية من السلطات الاتحادية المسيطرة على الدولة العثمانية . في الوقت الذي كان تود فيه بريطانيا فصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية التي تحالفت مع الالمان ويئست من امكانية استمالة الدولة العثمانية إلى جانبها في الحرب وهذا مما زاد من مخاوف بريطانيا وايدت الشريف حسين على إعلان الثورة لانها على علم بانه لا يستطيع أن يعمل أي شيء إلا بمساعدتها مالياً وعسكرياً خاصة وانه اعلن عداءه للدولة العثمانية ولايستطيع ان يتراجع عن موقفه ويعود إلى العثمانيين مرة أخرى وهذه هي الفرصة المناسبة ،

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٨٨ ؛ مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٧ ؛ محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ٦٥ .

(٢) إبراهيم بن عبيد العبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان ، ج٢ ، ص ١٧٩؛ وجيه كوثراني : العهود المتعلقة بالوطن العربي ، (دراسة وثائقيه) ، (ط١، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٥م) ،ص٢٤ .

(٣) Zeine, Zeine, N.: op, cit , p.5 ؛ توفيق سلطان اليوزبكي (وآخرون) :دراسات في الوطن العربي ، الحركات الثورية والسياسية ، (العراق ،دار الكتب للطباعه والنشر ،د.ت)،ص ٧٣ ؛ محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٣٧٤ .

مما جعلها تفرض عليه شروطها وهو الاعتراف بها ملكاً على الحجاز فقط وترك النظر في بعض البلاد العربية إلى ما بعد الانتهاء من الحرب ، لان بريطانيا تعتبر انها هي الوريث الوحيد للدولة العثمانية ، وكان على العرب المعارضين لسياسة الدولة العثمانية أن يدركوا تماماً ماقامت به بريطانيا من أعمال منافية للإنسانية بعد إحتلال مصر منذ عام ١٨٨٢م ووضعها تحت حكمها المباشر دون النظر في أي إعتبار انساني . وقد وجدت هذه المرة في الشريف حسين من يستطيع أن يجعل بلاد الشام والعراق والحجاز في يد البريطانيين .

وعندما تسلم مكماهون الشروط بدأ يتهرب من أي نوع من الألتزامات الأساسية التي يطالب الشريف حسين والسوريون بها مكتفياً بقوله ان بريطانيا تضمن استقلال العرب . أما بالنسبة لتحديد الاماكن التي يتقرر فيها الاستقلال فقال انه مضيعة للوقت وأن البحث في مثل هذه المسألة والحرب قائمة والاتراك لايزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً وخاصة ماعلمناه وهو مايدهش ويحزن . ومعنى ذلك ، انه لم يعترف بحدود البلاد العربية التي يطمع الحسين والسوريون اقامتها (١) ، وهذا ما أشار إليه في رسالته الأولى التي أرسلها للشريف حسين ، عندما تجنب أن يوضح أو يحدد المنطقة العربية التي ستتمتع بالاستقلال ، وساق في سبيل ذلك ثلاث ذرائع واهية تدل على النوايا العدوانية ، وكانت الذريعة الأولى : بأن العثمانيين كانوا لا يزالون يحتلون أجزاء كبيرة من البلاد العربية . والثانية : أن الوقت غير مناسب لبحث هذه الموضوعات أثناء الحرب العالمية الأولى ، والثالثة : أن بعض الرعايا العرب الذين يسكنون المناطق السورية التي لاتزال تحت الحكم العثماني مدوا يد المساعدة للألمان والعثمانيين (٢) . ثم ختم مكماهون رسالته بأنه على أتم الأستعداد لإرسال القمح ، وكذلك الأموال المقررة من مصر للحجاز (٣) . وكأنه بذلك يسوق ويلقم الأفواه بشيء من القوت حتى تصمت الألسن إلى الأبد .

وعند وصول رد مكماهون إلى الشريف حسين بادر بالرد عليه برسالة أخرى عبر

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسات وثائقية من ١٩٢٠-١٩٢٤م) ص ٢٠ ؛ عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين ، ص ٧٤ ؛ إبراهيم بن عبيد العبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان بايام الله الواحد الديان ، ج٢ ، ص ١٨٠ .

(٢) Longringg, Stephen Hemsley : Syria and Lebanon under French Mandate, Beirut, Vol. 2, 1976, p.114.

(٣) فائق بكر الصواف : العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة بين ١٢٥٣ - ١٣٣٤هـ/١٨٧٦-١٩١٦م ، ص٢٦٦ .

فيها عن دهشته إزاء الغموض في رسائله ، والتردد حول تنفيذ نصوص بنود الميثاق وأوضح له بأن العرب عامة ينتظرون بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم الحدود وقضية المحافظة عليها ، كما طلب الحسين أن ترد عليه الحكومة البريطانية بكل وضوح سواء كان سلباً أو إيجاباً ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الحدود ، والمطالب العربية الأخرى وذلك في فترة لا تزيد عن ثلاثين يوماً (١) .

واعتبر الحسين أن الغموض الذي تحتوي عليه رسالة مكماهون يدل على الخداع والمراوغه ، وقال في سياق رده ان مسألة الحدود ليست لرجل واحد يمكن إرضائه أو مفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطلب الشعب العربي الذي يرى ضرورة بحث هذه المسأله قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون فيها كل الثقه ويعلقون عليها كل الآمال ألا وهي بريطانيا ، كما طالب بأن تعترف بريطانيا بالولايتين (مرسين وأضنه) ، التي أستبعدتهما بريطانيا من حدود البلاد العربية التي يطالبون بها ، أما ولايتي (حلب وبيروت) فيمكن تأجيل البحث فيهما إلى ما بعد الانتهاء من الحرب (٢) .

فرد عليه مكماهون باستبعاد مرسين والأسكندرونة من الأجزاء الواقعة في الجهه الغربية لولاية دمشق وحمص وحماه وحلب وعلى اعتبارها مناطق مستبعدة من وجهة نظر المعتمد البريطاني في القاهره وأنها مناطق غير عربية ، ويجب عدم إدراجها ضمن الحدود المطلوبة . أما عدا ذلك من مناطق فالحكومة البريطانية على استعداد للموافقة عليها على أساس هذه التعديلات (٣) .

أما بالنسبة للمناطق الواقعة داخل الحدود المقترحة ، فالبريطانيا حق التصرف فيها دون إحداث ضرر بمصالح حليفتها فرنسا (٤)، ولا يمكن أن يقال إنها

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطويه (دراسه وثائقية ١٩٢٠-١٩٢٤م) ، ص ٢١ ؛
Zeine, Zeine , N.,: op. cit, p. 44 .

(٢) Hourani, A.: op, cit , p. 44 ; F.O. 371/2768, Tel. 221 from the High Commissioner Cairo to the Sherif Of Makkah 24 Oct. 1915 .

(٣) انظر تفاصيل مراسلات الشريف حسين مكماهون في الملحق رقم (٤)

(٤) Hourani, A.H : op. cit. p. 43.44 ;
لبيب عبدالستار : التاريخ المعاصر ، ص ٤٠ ، حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٧ – ٢٣ .

عربية محضة ، ويجب إخراجها من الحدود المقترحة (١) . وأن تستثنى من الحدود المطلوبة ، مع مراعاة التعديلات المذكورة ، فبريطانيا مستعدة أن تعترف باستقلال العرب ، وتؤيد ذلك باستقلال جميع المناطق الداخلة في الحدود التي يطلبها الشريف حسين في الحجاز(٢) . واعتبر مكماهون أن هذا التصريح كفيل بإزالة أي شك أو ارتياب في تأييد بريطانيا لرغبات العرب . وفي الوقت نفسه ، رأت بريطانيا أن ذلك ربما يؤدي إلى عقد أي تحالف دائم ووطيد بينها وبين الشريف والسوريين يكون من نتائجه العاجلة طرد العثمانيين من البلاد العربية ، وتحرير الشعوب العربية من ظلم العناصر الاتحادية المسيطرة على الحكومة العثمانية .

ويلاحظ هنا ، أن الرد البريطاني فيه نوعاً من التحفظ والتسويف والمراوغة للعرب(٣) . كما أن إبعاد العثمانيين من الساحة العربية ليس من أجل العرب ، وإنما من أجل أن يصفو الجو لبريطانيا وحدها حتى تستطيع تنفيذ مخططاتها الاستعمارية ضد البلاد العربية .

ولقد استنكر الشريف حسين الموقف البريطاني المتخاذل الذي أبدته في المراسلات المتبادلة بينهما من اقتطاع الأراضي الساحلية لسوريا بحجة أنها ليست أراض عربية محضة ، كما أشار الشريف إلى استيائه الشديد من القول بأن ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما ولايتان ليستا عربية محضة كما ذكر مكماهون في رسالته للشريف حسين .

ولقد أنهيت الرسائل المتبادلة بين الطرفين بالرسالة العاشرة في الرابع عشر من ربيع الأخر عام ١٣٣٤هـ/الثامن عشر من فبراير عام ١٩١٦م

---

(١) زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، (بيروت ، د.ط ، ١٩٧١م) ، ص ٢٨٧ .

(٢) F.O. 882/23, Report of Sharif Husein on letter Macmahon, Dated 24/10/1415:
سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية ١٩٢٠-١٩٢٤م) ، ص ٢١ ؛ حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٣٢ .

(٣) Hourani, A.: op. cit, p.43 ;
Zeine, Zeine, N.,: op. cit, p. 10 ;
محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٣٨٠ .

قبل قيام الثورة بحوالي أربعة أشهر تقريبا [١]، والتي رد فيها الشريف حسين في الحجاز ، بقوله : (نحن نتفاوض حقيقة بشأن حدود مملكة عربية ، وذلك حسب ما يرغب الأهالي ، خاصة وأن إخواننا السوريين الذين ينتظرون الرد منا في الحجاز بفارغ الصبر وباسرع وقت ممكن) [٢] .

ويعني ذلك ان الشريف حسين لم يحسن استغلال الموقف المتأزم الذي كانت عليه بريطانيا آنذاك ، بل إنه تساهل كثيراً في حق الشعب السوري العربي الذي فوضه للتحدث باسمه حول تحقيق الشروط الواردة في ميثاق دمشق ، إلاّ أنه كان يسعى لتحقيق أهدافه ومصالحه الخاصة ، مما جعله يوافق على الشروط البريطانية دون تلكؤ وهو تحفظها على بعض المناطق العربية وتأجيل المناقشة حولها إلى ما بعد الانتهاء من الحرب مع العثمانيين ، وحجة الشريف حسين انه يخشى من الولاة العثمانيين . في الوقت الذي كان يأمل أن تتراجع بريطانيا عن موقفها وتتفهم قوة تأثيره في العالمين العربي والإسلامي ، بما له من نفوذ في الأماكن المقدسة على حد رأيه [٣].

وكان من المفروض أن يتمسك بكل المطالب التي فوضه فيها أعضاء جمعيتي (العهد) و(الفتاه) العربيتين في الميثاق المسمى بميثاق دمشق ، الذي حمله ابنه فيصل إليه بعد زيارته لدمشق واسطنبول ، وألاّ يتساهل أو يتنازل عن أي شبر واحد من الأراضي السورية ، لأنها ليست مطالباً شخصية واحدة ، بل مطالب شعب يرى أن حياته تكمن في الاعتراف باستقلال هذه المناطق عن حكم العثمانيين . ولكن الشريف حسين تجاهل المطالب السورية باطماعه في المساعدات البريطانية على أي شيء ، وهذا ما جعله يرتمي في أحضان بريطانيا التي أغرته بالوعود الكاذبة بشرط ترك المناقشة في المسألة السورية إلى ما بعد الانتهاء من الحرب [٤] .

ومن المستغرب أن الشريف حسين كان يعلم بوجود مطامع فرنسية في سوريا وحذره نجله فيصل من مغبة الألاعيب البريطانية ، وكان بمقدوره أن يكشفها في مراسلات مكماهون له [٥]، وأن يتمسك بحق الشعب العربي في هذه المناطق بالاستقلال التام ، وعدم التساهل أو ترك المسائل معلقة إلى ما

---

(١) عبدالعزيز الشناوي (وآخرون) : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، ٨٧ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٨٥ – ٨٧ .

(٢) زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٣) Lioyd George : The Truth About The Peace Treaties, vol. 11, p. 101 .

(٤) Hourani, A., : op. cit , vol . 2 , p. 44 .

(٥) F.O 371/2486, Confidintial (No 215), Sharif of Mkkah .

بعد الإنتهاء من الحرب [١] . مع انه قد أحيط في اجتماع جدة ورسائل الفاروقي [*] له من القاهرة عن وجود اتفاق بريطاني فرنسي يعطي لفرنسا مصالح بلا حدود في سوريا ، ومع ذلك تجاهلها ولم يبد أي نية تراجع عن موقفه المتساهل مع بريطانيا من خلال مفاوضاته ، لأنه لم تكن لديه القدرة على التراجع . بعدما أظهر عداءه للقادة الاتحاديين المسيطرين في ذلك الوقت على الدولة العثمانية ، مما جعله يصر على عداءه ويعلن ثورته عليهم ، وأصبح موقفه صعباً في العودة إلى الوفاق مع المسئولين في الدولة العثمانية ، لأنه إذا عاد لهم فإنه سيقع عرضة للانتقام من القادة الاتجاديين ، بينما كان من المفروض أن لا يتنازل فيما فوض من أجله وألاَّ يعترف بأي حقوق لأي دولة أجنبية في جميع البلاد العربية ، وعليه أن يصل إلى اتفاق واضح وصريح مع بريطانيا حول كل شيء وان يتفق مع البريطانيين على شروط يحفظ بها الحقوق العربية قبل أن يتخذ أي إجراء ضد الدولة العثمانية ، وألا يدع للأيام معالجة بعض القضايا التي تركها معلقة إلى ما بعد الانتهاء من الحرب .

وعلى أية حال ، فإن الحسين فهم من الحكومة البريطانية أن توافق على إنشاء مملكة عربية بعد الإنتهاء من الحرب على النحو التالي :

١ - أن تتعهد بريطانيا بتشكيل حكومة عربية مستقلة تماماً ، وتكون حدودها شرقاً الخليج العربي ومن الغرب البحر الأحمر . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والاتفاقيات التي أجرتها بريطانيا .

٢ - تتعهد بريطانيا بالقيام بكل ماتحتاجه حليفتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والنقود .

٣ - تتعهد بريطانيا بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي تدخل وهذه هي الحكومة العربية بحدودها التي كان يتخيلها الشريف حسين ويسعى لتحقيقها بمختلف الوسائل ، ويرى أن يكون على رأسها وتسندها بريطانيا بمالها وسلاحها .

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٣٨٣ ؛
Foster, Henry : op, cit, p.39 .

(*) محمد الفاروقي : ولد في الموصل عام ١٨٩١م، وتخرج من المدرسة العسكرية في اسطنبول ضابط مشاة . ثم انضم بعد ذلك إلى جمعية (العهد) ثم إلى (العربية الفتاة) فاعتقله الأتراك في حلب ، ثم أرسلوه إلى جهة غاليبولي قائداً لسرية المشاة ، وهناك اجتاز خط القتال وسلم نفسه للقوات البريطانية التي نقلته إلى مصر ، اشترك في العمليات العسكرية للثورة العربية ثم عينه الشريف حسين ممثلاً له في القاهرة ، ولكنه في عام ١٩١٧م أستغنى عن خدماته ، فانتقل بعد ذلك إلى العراق وهناك قتل غيلة وغدراً في العراق أثناء ثورة عام ١٩٢٠م .

وفي الوقت الذي رجع فيه الشريف فيصل إلى الحجاز من جولته قبل الاخيرة ، أخذ الوالي أحمد جمال باشا يتخذ بعض الإجراءات التعسفية في سوريا . أضف إلى ذلك أنه كشف صوراً من الوثائق التي تبودلت بين الزعماء السوريين والشريف حسين في الحجاز ، ومنها : إنشاء دولة عربية في الحجاز والشام مستقلة عن الدولة العثمانية ، مما جعله يتخذ عدة إجراءات انتقامية تمثلت في إعدام ونفي وتجويع وماشابه ذلك لبعض الخارجين عن الحكومة العثمانية ، وقد أوجدت هذه الإجراءات نوعاً من الفزع بين السكان في دمشق وبعض المدن الاخرى ، نتيجة لسياسة القمع والبطش التي فرضها الوالي على الأهالي في جميع الولايات العربية السورية .

ولقد أدت هذه السياسة الانتقامية إلى التأثير على موقف الأصلاحيين العرب من المسلمين في ولايتي بيروت ودمشق الذين كان معظمهم ينتمي إلى الجمعية السرية (العربية الفتاة) أو إلى (حزب اللا مركزية الإدارية) الذين كان لهم علاقة وثيقة مع الشريف حسين في الحجاز ، وبهذا الموقف المتشدد لم يكن بإمكانهم معارضة سياسة أحمد جمال باشا الذي شدد قبضته على الولايات العربية في سوريا عسكرياً ، مما جعل السوريون أنفسهم مجبرين على التراجع عن خططهم أمام ضغوط أحمد جمال باشا الذي لجأ إلى فرض سياسته بالقوة (١) ، هذا إلى جانب بعض الإجراءات الأخرى التي أتخذها ضد المتهمين بدعوى الوثائق التي تحصل عليها في القنصليات الفرنسية في دمشق وبيروت وتجاهلها في بداية مجيئه إلى الولايات العربية السورية .

ولعل هذه الأعمال الآنفة الذكر ادت إلى اليأس في نفوس السوريين وانهيار معنوياتهم ، كما ادت إلى شعور الخوف والرعب في صفوفهم ، مما حال دون التفكير في التعاون مع الشريف حسين الذي تأخر في الرد عليهم بشأن استقلال سوريا ، ولاسيما وأنه تم إبعاد دفعة من القوات العربية المتمركزة في سوريا إلى جبهات القتال في الأناضول والقوقاز القريبة من اسطنبول مع بقية القوات العربية الأخرى .

كما أرسل أحمد جمال باشا الفرقه الخامسة والعشرين العربية التي كانت الدعامة الاساسية لحزب (العهد) إلى جبهة خياف بناءً على طلب من الحكومة في اسطنبول وحل محلها قوات جديدة مدربة على اساليب القتال لتمنع السوريين من الاتصال بالشريف حسين في الحجاز(٢) . هذا مما ساعده على تنفيذ خططه ، ومنها القضاء على الروح المعنوية للسوريين ، حيث كان يقتل من يشك في أمره في المناطق السورية بدعوى الإعداد للثورة ضده أو التعامل مع فرنسا (٣) .

---

(١) . Hourani, A.,: op.cit, vol.2, p.49

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاة الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص ٨١ .

(٣) محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٢١.

ولقد أدت سياسة التعسف إلى كثرة المشاكل في الولايات العربية السورية وزاد عدد الفارين من المعارضين لسياسة البطش ، بعدما بدأت السلطات العثمانية تتلمس بأن لهم علاقة وطيدة مع الشريف حسين في الحجاز ، ونجله الشريف فيصل الذي قام بزيارتهم والترتيب معهم على إعلان الثورة .

أما الباقون من الزعماء السوريين الذين لم يثبت لهم علاقة بالشريف حسين ، فقد اجتمعوا بعيداً عن انظار القيادات الاتحادية ، واتفقوا على سرعة تدارك الموقف مع الشريف ، فأرسلوا برقية عاجلة له في الحجاز إلحاقاً للمذكرة السابقة له (١) ، يطلبون منه سرعة التحرك الفعلي لإبعاد شبح الخطر الأجنبي عن سوريا حتى تصبح البلاد في مأمن من المستعمرين الأجانب الذين يتربصون لإحتلال هذه البلاد في الوقت الحاضر الذي ازداد فيه خطر الولاة العثمانيين عليهم ، بعد أن أصبح من أهم أهدافهم السعي إلى التخلص من العرب المعارضين لهم في البلاد العربية ، والخروج عن الخط الإسلامي القويم الذي كان يسير عليه سلاطين الدولة العثمانية (٢) . ولم يعلموا أن الشريف حسين ليس له أي قدرة على المساعدة فلا حياة لمن تنادي .

ونتيجة لسياسة البطش والتنكيل التي قام بها الولاة بتوجيه من القادة الاتحاديين في الدولة العثمانية بخيرة أبناء سوريا ، وعلى أثر الصيحات والرسائل المحررة من السوريين إلى الشريف حسين أراد أن يتخذ بعض الخطوات ، لعله يرضي السوريين الذين وضعوا آمالهم في يده للتحرر من سياسة القمع ، فكرر اتصالاته السرية بالسوريين بواسطة بعض أعضاء الجمعيات السورية المؤيدة له والتي كانت تتردد دائماً على الحجاز بحجة زيارة الأماكن المقدسة ، وذلك لتقصي الحقائق المستجدة منهم حول الإجراءات الجديدة التي اتخذها أحمد جمال باشا في دمشق وبيروت مؤخراً .

وقد علم الشريف منهم أن الموقف السياسي قد تفجرفي كل الولايات السورية ، ولابد من اتخاذ بعض الاجراءات السريعة ، فارسل رسائل مع بعض رجال القبائل الذين يتنقلون بين الحجاز وسوريا إلى أعضاء الجميعات العربية في دمشق بعد أن تأكد من أنهم أصبحوا يبحثون فيه عن زعامة عربية أخرى ، يمكن أن تقودهم في نضالهم ضد القوى الاتحادية (٣) ، بدلاً من الشريف حسين بعدما أدركوا أن الشريف يهدف إلى تحقيق طموحاته في الزعامة على حساب العرب .

---

(١) Hourani, A.,: OP, CIT , VOL2 , P.56 .

(٢) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٠٢ ؛سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٢٨ .

(٣) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية وأسبابها ومقدماتها ، ص ٨٦ ؛ محمود صالح منسي : اليقظة العربية ، ص ٢٧٧ .

وعندما شعر الشريف بزيادة سخط السوريين عليه واتهامه بتراجعه عنهم ، بدأ يكثف من نشاطه السياسي باتصالاته السرية بالطبقة المثقفة من السوريين مستغل تأييدهم له ، فدعاهم إلى القيام بالثورة ضد السلطات العثمانية في الولايات السورية [١]، ووعدهم بأن الحكومة البريطانية ستقف إلى جانبهم بالدعم المالي والعسكري ، حال قيام ثورتهم في سوريا ضد القيادات الاتحادية ، ونسي الموقف البريطاني المتخاذل الذي أعلنته له حول الاعتراف باقامة الدولة العربية الكبرى .

وبالرغم من تأكيدات الشريف حسين لقادة الحركة الوطنية في دمشق إلاّ أنهم أبدوا تشككهم في موقف بريطانيا اتجاههم ، فطلبوا من الشريف حسين أن يأخذ الحيطة والحذر للأمر ، ولا يتهاون في معالجته لقضيتهم مع البريطانيين ، وعدم توقيع أي اتفاقية مع الحكومة البريطانية ما لم تكن واضحة وصريحة وموثقة تضمن لهم حقوقهم بالكامل التي أشاروا إليها في ميثاق دمشق [٢] .

ولقد ذكر محب الدين الخطيب : (أن الشريف حسين كتم أمر هذه المراسلات التي تمت بينه وبين البريطانيين حتى عن مستشاريه ، وحينما علموا بها طلبوا منه توثيق الاتفاقية بالتصديق عليها من البرلمان البريطاني) ، فأجابهم بقوله : (ان الذين أتفقوا معي هي الحكومة نفسها) ، وكان يشير إلى جيبه ، ويقول وعدهم هنا [٣].

وعلى أيه حال ، فقد كشف أحمد جمال باشا في دمشق زيادة نشاط الاتصالات بين السوريين والشريف حسين في الحجاز ، وتأكد عن طريق التقارير التي رفعها له أنصاره في دمشق ، فأعتبر أحمد جمال ذلك الأمر تحدياً صارخاً للحكومة العثمانية وله شخصياً ، مما أدى إلى أن يصب غضبه على السوريين ، فقام بتنفيذ حكم الإعدام في مجموعة أخرى من السوريين ، ومنهم على سبيل المثال سيف

---

(١) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٤٦ .

(٢) محمد بديع شرف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، ص ١٢٧ .

(٣) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر ، ص ٦٦ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ، ص ٢٩ .

الدين الخطيب ، وعبدالحميد الزهراوي وشفيق المؤيد ، وعلي عمر النشاشيبي ، وغيرهم من أعيان بلاد الشام[١] ، إنتقاماً منهم لما قاموا به من تشجيع الاتصالات ، والمظاهرات في الولايات السورية ضد الدولة العثمانية ، ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يحكم سيطرته بالقوة على المناطق السورية الأخرى مستنداً في ذلك على قوته العسكرية المحضه ، ومستغلاً الموارد الاقتصادية والبشرية التي تسخرها له الحكومة العثمانية وفق رغبته[٢].

وعندما علم الشريف حسين بزيادة حملات التوقيف ، والإعدام في الزعماء السوريين ، ونزع ملكيات الأراضي من أصحابها ، ونفور الأهالي في كافة الولايات السورية من سياسة الوالي[٣] . رأي أن يعيد نجله فيصلاً إلى الحكومة العثمانية في اسطنبول ليرفع لها تقريراً مفصلاً يكشف من خلاله الممارسات العدوانية التي ينفذها الوالي أحمد جمال باشا في السوريين ، وأمره أن يمر بدمشق ويرى بعينه على الأعمال التعسفية التي قام بها أحمد جمال باشا ضد السوريين بعد عودته إلى الحجاز.

وسافر فيصل خلال الفترة ما بين شهري سبتمبر - وديسمبر عام ١٩١٥م[٤] ، إلى مهمتين شبيهة بمهمته السابقة ، فالأولى استطلاعية في بلاد الشام ومحاولة توطيد العلاقة مع السوريين ، والثانية إطلاع الحكومة العثمانية على الموقف المستجد في سوريا ، فمر فيصل بدمشق واطلع على الأعمال التي قام بها الوالي في الولايات السورية أثناء غيابه في الحجاز ، ثم اجتمع بعد ذلك بكبار الشخصيات السورية المؤيدة للثورة ، وأكد لهم

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص ١٠٩ .

(٢) جلال يحيي (وآخرون) : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٣٤٦ .

(٣) F.O.141/467, Telegram, No.626, from Macmahon, Ministary of Foreign, dated , 1915;

فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٥٠ .

(٤) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١٤١-١٤٢ .

أن والده على موقفه المؤيد لقضيتهم [1] ، ومن خلال مناقشته معهم رأى أن الموقف قد تغير كثيراً بعده ، نتيجة للسياسة التي تتبعها السلطات الاتحادية المتمثلة في احمد جمال باشا في الولايات السورية ، مما جعله يغادر دمشق إلى اسطنبول ، وحال وصوله قام بمقابلة الصدر الأعظم وزعماء الحكومة العثمانية البارزين ، وحاول أن يتفاهم معهم حول التطورات الجديدة التي طرأت على الساحة السورية ، ومنها : ايقاف الإعدامات وأعمال البطش والتنكيل التي زادت عن حدها في الآونة الأخيرة في الولايات والمتصرفيات السورية ، ثم ناقش مع أعضاء الحكومة موضوع إعادة السكان المنفيين إلى ديارهم .

وبعدما أنهى فيصل مهمته في اسطنبول ، وهمَّ بالسفر أعدت له الحكومة العثمانية رسالة ثانية موجهة إلى والده تحذره من مغبة إثارة أي إضطرابات في سوريا أو التدخل في الشئون الداخلية في الحجاز ، وإذا كان له أي علاقة مع السوريين فعليه أن يقطعها وإلاَّ ستتخذ الحكومة العثمانية الإجراء اللازم ضده . وهذا مما جعل فيصل يأخذ الأمر بجد وحذر ، وعاد على وجه السرعة من اسطنبول وهو غاضب من هذه التهديدات ، وفي طريقه مر بدمشق فقابل الوالي أحمد جمال باشا وعرض عليه إطلاق سراح بعض أعضاء الجمعيات العربية في دمشق من السجون ، وإيقاف الإعدامات وتطبيق نظام اللامركزية في المناطق السورية[2]. إلاَّ أنه لم يلب له أي طلب ، بل رد عليه بغضب واستياء شديدين وحذره من مساندة والده في الحجاز لزعماء الجمعيات العربية المعارضة للحكومة في الولايات السوريه ، التي تعمل من أجل الانفصال عن الحكومة العثمانية التي فقدت مكانتها بين العالم العربي والاسلامي بسبب سيطرة الاتحاديين على الحكومة (٣) .

وبعد هذه المقابلة أعلن أحمد جمال باشا تحديه للشريف حسين ورجال الحركات العربية المعارضة في سوريا ، فوسع نشاطه التعسفي ضد السوريين ، فأصدر

---

(١) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢١ ؛ جهاد محي الدين : المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا ١٩١٦-١٩٢٠م ، (مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة ، العدد السادس عشر ، ١٩٨٠م) ، ص ١٣٣ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى مأساة الشريف حسين ، ص ٣٦ ، جمال باشا : مذكرات جمال باشا ، ص ٢٣٩ .

(٣) عبدالله من الحسين (الملك) : مذكراتي ، (عمان ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٥م) ، ص ١٠١ .

أحكاماً أخرى بإعدام دفعة جديدة من المواطنين السوريين تحدياً لمطالب الحسين ، واعتقل اثنى عشر رجلاً ، معظمهم ممن ينتمون إلى الأحزاب الوطنية السورية الذين يطالبون بتحقيق نظام اللامركزية ، ثلاثة منهم ينتمون إلى جمعية (الفتاة) (١) . فتسنى لفيصل مشاهدة اعداماتهم ، مما أثار غضبه ضد الوالي في دمشق ، فاستغل وجوده بين السوريين في دمشق ، وعاود اجتماعاته السرية مع عدد من زعمائهم فاتفق معهم على بعض الأمور الهامة ، ومنها كيفية اعلان الثورة في سوريا والحجاز وبعد الانتهاء من اللقاءات عاد إلى الحجاز ليعرض نتائج مباحثاته مع الحكومة على والده في مكة .

وقبل مغادرة فيصل دمشق إلى الحجاز ، قام السوريون بنشر دعايات واسعة النطاق خارج سوريا لإطلاع العالم العربي والإسلامي على نوايا القائد العثماني أحمد جمال باشا تجاه سوريا والمناطق العربية ، والتي تتركز في تتريك العرب والتنكيل والقتل للمعارضين منهم لسياسته ، وأمتدت هذه الدعاية إلى مسامع الشريف حسين في الحجاز (٢) .

وقبل أن يغادر فيصل دمشق كشف احمد جمال باشا مخطط للثورة ضده بين الشريف حسين والسوريين ، ورأى أنه كرد فعل على ذلك فلا بد من أن ينكل بالمتعاونين من السوريين مع الحجازيين ، فألقى القبض على كل من له صلة بفيصل في جولته هذه من زعماء الجمعيات العربية السياسية في دمشق ، وكان من بينهم بعض الشيوخ والكهول وأودع بعضهم السجون ، كما أنه سبى النساء وأرسلهم إلى اسطنبول تحت ستار النفي المؤقت (٣) .

ولقد أدت هذه الأعمال إلى زيادة نشاط الشريف حسين الذي بادر بتكثيف اتصالاته بالزعماء السوريين سراً عن طريق رجال القبائل الذين يتنقلون في بلاد الشام بين دمشق وشرق الأردن والحجاز من الموالين لسياسته ، وذلك من اجل توحيد الموقف ضد

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٧٣ ؛ محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمه العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص١١٠ ؛ حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ث ٦٦ – ٦٧ .

(٢) محمود عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ، ج١ ، ص ٣٣١ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٨ .

(٣) أحمد عزت الأعظمي : القضية العربية ، أسبابها ومقدماتها ، ص ٩٠ – ٩١ .

سياسة الاتحاديين في الولايات السورية ، وهذا اضافة إلى مناقشة بعض الأوضاع السياسية سراً مع بعض الوفود التي كانت تأتي إلى الحجاز لزيارة الحرمين الشريفين ، وذلك لوضع الخطط الواجب اتباعها في المناطق السوريه لمواجهة تعسف أحمد جمال باشا وطريقة اعلان الثورة (١) . كما اتصل ببعض الضباط السوريين والعراقيين المرابطين في الجيش العثماني في دمشق ، والذين قدموا الولاء للدولة ظاهرياً خوفاً على انفسهم واهليهم ، فوجد عندهم الرغبة الاكيدة في التخلص من الحكومة العثمانية ، نتيجة لإضطهاد القائد أحمد جمال باشا الذي ينتمي للعناصر الاتحادية (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد تناقلت بعض الشخصيات السورية أخبار الاجتماع الذي عقد مع فيصل بن حسين في المناطق السورية ، وفي الوقت نفسه ، تناقلت الزعامات في دمشق أخباراً تفيد بأن الشريف حسين يلوح بالثورة ضد الحكومة العثمانية لتحقيق الاستقلال للبلاد العربية عامة ، وربط مصيرها به في الحجاز .

فأدت هذه الأنباء إلى زيادة حماسهم للثورة ، فأخذوا بدورهم يحرضون الشريف حسين على تولي مهمة الحرب التي ينتظرونها منه بفارغ الصبر ضد القيادات الاتحادية في الولايات السوريه ، ويريدون منه أيضاً أن يوفد مندوباً عنه إلى دمشق ، لأن ابنه فيصل وصل خلال هذه الفترة إلى الحجاز وسلّم تقريره الاخير لوالده في مكة ، ثم غادرها بعد ذلك إلى الطائف مع والده ومستشاريه وأخوانه علي وعبدالله وبعض المقربين إليهم ، وهناك عقدوا اجتماعاً سرياً قرروا فيه اتخاذ بعض الخطوات ومنها ، أولاً : عودة فيصل إلى سوريا ليتصل برجال الحركات المعارضة لسياسة العناصر الاتحادية ، ليمهد مع المؤيدين له طريقة إشعال الثورة في سوريا والحجاز في وقت واحد إذا رأى الظروف مناسبة في سوريا ، وثانياً : إعادة فتح باب المفاوضات مع بريطانيا لإيضاح الغموض الذي أبدته مع الشريف حسين حول حدود الدولة العربية التي يطمع في إقامتها وتحفظت بريطانيا على بعض اجزاءها (٣) .

وعلى كل حال ، فإن الشريف حسين لم ينتظر إلى نتائج الأمرين السابقين ، بل

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ١٩١٦-١٩٢٠م ،ص٧٨ ؛ Foster, Henry , A: op. cit, p. 39 .

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م) ، ص ٢٨٠ ؛ عبدالوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٧٣ .

(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧ ؛ هنادي يوسف غوانمه : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠-١٩٢٥م ، ص ٦٢ - ٦٣ .

استغل التقرير الذي تسلمهُ من ابنه ، وبدأ يخطط لإقامة دولته المترامية الأطراف التي يحلم أن تخضع لسيطرته ، خاصة وأن كبار الشخصيات السورية يثنون عليه بأنه هو الشخص المرشح للقيام بهذا الدور السياسي الكبير ، في الوقت الذي أخذت بريطانيا تعده بمستقبل حكم منطقة الهلال الخصيب عن طريق تأسيس دولة عربية إسلامية مستقلة ، تضم جميع البلاد العربية بعد الإطاحة بالحكومة العثمانية ، ومنها : معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية مع أنها سبقت وتحفظت على بعض بنود ميثاق دمشق ، وهذا مما زاد من عزمه في الحجاز على الخروج سياسياً ضد أحمد جمال باشا وأنصاره في سوريا ، خاصة وأن احمد جمال باشا بدأ يفرض الحصار على المرافيء السورية ، وكان لهذا الإجراء نتائج قاسية على القبائل الحجازية من ناحية الحياة المعيشية للأهالي فضلاً عن تشتيت القطاعات العسكرية العربية في كافة الولايات السوريه التي كانت محط الاعتماد لتنفيذ هذه الحركة (١) .

وهذا مما جعل انظار الزعامات السورية تتجه إلى الحجاز ، ليكون مكاناً مناسباً للثورة بدلاً من سوريا ، التي لم يبق فيها من القاده العرب إلاّ النزراليسير(٢) . ولعل هذا يتضح من التقارير التي حملها فيصل من السوريين إلى والده في الرحلتين السابقتين ، والتي أشار فيها عن تردي الأوضاع في الولايات السورية (٣) .

وعلى أية حال ، فقد اقتنع الشريف بالوعود البريطانية رغم غموضها ، وبدأ يبحث عن فرصة مناسبة للإعلان عن أطماعه في سوريا بالتقرب من الزعماء وإثارة الخلاف مع الوالي في الحجاز ، واستغل دعوة أنور باشا بإعلان الجهاد المقدس ضد بريطانيا لعرض مطلبه كشرط أساسي لتأييد دعوة الجهاد ، التي أرسلها مع ابنه فيصل للحكومة العثمانية في اسطنبول في زيارته الثانية .

ومن الملاحظ ، فأن الشريف أخذ يعتمد على إثارة المشاحنات مع محافظ المدينة المنورة بصري باشا ، الذي لم يتوان في إبلاغ أحمد جمال باشا في دمشق بتدخل علي بن

---

(١) F.O 882/13, Report of sharif Hossein or Letter to Macmahon Dated 24/10/1915;

ستورث أرسكين : فيصل الأول ملك العراق ، ص ٦٢ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص١١٤ ؛ ابراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصارها ، ص ٢٠ .

(٢) جورج انطونيوس : اليقظة العربية ، ص ٥٧١ .

(٣) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٩٢ .

حسين في الشئون الداخلية للحكومة في المدينة المنورة [١]. ونتيجة لهذه المنازعات وجه الوالي في دمشق رسالة كلها تحقيراً واستنكاراً إلى الشريف حسين في الحجاز، وطالبه بتجريد حملة عسكرية لملاقاته في القدس لمواجهة القوات البريطانية ، ولكن الشريف حسين ماطله في تنفيذ هذه الدعوة .

ومن أجل إزالة شكوك احمد جمال باشا في سوريا ، بعث الشريف في عام ١٣٣٣هـ/أول يناير ١٩١٦م ابنه فيصل إلى دمشق ومعه خمسون فارساً من أتباعه أدعى أنها طلائع من القوات العربية التي طُلب منه تجنيدها من الحجاز . وعندما وصلت القوة دمشق أقيمت لها الأحتفالات للترحيب بهذه الطلائع ، ونزل فيصل في ضيافة آل البكري في القابون كعادته ، مما أتاح له فرصة مقابلة بعض الشخصيات السورية البارزة لدراسة الاستعدادات للثورة ضد الدولة [٢] .

ولقد أوضح فيصل لأحمد جمال باشا بأنه أحضر معه إلى دمشق طليعة من المجاهدين الحجازيين الذين طُلب من الشريف حسين أن يرسلهم إليه ، فقبل الوالي هذا الأمر على ظاهره ورحب به وبقوته التي معه [٣] . وفي الوقت نفسه ، وجد فيصل نفسه محاطاً باعجاب السوريين ، ولكنه لاحظ خلو البلاد من الفرق العسكرية العربية التي كانت في دمشق ، وأُخبر بأنها نقلت أثناء غيابه الاخير في الحجاز إلى غاليسيا للاشتراك مع الألمان ضد الهجوم الروسي ، فبعث برسالة مع احد اتباعه إلى ابيه في مكة المكرمة يخبره عن الوضع السياسي المتدهورفي سوريا وعن زحف الروس باتجاه ديار بكر وسقوط بعض الولايات في ايديهم .

ووفي نفس الوقت أخذ فيصل كل الاستعدادات في دمشق لمراقبة تحركات الوالي ، وتلبية رغباته أولاً بأول حتى لا يكشف مخططه الذي جاء من أجله ، ومن ناحية أخرى حاول أن يكسب ود زعماء القبائل إلى جانبه حتى يحين له تحديد موعد الثورة الذي تم دراسته مع الأحزاب العربية المعارضة للسياسية العثمانية في دمشق [٤]، إلاّ أنه وجد أن

---

(١) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠٦ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٩ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١١٥ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الحسين ، ص٥٨ .

(٣) ابراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٢١ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٨٧ .

(٤) I.O.R : L/P, and S/10/15 , Telegram , No. 266, from Macmahon to Grey , Dated , Aug, 1915 .

الأحوال السياسية قد تغيرت عما كانت عليه في زيارته السابقة عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م .

وكان فيصل ينوي في زيارته هذه إثارة الشعب السوري والفرق العربية الموجودة في الجيش العثماني في الولايات السورية (١)، حال وصول الأوامر له من والده بالبدء بالثورة في الحجاز إلاّ أن فيصلاً وجد أن جميع الفرق العربية المرابطة في سوريا والتي بها معظم أصدقائه ممن أتفق معهم على الثورة قد نقلت إلى اماكن أخرى بعيدة عن دمشق ، وحلت محلها فرق تركية ، كما نفي كثير من المدنيين إلى أماكن نائية في الولايات والأناضول بعيداً عن دمشق ، وعلى أثر ذلك أزدادت مخاوف فيصل من سياسة احمد جمال باشا التعسفية خصوصاً بعدما تم تقديم المجموعة الثانية من الموطنيين السوريين إلى المحاكمة أمام المجلس العرفي في عالية ، وتنفيذ حكم الإعدام في واحد وعشرين منهم أمام الأهالي السوريين (٢) ، وتناقل الأهالي هذه المجزرة بالذعر والقلق ، ووصل الخبر إلى الشريف حسين الذي بادر بارسال برقية عاجلة إلى أنور باشا وزير الحربية مناشداً إياهُ إيقاف مثل هذه الإعدامات التي تنفذ في المواطنين السوريين والتي لا تؤدي إلا العنف وإطلاق سراح المعتقلين في بلاد الشام (٣) .

وعندما وصلت البرقية إلى أنور باشا رد عليه ببرقية مماثلة ، خلاصتها : (أنه لابد من أن ينال المجرمون بالشام – على حد تعبيره – الجزاء الرادع ، وسوف لا ترون نجلكم فيصل مرة أخرى قبل أن ترسلوا الجنود المتطوعين الحجازيين إلى جبهة القتال ، وأن لم تنفذوا طلبنا فالنتيجة في حقكم لن تكون خيراً ، كما أوصيكم بأن تستدعوا ابنكم علياً من المدينة المنورة إلى مكة فوراً ، وترسلوا الجنود المجاهدين الذين وعدتم بارسالهم إلى دمشق ، ليكونوا بقيادة نجلكم فيصل) ، وقد أدى هذا إلى تخوف الشريف حسين على مصير ولده فيصل الذي كان يقيم في دمشق في ذلك الوقت . (٤)

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٤٠٠ .

(٢) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص١٤٤ ؛ إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٢١ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١١١ .

(٤) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧-٧٨ .

ولقد أدى هذا الأسلوب الذي درج عليه أحمد جمال باشا إلى الفزع وانتشار المجاعة في البلاد ، قضى على عشرات الآلاف من المواطنين الذين ماتوا جوعاً ، وكان أشده رهبة في لبنان وسواحل سوريا وحمص وحماه (١) ، وانتشر العوز بين الناس بسبب ما يطلبه الوالي منهم من اموال كبيرة لتزويد الجيش بما يحتاجه من مصاريف ، بسبب هبوط قيمة العملة ونقص الطعام ، فأصبح الشغل الشاغل للسكان مقاومة الجوع ، هذا بالاضافة إلى الإعدامات والتنكيل بمجموعة كبيرة من السوريين بتهمة الخيانة العظمى للحكومة . (٢)

ولقد وصلت الأنباء إلى الشريف حسين بأن أحمد جمال باشا كون قوة عسكرية تزيد على ثلاثة آلاف جندي على وشك الرحيل عبر الحجاز إلى اليمن ، ولم يكن الشريف مطمئناً من هذه القوة ، حيث أحس بأن جهوده في سوريا ذهبت سدى ، وأدرك أنه قد فقد كل أمل في إمكانية إشعال ثورة وطنية ضد السلطات العثمانية في سوريا ، نظراً لتشديد قبضة الوالي على السوريين ، ومراقبة تحركات الزعماء منهم حتى أن فيصلاً بدأ يخشى من أن يقبض عليه في أي لحظة ، وذلك عندما رأى دمشق خالية تماماً من السوريين الذين لهم مواقف سياسية ضد الاتحاديين والذين كانوا يقفون معه في زياراته السابقة (٣) .

ولقد اسرع إلى عقد اجتماع طارئ مع البكري لدراسة الموقف المتأزم في دمشق وما جاورها من مدن سوريا ، فاستقر الرأي على أن الثورة أصبحت غير ممكنة في سوريا لقيام الوالي بتشتيت شمل زعماء ومعظم رجال الأحزاب السياسية المناهضة في الولايات السورية ، وإبعادهم خارج سوريا وإعدام الكثير منهم ، وفي الوقت ذاته ، وجد فيصل أن الموقف قد تأزم بشدة وعليه أن ينجو بنفسه إلى الحجاز ، فأستأذن

---

(١) إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٢١ .

(٢) جورج إنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٢٨٢ .

(٣) Hourani , A.,: op, cit , P . 49 ;

أنتوني ناتنغ : لورنس لغز الجزيرة العربية ، ص ٢٧ .

فيصل أحمد جمال باشا للسماح له بالسفر إلى الحجاز لإنقاذ نفسه من الأسر ، لكن أحمد جمال ماطله في بداية الأمر .[(١)]

وعندما علم الشريف حسين بما حل بابنه في دمشق سارع إلى إيجاد طريقة خادعة يستطيع بها إنقاذ ابنه من قبضة جمال باشا ، ومما زاد من تخوفه على ابنه ما لمس من تهديد وجههُ له أنور باشا في برقيته التي أشار فيها ببقاء فيصل في سوريا مدة الحرب كرهينة عنده ، فقام الشريف بعمل خدعة لانقاذ ابنه ، حيث تظاهربارتياحه من موقف الحكومة الأخير واستعداده لإرسال الجنود المتطوعين شريطة عودة فيصل إلى المدينة لقيادتهم بحجة رفضهم السفر دون قيادة فيصل لهم[(٢)] . وقد وافق أحمد جمال باشا على ذهاب فيصل إلى المدينة المنورة لإتمام مهمة قيادة الجنود المتطوعين والمجيء بهم إلى قناة السويس على وجه السرعة[(٣)] .

ولذلك غادر فيصل دمشق في الثاني من رجب عام ١٣٣٤هـ/السادس عشر من مايو عام ١٩١٦م إلى الحجاز على رأس وفد كان من بينهم كاظم بك مفتش الجيش الرابع ، والسيد نسيب البكري ومستشاره وصديقه واصف بك المستشار القضائي وآخرون - إلى المدينة المنورة بحجة استقبال المجاهدين ومرافقتهم في سيرهم إلى قناة السويس ، للانضمام إلى الجيش الرابع الذي سيأتي من دمشق ضد القوات البريطانية[(٤)] .

وقصد الجميع المدينة المنورة بالسكة الحديدية ، وعند وصولهم المدينة المنورة استقبلوا بكل حفاوة ، وانضم فيصل إلى أخيه علي ثم أعتذر من أعضاء الوفد المرافق له عن العودة معهم ، لأنه لم يعُط قراراً بعد بسفر الجنود المتطوعين عن طريق السكة الحديدية إلى دمشق أو عن طريق الصحراء إلى جبهة القتال ، وبهذه الخطة التي

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص٢٩ ؛ طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م .

(٣) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠٩ ؛ إبراهيم الراوي : من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ، ص ٦٨ .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٦٠ ؛ أمين الريحاني : ملوك العرب ، ص ٦٨ ؛ إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٢٢ .

أوصلته إلى المدينة المنورة يعتبر فيصل قد نجا من الأسر في دمشق [١].

وفي تلك الأثناء ، وصل فخري باشا وكيل قائد الجيش الرابع ، وقائد الفيلق الثالث عشر إلى المدينة المنورة للأشراف على الأحوال السياسية وقيادة القوات الموجودة فيها وهي من خيرة القوى العثمانية الخاضعة لسيادة الاتحاديين ، حيث عززت بقوة إضافية أخرى بحجة إرسالها إلى اليمن ، بينما الهدف منها تعزيز وسائل الدفاع عن المدينة المنورة في حالة ظهور أي حركة [٢] ، وخشيى الشريف حسين من توالي وصول الامدادات إلى المدينة المنورة بداية لإحتلال الحجاز عسكرياً وسلبه جميع امتيازاته أولاً ثم اغتياله وتصفية أولاده واتباعه من بعده [٣] .

ولذلك تم الأتفاق بصورة سريعة وسرية بين فيصل وأخيه علي على تدبير خطة خادعة للنجاة من قبضة فخري باشا ، والعودة إلى مكة المكرمة بسلام . [٤]

وقد تحقق لفيصل ما أراده وعاد إلى مكة المكرمة سالماً مما أفرح والده به ، وبدأ يستعد لتنفيذ مخططه الجديد بتوجيه من بريطانيا صاحبة الوعود الكاذبة ، ويهدف هذا المخطط إلى إعلان الثورة في الحجاز باسم العرب وبدعم منها مالياً وعسكرياً من أجل فصل العرب عن الدولة العثمانية .

ومن هنا ، يتضح لنا أن الشريف حسين فشل في اشعال نار الثورة في الحجاز وسوريا في وقت واحد وليس بمقدوره عمل أي شيء لإنقاذ السوريين من سياسة الاتحاديين التعسفية ، والتي أدت إلى قتل وتشريد الكثير من السوريين ، وتوسعة دائرة سياسة التتريك التي قام بها الاتحاديون في البلاد العربية . كما أن السوريين قد أخطأوا في وضع آمالهم وتطلعاتهم في الاستقلال في يد الشريف حسين وهو الشخص الذي كان العوبة في يد البريطانيين ، وذلك لما كان يخيم على مخيلته من أطماع في أن يكون ملك العرب جميعاً وخليفة المسلمين . وقد انتهزت بريطانيا هذه الفرصة الذهبية

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٤٩ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١١٥ ؛ عبدالله بن الحسين : الآثار الكامله للملك عبدالله بن الحسين ، ص ١١٥ .

(٣) إبراهيم الشرفي : الثورة العربية الكبرى ، دوافعها وحصادها ، ص ٢٢ .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٦٠ .

وأخذت تكيل الوعود الكاذبة للشريف حسين بأنها سوف تمكنه من الحصول ذلك المنصب الرفيع إذا سار في ركبها وخضع لأوامرها ونفذ ما يطلب منه . وكانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك إلى تمزيق وحدة البلاد العربية والإسلامية حتى تستطيع الهيمنة عليها بسهولة ، وقد تم لها ما أرادت عندما أعلنت الانتداب مؤخراً على بلاد الشام ، وتقاسمتها مع خليفتها فرنسا إلى مناطق نفوذ من اجل استغلال ثرواتها .

وقد حاولت بريطانيا أن توقع الإمام عبدالعزيز آل سعود في مؤامراتها بالاغراءات المادية ولكنه كان بالمرصاد لتلك التحركات ، ولم ينخدع بأكاذيبها ، وهذا ما سوف تكشفه لنا الأحداث بعد ذلك .

ب - العلاقات الحجازية السورية أثناء الثورة

١٣٣٤-١٣٣٨هـ/١٩١٦-١٩١٨م

بعدما وطد الشريف حسين علاقاته مع الأحزاب السياسية المعارضة في سوريا لسياسة الدولة العثمانية على يد ابنه فيصل وبعض الزعماء السوريين أعلن الثورة على الدولة العثمانية في التاسع من شعبان عام ١٣٣٤هـ/العاشر من يونية ١٩١٦م ، وأذيع خبرها بين المواطنين في دمشق قبل إذاعته في بقية الأقطار العربية المجاورة للحجاز بأسبوع تقريباً ، وهذا يعود إلى الترتيب المسبق لها . فأصيبت القيادات الاتحادية في سوريا بالذهول لهذا الخبر المفاجئ الذي لم يكن في الحسبان أن تحدث الثورة في الحجاز نظراً لتمركز معظم القوات النظامية في القلاع والمواقع الاستراتيجية في المدن الحجازية الرئيسية كجدة ومكة والطائف ، وكان من المتوقع أن تقوم الثورة في الولايات السورية لأن معظم القوات العثمانية في دمشق . أما بقية المدن فكانت دائماً في حالة اضطراب مستمر (١) .

وبهذه الثورة تحمَّل أحمد جمال باشا متاعب كبيرة لحفظ الأمن والنظام في سوريا ، وأدرك أنه لابد له من قطع دابر الأحزاب السياسية المناهضة له في سوريا والمؤيدة للشريف حسين في الحجاز ، والذي سبق أن أتفق معهم على إقامة الثورة في سوريا والحجاز معاً ضد القيادات الاتحادية المسيطرة على الدولة العثمانية .

ومن الملاحظ ، فإن موقف السوريين من الثورة كان متفاوتاً بين المعارض والمؤيد ، وهم الغالبية العظمى من السكان ومعهم الأحزاب السياسية والعسكريون وغيرهم ممن كان لهم تأثير قوي على عامة السوريين والذي وطد الشريف علاقته معهم وربطوا مصيرهم به (٢) .

وأما بقية السوريين المعارضين وهم قلة فإنهم أظهروا معارضتهم الشديدة للثورة الحجازية على الدولة العثمانية ، ومنهم : العلماء الذين لم يأخذ الشريف حسين رأيهم في بلاد الشام ، فأصدروا فتوى بتكفيره لتحالفه مع بريطانيا وإعلان الحرب ضد الدولة الإسلامية على حد قولهم ، ووقَّع الفتوى مفتو ولايات كل من سوريا وحلب وبيروت وسنجق القدس (٣) .... وعندما علم الشريف حسين بموقفهم رأى أن يبرر فعلته هذه للسوريين المعارضين له ، وأن يدافع عن نفسه من خلال المنشورات التي أصدرها في الحجاز للمواطنين

---

(١) إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ١٢٣ .

(٣) ومن ابرز موقعوا الفتوى : محمد أبو الخير عابدين ومحمد البيسي ومصطفى نجا وكامل الحسيني .

وأرسل نسخاً منها إلى دمشق لتوزيعها على السوريين .

فقد أشار في منشوره لأهل الحجاز وسوريا بأن الاتحاديين أستولوا على السلطة في الدولة العثمانية ، وسلبوا من الخليفة سلطته وابتعدوا عن التقيد بالتعاليم الإسلامية ، وساروا على نهج السياسة العنصرية ضد المواطنين السوريين لإجل طمس هويتهم ولغتهم ، وعلقوا الزعماء السياسيين في سوريا على أعمدة المشانق وساروا على سياسة ترمي إلى قتل الروح العربية لإضعاف معنوياتهم امام تهديدات الدول الاستعمارية (١) . وهذا مما أدى إلى إعلان الثورة ضد القيادات الاتحادية في أسرع وقت ممكن لإنقاذ أبناء سوريا من التصفية العامة ، وربما أعد لهذا المنشور قبل إعلان ثورته بوقت قصيرليرد بها على العلماء المعارضين لثورته في الولايات السورية الذين أتهموه بالخيانة الكبرى . لفعلته هذه ولتحالفه مع الأنجليز المستعمرين ونسي أنه باع نفسه وبلاده لبريطانيا خاصة بعد أن اعترضت على حدود الدولة التي يطمع في إقامتها تحت سيطرته ، ومنها : حلب وحماة وحمص ودمشق أو أي جزء أخر من المنطقة العربية التي هي ضمن امتيازات حليفتها فرنسا واجلت المفاوضات حولها إلى وقت لاحق يجرى بعد الانتهاء من الحرب (٢) .

وعندما أعلن الشريف حسين الثورة في الحجاز بالاتفاق مع الزعماء السوريين لم يخبرهم عن الموعد المحدد لإعلان الثورة ، أو نتائج مباحثاته الأخيرة مع الحكومة البريطانية حول الموافقة على شروطهم ، بل تركهم يصارعون أجلهم مع الوالي أحمد جمال باشا الذي حال ما سمع بالثورة سارع بإخفاء أخبارها عن السوريين ، حتى يستطيع تحجيم هذا التحرك المفاجيء الذي طرأ في الحجاز ، والقضاء على المؤيدين للثورة في الولايات السورية حتى لا يقوموا بأي دور مساند للشريف حسين داخل الولايات السورية (٣) . لكن كل محاولات الاخفاء التي قام بها الوالي في دمشق لم تلق أي نجاح بالرغم من التعتيم الذي قام به الوالي على السوريين ، لأنهم كانوا على علم بقيام الشريف حسين بالثورة نتيجة للتخطيط المسبق الذي تم بين الشريف حسين بواسطة مندوبه ابنه فيصل والزعماء

---

(١) مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ١٢٤ ؛ فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، (دار القدس ، بيروت ، ١٩٧٥) ، جـ١ ، ص ٢٤ .

(٢) F.O. 882/19, Remarked of mr. Storrs on The Letter of Al-Sharief Hussein dated 19/8/1915 ; سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٢٠٦.

(٣) عبدالكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م ، ج١ ، ص٣٤٢ ؛ أحمد عبدالغفور عطار : صقر الجزيرة ، ج٣ ، ص ٥٤٧ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠م ، ص ٣١ .

السوريين الذين يريدون التخلص من الحكم العثماني بسبب تعسف العناصر الاتحادية .

وعندما أدرك أحمد جمال باشا في دمشق بتزايد تأييد السوريين للشريف حسين في ثورته ، نتيجة للروابط الدينية والتاريخية ، نشر بلاغاً عاماً وزعه على المواطنين في دمشق وما جاورها من المدن القريبة المعروفة بكثرة تظاهرات أهلها لامتصاص نقمتهم عليه ، حيث أوضح في بلاغه بأنه قامت بعض العصابات من ذوي الطمع والفساد في ولاية الحجاز استميلوا بالمال البريطاني ، وهاجموا المخافر المجاورة للمدينة المنورة ، وخربوا التلغـراف وسكة الحديد ، فبادرت القوى العسكرية المتمركزة هناك بإلقاء القبض على تلك العصابات المعتدية وتم التنكيل بها ، وتمكنت من دخول المدينة المنورة بدون خسائر ، وشرعت القيادة الحكومية هناك في إصلاح السكة الحديدية ، وأنشأت داراً للمخافر اللاسلكية في المدينة تجري المخابرات بواسطتها ، وتفيدنا بأن القوات الحكومية توالي تقدمها على العصاة المجتمعين في موقع الحسا (*) وبقية المدن الأخرى ، وأستولت على المواقع الذي كانت معتصمة به بعد معارك شديدة .

وفي بيان آخر تم توزيعه في دمشق على الزعماء السوريين ، أوضح الوالي فيه بأنه وصلته برقية عاجلة من محافظ المدينة المنورة العثماني يشعره بأن أهل المدينة سروا سروراً عظيماً ، بعدما أستولت قواته على معاقل المتمردين ، وطردت من نجا منهم إلى خارج المدينة ، ولقد سرُ أهل الحجاز قلباً وقالباً بالقضاء على الفئة الباغية والتنكيل بها ، وعاد الأمن إلى ربوعه في الحجاز (١) .

ولقد ظلت التصريحات التي يطلقها أنصار أحمد جمال باشا في الحكومة العثمانية تتوالى في دمشق طوال شهر شعبان عام ١٣٣٤هـ/يونية ١٩١٦م ، بإنكار وجود أي تحرك معادي للعثمانيين في الحجاز ، وهذا في الواقع أمر غير صحيح بتاتاً . وكان الهدف من هذه التصريحات هو إضعاف معنويات السوريين سياسياً حتى لاينادوا بالاستقلال أو يربطوا مصيرهم بالشريف حسين في الحجاز على أساس أنه أتفق معهم على إشعال نار الثورة في سوريا في نفس الوقت ، وبالرغم من هذه البيانات المتتالية التي كان يطلقها احمد جمال باشا واتباعه في سوريا من أجل إشعار السوريين في الولايات السورية بعدم وجود أي ثورة في الحجاز، إلاّ أنه سرعان ما أخذت أخبار الثورة تنتشر، وبدأت

(*) الحسا : موقع أول مرحلة للحاج السائر من المدينة المنورة إلى مكة ، وتبعد عن الأولى بمسافة قصيرة ، وتسمى بيار علي أيضاً بجوار المدينة المنورة . انظر ، أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٥٩ .

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٥٩ .

تتسرب داخل المناطق السورية بين الزعماء السوريين الذين أخذوا بدورهم نشرها سراً على السكان ، وأخذت بعد ذلك تتناقلها الألسن بين عامة السكان السوريين والذين فرحوا كثيراً بهذه الأخبار السارة ، وهذا مما اضطر القيادة العامة في سوريا إلى التسليم بالأمر الواقع ، فحاول أحمد جمال باشا أن يبرر موقفه للأحزاب السورية المعارضة لسياسته في دمشق في محاولة منه لإيقاف التيار العربي الجارف الذي قام به المواطنون الذين أيدوا ثورة الشريف حسين في الحجاز وأعلنوا تاييدهم له ، فأمر الوالي المسئولين على جريدة (طنين) في سوريا بأن ينشروا على الأهالي أخباراً مضللة تقلل من أهمية الأحداث التي قامت في الحجاز (١) . وتوالت هذه الأخبار تُنْشَر في بعض الصحف في دمشق لعدة أيام مفادها أن حركة الشريف حسين في الحجاز ماهي إلاّ نزعة الشريف اثارته مؤامرة بريطانية .

وعلى كل حال ، فقد بذلت القيادات الاتحادية جهوداً كبيرة في المناطق السورية في سبيل التمويه والتعتيم على الأهالي ، من أجل منعهم من الاشتراك في الثورة والسير على خُطَا الشريف حسين في الحجاز ، وذلك عن طريق نشر مقالات وتقارير صحفية ملفقة زعمت فيها أنها تلقتها من القائد العثماني في المدينة المنورة ، والذي ذكر لهم أن عدداً كبيراً من رجال القبائل الحجازية قدموا فروض الطاعة والولاء ، وأن فيصل بن الحسين قد هُزم ولجأ إلى البارجة البريطانية قبال ميناء جدة . أما علي بن الحسين فقد هرب على وجه السرعة شريداً من المدينة المنورة إلى جهة غير معروفة (٢) .

وعلى الرغم من كل هذه المنشورات والنداءات التي تم توزيعها على السوريين إلاّ أنهم لم يصدقوا بها ، فاضطرت السلطات العثمانية في اسطنبول إلى ارسال تعزيزات إضافية إلى سوريا لتشديد الحصار على المدن السورية ، ومنعت دخول أي صحيفة لها إلا أن بعض المنشورات الحجازية كانت تدخل إلى سوريا بالطرق السرية وتوزع على الاهالي في المناطق السورية القريبة من حدود العراق وشرق الاردن ، وهناك تنشر أخبارها إلى داخل الأراضي السورية .

---

(١) أحمد عزت الأعظمي : اليقظة العربية أسبابها ومقدماتها ، ج٣ ، ص ١١٥ .

(٢) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٧٨ .

ولم يقتنع أحمد جمال باشا في دمشق بمنشوراته السابقة التي وزعها على الأهالي في سوريا بل قام بمحاولات أخرى ، حيث قام بتوزيع منشورات على الأهالي في كافة الأقاليم السورية مفادها أن الحكومة العثمانية أرسلت (علي حيدر) (*) إلى مكة المكرمة ليتولى الإمارة بدلاً من الشريف حسين ، وتم تزويده بقوة خاصة من دمشق للقضاء على باقي المتمردين (١) .

وكان الهدف الأساسي من إشاعة مثل هذه الأخبار هو من أجل إيقاف تأثير الثورة بين السوريين ، بعد ما رأت الحكومة العثمانية تزايد تأثيرها على المواطنين في المناطق السورية يريدون أن يحذوا حذو الشريف حسين في الحجاز .

ومن الجدير بالذكر ، فإن هذه المنشورات التي وزعت أخيراً في دمشق وبعض المناطق السورية تعبر عن وجهة النظر الرسمية للعثمانيين إزاء الأحداث الجارية في الحجاز ، وليس من وجهة نظر الأهالي في سوريا .

ولقد حاولت السلطات الحاكمة اعادة توزيع المنشورات للحد من توسيع نشاط الثورة في الحجاز وبلاد الشام ، باعتبارها حركة إنفصال عن جسم الدولة العثمانية ، وطمع الشريف حسين وابنائه في السلطة ، وأكد بأن الأمر لم يتعلق بالحجاز ولا بالعرب أو بالعالم الاسلامي ، وأنما يتعلق بمصير دولة

(*) الشريف علي حيدر من ذوي زيد وحفيد أمير مكة المكرمة الأسبق عبدالمطلب بن غالب وابن علي جابر كانت ولادته في ذي الحجة عام ١٢٨٢هـ/ابريل عام ١٨٦٦م في شمالية جدة الواقع في قانلجة في اسطنبول وقد أصبح يتيماً وهو صبي صغير وذلك لأن والده توفي ، ومع أنه أرسل إلى مكة المكرمة في ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ، وعندما بلغ عمره الحادية عشر من العمر أعادهُ السلطان عبدالحميد بناء على طلب جده إلى اسطنبول ، ودرس هناك مع أبناء السلاطين فعين سنة ١٣٠٤هظ/١٨٨٧م لعضوية دائرة محاكمات مجلس شورى الدولة مع رتبة بالا (Bala) وهو في الحادية والثلاثين من العمر ، وبعد إعلان المشروطية الثانية في ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م أصبح عضواً في مجلس الأعيان ، ثم أصبح وزيراً للأوقاف في وزارة حقي باشا في ٣ ذي الحجه ١٣٢٧هـ/يناير ١٩١٠م ، ثم أستقال بعد فترة وعين محله خيري بك ، وعندما قامت الثورة في الحجاز قامت السلطات في اسطنبول بعزل الشريف حسين بسبب ثورته وعينت الشريف علي حيدر أميراً على مكة المكرمة برتبة وزير ، وأرسل في ٣٠ شعبان ١٣٣٤هـ/١ يولية ١٩١٦م إلا أنه لم يذهب إلى مكة بسبب ثورة الشريف حسين في الحجاز ، ولكن جلس في المدينة المنورة ثم عاد إلى دمشق . أنظر إسماعيل حقي أوزون جارشلي : امراء مكة المكرمة في العهد العثماني ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٥٨ ؛ عبدالكريم محمود غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨م ، ج١ ، ص ٣٤٣ .

كاملة مهددة بالاستعمار الأجنبي ، وأن مصير الحسين في رأيها سيكون الخسران المبين ، كغيره من المغامرين الذين حفل بهم تاريخ الدولة العثمانية (١) .

وعلى أية حال ، فقد لجأت السلطة الحاكمة في سوريا ، إلى نشر مقالات في صحيفة (الشرق) وزعت على المواطنين في المدن السورية (*) ، تتهم الحسين بانه باع نفسه والعالم العربي مقابل حفنة من ذهب البريطانيين ، الذين يحاولون تحقيق أهدافهم الاستعمارية ببث نار الفتنة بين المسلمين (٢) ، وصرح العثمانيون أكثر من مرة بعدم تأييدهم لما يقوم به الشريف حسين في الحجاز ، ولكن رجال الجمعيات المتأثرين بزعامة وشخصية الشريف دعت الأهالي بطرق سرية في سوريا إلى تكذيب تلك الأخبار التي تنشر لأجل القضاء على الثورة في الحجاز ولا بالتعزيزات التي أرسلت إلى الحجاز ، وعدم قطع الصلة مع الشريف حسين وأولاده والمتعاونين معهم في الحجاز وبقية الولايات العربية التي تخضع لسيطرة الاتحاديين .

وقد كشفت جبهات المعارضة السورية في توزيع المنشورات على السكان في دمشق وحمص وحماة وحلب وغيرها من المدن السورية تصف لهم اخبار الثورة في الحجاز ومدى نجاحها ، وتدعوهم إلى تأييد الشريف حسين ، الذي يولي جل اهتمامه بتحريرهم من قبضة العثمانيين على حد ما ورد في تلك المنشورات ، وهذا مما آثار غضب أحمد جمال باشا في دمشق ، الذي قام بصب غضبه على زعماء العرب وقادتهم الذين أفلتوا من قسوته في المرات السابقة ومن تشكك في أنه سبباً في توزيع النشرات في سوريا بالقاء القبض عليهم والزج بهم في السجون بدمشق ، وأنزل مختلف العقوبات بالبقية الباقية (٣) .

ولقد بلغ من تم القبض عليهم في دمشق وحدها حوالي أربعين شخصاً من أعيانها ،

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(*) صحيفة الشرق ، وهي جريدة أصدرها أحمد جمال باشا - بإيعاز المانيا ، في مدينة دمشق لما لهذا الرجل من النفوذ الواسع والكلمة المطاعة ، وكانت جريدة المانية تركية بحتة يقصد بها الدعاية والتأثير في العالم العربي ، والعالم الاسلامي معا . ومن جهة أخرى يقصد بها تغطية أعماله التي قام بها في دمشق من شنق وحبس ونفي وغير ذلك

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٤٢٥ .

(٣) أحمد عزت الأعظمي : اليقظة العربية اسبابها ومقدماتها ، ج٣ ، ص ١٣٦ ؛ فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٢٥ - ٦٢ .

ومن أبرزهم : فارس الخوري ، وشكري باشا وغيره .

ولكن كل الأعمال الانتقامية التي قام بها الوالي العثماني في دمشق لم تقض على الثورة بل زادت الشريف حسين اصراراً وواصل نشاطه فاستولى على مكة المكرمة والطائف وجدة ، وبعد أن أحس بنجاح ثورته في الحجاز أخذ يحدد مسار قواته واختيار القادة الذين يمكن الإعتماد عليهم في مسئولياته القيادية ، والسير بها إلى الأمام لتحقيق الأهداف المرجوة التي رسمتها له بريطانيا بهدف تحقيق أطماعه على حساب السوريين الذين يتعرضون في ذلك الحين لأساليب التعذيب والأعدام على يد أحمد جمال باشا في دمشق . في الوقت الذي يرحبون فيه بربط مصيرهم بمصير الشريف ليحقق لهم أحلام الاستقلال على حسب تفكيرهم (١) .

وبعد أن شعر الحسين بنشوة النصر على القوات العثمانية في مكة والطائف وجدة ووجد من يسانده من القادة العرب السوريين والعراقيين ، وضع أمام نصب عينيه العمل على نجاح خطته في الاستيلاء على سوريا معتمداً على الدعم البريطاني ، والذي وطد علاقته بزعمائها قبل قيام ثورته بواسطة ابنه فيصل كما أشرنا سابقاً . فقام بوضع خطته والتي تم الاتفاق عليها مع بريطانيا ، ومنها : فتح عدة جبهات للقتال في وقت واحد لأن هذه الخطة سوف يتطلب من العثمانيين توفير قوات كبيرة تقاتل على عدة محاور وجبهات في مناطق صحراوية واسعة ومكشوفة (٢) ، في الوقت الذي كان فيه معظم قوات العثمانيين في سوريا وغيرها تخوض حرباً عالمية مع دول الوسط ، وتدافع عن مواقع استراتيجية ، حفاظاً على مركز سلطتها في مناطق متعددة من أملاك الدولة العثمانية خارج وداخل الولايات السورية (٣) .

ولقد استغل الشريف حسين هذه الأزمة التي تعاني منها الدولة العثمانية إلى جانب موجة الغضب العارمة التي اجتاحت الأهالي في الولايات السورية بسبب السياسة القاسية التي كانت تمارس ضد السكان في بلاد الشام رغم إنكار الوالي لذلك . فأخذ الشريف يكثف الدعاية لنفسه بين السوريين بواسطة أنصاره بقصد توطيد العلاقة معه ، وحتى لا يقولوا أنه تخلى عن قضيتهم بعدما عاهدهم على القتال ضد الحكومة العثمانية مع أخذ الأحتياطات اللازمة داخل الحجاز وخارجه لإنجاح ثورته ، ومع ضرورة مطالبة البريطانيين بتقديم المساعدة

---

(١) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ٦٩ .

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م . ص٨١ .

(٣) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية ، ج١ ، ص ٦٧ .

له ، ولزعماء الحركة العربية في سوريا ، بقصد زعزعة أوضاع العثمانيين سياسياً في المناطق السورية كرد فعل لما يقوم به القادة الاتحاديون في الدولة العثمانية من سياسة القمع والاضطهاد ، والتي شجعت الكثير من السوريين لدعم الحركة الوطنية في بلاد الشام ، لإجل إقامة حكومة مركزية قوية شديدة القبضة على السوريين حتى يسهل لها قطع علاقتهم مع الشريف حسين (١) . وفي الوقت نفسه ، كانت بريطانيا ترحب بكل ما من شأنه زعزعة كيان الدولة العثمانية خلال تلك الفترة خدمة لمصالحها الاستعمارية في المنطقة بعدما يئست من انضمام الدولة العثمانية الى جانبها ضد دول الوسط التي أعلنت الحرب على دول الحلفاء .

وقد كثف الشريف حسين اتصالاته السرية في الحجاز بالمعارضين السوريين لسياسة الدولة في دمشق وماجاورها من مدن أثناء قيام الثورة عن طريق الحجاج السوريين ، ورؤساء القبائل بمنطقة شرق الأردن لقربهم من الأراضي السورية وتزويدهم بالمعلومات التي تبين لهم مدى ماوصلت إليه الثورة من نشاط ، وما يجب عليهم القيام به لتأييد ثورته ، كما أنه حذرهم على أنه يجب أن تكون تحركاتهم سرية وسريعة داخل المناطق ، مراعاة للأوضاع السائدة هناك ، نتيجة للمراقبة الشديدة التي عزم الوالي فرضها على تحركات الأهالي في المناطق السورية ، وأخذت تحركاتهم تسير على شكل خلايا داخل القيادات الاتحادية . كما تم فتح جبهات سرية جديدة ومتعددة حتى يصعب على الوالي في دمشق القضاء عليها بسهولة في عملية واحدة ، كما طالبهم بإرسال المعلومات أول بأول إلى الحجاز .

أضف إلى ذلك ، فقد استغل الشريف حسين موسم الحج عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م ، وطلب من حجاج بلاد الشام ورجال القبائل إبلاغ الزعماء السوريين بأن بريطانيا وفرنسا تؤيدان حركاتهم ومناصرتهم ضد تعسف العناصر الاتحادية ونفى كل الإشاعات التي تقول إن الثورة أخمدت ، كما أن بريطانيا أيضاً عبرت عن تأييدها بمساندتهم بإنزال قواتها شمالاً في ميناء الأسكندرونة (٢) ، مع أن هذا التأييد البريطاني للعرب لم يكن حباً للشريف أو للسوريين ، وإنما كان نابعاً من مخطط استعماري متفق عليه مع فرنسا ، يهدف إلى زعزعة القيادة العثمانية العامة في الولايات العربية ، وتحقيق أكبر نصر ممكن لها في الحرب العالمية الأولى حتى تكون الوريث الوحيد للدولة العثمانية .

---

(١) Khoury, Philips : Urban Notables and Arab Nationalism the Polities of Damascus 1860-1920, London, Vol. 2, 1983, P.51; Petran, Tbitha: op . Cit, P.55.

(٢) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١١٧ ؛ Khoury, Philips : OP. Cit, VOL. 2, P. 72 .

وقد نجعت هذه السياسة التى سار عليها الشريف إلى حد ما في تحقيق أهدافها ، حيث باشر الحجاج ورجال القبائل بمنطقة شرق الأردن الذين كانوا على اتصال مستمربالحجاز من حين إلى آخر ، بإبلاغ الأحزاب السياسية المعارضة في المناطق السورية المجاورة لشرق الأردن بمخططات الشريف حسين ومدى نجاح ثورته ، وتعليماته لهم وموقفه المؤيد لحقوقهم على حد قوله . وكان ذلك له الأثر البالغ في زيادة توسع نشاط المعارضة السورية في المدن الرئيسية للحكومة العثمانية وزيادة تمسكهم بالشريف . فأحدثت تلك المعلومات في المناطق السورية صداها بين المواطنين المؤيدين للثورة الحجازية ، والذين ينتظرونها بفارغ الصبر ، وهذا مما دفع أحمد جمال باشا إلى أخذ الأحتياطات اللازمة للتصدي لتلك التحركات الثورية التي أخذت تتوسع في الولايات السورية ، فبادر بزيادة تعسفه ، حيث قام بإعدام من يتم القبض عليهم من زعماء المعارضة السورية والقيادات العربية التي في جيشه الذين علموا بالانتصارات التي أحرزت في ولاية الحجاز ضد القوات العثمانية ، فسارع إلى القيام بهذا الاجراء حتى لا يهرب زعماء المعارضة إلى الحجاز حينما يتأكدون من نجاح الثورة . وهناك يمكنهم تكوين جبهة معارضة قوية تؤدي إلى زعزعة مركزه في سوريا ، كما قام بحشد أكبر عدد من الضباط والجنود في سوريا لمواجهة اي ثورة تقوم في سوريا (١).

ولكن نفور المواطنين في الولايات العربية ، وتعدد جبهات المعارضة ، وانشغال الدولة العثمانية بإيقاف الزحف الروسي ، وقيام بعض الاضطرابات في ديار بكر وانقطاع الأمدادات إلى أحمد جمال باشا في سوريا ساعد بعض السوريين على الإفلات من قبضته في دمشق ، والهروب إلى الحجاز للانضمام إلى الثورة لتحرير بلادهم من سيطرة العناصر الاتحادية الجائرة (٢).

وعندما وصلوا مكة المكرمة أخبروا الشريف حسين بالإعدامات التي نفذت في حق بعض المواطنين والزعماء السوريين ، ومنهم : كبار بعض الشخصيات السورية البارزة ، فأرسل بدوره رسالة سرية إلى بعض السوريين في دمشق مع الحجاج ، يصف لهم علاقته الراسخة وموقفه الثابت والمعارض من الإجراءات التعسفية غير الانسانية ، التي درج عليها الوالي في دمشق ضد السوريين ، ويطلب منهم الأعتراف بسلطة

---

(١) محمد كرد علي : خطط الشام (ط٢ ، بيروت ١٣٩٠هـ) ، ج٣ ، ص ١٤٠ ؛ فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٢٤ .

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص٨٣ .

الوالي وتقديم الولاء والطاعة له ظاهرياً ، وعدم اتخاذ أي إجراء يخرج عن رغبة القيادات العسكرية العامة ، للحفاظ على سلامتهم في ظل الظروف السياسية السيئة ، التي أخذت تتفاقم خلال تلك الفترة حتى تضع الحرب أوزارها في المناطق القريبة من دمشق (١) ، وبهذه الخطة احتفظ الكثير من القيادات السياسية السورية بوظائفهم الإدارية في جميع المناطق السورية خلال إشعال الثورة في الحجاز .

وكانت استراتيجية الشريف حسين المبنية فيما يبدو على خطط بريطانية جعلت في أولوياتها نقل ثورته إلى عدة مناطق في الحجاز تبدأ الأولى في شمال المدينة المنورة ، لتكون قريبة من حدود بلاد الشام حتى يسهل له الاتصال بالقبائل المؤيدة له ، والتي تقطن الحدود السورية وشرق الأردن للانضمام إلى قواته حينما تقترب منها (٢) .

وطبقاً لهذه الخطة الموضوعة ، فإن أعمال الجيش الحجازي الشرقي والجنوبي مهدت الطريق لجيش الشمال بقيادة الشريف فيصل بتغيير مواقعه ، فاندفع باتجاه البحر الاحمر شمالاً تاركاً قوات الاتحاديين وراءهُ لبعض القادة الحجازيين من بعده ، فوصل (أملج) فأستولى عليها ، ثم تقدم تجاه (الوجه) (*) ، فوصلها في اواخر ربيع الآخر عام ١٣٣٥هـ/الرابع والعشرين من يناير عام ١٩١٧م (٣) . بمساندة الأسطول البريطاني من البحر ، فهاجمت البوارج البريطانية الثلاث (فوكس ، وهاردنج ، وايرلونت) القوات العثمانية في نفس اليوم الذي وصلت فيه (الوجه) ، ودارت معركة دامية ، تمكن خلالها فيصل من الاستيلاء عليها ، بعدما هاجمها من البحر والبر وسقطت الوجه في يده في أواخر ربيع الآخر عام ١٣٣٥هـ/الخامس والعشرين من يناير عام ١٩١٧م (٤) ، وأتخذها فيصل قاعدة له وبدأ منها يرسل طلائع قواته إلى الشمال ، كما أخذ يوسع نشاطه تجاه السوريين ، بإرسال الوفود سراً إلى قيادات الأحزاب السياسية المعارضة في دمشق ليؤكد لهم بأن والده مازال على اتفاقه معهم .

---

(١) Khoury, Philips: OP. Cit, VOL. 2, P.52 .

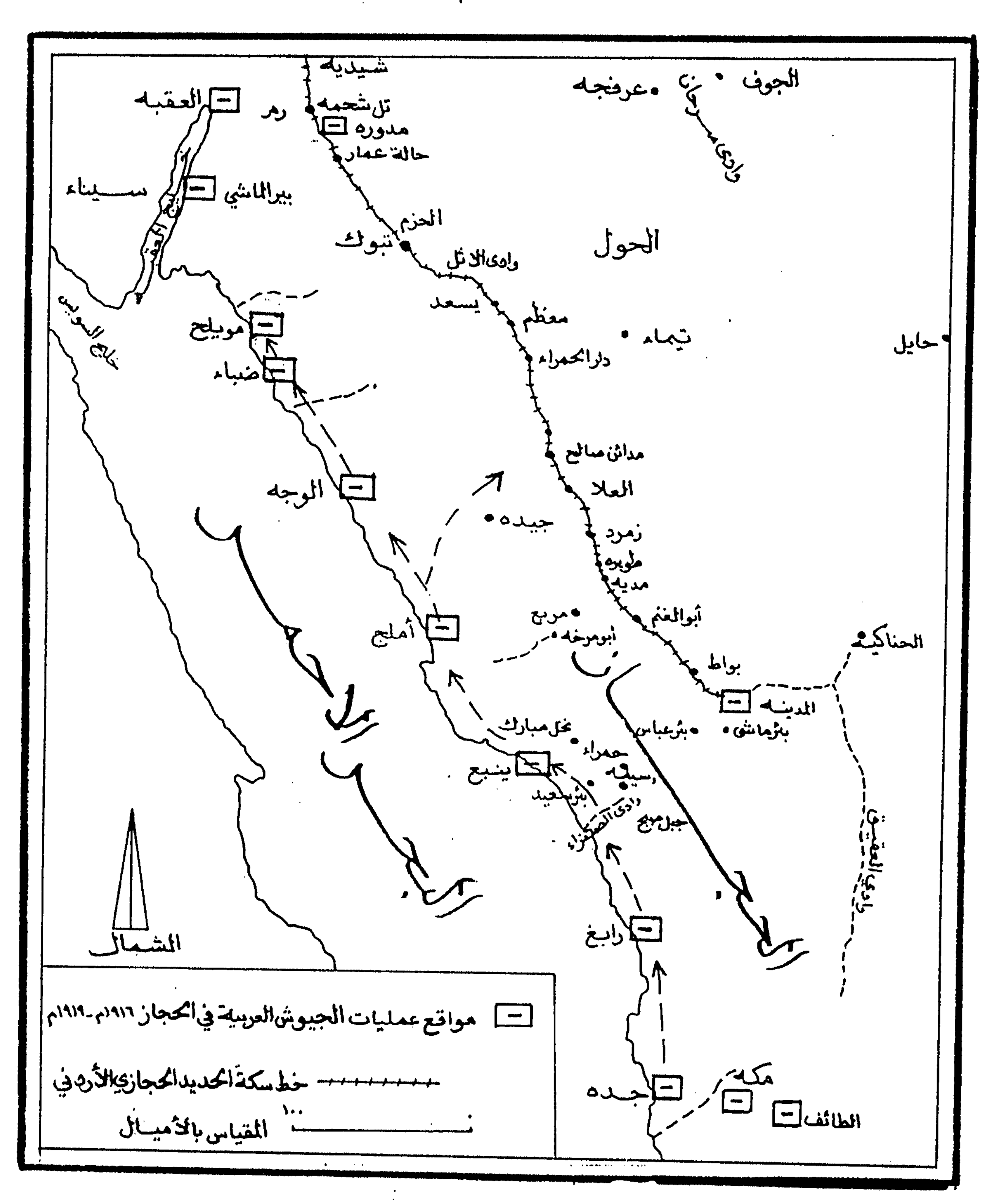
(٢) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ، ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ١٠٤ .

(*) الوجه : مدينة صغيرة ومركزها على ساحل البحر الأحمر على بعد خمسمائة كيلو متر شمال جدة .

(٣) انظر الخريطة رقم (٣) ص ١٤١ التي توضح المواقع التي دارت فيها المعارك بين قوات الشريف حسين والعثمانيين .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ، ص ٢١٥-٢١٦ .

الخريطة رقم (٣)



سير المعارك التي دارت بين قوات الشريف حسين وقوات الاتحاديين في الحكومة العثمانية في الحجاز . كما صوره لنا سليمان موسى في كتابه : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى .

وفي الوقت نفسه ، يريد أن يتأكد من موقفهم السياسي من والده خلال فترة غيابه الأخير عنهم خوفاً أن يغيروا من موقفهم تجاهه ، بسبب ضغوط بعض العلماء في دمشق الذين يعارضون ثورة الشريف حسين في بداية الأمر على الدولة الاسلامية على حد قولهم (١) .

وبعدما استولى فيصل على الوجه وضع خطته العسكرية الثانية ومنها : تشكيل أول جيش عربي نظامي من البدو ، وبعض القيادات العربية الأخرى ، ومنهم : على سبيل المثال نوري السعيد الذي كون بعض التشكيلات العسكرية للجيش النظامي ، وساعدهُ نوري الكويري وغيره ، فاكملها عزيز علي المصري الذي عمل سابقا في الحكومة العثمانية ، وله علاقة قوية مع الجمعيات السورية المعارضة ، وبقيت تشكيلات الجيش العربي النظامي على هذا النمط حتى وصل جعفر العسكري (الوجه) فطوره بعد ذلك (٢) .

وبعد أن تم تشكيل النواة الأولى للجيش العربي أخذ في توسيع نشاطه السياسي في سوريا ، فبدأ فيصل يضع الخطط بالتنسيق مع بريطانيا التي أنزلت فرقة من قواتها في شمال سوريا بميناء خليج الأسكندرونه على ساحل البحر المتوسط ، لمنع وصول أي تعزيزات عسكرية إلى الولايات العربية السورية ، كما تعهد الحسين من جانبه بأن يقوم بإرسال سرايا ليلاً من قواته لنسف محطات سكة الحديد بمساعدة رجال القبائل ، واحتلال العقبة القريبة من شرق الأردن ليتخذها قاعدة لعملياته العسكرية ضد القوات العثمانية الموجودة في جنوب سوريا (حوران) وشرقي سوريا (٣) ، وبهذه الخطة أصبح موقف أحمد جمال باشا ضعيفاً في شرق الأردن والمناطق السورية ، ومهدداً بقيام أي ثورة محتملة في سوريا ضده بالتنسيق مع المعارضين السوريين والشريف حسين ، وبعض الفرق البريطانية سواء كانت برية أو بحرية في الاسكندرونة (٤).

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، (بغداد ، ١٩٢٥م) ، ج٢ ، ص٩٣-٩٤ ؛ نوري السعيد : مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ، ١٩١٦/١٩١٨م ، ص ٥١ .

(٢) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى ، وتاريخ العراق المعاصر ، ص ٨٠ .

(٣) مجدي عبدالمجيد الصافوري : سقوط الدولة العثمانية وأثرها على الدعوة الإسلامية ، (القاهرة ، دار الصحوة للنشر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص ٢٢٩ .

(٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٦ .

وبهذه الخطة تستطيع القوات الحجازية التقدم تجاه العقبة والاستيلاء عليها بسهولة بناء على الخطة التي وضعت مع الزعماء السوريين قبل قيام الثورة . وفي الوقت نفسه ، أخذ الشريف حسين يوسع اتصالاته مع شيوخ القبائل في شرق الأردن وسوريا ، فانضمت إليه بعض أفرادها إلى قواته ، وأصبحت هذه القوة هي الدعامة العسكرية الأساسية في جيش فيصل ويعود ذلك لمعرفتهم بأماكن وجود القوات العثمانية في شرق الأردن وسوريا ، وبالطرق السرية التي تسير معها إلى الحجاز (١) .

ومن الملاحظ ، فإن تمركز القوات الحجازية في (الوجه) جعل الثورة تدخل مرحلة جديدة تجاه ضم الأجزاء الشمالية من الحجاز (٢) ، وقبل أن تتحرك شمالاً أرسلت بريطانيا مفرزة بقيادة الكابتن نيوكمب (New Combe) (*) ليقوم بتدريب رجال القبائل ، وبعض السرايا والعصابات على استعمال الديناميت لتخريب الجسور وسكة الحديد ومحطاتها وقطاراتها وكيفية التسلل إلى المناطق السورية لتدمير مواقع القوات العثمانية لإضعاف معنوياتها (٣).

وفي الوقت نفسه ، وصلت قوة أخرى تتألف من ثلاثمائة هجان ، ومعهم أربعة مدافع ومائة رشاشة ، انضمت إلى القوات العسكرية العربية الأخرى ، وواصلت تقدمها شمالاً ، فاستولت على ثغري (المويلح) (*) و(ضبا) (*) ، وأسرت كل من كان فيهما من القوات العثمانية ، فتم بعد ذلك الاستيلاء على جميع ثغور البحر الأحمر .

أما بقية القوات التي تحت قيادة فيصل وأقرباءه فقد بدأت تتحرك تجاه الشمال لتنفيذ الخطة المرسومة لها ، فأخذ فيصل يرسل السرايا والعصابات ، لتدمير محطات سكة الحديد الممتدة بين المدينة المنورة والعقبة . ومن هذه السرايا سرية الشريف شرف بن راجح والشريف ناصر

---

(١) ريتشاردلر نتجتون : لورنس في البلاد العربية ، ص ١٨٢ ؛ قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٦٧ .

(٢) مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ص ٧١ .

(*) نيوكمب (New Combe) : رئيس البعثة العسكرية البريطانية ، اشترك في الحرب في فرنسا بناء على طلبه ، وجرح في ١٥ أغسطس عام ١٩١٦م فنال وسام للجيون دوتور . وكان فيه نشاط بارز ضد فرنسا في سوريا والحجاز ، وقال عنه بريمون : إن قدومه كان نجاحاً باهراً للحلفاء والشريف حسين .

(٣) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٥ .

(*) ضبا : تقع ضبا على بعد ٩٠ ميلاً شمال الوجه وهي إحدى موانى البحر الاحمر .

(*) المويلح : تقع المويلح على بعد ٢٠ ميلاً شمال ضبا .

بن علي اللذان قاما بتدمير وتخريب جميع المحطات القريبة من العقبة التي كانت تتمركز فيها قوات عثمانية ، ونتيجة لتلك المعارك انضم إليهما كثير من زعماء القبائل ، ومنهم : فواز بن فايز شيخ بني شاكر الذي عزم على التعاون الفعلي مع قوات الحسين ، كما انضم الشيخ عودة أبوتايه (*) شيخ الحويطات ، الذي لعب دوراً بارزاً في ضم كثير من القبائل إلى القوات الحجازية التي تحت قيادة فيصل بن الحسين ، الذي قام من جانبه بتوجيه الدعوة إلى رجال القبائل التي تقطن الحدود بين الحجاز وشرق الأردن لتصفية خلافاتهم فلبت دعوته ، فقام بتصفية الخلافات بينهم ، وطلب منهم التعاون مع الحسين من أجل هدف واحد مشترك وهو القضاء على عدوهم في بلاد الشام ، وهو احمد جمال باشا وأتباعه الذين نكلوا بالزعماء العرب في الولايات السورية . وبهذه الدعوة استطاع ان يثير جميع القبائل التي بين معان والعقبة على القتال وذلك لزعزعة القوات العثمانية وإضعافها حتى يتم له بسهولة الاستيلاء على العقبة (١) .

ولقد لجأ فيصل بن الحسين في كثير من الحالات إلى تقديم الإغراءات المالية ، لكسب انضمام القبائل إلى القوات الحجازية ، في الوقت الذي تعهدت فيه بريطانيا بإمداد الشريف حسين بالأموال والمعدات العسكرية مساهمة منها لهذا الغرض ، كما استخدم فيصل نفوذه الشخصي ، وبهذه الطريقة استطاع أن يبث فيهم روح الوطنية من أجل تحرير بلادهم من أيدي الاتحاديين العابثين (٢) .

ولعل هذه الخطة التي نفذها فيصل كان لها الدور الكبير في مواصلة تقدم القوات الحجازية تجاه العقبة ، حيث سهلت له سرعة الاتصال برجال الحركات العربية المعارضة في سوريا للولاة العثمانيين ، ليتعرف على التطورات المستجدة في المنطقة ، كما اتصل برجال القبائل الذين ساندوه في دخول سوريا سابقاً ، وعقد معهم عدة لقاءات سرية من أجل التعرف على الموقف السياسي في الولايات السورية .

وكان من خططه أيضاً أن يستولى على العقبة ، ليتخذها قاعدة عسكرية لجيشه الذي أخذ يزداد عدداً وقوة يوماً بعد يوم ، نتيجة لإنضمام الجنود والضباط السوريين

(*) عودة أبوتايه بن حرب الحويطي : ولد سنة ١٨٥٨م شمال العقبة ، كان شجاعاً منذ صغره إذ كان يغزوالقبائل القريبة والبعيدة ويرد غزواتها ، وأشترك في الاستيلاء على معان والعقبة ، وقال عنه الكولونيل لورانس إنه النسر الخفيف ورشاقته في الهجوم والمباغته ، وقيل إنه كان كريماً لحد السخاء ، توفي سنة ١٩٢٤م .

(١) F.O 371/3393, Ssmmany of the Hejaz Revolt, Appendix L.Attitude of the Northern Hejaz Tribes to Wards the Hejaz Revolt, P. 26-27 .

محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٤٤ .

(٢) سليمان موسى : عودة أبوتايه فاتح العقبة ، (مجلة العرب) ،العدد٤٩ ،يسمبر، ١٩٦٢م ،ص ٢٨ .

الفارين من الجيش العثماني عن طريق مصر ، وبهذه الطريقة زادت القوات التي تساندها القبائل العربية في شمال الحجاز ، وجنوب شرق الأردن المنخرطة في قوات الحسين (١) . وهذا مما ساعد على إرسال الرسل إلى شيوخ القبائل الضاربة في البادية السورية ، لتشجيعهم على الهروب والانضمام إلى راية الثورة . كما بعث بجواسيسه إلى داخل سوريا للاطلاع على أعمال احمد جمال باشا وانصاره التعسفية ضد الأهالي السوريين (٢) .

وكان الهدف الرئيسي من هذه الاتصالات التي تجرى بين حين وأخر قبل خروج القوات الحجازية بوقت قصير من العقبة هو محاولة جمع شمل القبائل الحجازية والأردنية والسورية معاً تحت قيادة فيصل بن الحسين ، كما ساهم إغراء الحكومة البريطانية للشريف حسين بتعهدها له بتقديم يد المساعدة المالية والعسكرية ، والاعتراف باستقلال الدول العربية الموحدة بعد الإنتهاء من الحرب ، أكبر الأثر في تحمسه للقتال ضد العثمانيين رغم تشككه أحياناً بالوعود البريطانية (٣) . وفي الوقت الذي بدأ فيصل يكثف نشاطه ضد القوات العثمانية داخل سوريا ، أخذت دول الحلفاء توسع نشاطها العسكري للوقوف إلى جانب القوات العربية المقاتلة للقوات العثمانية ،

في الوقت الذي عاود الشريف حسين بحث مشكلة الخلافات التي طرأت بينه وبين بريطانيا ، نتيجة للمعلومات التي وصلته حول المخططات البريطانية والفرنسية حول تقسيم البلاد العربية ، مما جعله يريد تصفية الخلاف مع حليفته قبل دخول دمشق ، فقام بإحياء المطالب العربية التي تحفظت عليها ، ومنها تنفيذ الوعود المبرمة عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م المعروفة باتفاقية مكماهون (Macmahon) . ولكن بريطانيا بدأت تتهرب كعادتها للمرة الثانية من تنفيذ العهود ، ودعته إلى تأجيل مناقشة تنفيذ الاتفاقية إلى ما بعد الانتهاء من الحرب مع الدولة العثمانية ، وهذا ما تعوده الشريف حسين من بريطانيا في السابق (٤).

ومن ناحية أخرى ، فإن دول الحلفاء عندما رأت أن الثورة بدأت توسع نشاطها في بلاد الشام ، وبدأت معظم القبائل السورية القريبة من شرق الأردن تنضم إلى قوات فيصل بن حسين ، خافت

---

(١) أمين سعيد أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٧ ؛ ممدوح الروسان : حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام ، (أربد ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٤ .

(٢) سليمان موسى : عودة أبوتايه فاتح العقبة : (مجلة العربي ،العدد٤٩،ديسمبر١٩٦٢م) ، ص ٢٨ .

(٣) Longringg, s., : Iraq 1900-1952, p. 114.

إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى ودوافعها وحصادها ، ص ١٥ .

(٤) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ٢٢ – ٢٤ .

على مصالحها في سوريا ، فقامت وزارة الخارجية البريطانية باجراء مباحثات سرية في لندن مع ممثل الحكومة الفرنسية بهدف الوصول إلى حل سريع يمكن منه التوفيق بين ماتدعيه فرنسا من حقوق قديمة في سوريا ، وما تعهدت به بريطانيا للشريف حسين في الحجاز من استقلال بلاد العرب [١].

وقد كتب (Em. Bybrne) في تقريره بشأن المخاوف الفرنسية من أطماع الشريف حسين في سوريا ، مما جعل فرنسا تسعى جاهدة لإشراك بريطانيا معها في ممارسة الضغوط على الشريف حسين لإيقاف تقدم قواته تجاه بلاد الشام ، والتراجع عن المطالبة بسوريا قبل أن يصل فيصل بقواته إلى الحدود السورية لأن فرنسا لاترغب خروج الثورة عن حدود الحجاز .

فأرسلت الحكومة الفرنسية المسيو جورج بيكو (George Picot) [*] لهذا الغرض فوصل القاهرة ، واستغل وجود بعض الجاليات العربية وأجرى عدة مباحثات مع بعض الجاليات السورية واللبنانية من المسلمين والمسيحيين معاً ، وطرح عليهم فكرة وجود المصالح الفرنسية القديمة في سوريا ، وحاول أن يشكك في إخلاص الحسين لهم [٢] . ولكن لم يكشف عن الاتفاقية السرية التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا ، وإنما ألمح إلى أن الحكومة الفرنسية تنوي تعيين رئيس عنها على سوريا لرعاية مصالحها ، ملمحاً في خطابه إلى احتمال أن تصبح سوريا محمية فرنسية في المستقبل ، وهذا ما تجاهله السوريون في مصر خلال حديثه لهم [٣] .

أما سايكس (Sykes) ، فقد أبدى غاية التعاون والتنسيق مع جورج بيكو ، وأستطاع أخذ أراء كبار الشخصيات السورية في مصر وجمع أراء المسيحيين ، وكان منهم : من يفضل احتلال فرنسا لسوريا ، فأكد لهم أنه سيكون لفرنسا السلطة على جزء معين من سوريا [٤] ،

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٣٤٨ .

(*) بيكو : كان قنصل فرنسا في بيروت عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وطرده الاتراك بعد ذلك واغلقوا القنصلية الفرنسية ، أما دوره فإنه وضع الاتفاقية المشهورة مع زميله البريطاني سايكس لتقسيم البلاد العربية إلى مناطق انتداب ، انظر : حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٦ .

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص ١٥٦.

(٣) Zeine, Zeine, N.,: op. cit, p. 19;

سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٥ .

(٤) فائز صالح أبو جابر : التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة ، (ط١ ، بيروت ، دار النشر ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ١٦١-١٦٢ .

في الوقت الذي لم يكشف هذا الأمر لبقية السوريين المقيمين في بلادهم الذين يعيشون تحت سلطة الولاة العثمانيين ويؤيدون ثورة وزعامة الشريف حسين عليهم ، ولم يعلموا أيضاً بتخلي بريطانيا عن وعودها تجاههم ، وانضمامها إلى حليفتها فرنسا التي بدأت تكشف عن جزء من نواياها الاستعمارية في بلادهم ، ورفضت معها الاعتراف بالشريف حسين ملكاً على كل البلاد العربية ، وكان هذا أحد أهدافها الاستعمارية .

ولقد أحست فرنسا للمرة الثانية بمدى القوة الهائلة التي تجمعت مع فيصل بن الحسين منذ الاستيلاء على الوجه ، وهذه القوات أخذت تزداد عدة وقوة وتتقدم تجاه العقبة لضم بلاد الشام للحجاز ، فقامت فرنسا بالضغط على بريطانيا وطلبت منها ضرورة إيقاف تحرك القوات الحجازية ، وحصر نشاط الجيش العربي في شبه الجزيرة العربية والحيلولة دون تقدمهم إلى دمشق (١) .

وهذا يعني عدم إخراج الثورة العربية التي قادها الحسين إلى خارج أقليم الحجاز ، حتى تحقق فرنسا أطماعها الاستعمارية في سوريا ولبنان .

وعندما شعر الشريف حسين بموقف بريطانيا المتخاذل تجاه تحقيق مطالبه وانحيازها الواضح إلى جانب فرنسا ، أخذ يراهن على إمكانية انحياز الفرق العربية الموجودة مع القوات العثمانية المتمركزة في المناطق السورية ، وزيادة عدد قواته نتيجة لانضمام جميع القبائل التي على الحدود بين بلاد الشام والحجاز . ولكنه فشل في تحقيق هذه الدعاية لأن بريطانيا كانت على علم من أن أحمد جمال باشا قام بإبعاد جميع القيادات العربية المدربة عسكرياً عن سوريا ، كخطوة وقائية اتخذها بعد أن أحس بخطر تقدم القوات الحجازية صوبه وولاء السوريين للحسين (٢) . فاضطر الشريف حسين إلى الخضوع لبريطانيا من جديد ، وأبدى موافقته على تأجيل المناقشة حول المملكة العربية التي تشمل كل البلاد العربية ، وقابلت بريطانيا ذلك الموقف بالترحيب ، وأبدت مساهمتها الفعلية في الحرب بتزويده بكميات كبيرة من

(١) ت.أ. لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، (ط٤ ، دار الآفاق الجديدة بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ١١٦ ؛ هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠-١٩٢٥م ، ص ١١٥ .

(٢) أمين سعيد : اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

الأسلحة الحديثة وطريقة تحرير الأسرى العرب من السلطات العثمانية (١) . ولقد أدى هذا الدعم المغري إلى التحاق عدد كبير من القبائل الذين لم ينضموا سابقاً سواء كانوا من الحجاز أو من منطقة شرق الأردن .

وعندما رأت الحكومة البريطانية بأن الموقف لم يعد في صالحها بسبب القوة الهائلة التي أصبحت تزداد من الحين والآخر مع فيصل بن الحسين ، خاصة من الزعماء السوريين والعراقيين المدربين تدريباً عسكرياً ، طلبت عقد لقاء بين الحسين وجورج بيكو (George Picot) ، الذي توجه إلى جدة خصيصاً لمقابلة الحسين ، مندوباً من الحكومة الفرنسية . وعند وصوله سلَّم للشريف حسين رسالة فتقبلها بكل ارتياح ، بعدما كشف له من أن الحكومة الفرنسية موافقة على الآمال العربية في الاستقلال ، ولكنه لم يوضح المناطق العربية المراد استقلالها (٢) ، وعقب تلك الزيارة أوفدت وزارة الخارجية البريطانية سايكس (Sykes) إلى الحجاز ربما للغرض نفسه مع الشريف حسين ، فوصل جدة في الثاني عشر من رجب عام ١٣٣٥هـ/الخامس من مايو عام ١٩١٧م . وعند وصوله أجتمع بالشريف حسين وأبلغه بأن الحكومة البريطانية متمسكة بالتزامها السياسي إزاء العرب وهو الدعم المالي والعسكري وتحقيق الأزدهار للعرب ، ويجب أن تأخذ رغبة أهالي البلاد بعين الاعتبار في التسوية لقيام الدولة العربية الكبرى (٣) .

وبعد هذه الزيارات أحست دول الحلفاءبخطورة الثورة على مخططاتها الاستعمارية في بلاد الشام والعراق فأسرعت بريطانيا وفرنسا بالموافقة على بنود الاتفاق النهائي المعروف باتفاقية سايكس بيكو حول اقتسام الممتلكات العثمانية بما فيها المناطق العربية ، وذلك قبل دخول القوات العربية العقبة ، لأنه في حالة سقوط العقبة في يد قوات الشريف حسين يسهل له مد نفوذه بسرعة إلى الولايات السورية الاخرى ، وهذا هو مبتغاه الأساسي .

---

(١) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٧٦-١٧٧ ؛ محمود صالح منسي : المشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ، ص ٨ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية١٩٠٨-١٩٢٤م ،ص ٢٩٠.

(٢) Hourani, A., : op. cit, p. 44 .
إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى ودوافعها وحصادها ، ص ٤١ .

(٣) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٣٥٠ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

وعلى أية حال ، فقد نصت الإتفاقية على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما (١) ، حيث اتفقا على ان فرنسا وبريطانيا مستعدتان ان تعترفا بحكومة عربية مستقلة تؤيداها في الاماكن المشار اليها بحرف (أ) وحرف (ب) وان تكون هذه الحكومة تحت زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا في المكان المشار الية بحرب (أ) ولبريطانيا في المكان المشار اليه بحرف (ب) ولها الحق اقامة المشاريع وتقديم القروض المحلية ، ولفرنسا الحق في تقديم المستشارين والموظفين الاجانب الذين تطلبهم الحكومة أو اتحاد الحكومات العربية المتحدة (٢) . كما يسمح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشيئ من الإدارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ماتريد أو ماترى تدبيره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة ، كما تنشأ في المنطقة الخضراء إدارة دولية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء سوريا أولاً ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مندوبي الشريف حسين . وأن يعطى لبريطانيا ثغر حيفا وعكا ويضمن لها المقدار الكافي من مياه دجلة والفرات في المنطقة (أ) .

أما ميناء الاسكندرونة فيكون ميناءً حراً فيما يتعلق بالتجارة وأن لايكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية . كما تتعهد فرنسا بأن لاتتنازل عن حقوقها في سوريا للدولة العربية أو للحلف العربي إلا بعد موافقة مسبقة من بريطانيا . وأن تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين المتعاقدتين لتعيين حدود الدولة العربية أو الحلف العربي .

وعلى أية حال ، فإن هذه الاتفاقية الخبيثة تعرضت أخيراً لتعديل في مصلحة بريطانيا على حساب سوريا ، ومن هذا التعديل فصل القسم الجنوبي من متصرفية حوران وضمه إلى الكرك إلى منطقة شرق الأردن التي وضعت تحت الحماية البريطانية .

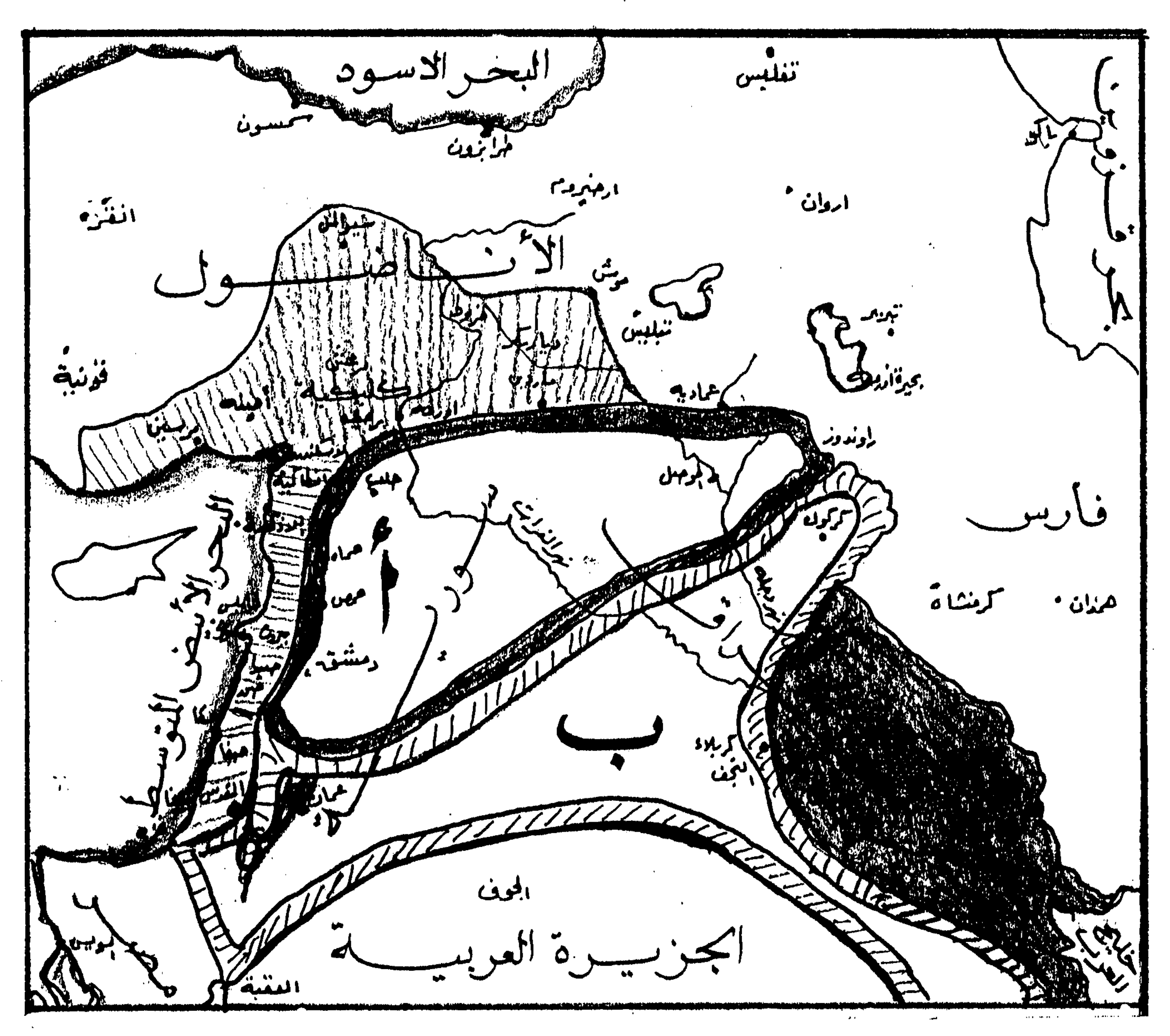
وعلى أية حال ، فلم يكن للشريف حسين علم بهذه المعاهدة التي عقدت سراً ولم يفتضح أمرها إلا بعد أن انحلّت دولة الروس فأظهرها الشيوعيون . وأن معاهدة

---

(١) أنظر الخريطة رقم (٤) ، ص ١٥٠ التي توضح تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا .

(٢) انظر تفاصيل معاهدة سايكس - بيكو كاملة في الملحق رقم (٥) ، ص ٨٧٤ - ٨٧٧

الخريطة رقم (٤)



تقسيم سوريا والعراق إلى مناطق نفوذ حسب اتفاقية سايكس بيكو السرية عام ١٩١٦م .

١ - لفرنسا المكان المشار اليه بحرف (آ) ، كما يفرض لفرنسا في المنطقة المشار اليها باللون الازرق والمشار اليه بالشكل

٢ - لبريطانيا المنطقة المشار اليها بحرف (ب) ويفرض لبريطانيا بالمنطقة المشار اليها باللون الاحمر والمشار اليه بالشكل

نقلاً عن جورج انطونيوس يقظة العرب . ص ٣٥٢

سايكس - بيكو والمخابرات التي دارت بين الشريف حسين وعمال البريطانيين وقبل بها الشريف حسين صراحة أو سكت عنها قبولاً وإقراراً - لم تكن بعيدة عن مضامين هذه المعاهدة التي جعلت الخلافة الاسلامية العوبة بين أيدي البريطانيين وكانت الضربة القاضية على القضية العربية التي تطالب بالاستقلال التام دون سواه وأدخلت بلاد العرب كلها تحت نير الاستعمار .

ولقد كانت هذه الاتفاقية المشئومة طعنة كبيرة للشريف حسين الذي يطمع بإقامة حكومة عربية تشمل جميع البلاد العربية ومنها بلاد الشام الذين ربطوا مصيرهم به ، ولقد جاءت هذه الاتفاقية مناقضة لما فهمه الشريف في اتفاقه مع بريطانيا قبل الثورة حول التحالف معها ضد الحكومة العثمانية في سوريا (١) . ومعنى ذلك فإن الاتفاقية السرية السابقة الذكر توضح مدى أطماع الدول الاستعمارية في البلاد العربية ، وعلى حد قول أحد المؤرخين : (إنها ليست صورة للجشع فحسب بل صورة مرعبة للمخادعة والمكر ، التي تعمل على تفتيت المنطقة العربية وتقسيمها إدارياً مع الوعود بالمساهمة العسكرية مع الشريف حسين ضد بطش القادة العثمانيين في بلاد الشام)(٢) . كما أنها تعتبر ضربة قاسية للحكومة الحجازية التي أبدت ارتياحها بتقدم قواتها التي أصبحت في ذلك الوقت على مقربة من العقبة ، وتتطلع إلى الاستيلاء عليها ، لتنفذ وعودها مع السوريين حول إنشاء الحكومة العربية التي تمثل كافة البلاد العربية .

ونتيجة لذلك ، فقد اضطر الشريف حسين إلى إرسال برقية عاجلة إلى الرئيس ولسون (Wilson) (*) رئيس أمريكا المعارض لكل أنواع الاستعمار يوضح له الظروف السائدة في البلاد العربية عامة ، وسوريا خاصة من أعمال الابعاد والتعذيب ، رغم النصائح التي قدمها للقيادات الاتحادية في الدولة العثمانية بالرجوع إلى جادة

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، جـ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٨ ؛
F.O. 882/13, Report of Sharif Hussein of Letter in 1917 .

(*) ولسون (Wilson) : ولد سنة ١٨٥٦م . وتولى رئاسة جامعة فرجينيا ورئيس حزب نيوجوسي (Newjersey). ولعب دوراً كبيراً في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م بباريس ، أشتهر بمبادئه الأربعة عشر التي منح بسببها جائزة نوبل للسلام سنة ١٩١٩م ، وتوفي عام ١٩٢٤م .

الصـواب ، وأنـه لم يقم بهذا العمل إلاّ لإنقاذ البلاد العربيـة من ظلم القادة الاتحـاديين الذين أخذ خطرهم يزداد بين الحين والآخر [١] . وختم برقيته بقوله : إنه في حالة الانتهاء من الحرب في سوريا فإنه سوف يضمن المساواة في الحقوق للجميع بدون أي تمييز بين المذاهب والأديان في سوريا ، وستعلن الحكومة عن اختيارها ، وبتمام حريتها بعد إنقاذها من الظلم الاتحادي ورغبتها في الانضمام إلى مملكة عربية تتمتع بالاستقلال داخلياً وتكون مع الحجاز حلفاً قائماً على المبادىء الإسلامية . وخلال تلك الفترة التي يطالب الشريف حسين الحكومة البريطانية الأعتراف به ملكاً على البلاد العربية ، كان فيصل والشريف ناصر بن علي وبمشاركة كل من نسيب البكري وعودة أبوتايه ولورنس (Lawerance) (*) يوالون تقدمهم تجاه العقبة [٢] . فاقترح نسيب البكري التوجه إلى دمشق مباشرة بعد سقوط العقبة ، بينما خالفه في الرأي لورنس (Lawerance) بحجة أن الثورة ستنقطع عنها المساعدات الخارجية إذا تقدمت ، ولكنه في الحقيقة كان يخشى هو والفرنسيون من دخول القوات الحجازية دمشق قبل قواتهما وتوطد مركزها في سوريا بمساعدة الأهالي السوريين ، فاستقر الرأي أخيراً إلى توجيه الحملة للاستيلاء على معاقل القوات العثمانية المرابطة في المناطق الشمالية القريبة من العقبة قبل دخولها .

وكان هدف فيصل هو الاستيلاء أولاً على العقبة لإقامة القاعدة الاستراتيجية الثانية لقواته ، ولتكون قاعدة لإنطلاق قواته منها إلى سوريا .

وعندما أحس فيصل بنشوة النصر في كل المعارك التي خاضها ،قرر أن يبعث وفداً إلى سوريا للدعوة إلى توسيع الثورة ، ووضع أسساً للعمل المشترك والتنسيق معاً حول التطورات المستقبلية ، وكان على رأس الوفد الشريف ناصر بن علي ابن عم فيصل بن الحسين ويرافقه نسيب البكري ، ومن ناحية أخرى طلب لورنس (Lawerance) السماح له بمرافقة الوفد على الرغم من أنها مهمة سياسية ، أما مهمته الحقيقية فهي تدريب رجال القبائل على القتال وتدمير الخطوط والتحصينات الخلفية للقوات العثمانية وذلك لإضعافها أمام تقدم القوات الحجازية تجاهها .

---

(١) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ٢٧٢ .

(*) لورانس : ولد سنة ١٨٨٨م في بوست مادوك ، كان موظفاً من موظفي الاستخبارات البريطانية في الحرب العالمية الأولى ، كان يجيد العربية وعاش في سوريا باحثاً عن الشهرة ، فتم تعيينه ممثلاً لبريطانيا في الثورة العربية . كان مبالغاً في وصف نفسه حتى صار يلقب (ملك العرب غير المتوج) ، وكوفي من حكومته بأوسمة متعددة وتوفي عام ١٩٣٥م . أنظر ، حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٨٩ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٦ .

ولقد غادر الوفد إلى سوريا لتنفيذ المهمة المناطه به ، ولكنه عاد بسرعة بعدما رأى الموقف السياسي في سوريا غير مناسب لتنفيذ المهمة المنوطة بهم . أما لورنس (Lawerance) فإنه استطاع أن يصل إلى ضواحي دمشق فاختبأ في القابون ، وأرسل من جانبه مندوباً من آل البكري ومعه رسالة إلى رضا باشا الركابي الذي كان قائداً في ذلك الوقت متخفياً في جيش العثمانيين لمقابلة لورنس ، وسلمهُ رسالة من فيصل بن الحسين يخبره فيها بأنه بناء على طلب والده فإنه ينوي مواصلة زحفة إلى سوريا على مراحل حتى لايضعف قواته ، كما اخبره بأن فيصلاً يريد من زعماء دمشق تشجيع القوى العربية التي لازالت تعمل في جيش العثمانيين داخل وخارج سوريا على التمرد ، والانضمام إلى قواته التي وصلت العقبة أخيراً ، وقد استجابت بعض السرايا وأخذت تواصل انتشارها في المناطق المحيطة بها .

وقبل أن يعود لورنس قرر أن يتصل ببعض القبائل العربية السورية ، ومن بينهما الزعيم الدرزي حسين الأطرش ونوري الشعلان ، وأبلغهما بالرسالة نفسها السابقة ، ثم عاد بعد ذلك إلى فيصل بن حسين .

وعلى أية حال ، فإن سقوط العقبة كان أمراً على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للحسين وابنه فيصل ، كما أنه نقطة تحول إذ أنه قبل سقوطها كانت الأعمال الحربية مقصورة على الحجاز وما جاورها من مناطق شرق الأردن القريبة من الحجاز (٢) .

أما بعد سقوط العقبة ، فقد حدث تحول في سير الثورة العربية - إذ تحولت إلى حرب متحركة ، لكي تستولي على دمشق التي تبعد بحوالي ستمائة ميل تقريباً شمالاً ، والتي كانت تسيطر عليها قوات عثمانية بمساندة من الألمان (٣).

ولقد قدرت جرترديبل (Miss Gertrude Bell) الخبيرة البريطانية في الشرق العربي في العراق القوات الحجازية التي كانت تحت قيادة فيصل بن الحسين بثلاثة آلاف مقاتل تقريباً من الجنود والضباط العرب ، بعضهم من الذين تخلوا عن مراكزهم من الجيش العثماني بسوريا ، وفروا جميعاً

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ المشرق العربي الحديث ، ص ٤٤٢ ؛ حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ١٦٥ ؛ إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٣٠ .

(٢) سليمان موسى : عودة أبوتايه ، (مجلة العربي ، العدد ٤٩ ، ديسمبر ١٩٦٢م) ، ص ٣٥ ؛ محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٣ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٧١ .

بمساعدة رجال القبائل السورية إلى الحجاز ، هذا إضافة إلى رجال القبائل البدوية الموجودة في منطقة شرق الأردن .

وكان أول عمل قام به فيصل بعد استيلائه على العقبة هو تجديد الاتصالات مع قادة الجمعيات السياسية ، ورجال الحركات العربية المعارضة في سوريا لسياسة الاتحاديين وذلك لتوثيق العلاقات معهم . في الوقت الذي أعاد فيه تنظيم القوى النظامية على منوال جديد ، ولاسيما بعد تتابع فرار الضباط والجنود العرب من جيش احمد جمال باشا وانضمامهم إليه ، فاستطاع أن يكون منهم عدة فرق عسكرية نظامية مدربة على القتال إلى جانب رجال القبائل ، وقام بحشد هذه القوة في وادي رم وهضاب الشرارات ، وجعل على رأس هذه القوات عدداً من كبار الضباط العراقيين والسوريين ، كان منهم : جعفر العسكري ، ونوري السعيد وعلي جودت ، ومولود مخلص ، هذا إلى جانب زيد بن الحسين والشريف ناصر بن شاكر من أبناء عمومة الشريف حسين (١) .

وبعد ان أعيد تنظيم القوات النظامية كما أشرنا أبلغ فيصل والده الشريف حسين بذلك ، فأصدر أوامره بتحرك هذه القوات من العقبة تجاه سوريا ، وكانت مؤلفة من فرقتي مشاة تضمان أربعة الويه : لوائي العقبة الأول والثاني ، ومقرها العقبة ولواء الكويرة الهاشمي ، وأخذت هذه الألوية تتحرك على المواقع العسكرية العثمانية في منطقة شرق الأردن تتقدمها القوات النظامية بقيادة مولود مخلص ، لتنفيذ الخطة الموضوعة لها (٢) .

ولقد تسبب ذلك في إزعاج سلطات العثمانيين في سوريا على أثر تقدم القوات الحجازية تجاه دمشق وتدمير بعض مواقع القوات العثمانية ، بعد أن كبدتهم خسائر كبيرة في الأفراد من قواتهم ما بين قتيل وجريح وأسير ، إضافة إلى الغنائم المادية التي أحرزتها تلك القوات في هده المعارك ، والتي لم تتوقف بل واصلت تقدمها تجاه وادي موسى (البتراء) في أوائل ذي القعده عام ١٣٣٥هـ/نوفمبر ١٩١٧م ، وهناك حدثت معركة بين الفريقين استمرت ثلاثة أيام انتهت بانتصار القوات العربية على العثمانيين(٣). وبهذا النصر الكبير زادت القيادات العربية من نشاطها العسكري، فتوغلت داخل منطقة شرق الأردن ، كما أرسل فيصل بن الحسين مندوباً عنه من العقبة يحمل كتاباً خاصاً إلى أحمد قدري

---

(١) سليمان موسى : في سبيل الحرية وقصة الثورة العربية الكبرى ، ص٦١ ؛ نوري السعيد : مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في سوريا والحجاز ١٩١٦-١٩١٨م ، ص ٦١ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢١٩ .

(٣) أمين سعيد : نفسه المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

مؤسس جمعية (الفتاة) في دمشق ، والذي كان على صلة وثيقة به في دمشق منذ إعلان الثورة ، يدعوهُ فيها للقدوم إليه والعمل إلى جانبه بعد أن فتح الطريق وتهيأ له النجاح (١). فأطلع أحمد قدري بعض الشخصيات السورية ، ومنهم : رؤساء الجمعيات السياسية على الرسالة ، وطلب منهم أن يتهيأوا للسفر ، ولكن اتفقوا أخيراً أن يوفدوا السيد سليم عبدالرحمن الذي كان عضواً في جمعية (الفتاة) إلى طولكرم وهي بلدته الأصلية من أجل مقابلة ياسين الهاشمي الذي كان يقود الفرقة العثمانية العشرين المرابطة في منطقة طولكرم ، وطلب منه أن ينضم للقوات العربية في العقبة باعتباره من مؤسسي الحركة العربية .

ولقد جرت مقابلة بين فيصل بن الحسين وياسين الهاشمي ، وأشار له بأن البريطانيين غير مخلصين لوالده حتى ولو عاهدوه على إنشاء دولة عربية تشمل جميع البلاد العربية تخضع لسيادته ، ويدل على ذلك انهم أتفقوا مع اليهود ، وأصدروا وعد بلفور المشؤم ، كما أتفقوا مع الفرنسيين على إعطائهم سوريا ، وربطوا العراق بالهند ثم تم توزيع منشور ألقته الطائرات البريطانية على المواقع العثمانية ، وهذه المنشورات تلقب الحسين بلقب ملك الحجاز وهذا يعكس ما يطمع به .

فختم كلامه معتذراً عن السفر اليه خاصة وانه يتولى عملاً عسكرياً لا يجوز له التخلي عنه ، وقال له : (إذهب أنت وإخوانك واعملوا مع فيصل لإنقاذ العرب اذا صدق الحسين وبريطانيا النية ، وسنلتقي بكم في دمشق إن شاء الله قريباً) .

كما كلف بعض رؤساء القبائل بالاتصال ببعض رؤساء الجمعيات ، ورجال الحركات العربية في دمشق ، وطلب معهم أن يتركوا الخدمة العسكرية في دمشق والفرار لمقابلة القوات الحجازية ، التي أخذت تتأهب للتوجه نحوهم ، وهذا إضافة إلى بعض الأعمال التي قام بها فيصل بن الحسين ، ومنها : نجاحه في تصفية بعض الخلافات بين القبائل القريبة من معان ، التي كانت أكبر مركزاً لتجمع القوات العثمانية ، وجعلها الشريف فيصل هدفه الرئيسي بعد العقبة ، لإنها قريبة من سوريا وأهلها يؤيدون الثورة ضد القادة الاتحاديين في الدولة العثمانية (٢) .

---

(١) Longgring, Stephen Hemsely, : op, cit, vol . 2, p. 96 ;
جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٥٦ .

(٢) جلال يحيى وأخرون : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٣٥٩ ؛ مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ص ٧٢ .

وبعدما أحس فيصل بنشوة النصر في وادي موسى ، بدأ فيصل يخطط لنقل مسرح القتال تجاه دمشق جاعلاً معان مركزه الثاني بعد العقبة ، كما أصدر أمراً لجميع السرايا العسكرية بالتقدم وجعلها عن ميمنة القوات البريطانية ، وبذلك أعد قوة عسكرية بقيادة أخيه زيد تتألف من هجانة الشريف ناصر ، وبعض الخيالة وعدد كبير من رجال قبائل الحويطات التي وطدت علاقتها بالشريف حسين ، فتوجهت هذه القوة إلى الطفيلة والكرك بشرق الأردن فأستولت عليها ، وقامت بقطع جميع الامدادات عن قوات أحمد جمال باشا (١) ، ثم هاجمت الكويرة ومحطة الجردونه ، فحاولت القوات العثمانية استرجاع هذه المواقع التي أستولى عليها زيد بن الحسين والشريف ناصر ولكنه فشل (٢) ، وفي الوقت ذاته أخذت القوات البريطانية توالي تقدمها تجاه فلسطين تحت قيادة الجنرال اللنبي (Allenby) (*) مستغلة معارك العثمانيين مع القوات الحجازية في الطفيلة والكرك (٣) .

وبعد ما دخلت قوات الشريف حسين شرق الأردن وأستولت على بعض المراكز العسكرية العثمانية المهمة فيها أضاع آمال العثمانيين في استرجاع الحجاز ، فاصبحوا يفكرون الآن في صد خطر القوات التي أصبحت تهددهم في سوريا ، في الوقت الذي تكالبت عليهم بعض المشاكل الداخلية والخارجية ، منها : كراهية العرب لهم سواء في الحجاز أو في سوريا بسبب الأعمال التعسفية التي أرتكبها أحمد جمال باشا ضد السكان ، حتى أدى ذلك إلى تفريق شمل المواطنين في سوريا ، وجعلهم يقررون الانضمام إلى قوات الشريف حسين في شرق الأردن .

وفي الوقت نفسه أخذت قوات حكومة الحجاز تتقدم عبر منطقة شرق الأردن ،

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٨ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٨ .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٣ ، ص ١٤٨ .

(*) اللنبي (Allenby): ولد سنة ١٨٦١م وتخرج من الكلية الحربية الملكية قائد الجيش الثالث البريطاني في معركة أراس Arras في ربيع عام ١٩١٧م ، ثم عين قائداً القوات البريطانية في مصر ، احتل القدس ، ورقي بعد ذلك إلى رتبة مارشال ، وعين مندوباً سامياً لحكومته في مصر ، وتوفي في لندن عام ١٩٣٦م .

(٣) نوري السعيد : مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨م ، ص ٦٤ - ٦٥ .

تساندها القوات البريطانية ، وبعض رجال البادية الذين قاموا بعدة بطولات ضد مواقع العثمانيين قبل وصول القوات النظامية ، وكانت هذه الوقائع أشبه ما تكون على شكل حرب عصابات ، تغزو ثم تنسحب إلى أماكن آمنة ، أضف إلى ذلك قيام بعض القبائل في شرق الأردن المؤيدة للشريف حسين بالتسلل إلى داخل سوريا ، ونشر دعايات واسعة في المدن السورية الرئيسية تشجع السكان المحليين على الفرار والالتحاق بالجيش الحجازي (١) ، فاستغل فيصل هذه الدعاية لصالحه ، وأرسل إلى رضا الركابي للمرة الثانية في دمشق ، يطلب منه الحضور إليه بناء على طلب والده الحسين في مكة المكرمة ، كما أخبره بأن القوات الحجازية مصممة على دخول سوريا ، وكل ما يطلب منه الآن هو حث الجنود العرب في سوريا الذين أعيدوا مؤخراً إلى دمشق من اسطنبول وتم إلحاقهم بصفوف الجيش العثماني في المناطق السورية المحاذية لمنطقة شرق الأردن ، وعليه أن ينفذ خطة للفرار والانضمام للقوات الحجازية المنتشرة في كل المناطق الواقعة بشرق الأردن (٢) ، ومنها : مناطق الطفيلة ومعان والريفة وغيرها من المدن والقرى في شرق الأردن ، ولكن رضا الركابي اعتذر للمرة الثانية ، حيث أشار إليه بأنه يتقلد منصباً عسكرياً رفيعاً لا يجوز أن يتخلى عنه (لأنه يتقلد منصب قيادة تحصينات دمشق ولو أنه كشف خيانته للحكومة العثمانية لتم إعدامه) (٣) .

وبعد ما رفض رضا الركابي الانضمام إلى جيش الشريف حسين ، ورأى فيصل بن الحسين أنه من الواجب عليه أخذ الحذر من بطش احمد جمال باشا بالسوريين ، فأخذ يشجع الأهالي في المناطق السورية سراً على التمرد ، والقيام ببعض الأعمال التخريبية ، ومنها : نسف الطرق ، والقناطر أمام تحركات القوات العثمانية بين المدن السورية (٤) ، ومن خلال تلك التحركات ، أدركت الحكومة العثمانية تصميم الشريف حسين على دخول سوريا بالقوة ،

---

(١) Khoury, Philip's : op . cit , p. 76 ;
ت ، أ . لورنس : أعمدة الحكم السبعة ، ص ١١٢ .

(٢) جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٥٦ ؛ محمد كرد علي : خطط الشام ، ص ١٥٥ .

(٣) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٥٩ .

(٤) مجدي عبدالمجيد الصافوري : سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الأسلامية ، ص٢٨٠ ؛ زاهية قدورة : التاريخ العربي الحديث ، ص ٢٥٣ .

وعرفت بأنه استغل ضعف الدولة بسبب المشاكل التي تكالبت عليها من كل النواحي ، كما أنها أصبحت في قائمة الأولويات في الثورة بعد الحجاز في الاستيلاء عليها (١) .

ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظت الحكومة العثمانية قيام فيصل بن الحسين بتشجيع القبائل للقضاء على الحاميات العثمانية في محطة القطرانة والحسا والصلت وغيرها من المواقع الاستراتيجية بمساندة بريطانيا التي قامت بإلقاء المنشورات بالطائرات على مواقع القوات العثمانية تدعو الجنود العرب الذين نقلوا أخيراً إلى سوريا للدفاع عنها بالفرار والانضمام للقوات الحجازية التي تواصل تقدمها تجاه دمشق (٢) . وقد أثمرت هذه الجهود في انضمام عدد كبير من المجندين العرب من كافة المناطق السورية إلى قوات الشريف حسين بمنطقة شرق الأردن استجابة لمطالب القادة الحجازيين والسوريين (٣) ، وأصبحت الغالبية العظمى من الألوية من السوريين الذين يريدون الاستقلال عن حكم العثمانيين ويريدون الارتباط بالشريف حسين .

وعندما رأى أحمد جمال باشا بأن الوضع السياسي والعسكري في الولايات السورية أصبح متدهوراً ولم يكن في صالحه ، نتيجة لسيطرة القوات الحجازية على كل مناطق شرق الأردن المحاذية لسوريا من الناحية الجنوبية ، كما أن القيادات والزعامات السورية التي أطلق سراحها أخذت في الهروب والانضمام إلى القوات العربية ، فأخذ يفكر في مخرج يجنبه الصدام مع فيصل بن الحسين ، الذي أخذ يتقدم بجحافل جيشه تجاه دمشق تسانده القوات البريطانية باتجاه سوريا (٤) .

وأمام هذه القوى أصبح أحمد جمال باشا في موقف صعب ، خاصة وأنه أحس بمدى ولاء السوريين للشريف حسين الذي علقوا عليه آمالهم ، فقام بمحاولة التفاهم مع القادة الحجازيين والسوريين بهدف التوقف عن

---

(١) Tibawi, A.,: Modern History of Syria, London, 1969, P. 245 .

(٢) جلال يحيى وآخرون : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٢٥٣ .

(٣) لبيب عبدالستار : التاريخ المعاصر ، ص ٤٣ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٥٩ .

(٤) محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية ، ص ٤١٨ .

التقدم تجاه دمشق ، وحل الخلاف بينهمابالطرق السلمية .

وعندما وصل طلبه لفيصل استجاب له عن مضض رغم معارضة والده الشريف حسين في مكة لذلك (١) ، ولقد مرت هذه المحاولات بالعديد من الأدوار ، ومنها :

الدور الأول : مساعي أحمد جمال باشا :

لقد جاء هذا الدور بعرض تقدم به أحمد جمال باشا في أوائل صفر عام ١٣٣٥هـ/أوائل نوفمبر عام ١٩١٧م ، فقام أولاً بالضغط على بعض علماء دمشق باسم الحكومة العثمانية باصدار فتوى تكفير الشريف الحسين . ولكن هذه الفتوى لم تجد قبولاً عند الأهالي السوريين ، فإنهم كشفوا أهداف هذه الفتوى مما اضطره إلى رفع بلاغ رسمي عام بإمضائه ، يدعو فيه جميع العرب في بلاد الشام بأن الشريف حسين غرر بهم حتى أشهروا السلاح ضد الحكومة العثمانية وعليهم الاستسلام للسلطة المحلية ، ووعد كل من يعود منهم خلال ثلاثين يوماً بالعفو التام ، والحرية المطلقة في الولايات العربية السورية (٢) ، ولكن هذه المساعي لم تجد من يستجيب لها من السوريين .

وعندما أحس أحمد جمال باشا بفشل خطته ، استغل إتفاقية سايكس – بيكو التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا ، والتي ظلت في طي الكتمان نحو ستة أشهر تقريباً حتى أذاعتها حكومة البلاشفه بعد قيام الثورة الروسية في العشرين من ذي القعدة عام ١٣٣٥هـ/السابع من سبتمبر عام ١٩١٧م ، وذلك بعد ما اطاحت بهم حكومة كيرفسكي الانتقالية (٣) . فكان من أعمالها إذاعة الوثائق السرية المحفوظة في ارشيفات وزارة الخارجية القيصرية ، فقامت بنشرها جريدتا

---

(١) محمد علي العجلوني : ذكريات عن الثورة العربية الكبرى ، (عمان – الأردن ، ١٩٥٦م) ، ص١٩-٢٠ .

(٢) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٩ ؛ جلال يحيى وآخرون : العرب في التاريخ الحديث ، ص ٣٧٤ .

(٣) انظر تفاصيلها في الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، منشوره بمكتب النشر العربي في دمشق ، ص ٥٥ – ٥٧ ؛ وكذلك جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٢٢ ، ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، ص ١٠٦ ؛

Zeine , Zeine . N.: op. cit , p. 21 ;

مصطفى محمد الطحان : القومية بين النظرية والتطبيق و ص ١٣٢ .

أزفسيتا وبرافدا بناء على تعليمات توميسير الشئون الخارجية [١] ، ولم تمض أيام قليلة حتى وقع تفاصيلها بيد الحكومة العثمانية في اسطنبول ، وتسلم الوالي أحمد جمال باشا نسخة من اتفاقية سايكس - بيكو (Sykes-Picot) كما أشرنا ، فأسرع بعرض الصلح مع الشريف حسين في منتصف صفر ١٣٣٦هـ/أواخر نوفمبر عام ١٩١٧م ، مستغلاً هذه الاتفاقيه تهديداً له . إذ بعث بثلاث رسائل مع رسول سري فزوده بنسخ من الاتفاقية إلى القادة الحجازيين ، الأولى إلى فيصل - وكان حينها في مقر قيادته في العقبة يوجه قواته العسكريه على بعض الحاميات العثمانية في منطقة شرق الأردن - والثانية إلى جعفر العسكري أحد الضباط النظاميين الذين التحقوا بالحركة الحجازية [٢] ، وذلك بتاريخ الحادي عشر من صفر ١٣٣٦هـ/السادس والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٧م يطلب فيها التفاهم معه [٣] ، فيما كانت الرسالة الثالثة لعبدالله بن الحسين تم تسليمها له في العشرين من صفر عام ١٣٣٦هـ/الخامس من ديسمبر عام ١٩١٧م .

ولقد أشار أحمد جمال باشا في رسالته الأولى لفيصل بأن الهدف الأساسي من إشتراك الدولة في الحرب مع دول الوسط ضد دول الحلفاء إنما كان لإنقاذ العالم الإسلامي من الوضع الذليل الذي يعانيه من تكالب الدول الأوربية عليهم ، بينما الحقت الثورة في الحجاز ، الضرر بالحكومة ووحدتها مع العالم العربي ، وأشار إلى صعوبة إقرارها الآن بعد ماكشف حقيقة الحلفاء وأطماعهم في العراق وبلاد الشام ، والتقدم البريطاني الذي وصل إلى فلسطين دليل على نواياها الخبيثة تجاه العرب ، كما أظهر له بوضوح بأن البريطانيين والفرنسيين لايهدفون إلا لفصل العرب عن

---

(١) نشرة الاتفاقية في الأزفسيتا الروسية في ١٩١٧/١١/٢١م ، وفي المانشستر غاريف في ١٩١٨/١/١٩م وفي أمريكا في الايفنج بوست في ١٩١٨/١٢/٨م ، انظر مصطفى محمد طحان : القومية بين النظرية والتطبيق ، ص ١٣٢ ، وكذلك محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٣ ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٧٥ ؛

Zeine, zeine , N.: op , cit , p.21 .

(٢) محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١٢١ .

(٣) سليمان موسى : لورنس العرب وجهة نظر عربية ، (عمان ، ١٩٦٢م) ، ص ١٨٨ ؛

Zeine, Zeine , N.: op , cit , p.21 .

جلال يحيى وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

أخوانهم العثمانيين وهم مسلمون يخططون إلى اقتسام البقية الباقية من العالم العربي والاسلامي إلى مناطق استعمارية (١) .

وشرح أيضاً في رسالته لفيصل بضرورة التفاف العرب مع أخوانهم العثمانيين حول الخلافة الإسلامية ، وتوحيد الجهود لوقف زحف الاستعمار ، وإخراجه من الأراضي العربية والإسلامية التي تئن تحت أقدام الاستعمار الأوربي وأصبحت فريسة لها ، ودعى إلى نسيان الماضي ، وعقد معاهدة تحالف عربي - عثماني لإعطاء العرب حقوقهم كاملة ، وتشكيل قوات عربية مع قوات عثمانية لتقف صفاً واحداً من أجل تحرير البلاد العربية والاسلامية من الاستعمار الأوربي (٢) ، ووجه أحمد جمال باشا نداءً عاماً للسوريين والحجازيين في شكل رسالة أرسلها لفيصل بن الحسين يعلن فيها أن من واجب الأشخاص الذين يهتمون بالأسلام بذل جهودهم ونشاطهم وحتى حياتهم لخدمة الاسلام ، وأن فيصلاً وأباه قد ضللتهما الوعود البريطانية الكاذبة التي أعطيت لهما باستقلال البلاد العربية تحت قيادة والده الشريف حسين ، وجعلتهما يثوران على الخلافة العثمانية في الحجاز وسوريا ، وأن صحت القرائن عن تلك الوعود فإنها محض زور وأسلوب مليء بالخداع والتضليل لكل من يعرف خطط الحلفاء ، لأن النوايا الحقيقية لدى الحلفاء قد أنكشفت وبدأت تلك الدول الاستعمارية في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية ، ومنها : اقتسام البلاد العربية ، ووضعها تحت الوصاية الأجنبية (٣) . وأن الفرنسيين سيأخذون سوريا الغنية بخيراتها ، والبريطانيون سيستولون على العراق الغني بثرواته (٤) ، ولم يبق أمام العرب من مخرج سوى العودة إلى حظيرة الدولة العثمانية ، وعلى الشريف حسين أن يعي بذلك الخطر ويأمر بسحب قواته من أطراف سوريا ويعلن الصلح مع الحكومة العثمانية

---

(١) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧؛ جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٢٠ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٣٧٦ ؛ ت . أ . لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص ٣٩١ .

(٢) محمد علي العجلوني : ذكريات عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠ .

(٣) هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠م ، ١٩٢٥م ، ص ١١٤ - ١١٥ ؛ محمد عبدالرحمن برح : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢١٨ .

(٤) جلال يحيى وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

ويعود إلى حظيرتها ، ويكفل لنفسه الحقوق المشروعة بالتفاهم مع العثمانيين (١) .

واقترح أحمد جمال باشا في ختام رسالته لفيصل أن يبقى الباب مفتوحاً لتسوية الأمور بينهما بالطرق السلمية ، ودعاه إلى عقد اجتماع لهذا الغرض في دمشق في أسرع وقت ممكن ، للتفاهم معه على شروط الصلح على أساس منح الولايات العربية في الدولة العثمانية حكماً ذاتياً كاملاً (٢) ، وأكد كذلك لفيصل بأن الحكومة الألمانية ستعترف بأي إتفاق يتم بين الشريف حسين والعثمانيين في سوريا ، وختم رسالته بالتذكير بالواجب الديني الذي دفعه إلى القيام بهذه الخطوة (٣) .

وقد أرفقت هذه الرسالة بورقة صغيرة تضمنت النقاط التي يمكن في ضوئها إجراء المفاوضات بينهما ، وجاء فيها إقرار الحكم الذاتي الكامل للولايات العربية والاعتراف بالحقوق الوطنية فيها (٤) .

أما الرساله الثانيه فكانت إلى جعفر العسكري ، والرسالتان مؤرختان بتاريخ واحد وفحواهما ومضمونهما واحد ، وإن أختلفتا في اللهجة والنص ، إنما يقصد منها ملائمة نفسية المخاطب ، وقد أُرفق مع هذه الرسالة نداء عاماً يدعو فيه جعفر العسكري إلى بذل جهده ونشاطه لخدمة الاسلام (٥) .

أما الرسالة الثالثة والأخيرة ، وهي التي كانت موجهة لعبدالله بن الحسين في الشهر نفسه الذي أرسلت فيه الرسالتان السابقتان ، وتتضمن الطلب نفسه الذي أرسل إلى

---

(١) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٤ ؛ محمد عبدالرحمن برج : دراسة التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢١٨ .

(٢) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٣٧٧ ؛ هنادي يوسف غوانمة : المملكة الهاشمية العربية ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ١١٤.

(٣) جورج انطونيوس : اليقظة العربية ، ط١ ص ٣٥٩ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٩ .

(٤) ت . أ . لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص ٣٩١ .

(٥) O.882/13, Letter Jamal Basha, speech dated, 30/11/1917 by British and French.
Zeine, Zeine ,N.:op. cit , P.21 ;
محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢١٨؛ جلال يحيى وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٧٤ .

فيصل وجعفر العسكري في مضامينهما . (١)

ولم يقف أحمد جمال باشا عند هذا الحد ، بل عندما رأى أن طلائع القوات الحجازية ملتزمة بالتوقف على الحدود السورية ، أقام حفلة رسمية في بيروت في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ١٣٣٦هـ/الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩١٧م قبل سقوط القدس بأيام قليلة في يد القوات البريطانية وألقى فيها خطاباً مهماً على الحاضرين ، أشار للحضور بأنه عرض الصلح على الشريف حسين وذكر فيه الضرر الذي أوقعته الثورة العربية في وحدة الإسلام (٢) ، كما قال كذلك : (إنني كنت حريصاً على أن أعرف كيف استمال البريطانيون الشريف حسين إليهم) (٣) .

ولم يكتف أحمد جمال باشا بذلك الخطاب الذي ألقاه أمام جموع الحاضرين من السوريين والعثمانيين لعرض مشروع الصلح ، بل قام بنشر خبر اتفاقية سايكس - بيكو السريه التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، وهي معاهدة خفية(٤) ، والتي على أثرها دخلت هذه الدول الحرب ، وقررت تأسيس دولة عربية مستقلة من جميع الولايات العربيه العثمانيه تحت رعاية دول أوربا ، وفي الحقيقة فإن هذا القرار كان عبارة عن خدعة لإيجاد الثورة العربية التي كانت مطمع نظر البريطانيين فإنهم كانوا يسعون لجعل الثوار العرب آلة خاصة لتحقيق آمالهم فيعدونهم الوعود الكاذبة ، ويمنونهم الأماني الباطلة ، فالشريف حسين المسكين قد وقع أخيراً في شرك البريطانيين الذين أوهموه بالدولة العربية المترامية الاطراف بعد الانتهاء من الحرب مع الدولة العثمانية مع انه لا يملك مقومات هذه الدولة (٥) .

وأخذ أحمد جمال باشا يصف الخديعة التي وقع فيها الحسين جراء تصديقه وعود الحلفاء الكاذبة التي وعدوه بها لاجل مصالحهم ، وراح يلوم الحسين لكونه السبب

---

(١) المحامي ، حمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، ص ٣١٢ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، ص ٣٧٧ ؛ سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ص١٥٣ .

(٢) سليمان موسى : الحسين بن على والثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) سليمان موسى : لورنس العرب "وجهة نظر عربية" ، ص١٨٩ ؛ أنيس صايغ : الهاشميون والثورة ، ص ١٢٣ .

(٤) أنظر : الوثيقة منشورة في الملحق رقم (٦) ، ص ٧٧٨ - ٨٨٤

(٥) محمد حسين الزبيدي مولود مخلص باشا ، ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٣٢ .

المباشر في وصول قوات الحلفاء إلى أبواب القدس ، وكرر أحمد جمال باشا نصائحه السابقة للحسين بالعدول عن الخطأ الذي يعتبر كارثة كبيرة جرها الحسين على نفسه والبلاد العربية والإسلامية بسبب أطماعه بأن يكون زعيماً للعرب فأصبح العبوة للحلفاء (١).

ثم أمر أحمد جمال باشا بطبع العهود الخفية المعروفة باتفاقية سايكس – بيكو (Sykes-Picot) ونشرها في صحف دمشق وبيروت ، ومنها : جريدة الشرق التي كانت تمولها العناصر الاتحادية المعادية للعرب و أوضح فيها المخططات الاستعمارية (٢) ، وقد هُربت نسخ من هذه الصحيفة إلى مكة المكرمة عن طريق الوالي العثماني في المدينة المنورة التي مازالت في ذلك الوقت محاصرة من جانب الشريف حسين . وعلى حد قول أحد المعاصرين فأن آمال أحمد جمال باشا وانصاره في نجاح الصلح كادت أن تبلغ ذروتها (٣) ، واصبحت سبباً لكثير من المتاعب التي واجهها الحلفاء في المنطقة أثناء تلك الفترة .

والحقيقة فإن الحسين في مكة المكرمة كان يعلم بغرض العثمانيين وهو إيجاد تكتل سياسي بارع ضده يقصد منه استغلال إذاعة الاتفاقية السريه التي أذاعتها الحكومة الروسية لكي توقع بينه وبين حلفائه البريطانيين (٤) . في الوقت الذي لم يكن من الممكن أن يتراجع الشريف حسين عن موقفه بعد أن وطد علاقته بالسوريين وجاهر بعدائه للدولة العثمانية ، وتوسيع الهوة السحيقة التي صارت إليها العلاقات العربية العثمانية بسبب المشانق التي نصبها أحمد جمال باشا في كل من دمشق وبيروت للقضاء على المواطنين والثوار العرب (٥) .

---

(١) أنيس صايغ : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، ص ٦٢ ؛ جريدة القبلة ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦هـ/يونيه ١٩١٨م ؛ محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢١٨ .

(٢) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٣-١٢٤ ؛ جورج أنطونيوس يقظة العرب ، ص ٣٦٢ .

(٣) ت . أ . لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص ٣٨٢ .

(٤) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٥ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٥) محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢٢٣ .

أما الشريف فيصل فإنه لم يجب على رسالة أحمد جمال باشا ، بل أرسلها إلى والده . وكان الشريف حسين يرى أنه لاخير في الاتفاق مع العثمانيين ، لاسيما وأن كفتهم في الحرب لم تكن راجحة ، ثم إنه لم يكن واثقاً من صدق وعودهم له(١) ، كما أنه في الوقت نفسه ، كان يشكك من نوايا حلفائه من الوثائق التي أرسلت له ، فرأى أن يحفظ ماء وجهه أمام العرب أولاً والعالم الإسلامي ثانياً بعدما ناصب السلطان العثماني العداء .

ولذلك انزعج الشريف حسين لما بلغه نبأ هذا الاتفاق ، فأرسل إلى وينجت (Wingate) الذي خلف مكماهون (Macmahon) في القاهرة يسأله عن ماهية الاتفاقية التي تسلم صورتها من أحمد جمال باشا . وعندما تسلم وينجت الرسالة أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وكان أمامها فرصة عظيمة لتضع الأمور في نصابها ، وأوضح للشريف حسين في الحجاز حقيقة الموقف دون مراوغة (٢) ، ولكنها لم تفعل ذلك بل إن وزير الخارجية البريطاني أرثر بلفور (Balfour) بعث برسالة إلى وينجت (Wingate) ، وطلب منه تهدئة الموقف ، فقام وينجت بدوره وكلف المعتمد البريطاني المقدم ج . أر باست (Baset) بالسفر إلى جدة ، حيث وصلها في السابع والعشرين من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ/الثامن من فبراير عام ١٩١٨م نيابة عن وينجت . وعندما قابل الشريف حسين أعرب له عن الارتياح القوي من جانب الحكومة البريطانية لمساعيه ومواقفه المشرفة مع البريطانيين خاصة والحلفاء عامة (٣) ، كما أنه نفى للشريف حسين وجود أي اتفاق مثل الاتفاق الذي وجهه أحمد جمال باشا في سوريا لفيصل وجعفر باشا(٤) .

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٩ .

(٢) Zeine, Zeine, N.: op. cit, p. 21-22;

إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها ، ص ٣٤ .

(٣) انظر تفاصيل خطاب : الكولونيل باسب نائب المعتمد البريطاني في جدة والذي رفعه إلى الشريف حسين في الحجاز ، منشور في محمد حسين الزبيدي ، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى ، وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤) محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى ، وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١٠٥ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٣٣ .

كما أرسل وينجت برقية إلى الشريف حسين يصف له الهدف من الاتفاقيه السرية التي أذاعها الروس بأنها كانت مجرد محاورات ومحادثات مؤقتة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في اوائل الحرب ، لوضع حد للمصاعب بين هذه الدول أثناء مواصلة القتال ضد العثمانيين وذلك قبل الثورة العربية ، وأن الظروف الآن أختلفت تماماً بنجاح الثورة (١).

أما الهدف الذي تسعى إليه العناصر الاتحادية المسيطرة على السلطة في الدولة العثمانية في سوريا من بث الدعاية ضد الشريف حسين - حسب قول وينجت - فهو مجرد دسيسة من جانب العثمانيين من أجل بذر الشك والريبة بين القوات العربية التي تحت قيادة ابناء الحسين والتي يناضل جنودها من أجل استعادة حريتهم ، وأن حكومة بريطانيا وحلفاءها يتخذون موقفاً راسخا من كل قضية تهدف إلى تحرير الشعوب المقهورة ، وأنهم لعازمون على الوقوف بجانب الشعوب العربية في صراعها من أجل إقامة عالم عربي يحل فيه القانون محل الظلم والطغيان العثماني على حد قوله ، وتسود فيه الوحدة بدلاً من الفرقة والمنازعات و الاضطرابات (٢).

ولقد علق ناتنج على ما قاله وزير خارجية بريطانيا أرثر بلفور (Balfour) للشريف حسين ، بأن بلفور بعمله هذا قد كذب على الشريف حسين الذي أحسن الظن به وصدقه دون أن يطلب منه الاطلاع على نصوص الاتفاق ، ولو أنه فعل ذلك لتبين له أن الاتفاق لم يرد فيه كلمة واحدة عن موافقة الشعوب التي يعنيها الأمر أو استطلاع رأيها .

وعندما اعترض الشريف حسين على تدخل فرنسا سارعت الحكومة البريطانية من جانبها إلى رفع برقية عاجلة للحسين لتوضح له السبب الذي من أجله دخلت فرنسا الحرب إلى جانب بريطانيا في سوريا ، وأشارت كذلك بان ذلك يرجع إلى رغبتها في تحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طويلة تحت ظلم العناصر الاتحادية على حد قولها ، وأن الحكومة البريطانية

---

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ٣٦٣ ؛ وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي ، ١٩٠٨-١٩٢٢م (دراسة وثائقية) ، ص ٧٨ ؛ محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢٢٢ .

(٢) Zeine, Zeine, N.: op. cit, p. 21-22;

سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ص ١٥٧ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٣٣-٢٣٤ .

والفرنسية عملت ذلك في سبيل تحرير البلاد العربية تحريراً تاماً ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها ممن تختارهم من المواطنين(١) . وفي الوقت الذي كان الشريف حسين يتبادل فيه البرقيات مع الحكومة البريطانية للاستفسار عن الاتفاقية الآنفة الذكر ، اقترح الشريف حسين على نجله فيصل أن يرد على أحمد جمال باشا باستحالة الصلح معه دون موافقة الحلفاء .

وبالرغم من المحاولات البريطانية لإقناع الشريف بوجود اتفاقية باسم (سايكس - بيكو) ، فإن الشريف حسين لم يقتنع بالتعابير الودية التي تطلقها بريطانيا له نتيجة انتشار الاشاعات بين قادته بوجود اتفاقية تعرف (بسايكس - بيكو) ، مما حمل وينجت (Wingate) يرفع برقية أخرى إلى الشريف حسين يحدد له فيها الموقف البريطاني من الإشاعات التي أخذت تردد في جميع الأوساط العربية حول وجود اتفاقية سرية بين الحلفاء لاقتسام البلاد العربية . والتي أدت الى خلق جو من التذمر والبلبلة بين صفوف قوات الشريف حسين على الحدود الأردنية السورية (٢) ، وما تبع ذلك من الاستياء الشديد بين السوريين والحجازيين . وأكد وينجت على الشريف حسين بضرورة تصعيد العمليات العسكرية ضد العثمانيين في سوريا ، وأن يغتنم فرصة العلاقات القوية بينهما ، وحث أنجاله على مواصلة القتال (٣) ، وهذه كذبة أخرى أراد بها المعتمد البريطاني وينجت إبعاد نظر الشريف عن اتفاقية سايكس - بيكو المشؤومة حتى لا ينكشف أمر دول الحلفاء ، والتى أرادت أن تجعل من البلاد العربية ، وخاصة سوريا والعراق لقمة ، فتفرض عليها هيمنتها بالخداع والتضليل .

ولعل رسالة وينجت (Wingate) إلى حكومته دليلاً واضحاً على مدى القلق الذي انتاب المسئولين البريطانيين ، وبالذات في البلاد العربية .

ولقد أشار الأخير إلى فاعلية الحقائق التي نشرتها الصحف الروسية في نفوس العرب ، وأن القلق ظهر واضحاً في الحجاز لإحتمال وجود نشاطات دعائية مناوئة في سوريا .

---

(١) Nutting, Anthony : The Arabs, Amentor Book, New York, 1964, p. 290 ;
محمد عبدالرحمن برج : دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) F.O 882/13, Private H.H. King of Hejaz from Colonel dated Dec 20/1/1918 .

ومن هنا ، جاء تأكيد وينجت على ضرورة تجنب التصريحات التعتيمية واتخاذ موقف موحد وواضح من التطورات الأخيرة ، وقام بطرح عدة مقترحات على الشريف حسين في الحجاز ، ومنها :

اولا : أن الحكومة البريطانية ماتزال مصممة على تحقيق استقلال العرب والوفاء بالوعود التي قطعتها على نفسها مع الشريف حسين في بداية ثورته في الحجاز .

ثانيا : أن الحكومة البريطانية لن توافق على أي إحتلال أجنبي دائم لفلسطين وسوريا والعراق باستثناء البصرة ، بعد الإنتهاء من الحرب .

ويبدو أن الشريف مازال مقتنعاً بالوعود البريطانية الكاذبة ، لكنه بالرغم من ذلك فإنه أعرب لوينجت عن حرج موقفه بين المسلمين والعرب من جراء الحقائق التي كشفتها الوثائق السرية السابقة الذكر ، والتي قد تجبره إلى الانسحاب من سوريا في حالة عدم قيام بريطانيا باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة كشف المخطط الأجنبي ، مما اضطر وينجت حينها إلى إحالة الأمر مرة ثانية إلى وزارة الخارجية البريطانية لتوضيح موقفها ، إلاّ أن الوزارة تجاهلت الأمر ، واستمرت على تسترها مع حليفتها فرنسا (١) . كما يتضح لنا من خلال المذكرة التي وجهها بلفور (Balfour) إلى وينجت التي أبلغ الشريف حسين بها .

وذهبت المذكرة كذلك إلى تكذيب الإشاعات والإتهامات التي تثيرها الحكومة العثمانية ضد الحلفاء وذلك بهدف بث الخلاف بين العثمانيين والعرب ... وأكدت المذكرة على أن الحكومة البريطانية لا تزال متمسكة بموقف الدفاع عن قضية تحرير الأمم المظلومة ، ومصممة على الوقوف إلى جانب الشعوب العربية في جهادها الرامي إلى قيام عالم عربي يسوده القانون والشرع (٢) .

وهذا ما جعل الشريف حسين في حيرة من أمره ، فبريطانيا تكذب ما سمتهُ بالشائعات ، والواقع يؤكد وجود اتفاقية سرية على ضؤ الوثائق التي تم كشفها .

ومن المسلم به فإن الشريف حسين شعر بأنه كان هناك نوع من الاتفاق بين البريطانيين

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ٧٦ .

(٢) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٦٢.

والفرنسيين على أساس ضمان بعض المصالح الفرنسية في سوريا ، ولكنه اقتنع بتفسيرات بريطانيا واستمر في تأييدها ، في الوقت الذي لاحت له خيوط المؤامرة حول سوريا ، فمن المفروض عليه أن يصفي خلافاته مع بريطانيا قبل أن تتقدم قواته تجاه دمشق معقل الوالي العثماني الذي كشف عن المؤامرة التي خطط لها الحلفاء (١)، وذلك من أجل إبقاء سلطة العثمانيين على البلاد العربية ومنع الثورات ضدهم ، والتقليل من أهمية ثورة الشريف في الحجاز ، والعمل على المصالحة بين الشريف والسوريين من جهة والعثمانيين من جهة أخرى .

الدور الثاني : مساعي محمد جمال باشا الصغير : (*)

لقد مرت مساعي محمد جمال باشا الصغير بدورين رئيسيين ، الأول في عام ١٣٣٦هـ/فبراير عام ١٩١٨م ، حينما حاول مفاتحة فيصلاً التفاهم معه بالطرق الودية (٢) ، حيث أوفد رسولاً إلى فيصل يدعوهُ بأن يبلغ والده ويطلب منه عقد صلح معه ، فلم يعارض الأخير شريطة انسحاب القوات العثمانية عن المدينة المنورة ، وبعض المواقع الأخرى في منطقة شرق الأردن وجميع محطات سكة الحديد المارة في الحجاز وشرق الأردن حتى عمّان ، ويحاول بعدها إقناع والده في الحجاز بعقد مفاوضات صلح بينهما . فعندما علم الحسين بالوفد ابلغ السلطات البريطانية بان مندوباً عثمانياً وصل إلى معسكر فيصل حاملاً رسالة من محمد جمال باشا (الصغير) الذي عين أخيراً بدلاً من احمد جمال ، وفيها تعليمات من الحكومة العثمانية بتلبية مطالبه ، غير أنه مصر على رفضه القاطع لمشروع الصلح ومتمسك في ثقته بالحكومة البريطانية . وعندما ابلغه ابنه بالوفد رد عليه بانه لاحكم بين الشريف وبينهم إلاّ السيف .

---

(١) محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢١٩ .

(*) جمال باشا الصغير : هنالك ثلاثة من القادة العثمانيين في عهد الاتحاديين الذين سيطروا على الدولة العثمانية كلهم يحملون اسم جمال باشا في سوريا خلال الحرب العالمية الأولى ، أولهما أحمد جمال باشا ، وكان وزيراً البحرية ثم عين بعد ذلك والياً على الولايات العربية في بلاد الشام منذ عام ١٩١٤م ، وثانيهما جمال باشا الصغير الذي تولى قيادة الجيش الرابع الأول ، وثالثهما محمد جمال باشا قائد قوات الدولة في معان ، أثناء فترة الحرب الأولى . انظر سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، ص ٣٨٣-٣٨٤ .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، ص ٣٨٤ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٠ .

وفي الوقت نفسه ، بعث الشريف حسين رسالة إلى محمد جمال الصغير وأرفق بها رسالة أخرى يوضح فيها موقفه من وينجت (Wingate) المعتمد المعتمد البريطاني في القاهرة (١) ، وبين اصراره على موقفه المعارض للصلح مع العثمانيين وأعوانهم . ولكن الوالي العثماني لم يقتنع بل حاول مرة أخرى لعله يتراجع عن موقفه المتشدد تجاهه ، حيث ارسل خطاباً إلى فيصل يطلب منه التفاهم معه ، (٢) فرد عليه بالقبول مقابل قيام العثمانيين بتنفيذ الشروط التالية :

أولا : إعادة جميع الضباط العرب المنفيين في الاناضول والروميللي إلى الجيش العربي في سوريا .

ثانيا : نقل جميع القوات العسكرية المرابطة على خط سكة الحديد بين المدينة المنورة ومعان إلى عمّان .

ثالثا : وضع جميع القوات العربية تحت إمرة قائد عربي في حالة إشتراكها بجانب الدولة العثمانية ضد أي اعتداء خارجي على الولايات العربية السورية .

رابعا : أن تحصل سوريا على استقلالها الذاتي .

خامسا : تمنع القوات العثمانية من الاستحواذ على أية كمية من المواد التموينية الموجودة في سوريا في الوقت الحاضر ، لتبقى تحت تصرف الجيش العربي .

ويبدو أن هناك ثمة نقاط تحيط بموقف فيصل من عروض الصلح ، الأمر الذي يقتضي توضيحها لفهم ما يليها من نقاط ، إذ يشير أحد المؤرخين إلى إبلاغ الشريف حسين لـ (وينجت) في السابع من يونيه في نفس العام بعرض الصلح الأخير أي في اليوم نفسه ، الذي أبلغ فيه الشريف حسين ابنه فيصل برفض هذه العروض ، بينما عرض فيصل بعد ثلاثة أيام شروطه على جمال الصغير وهو وقت كاف لوصول أوامر والده (٣) ، وبعبارة أخرى أن فيصل دخل مفاوضات الصلح على الرغم من وصول

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤م ، ص ١٨٦ ؛ وجيه علم الدين : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٣٦٤ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الشريف حسين ، ص ٢٢٨ .

(٢) هنادي يوسف غوانمه : المملكة الهاشمية الحجازية ، ١٩١٠ - ١٩٢٥م ، ص ١١٨ .

(٣) سليمان موسى : المراسلات التاريخيه ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ١٩٦ .

أوامر والده برفضها والتقدم تجاه دمشق .

ولعل هناك ما يبرر موقف فيصل من قبوله للصلح ، فربما يعود ذلك للتذمر الشديد الذي ساد القوات العربية في شرق الأردن على أثر علمهم بأهداف الحلفاء الخفية التي ظهرت بوادرها ، وجعلت فيصلاً يتخذ موقفاً آخر ، وهو الأمر الذي عهد عنه أنه كان متردداً في قبول الثورة لريبته بنوايا الحلفاء التي أخذت تنكشف نواياها أمامه ، الأمر الذي قد يعزز طبيعة الاستجابة التي أبداها فيصل لجمال باشا الصغير .

ولقد أعرب فيصل عن رأيه الشخصي في أكثر من مناسبة بتحول السياسة البريطانية عما قطعته على نفسها من عهود لوالده ، مما قد يبعث للشك (١) . ولعل الأمر يبدو أكثر وضوحاً وقناعه حينما يكون فيصل على علم بمفاوضات الصلح الخارجية بين الدولة العثمانية وبريطانيا بعد أن وصلته أخبارها في الوقت الذي لم يمض أسبوع على بدئها (٢) .

وفي الوقت نفسه ، الذي كانت تجري فيه الاتصالات بخصوص تسوية الخلافات السياسية بين بريطانيا والدولة العثمانية في اسطنبول ، واصل الشريف حسين شكواه من زيادة الاشاعات التي أخذت تشكك بصدق نوايا الحلفاء واتهامه لهم بنقض الوعود التي قطعوها له .

ولقد اثرت هذه الإشاعة على الحسين ، مما دفعه إلى رفع شكوى للحكومة البريطانية يستفسر فيها عن موقفها تجاهه ، لأنه أحس أخيراً بخطورة الإشاعات على سمعته بين العرب وخاصة في الحجاز وسوريا ، فضلاً عن التهمة التي ستلحق بمكانته الدينية بين أبناء العالم العربي والإسلامي (٣) .

فلم يبخل وينجت (Wingate) المعتمد البريطاني في القاهرة بدوره في تزكية موقف حكومته بريطانيا وحليفتها فرنسا ، وسعيهما المستمر للعمل على اتحاد العرب وتخليصهم من حكم العثمانيين في سوريا كما يدعيان ، وأستدل وينجت بتصريح هوغارث (Hogarth) لدى زيارته لجدة ، فأكد على إصرار الحلفاء لإتاحة الفرصة في تحرير العرب والسعي لوحدتهم ، عير أن هذا الاتحاد – كما ذكر وينجت –

---

(١) Hard Liddle : Lawerance in Arabia and After, London, 1948, p. 317 .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ – ١٩٢٤م ، ص ٣٨٩ .

(٣) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ص ١٩٦ .

سيكون أرسخ قدماً إذا تولاه العرب بأنفسهم وبقناعتهم (١) .

ويبدو أن المسئولين البريطانيين كانوا على حذر شديد من محاولات جمال باشا الصغير الأخيرة خشية أن ينفضح أمرهم وتنكشف نواياهم الخبيثة ، ولذلك سعوا مجدداً لإحباط محاولات عقد أي صلح مع العثمانيين ، فلم يكتفوا بإرسال البرقيات الودية للشريف حسين لتهدئته ، وإنما شرعوا - وبالذات بواسطة وينجت - إلى إقناع الشريف بتكذيب وجود أي نص مكتوب لإتفاقية سايكس بيكو (Sykes-Picot) (٢) .

وعندما أدرك وينجت زيادة الشائعات بين العرب في الحجاز وسوريا حول سوء نوايا الحلفاء ومضمون اتفاقية سايكس بيكو أبرق إلى وزارة خارجيته يطلب منها موافقتها على مذكرته المقترحه بهذا الخصوص والمقترح رفعها إلى الشريف حسين والتي رفعها فيما بعد إلى الحسين . وقد جاء فيها : إن البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في (بتروغراد) معاهدة معقودة ، وانما محاورات ومحادثات مؤقتة تمت بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب مع دول الوسط لمنع المصاعب .

وعلى أية حال ، فإن التصرفات الأخيرة لم توقف الاتصالات المستمرة بين فيصل بن الحسين وجمال الصغير ، بل طلب فيصل من جمال الإسراع في الرد على مقترحاته المقدمة له ، نظراً لقرب موعد الهجوم البريطاني على بعض المواقع الاستراتيجية في فلسطين ، فأسرع جمال الصغير في عملية تحقيق الصلح ، فاستغل وجود الأمير محمد سعيد الجزائري الذي يسعى خلال تلك الفترة التوفيق بين العرب والعثمانيين ، بعقد صلح منفرد بينهما ، على أساس اعتراف الحكومة العثمانية باستقلال بلاد العرب ، والذي قام بزيارة جمال باشا الصغير قائد الجيش الرابع (٣) ، وكانت مدينة السلط الأردنية مقراً لقيادته فأطلعه على مشروعه فاقره ثم سلمه كتاباً خاصاً إلى فيصل بن حسين ، وتوجه

---

(١) F.O. 882/13. from His Excelency the High Commissioner to the Highness the King of the Hijaz Grand Sherif of Makkah p. 80 ;

محمد حسين الزبيدي : مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر ، ص ١١١ .

(٢) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ص ١٩٨ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، ص ٣٨٨ .

(٣) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الشريف حسين ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

الجزائري بقطار خاص إلى معان في السابع من شوال عام ١٣٣٦هـ/الخامس من أغسطس عام ١٩١٨م ، لكي يسلم الخطاب إلى فيصل يداً بيد ، ويسعى من جانبه بإطفاء نار الفتنه بصفته ممثلاً خاصاً في التفاوض بين جمال الصغير وفيصل (١) .

ولقد وصل الجزائري إلى منطقة وهيدة غرب مدينة معان ، وهناك اجتمع الاثنان ليلة الخامس من ذي القعدة عام ١٣٣٦هـ/الثاني عشر من أغسطس عام ١٩١٨م ، وسلم الأمير محمد سعيد الجزائري فيصلاً رسالة جمال الصغير الذي دعا فيها إلى إنهاء الفتنة وإيقاف كل أعمال القتال بين المسلمين ، واستعداد الدولة لقبول جميع المطالب التي يتقدم بها العرب خاصة في سوريا (٢)، إلاّ أن فيصلاً لم يكن مقتنعاً كما يبدو بالرسالة والتي سبق وأن تسلم رسالة شبيهة لها من قبل ، ولم يجد فيها ما يؤكد على إتمام الصلح ، واعتبر فيصلٌ مثل هذه الرسائل سبباً في ضياع الوقت ، في الوقت الذي أصبح فيه الوضع العسكري غاية من الخطورة (٣) .

ولذلك رد فيصل على جمال الصغير برسالة ، يقول فيها : (إن الرسائل التي نتداولها منذ تسعة أشهر أصبحت مصدراً للتسويف ، ولم يبق اي أمل في عقد اتفاق بيننا ، غير أن مساعي الأمير سعيد الجزائري في هذه المرة أحيت بعض الأمل في نفسي مع أن الحال والوقت هما في أقصى درجات الخطورة ، كما أن الوضع العسكري في حالة انفجار خطير ، ولا أورد هذا على سبيل التهديد بل إن وجداني يسوقني إلى إسدائكم النصيحة . وأن العرب لا يطلبون شيئاً عظيماً من الدولة بل إن غاية ما يتمناه السوريون هو أن يعيشوا أحراراً ، وأن يضعوا أيديهم بأيدي العثمانيين) (٤) .

ثم طرح بعد ذلك فيصل مطالب والده المتمثلة بحرية واستقلال الحجاز وسوريا

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٣١٢ ؛ محي الدين ميداني : الثورة العربية الكبرى على الدولة العثمانية ، (بيروت ، ١٩٣٣م) ، ص ٦٩ .

(٢) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٠ .

(٣) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ص ٢٠٩ .

(٤) سليمان موسى : الحركة الوطنية ١٩٠٨ - ١٩٢٤م ، ص ٣٩٤ .

ضمن اتحاد لا مركزي مع الدولة العثمانية ، إذا أبدت استعدادها لذلك ، فالعرب على استعداد للموافقة على الصلح [١] ، ويضيف البعض إلى أن فيصلاً طلب في رسالته الأخيرة بانسحاب القوات العثمانية عن البلاد العربية بدون شروط حتى تعلن استقلالها . [٢]

وعاد الأمير سعيد إلى السلط ومعه كتاب فيصل بن حسين ، وعند وصوله سلم جمال الصغير الرسالة فجمع هيئة أركان حربه فقرأها عليهم ، فقرروا إرسال برقية عاجلة إلى الحكومة في اسطنبول بوجوب الاعتراف باستقلال العرب [٣] .

كما أن الوالي جمال الصغير أخذ الاقتراح وأعد عليه مشروعاً واسعاً ، ورفعه مع مطالب فيصل إلى الحكومة في اسطنبول ، وبعد دراسة السلطان له وافق عليه ، وأصدر إراداته السنية في إقرار مطالب الجانب العربي . ولكن هذا الأمر لم يبلغ إلى الشريف حسين وزعماء الأحزاب السياسية في سوريا إلاّ متأخراً بعد أن فات الأوان ، ومن ناحية أخرى فقد أهمل كلٌ من أنور باشا وطلعت باشا الأمر [٤] ، ولم يبلغا القوات في سوريا بالأمر إلاّ بعد الهزيمة النهائية التي لحقت بهذه القوات وخروجها من فلسطين مندحرة . [٥]

وعقب فشل محاولات الصلح ، اخذ الحسين يتلمس حقيقة الإشاعات التي أثيرت للمرة الثالثة عن الخطط الاستعمارية ، فطلب من بريطانيا توضيح موقفها من مستقبل المنطقة العربية على ضوء ما يربطه بها من التزامات وعهود منعاً للغموض

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ ت . أ . لورنس : لورنس والعرب وجهة نظر عربية ، ص١٨٩ ؛ ناتنغ أنتوني وتوماس لويس : لورنس ولغز الجزيرة العربية ،ص ٢٠ .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤م ، ص ٣٩٤ .

(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٠ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٢٣١ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٣٠٤ ؛ محي الدين ميداني : الثورة العربية الكبرى على الدولة العثمانية ، ص ٧١ ؛ هنادي يوسف غوانمه : المملكة الهاشمية الحجازية ١٩١٠-١٩٢٥م ،ص ١٢٠ .

(٥) الجنرال ليمان فون ساندرس ، القائد الأعلى للقوات العثمانية الألمانية في الجبهة العربية ، وجاء خلفاً لفون فالكنهاين في شهر مارس عام ١٩١٨م . انظر جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٣٣٥ .

أو التأويل الذي يثار حولها في المستقبل .(١)

وبعدما فشلت محاولات الصلح التي قام بها جمال الصغير في دمشق حول إيجاد حل مرض مع الشريف حسين في الحجاز وابنه فيصل في منطقة شرق الأردن حول البلاد العربية ، الذي استغل مساعي الصلح فتوقف بعض الوقت أثناء المفاوضات من أجل إعادة تنظيم قواته من جديد بعد الاتفاق مع البريطانيين لوضع خطة جديدة ومنظمة من أجل القضاء على ما تبقى من القوات العثمانية في منطقة شرق الأردن ، بعد أن كشف ضعفها عن طريق القادة السوريين الذين لجأوا إلى المعسكرات العربية .

وبعد التوقف أوعز فيصل لقواته بالهجوم على ما تبقى من المناطق التي لم تسقط في يده سابقاً ، وفي الوقت نفسه ، تضاءل العنصر الحجازي في جيشه وأصبحت قواته اغلبها من العناصر النظامية والبدوية من أهالي سوريا وفلسطين والعراق (٢) .

وبعدما استولت قوات الشريف حسين على معان وعمَّان ، بدأت تخطط للهجوم على حاميات ومحطات تجمع القوات العثمانية حول المناطق القريبة من الحدود السورية . كما أرسلت بعض السرايا خلف القوات العثمانية لتخريب السكة الحديدية بين محطة خربة الغزالة وتل عرار (٣) ، كما توجهت سرية من المهندسين البريطانيين لتخريب سكة محطة نصيب ، ثم توجه الجحفل بكامله من تل عرار إلى محطة حريزيب بشرق الاردن فاستولى عليها في التاسع من ذى الحجة عام ١٣٣٦هـ/الخامس من سبتمبر ١٩١٨م بعد مقاومة خفيفة وأسر ما في حاميتها من أفراد .

وبعد ما دمرت قوات الشريف حسين بالتعاون مع البريطانيين السكك الحديدية أنشأ فيها مراكز عسكرية لمراقبة تحركات القوات العثمانية على الحدود السورية الأردنية ، وهذا مما زاد من هروب بعض قادة وأفراد الأحزاب السياسية والعسكريين

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨م ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٠٠ .

(٣) نوري السعيد : مذكرات السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦-١٩١٨م ، ص ٨٩ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الشريف حسين ، ص ٣٦١ .

السوريين الذين وضعوا تحت المراقبة الشديدة من قبل السلطات العثمانية في سوريا ، والتحاقهم بقوات فيصل بن حسين .

ولقد أخذت قوات فيصل تتقدم بمساندة قوات بريطانية من جبال الجليل في خطين متوازيين في عملية سباق تشكل دمشق النقطة النهائية لها [١] ، فمن القوات العربية فهناك مثلاً قوات بدأت تتحرك من عمّان ، وأخذت توالي تقدمها للاستيلاء على القرى والمدن التي على طريقها ، وواصلت تقدمها إلى بيارق وهناك انضم إليها نوري الشعلان لتكون تحت قيادة فيصل [٢] ، وبعد استراحة الحملة يومين وصلت رسالة إلى فيصل من والده في مكة يأمرهُ بمواصلة تقدمه ، فاستجاب لوالده وواصل تقدمه تجاه حوران ، وهناك اجتمعت إليه قبائل الحويطات وعشائر بني صخر وغيرها من القبائل التي أنضمت إلى قواته مع أنهم التزموا سياسة الحذر أخيراً من تأييدهم لسياسة الشريف حسين في الحجاز ، وكان منهم الشيخ ذياب العوران الذي دعاه إلى التقدم لمعرفة مواقع القوات العثمانية ، وواصلت الحملة تقدمها تجاه بعض المراكز العثمانية القريبة من مشارف دمشق ، وفي طريقها دمرت محطات نصيب لعرقلة تمويل الفرق العثمانية ولقطع طريق الرجعة إليها ، كما دمروا كذلك قضبان السكك الحديدية خوفاً من أن تستخدم في عملية التفاف حول قوات فيصل وبعض القيادات الأخرى المساندة له في منطقة شرق الإردن ، ثم اتجهت القوات الموالية لفيصل نحو دمشق [٣] .

وفي طريقه التحقت به بعض القوات البدوية التي اجتمعت مع نوري الشعلان ومنهم أبوتايه ، وهو أحد القيادات العربية التي انضمت إلى القوات الحجازية قبل دخول العقبة ، وهناك تكونت قوة عسكرية كبيرة يرأسها الشريف ناصر فواصل زحفه مستغلاً ضعف الدفاعات العثمانية وتراجعها إلى الخلف ، فاستولى على قرية طفس بناءً على طلب من أهلها الذين أستنجدوا به لإنقاذهم من الاعتداءات العثمانية المتكررة

---

(١) محمد كمال يحيى : حركة المعارضة في الحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٧١ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الشريف حسين ، ص ٢٦١ .

عليهم أثناء مرورهم بقريتهم ، ثم واصلت القوات تقدمها مروراً بقرية عناعب [١] ، متجهة نحو الشمال ، في الوقت الذي كانت القوات البريطانية تشق طريقها من فلسطين صوب الشمال [٢] . وكانت القوات العربية تحمي جناحهم الأيمن في تعقب الجيش العثماني الرابع ، بينما كان رجال القبائل يكيلون الضربات للقوات العثمانية المتراجعة أمامهم داخل سوريا [٣] .

وفي الوقت الذي بدأت فيه القوات الحجازية والبريطانية تتأهب لدخول دمشق حدث نزاع بين نوري السعيد أحد قادة القوات العربية التي تخضع للشريف حسين ، وقادة القوات البريطانية وهو برو (Barrow) ، ولكن تدخل لورنس (Lawerance) لحل النزاع بينهما ، حيث أوضح لنوري السعيد أن القيادة البريطانية زودته بتعليمات تنص على أن ما يستولي عليه الجيش العربي النظامي يعتبر تحت الإدارة العربية [٤] .

وفي الرابع والعشرين من ذى الحجة عام ١٣٣٦هـ/الثلاثين من سبتمبر عام ١٩١٨م وصل كل من الشريف ناصر ونوري الشعلان بقواتهما النظامية إلى مشارف دمشق ، وهنالك انضمت إليهما مجموعة من متطوعي الدروز بقيادة سلطان باشا الأطرش [٥] . وقبل دخول قواتهما دمشق ارسلا فرقة من القوات العربية النظامية لنقل البشرى إلى الأهالي مستغلين تراجع القوات العثمانية إلى الشمال من دمشق .

وفي الوقت الذي انسحبت فيه القوات العثمانية من دمشق خاف عقلاء المجتمع في دمشق من الفوضى واختلال الأمن والنظام في المدن السورية قبل وصول القوات العربية النظامية ، فقام سعيد الجزائري بتهدئة الأهالي وإطمئنانهم من أي مكروه ، وقرر مع أعيان سوريا على اقامة حكومة عربية مؤقتة تحول دون الفوضى ، ريثما تصل الجيوش

---

(١) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٢٥ .

(٢) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الشريف حسين ، ص ٢٦١ .

(٣) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٠٢ ؛ عبدالكريم محمود غرايبة : تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م ، ج١ ، ص ٣٤٦ ؛ محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق ، ص ١٧١ .

(٤) Kedourie, Eli.: England and the Middle East, The Destra Ctian of the Ottoman Empire (1914-1921) , London, 1956 , p. 119.

(٥) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٣ ؛ محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

العربية اليها ، واجمعت كلمتهم على اختيار الأمير سعيد الجزائري رئيساً للحكومة ، فتسلم زمامها بعزم مبتدئاً بقسم الولاء والاخلاص للشريف حسين ، وتبعه اخوانه من بعده الذين انتدبهم لمعاونته في إدارة الحكومة ، وأنزل فوراً علم الولاية العثمانية ورفع مكانه العلم العربي ثم أبلغ الأهالي في المدن السورية وجبل لبنان بهزيمة القوات العثمانية ، وقيام حكومة عربية في دمشق تحت راية الحسين وحث الأهالي على التزام الهدوء والسكينة وصيانة الأمن وتأييد العهد الجديد(١) .

وبعد ثلاثة أيام من حكومة الأمير سعيد الجزائري وصل مبعوث الشريف ناصر إلى المقر الرئيسي للحكومة في دمشق (٢) ، وفي الصباح دخلت طليعة القوات العربية النظامية بقيادة نوري السعيد ثم الخيالة الأسترالية الممثلة في فصيلة الخيالة الخفيفة بقيادة الجنرال ولسن (Gen. Wilson) (٣)، ثم أعقبها بعد ذلك وصول القوات غير النظامية إلى مدينة دمشق في نفس اليوم ، ثم تلاه بعد ذلك دخول فيلق من القوات البريطانية من الناحية الشمالية الغربية بقيادة الجنرال اللنبي (Al-Ilenby) (٤) ، الذي بعث بدوره برقية إلى الشريف حسين في الحجاز يقول له فيها : (يسرني أن أبلغكم أن جنودنا المشتركة مع جنودكم العربية دخلت مدينة دمشق) (٥). كما أبرق في نفس اليوم إلى وزارة الحربية البريطانية يخبرها بدخول القوات البريطانية إلى دمشق (٦).

وفي اليوم نفسه ، دخل الشريف ناصر نائب القائد العام للقوات النظامية وبرفقته بعض الشخصيات العربية البارزة من الحجازيين والسوريين والعراقيين إلى

---

(١) محمد كمال يحيى : حركة المعارضة للحكم العثماني في المشرق العربي ، ص ١٧١ .

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٠٢ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ٤٧ ؛ إبراهيم الشريف : الثورة العربية الكبرى ودوافعها وحصادها ، ص ١٤-١٥ ؛ جلال يحيى وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٦٦ .

(٣) عبدالعزيز العظمة : تراث الشام (تاريخ دمشق وأهلها) ، ص ٢٣٧-٢٣٨ ؛ اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الأسلامي الحديث والمعاصر (الرياض،دار المريخ للنشر ١٤٠٤هـ) ، ج١ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) Kedourie, Eli: op. cit, p. 122; Zeine, Zeine, N.: op. cit, p. 25 .

(٥) سليمان موسى : المراسلات التاريخية رقم الوثيقة (١٧٤) ، ص ٢١٣ .

(٦) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٦٦ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٤ ؛ جلال يحيى وآخرون : تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٦٧ .

دمشق ، فتسلم إدارة الحكومة التي سبق وأن أقامها الأمير سعيد الجزائري ، وقد رحب الأهالي بدخول تلك القوات واعتبروا ذلك خلاصاً من العناصر الاتحادية الجائرة في الحكومة العثمانية وبعد دخول عهد جديد حافل بالاستقرار ، وبعدما تسلم السلطة ، أقام له الأهالي الاحتفالات اشترك فيها المجاهدون من الأقطار العربية وفي مقدمتهم السوريون بغية الوصول إلى الإستقلال(١) .

ولكن حدث أمراً لم يكن في الحسبان ، فعندما استقر الجنرال اللنبي في دمشق مع بقية القوات العربية بصفته قائداً عاماً للقوات الحليفة في الشرق الأوسط بادر بتقسيم سوريا إلى ثلاث مناطق شرقية وغربية وجنوبية وعين رضا باشا الركابي أحد وجهاء دمشق البارزين ومن كبار قادة الجيش العثماني السابقين ، حاكماً عسكرياً للمنطقة الشرقية ، وكان الهدف من ذلك إنهاء عهد الحكومة المؤقتة في سوريا .

وعندما تسلم الركابي السلطة أبلغ رؤساء دوائر الحكومة بأن لاتحول الأفراح بعهد الاستقلال دون النظر في مراجعات المصالح تأميناً للعدالة ، فساد الأمن والاطمئنان ، وكان أول عمل قام به هو تعيين شكري باشا الأيوبي مندوباً عنه في بيروت مركز المنطقة الغربية وأمره برفع العلم العربي على المؤسسات الحكومية وأخذ البيعة للشريف حسين .

وبعدما استقرت الأوضاع في دمشق وماحولها من المدن السورية قدم إليها فيصل بن الحسين القائد العام للقوات العربية قادماً من حوران . وكان دخوله لها في السابع من محرم عام ١٣٣٧هـ/الرابع من اكتوبر عام ١٩١٨م (٢) وكانت ترافقه بعض الشخصيات السياسية السورية ، فاستقبله أعيان سوريا وعلماؤها ورجالها الذين خرجوا لإستقباله ، وفي طليعتهم الحاكم العسكري الركابي وأركان الحكومة (٣) ، وحل ضيفاً في دار محمود بك البارودي في الشابكية في القنوات ، وفي اليوم التالي نشر بلاغاً على المواطنين يعلن فيه تأسيس حكومة عربية باسم والده الشريف حسين (٤) .

---

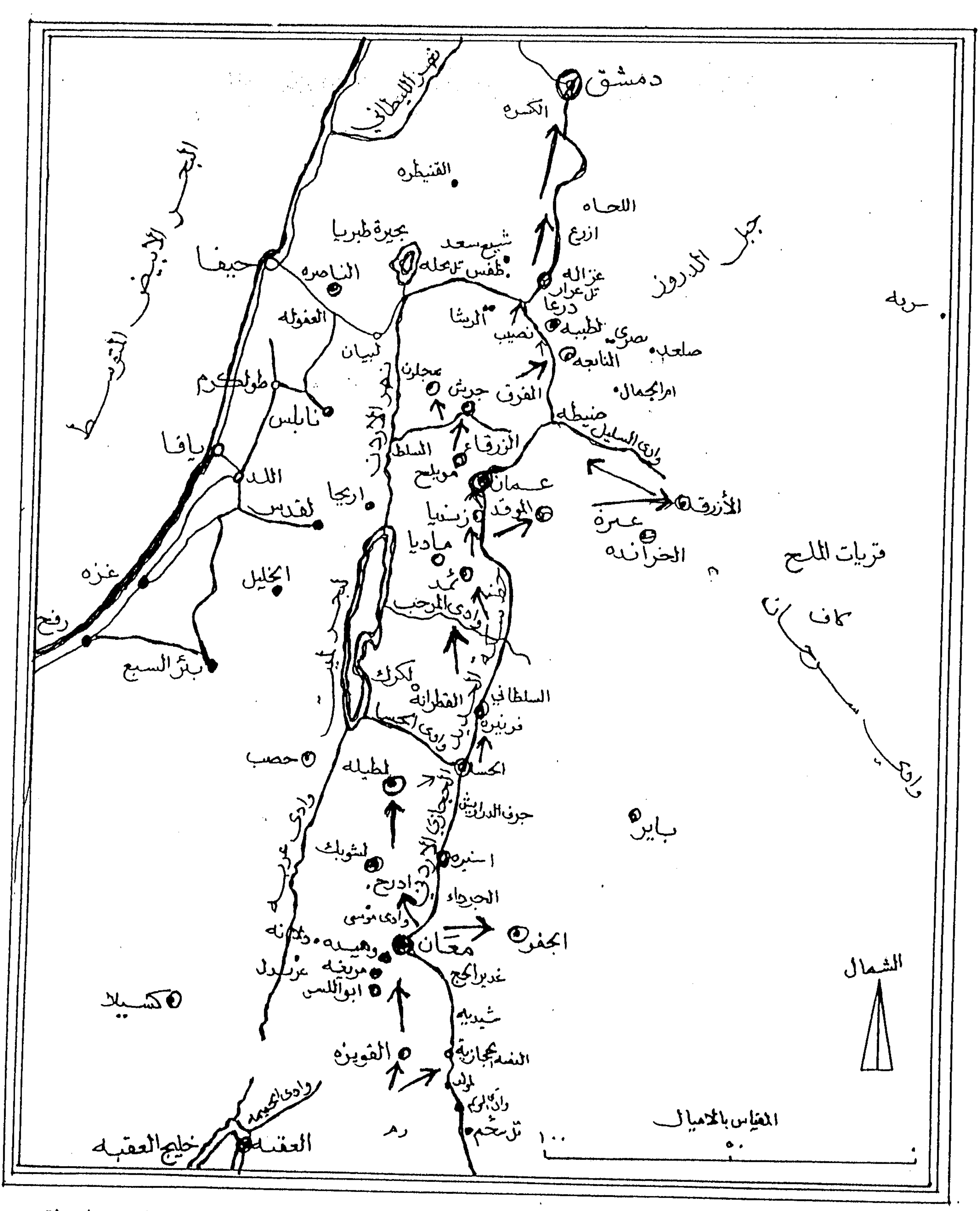
(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢١٥ .

(٢) زيادة لتوضيح المواقع التي دارت فيها المعارك بين قوات الحسين والعثمانيين ، انظر الخريطة رقم (٥) في الصفحة التالية (المرفقة) .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١ .

(٤) عبدالعزيز العظمة : مرآت الشام ، (تاريخ دمشق واهلها) ، ص ٢٣٨ ، أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٥ ؛ نوري السعيد : مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦-١٩١٨م ، ص ١٠٠ .

الخريطة رقم (٥)



المواقع التي دارت فيها المعارك بين قوات الشريف حسين والعثمانيين في الاردن وسوريا . كما صورها موفق بني المرجه في كتابه : السلطان عبدالحميد الثاني ومشروع الجامعة الاسلامية . ص ١١١ .

وفي الوقت الذي يجري فيه فيصل بعض الاتصالات مع العلماء والوجهاء في المدن السورية للمحافظة على الأمن والنظام ، علم بأن الجنرال اللنبي (Allenby) قائد فرقة القوات البريطانية يقوم بمراسلة القيادة العامة للحلفاء في بير سالم ، وقد وردت له خطابات من المعتمد البريطاني في مصر ، وقنصل فرنسا العام المسيو بيكو (Picot) من مضمون هذه الرسائل جميعها تدعو إلى مقاومة التيار العربي الجارف في سوريا ، وأن يسد الطريق أمام االشريف فيصل وقواته ، وتطبيق بما جاء في بنود اتفاقية سايكس - بيكو (Sykes-Picot) . وفي الوقت نفسه ، أصدر القائد البريطاني اللنبي قراراً باحالة إدارة سوريا إليه بصفته قائداً عاماً من قادة الحلفاء متجاهلاً دور القوات العربية وعلى رأسها الشريف فيصل (١) .

وقد كتم الشريف فيصل غضبه عند سماعه لهذه الأنباء التي توحي بأن هنالك مخططات استعمارية خفية ، الهدف من وراءها احتلال دول الحلفاء لسوريا ، وذلك حتى لاتحدث بعض المشاكل لوالده في سوريا (٢) ، وكرد على تلك الاجراءات الاستفزازية قام ببعض الجولات التفقدية في دمشق ، فرأى الأثر الواضح على المواطنين السوريين من مسلمين ومسيحيين ممن يؤيدون حكومة الحجاز ، وقد اطمأن على موقفهم في حالة قيام الدولة الجديدة ، ومدى تأييدهم لها (٣) .

ولقد التف حوله عدد كثير من المواطنين الذين بدأ يلتمس منهم الشعور الطيب نحوه ، و أكدوا له الولاء لوالده الحسين في الحجاز (٤) . وقام بتقديم الشكر لجميع السوريين على ما أبدوه له من مشاعر العطف والمحبة وحسن استقبال للقوات الحجازية ، وطلب منهم سرعة اعلان البيعة لوالده في الحجاز (٥) ، ثم عقد أول اجتماع مع العلماء

---

(١) سهيلة الريماوي : التجربة الفيصلية في بلاد الشام ، ص٢٦ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٦ .

(٢) Zeine, Zeine, N.: op. cit, p. 29 ,

السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢١٠ .

(٣) أنظر ، مجموعة الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب بمكتب النشر العربي بدمشق ، ص ١٧.

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص١ .وكذلك انظر ، مجموعة الوثائق والمعاهدات المتعلقة بالبلاد العربية ، ص ٨٩ .

(٥) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٦ ؛ حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهد العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٤٦م ، ص ٣٥ ؛ محمد صبيح : مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية ، ص ٤٢٧.

ورؤساء القبائل والوجهاء وجميع العاملين في الحقل الوطني وتجل فيه وحدة الفكرة العربية بين الحكومة والنخبة التي تمثل الشعب في الافصاح عن رغبته في الوحدة والاستقلال تحت حكومة عربية تابعة لحكومة الحجاز ، ثم عرض عليهم المبادئ الأساسية للدولة التي ينوي إقامتها في سوريا باسم والده ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً : تشكل في سوريا حكومة دستورية عربية مستقله استقلالاً مطلقاً عن حكومة العثمانيين ، وشاملة لجميع البلاد السورية باسم الشريف حسين .

ثانياً : يعهد إلى السيد رضا باشا الركابي بالقيادة العامة للحكومة المذكورة .

ثالثاً : إقامة إدارة عرفية لرؤية المواد التي يحيلها القائد العام إليها .

وبناءً عليه يجب على الأهالي المحافظة على الهدوء والسكون والطاعة للحكومة الجديدة ، والانقياد لأوامرها والإصغاء لتبليغاتها (١) . كما أشار كذلك بأن هذه الحكومة تأسست على قاعدة من العدالة والمساواة ، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم ، ولا تفرق في الحقوق بين مسلم ومسيحي ، فهي تسعى بكل مالديها من الوسائل ، لترسيخ دعائم هذه الدولة التي قامت باسم الشريف حسين ، وتستهدف إعلاء شأنهم وتأسيس مركزها السياسي بين الأمم الراقية تحت قيادة الشريف حسين (٢) . وقال : أيضاً إنني آمل من أهالي سوريا الذين برهنوا على محبتهم لنا أن يكونوا مثالاً حسناً في الطاعة حتى يثبتوا للعالم أجمع أنهم أمة تستحق الاستقلال ، وقادرة على إدارة شئونها بنفسها (٣) ، كما أوضح للجميع بأن جميع الأفراد المنضمين تحت لواء الحكومة العربية شغوفون ، وفي نفس الوقت أشار بأنه شديد العقاب على من يتجرأ على مخالفة انظمة الدولة أو العبث بقوانينها (٤) .

---

(١) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءة وثائقية) في العهد العربي ، ص ١٥-١٦ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٢ - ٣ .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهد العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٢٦م ، ص٣٥ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧ ؛ حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٤٣، ص٥٣ .

(٣) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءة وثائقية) ، ص ١٦ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١ ؛ مجموعة الوثائق والمعاهدات المتعلقة بالبلاد العربية ، ص ٨٩ .

ولقد بدأ بعد ذلك بتشكيل حكومة مؤقته حيث عين السيد علي رضا باشا الركابي رئيساً على الأجزاء الشمالية من سوريا ، وياسين الهاشمي الذي كان مستشاراً حربياً قائداً للجيش (١) . أما محمد علي التميمي فقد عين مديراً للشرطة في الجهات الجنوبية من سوريا ، وأما جميل الألشي فعينه رئيساً لاركان حربه ثم ثبت الموظفين في مناصبهم ، ثم رفع العلم العربي على السراي ، بعد أن تم تشكيل اعضاء الحكومة التي أصبحت لها أهمية سياسية كبرى لدى الشريف حسين . وكان تشكيل الحكومة العربية الجديدة دافعاً قوياً للآمال في تحقيق الأماني العربية بإقامة الدولة العربية المستقلة استقلالاً تاماً ، تحت قيادة الحسين وتكون بلاد الشام جزءً منها (٢) .

وعلى أية حال ، فقد تسلمت الحكومة الجديدة السلطة وأخطرت جميع المناطق السورية بها ، وأصبح فيصلاً رئيس أول حكومة عربية مستقلة في بلاد الشام بعد خروج العثمانيين من دمشق خاضعاً لوالده الشريف حسين في الحجاز (٣) .

وبعد إعلان الحكومة الجديدة حدث اختلاف في وجهات النظر بين اللنبي قائد القوات الحليفة في الشرق الأوسط والشريف فيصل الذي أعلن باسم والده الشريف حسين قيام أول حكومة عربية في سوريا وتثبيت الركابي حاكماً عسكرياً عليها ، ولكن واقع الحال يدل على أن عمل اللنبي هو من مقتضيات الاحتلال العسكري باسم الدول الحليفة ، فهو إذن تدبير مؤقت لتوطيد الأمن وتسيير الأمور الإدارية والمحافظة على حسن روابط الجوار مع المناطق السورية الأخرى ، ريثما يتم تقرير مصير سوريا في مؤتمر الصلح (٤) .

---

(١) السيد رجب حراز : محاضرات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص٢١٠ ؛ إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى ودوافعها وحصادها ، ص ٣٤ ؛ سهيله الريماوي : التجربة الفيصلية في بلاد الشام ، ص ٣١ ؛ اسماعيل أحمد ياغي وآخرون : تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ، ج١ ، ص ٧٣ .

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٠٤ ؛ محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١٢٦ ؛ إسماعيل أحمد ياغي (وآخرون) : تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ، ج١ ، ص ٧٣ ؛ Petran, Tabitha :op: cit . 54

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى . ج٢ ، ص٣ .

(٤) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢١٦ .

وعندما كشف فيصل اتفاقية سايكس - بيكو بين بريطانيا وفرنسا طلب فيصل من الجنرال اللنبي تحقيق فكرة الحكومة العربية المتفق عليها مع والده في الحجاز في المفاوضات التي جرت قبل الثورة بين الحسين في الحجاز ومكماهون مندوب الحكومة البريطانية في القاهرة ، ويضاف الى هذا الاستنتاج ما كان يرمي إليه الشريف حسين ونجله فيصل من تعزيز فكرة الاستقلال في نفوس المواطنين السوريين وإبعاد فرنسا عما كانت تنويه من إجراءات لبسط نفوذها على سوريا تحت اسم انتداب وغيره استناداً الى حقوق ثقافية واقتصادية منذ الحكم العثماني .

وعندما تأكد الشريف حسين وابنه فيصل من أطماع بريطانيا وفرنسا في البلاد العربية لجأ إلى دعم الحكومة العربية الجديدة ، بتشجيع رجال القبائل العربية على مواجهة المخططات الاستعمارية التي بدأت تظهر بوادرها أمام المواطنين ، وطالبهم بإنشاء الاستحكامات حول المدن الرئيسية للدفاع عنها ، كما أمر شكري باشا الأيوبي برفع العلم العربي على دور الحكومة ، وعلى المؤسسات في المدن الساحلية (١) ، ثم أرسل فيصل بعد ذلك حملة صغيرة إلى بيروت وقامت برفع علم الدولة على مقر الحكومة في إحتفال رسمي ، والتي تولى رئاستها أخيراً شكري باشا الأيوبي (٢) ، وكانت بذلك أول مرة تُرفع فيها العلم السوري في أجواء سوريا وبيروت .

كما قام فيصل باجراء بعض التعديلات على بعض القوانين التي وضعها لأجل استتباب الأمن والنظام فيها ، ثم أعلن بأن الجيش العربي سيكون تحت قيادته ، وسيعدم كل من يجرؤ على الإخلال بالأمن والنظام في سوريا ، وأمر بنصب مشنقه أمام دار الحكومة (٣) ، لمعاقبة كل من يخرج على النظام .

---

(١) محمد سعد أطلس : تاريخ العرب ، ص ٨٠ .

(٢) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ، رقم (١٨١) ، ص ٢١٦ .

(٣) Petran , Tabitha : op . cit , p . 54 ;

حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهد الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥ - ١٩٤٦ م ، ص ٣٥ .

وبعد هذه الإجراءات القاسية التي فرضها فيصل بن الحسين على الأهالي في سوريا جعل الأهالي يحسون أنهم استبدلوا حكم العثمانيين بحكم اشد منه ، كما انكشف للأهالي ولفيصل بن الحسين سؤ النوايا البريطانية ، عندما طلب مندوبها في سوريا بأن ينزل العلم العربي المرفوع على قصر الحكومة في بيروت ، وبعض المؤسسات في سوريا بناءً على طلب من الحكومة الفرنسية (١) . كما تأكدت الأنباء حول صحة وجود اتفاقية سرية بريطانية فرنسية لتقسيم بعض البلاد العربية فيما بينها ومنها سوريا والمعروفة باتفاقية سايكس - بيكو (Sykes-Picot) ، فضاق الأمر بفيصل وقدم إستقالته من قيادة الجيش العسكري دون علم والده في الحجاز، وسلمها لقائد عسكري آخر تحت قيادة الجنرال اللنبي . وبعدما وصل الخبر إلى الشريف حسين في مكة غضب عليه ، وبدأ الشك يساوره من أن فرنسا ستحصل على كل ما تريد تنفيذه .

ولقد احتج الشريف حسين على الموقف الفرنسي ، وأبلغ البريطانيين بذلك ، فأمرت الحكومة البريطانية كلايتون (Clayton) الموجود في ذلك الوقت في دمشق أن يحاول إقناع فيصل بتأجيل الاصلاحات التي يريد تطبيقها في المناطق السورية حتى يصل الجنرال اللنبي إلى دمشق (٢) .

وفي الوقت نفسه ، وصل الجنرال اللنبي إلى دمشق والتقى بفيصل ، وحضر معهما لورنس (Lawernce) وأتسم اللقاء بينهما بشيء من الحدة والصخب ، فقد كان الرجلان على طرفي نقيض في المناقشات .

وقد لمح الجنرال اللنبي لفيصل بمخطط بريطانيا وفرنسا حول تقسيم البلاد العربية بموجب اتفاقيه سايكس - بيكو (Sykes-Picot) ، في الوقت الذي أرسل فيه فيصل برقية عاجلة لوالده في الحجاز يصف له الوضع السياسي في جميع البلاد السورية بأنه هادىء للغاية ، وأن جميع الأهالي من بيروت حتى الاسكندرونة

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٥ ; Khoury, philips: op. cit , p. 78.

(٢) F.O. 371/3384, Telegram from Allenby to the War Office Dated in 17 Oct. 1918 .

في الساحل الشمالي من سوريا تؤيده ، كما توالت الرسائل من بعض المناطق السورية واللبنانية إلى فيصل تدعوه إلى زيارتها ومرحبة بوالده الشريف حسين رئيساً للدولة (١).

وفي أواخر محرم عام ١٣٣٧هـ/ أوائل نوفمبر ١٩١٨م قام فيصل بجولة على بعض المدن السورية ، تلبية لمطالب أهلها ، وكان برفقته في هذه الجولة نخبة من زعماء الأحزاب السياسية المؤيدة له وبعض القادة السوريين والعراقيين والحجازيين .

ولقد بدأ أولاً بزيارة الأجزاء الشماليه ، حيث زار حمص وحماة وحلب فقابلوه اهلها بالترحيب واقاموا له حفلة تكريم في نادي العرب (٢) ، فتسنى لفيصل أن يلقي فيهم خطبته التاريخية ، حيث أشار فيها بغرض الثورة العربية الكبرى ، والعوامل التي أدت إلى قيامها في الحجاز ، ثم نوه بعد ذلك في خطبته بالرجل المسئول عن الحركة العربية ضد العثمانيين ، وهو أولاً وآخراً والده ثم الحجازيون الذين بدأوا بها فعلاً لإنقاذ اخوانهم العرب من النير العثماني وجمع كلمتهم وضمان حريتهم واستقلالهم على الرغم من اختلاف مذاهبهم والسعي بكل عزم واخلاص وهدؤ لتحقيق أمنيتهم الغالية باقامة حكومة عربية وطنية حائزة على ثقتهم في سبيل خدمة الشعب وترقيته واستقلاله ورفع شأنه في نظر الحلفاء والعالم أجمع .

أما السوريون فإنهم مسئولون عنها معنا ، لأنهم قد شوقوا الحجازيون على هذه الحركة (٣). ثم واصل بعد ذلك فيصل جولته ، حيث زار بعلبك وهناك اتصل به الدكتور أحمد قدري الذي رافقه في زيارته إلى حمص ثم حماة ، وهناك حلّ ضيفاً على آل العظم (٤) ، وتم له مناقشة ما يمكن تنفيذه لصالح الأهالي في المناطق التي زارها ، وقد حث السكان على النفير العام ضد الفرنسيين المستعمرين الذين أصبحوا يهددون المناطق السورية الشمالية والساحلية ويدعون بالحقوق الفرنسية في سورية ، وأخيراً قدم شكر والده الشريف حسين لهم ثم أوضح لهم بأنه بذل كل ما لديه على حد قوله من أجل

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ، رقم (١٨١) ص ٢١٦-٢١٧ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٤ .

(٣) غالب العياشي : تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ١٩١٨-١٩٥٤، ص١٦-١٧.

(٤) محمد عزة : الحركة العربية الحديثة ، (بيروت ، المكتب التجاري للنشر د .ت) ، ج١ ، ص٧٨؛
Zeine, zeine . N.,: op. cit . p.78 .

إخـراج السلطات العـثـمـانيـة من بلادهم (١) . وقـد لوحظ في خطابه تعـريض شـديد بالعثمانيين وبالخطة التي اتبعوها إزاء العرب وفتكهم بالقيادات السورية .

ولقد علق بعض الساسة السوريين على هذا التعريض الذي لم يصدر مثله في دمشق ولا في حمص وحماة ، كما أنه لم يسلم خطابه من التعريض بالألمان حلفاء العثمانيين ، وقد وافق توقيعهم على هدنة الصلح تاريخ القاء الخطاب الذي القاه على السوريين .

وفي اليوم التالي اشترك فيصل في مطاردة فلول القوات العثمانية حتى المسلمية شمال حلب ، ثم عاد وشرع في تنظيم إدارة سوريا بكاملها وتوثيق عرى العلاقة مع أهلها .

وفي دمشق بدأ بتأسيس حكومة عربية جديدة كونها من الزعامات السورية والفلسطنية واللبنانية الموجودة في دمشق والمعروفة باعتدالها ، وجعل من دمشق مركز الثقل العربي في بلاد الشام بعدما تم إجلاء العثمانيين منها ، وطلب من أعضاء الحكومة الجديدة بأن يعملوا يداً واحدة لمجابهة دسائس الاستعمار التي أصبحت تظهر بوادرها أمامهم . كما أخذ يبث الدعاية له ولوالده بأن لكل فرد في بلاد الشام الحق أن يتولى عملاً في الحكومة حسب ما لديه من معرفة عسكرية أو علمية وخبرة فنية أو إدارية في ذلك العمل تحت رئيس الدولة الشريف حسين ووزرائه من السوريين والفلسطنيين واللبنانيين .

وعندما رأت دول الحلفاء أن الأمور تسير حثيثاً في صالح فيصل بن الحسين الذي يأخذ تعليماته من والده الذي اعتبر نفسه رئيساً للحكومة في الحجاز وبلاد الشام ، بدأت فرنسا تتذمر من الاجراءات التي قام بها فيصل أخيراً في سوريا خوفاً من ضياع مصالحها في البلاد السورية ، فقامت باتخاذ بعض الخطوات من أجل استفزاز السوريين في بلاد الشام ، ولكن القوات السورية والمواطنين السوريين سارعوا إلى التصدي للتحركات الاستفزازية الفرنسية التي قامت بها عناصر مسيحية موالية للفرنسيين تساندها قوة فرنسية في الأجزاء الشماليه من سوريا ، والتي أدت إلى احتلالها بعمليات عسكريه فقاموا بإعادة احتلالها ، وطرد الفرنسيين من تلك المناطق في عملية مضادة ضد التدخل الأستعماري الفرنسي .

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٨٥ .

وعندما لاحظت بريطانيا فشل التدخل الفرنسي ، طلبت من فيصل أن يوقف عملياته العسكرية في تلك المناطق وأن تقسم سوريا إلى مناطق وتعين ضابط ارتباط بريطاني وآخر فرنسي في المنطقة الغربية وتوافق القيادة العامة على تعيينهم وأن ينزل الحاكم العسكري الاعلام العربية المرفوعة على المؤسسات الحكومية هناك (١) . ولكن فيصل الذي أخذت الشكوك تساوره تجاه المخطط الاستعماري الكبير في بلاد الشام المتمثل في اتفاقية سايكس بيكو ، قام بمماطلتها في تلبية مطالبها حيال إنزال أعلام الحكومة العربية ، لأن ذلك سوف يرسخ أو يساعد احتلال فرنسا للأجزاء الشمالية من المناطق السورية على مرأى ومسمع من بريطانيا (٢)، وأدرك بعد فوات الأوان أن بريطانيا قد ضللته بالوعود تلبية لرغبات حليفتها فرنسا وأنهما يحيكان المخططات الاستعمارية ضد الأمة العربية ، بحجة مساعدتها لفيصل والسوريين في الحرب القائمة في بلاد الشام ضد العثمانيين من أجل تحرير الشعوب العربية من بطش القادة الاتحاديين في الحكومة العثمانية ، وإقامة حكومات وإدارات محلية وطنية ، تستمد سلطتها من اختيار السكان لها اختياراً حراً وهو مجرد تضليل للعرب حتى لاينكشف مخططها الاستعماري مع وضع الشريف حسين وابنه فيصل مجرد ستار تحاك من خلفهما المؤمرات والدسائس لإقتسام البلاد العربية والأسلامية والهيمنة عليها لإستغلال مواردها .(٣) ، وهذا جاء في الوقت الذي تشجع بريطانيا فيصل على إقامة حكومة عربية وطنية في سوريا تخضع لسيطرتها ، بعدما لاحظت في الشريف حسين حبه الشديد لزعامة العرب ويقابله تأييد من العرب في بلاد الشام والعراق (٤) .

---

(١) Iqbal , Shcikh Mohammad : op . cit , p . 193 .

(٢) مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٨٦ – ٨٧ ؛ محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٣٥ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٥ ؛ إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، ص ١٠٩ .

وفي الوقت نفسه حاولت دول الحلفاء تضييق الخناق على فيصل الذي لجأ إلى اصدار بعض القرارات لأعضاء الحكومة في دمشق ، ومنه إصدار قانون الغنائم الحربية وبعض الأحوال المنقولة التي كانت عائدة للحكومة العثمانية في البلاد السورية بعد جلاء العثمانين عنها وهي غنيمة حربية دخلت في عهدة الحكومة العربية القائمة وتحت تصرفها ، بما في ذلك الأموال العائدة للخزينة المالية والجيش والمصرف الزراعي وإدارة الطرق والبريد والأوقاف والخطوط الحديدية الحجازية ، والغاء القانون العثماني المتعلق بتداول الورق النقدي والوفاء بالذهب والفضة ، وأصدر أمراً بالعفو العام عن جميع الجرائم وأعيد بعض منها للمحاكم الشرعية للبث فيها، ثم اتجه بعد ذلك إلى دعم سلطته في الأجزاء الشمالية من سوريا ، حيث قام بزيارة خاطفة لتلك المناطق باسم الحكومة الحجازية وذلك لإزالة الشكوك عن الأهالي ، وقام بتشجيع المواطنين على رفع الأعلام العربيه على دور الحكومة تحدياً للفرنسيين ، وتم تعيين عدد كاف من رجال الأمن وأنشأ فرقاً من الجيش النظامي لمطاردة فلول العثمانيين المرابطين على الحدود التركية السورية قبل أن تتمكن من جمع فلولها مرة أخرى ، وتستغل فرصة الصراع بين فيصل والحلفاء وتنقض الهدنة بينهما ، وتقوم مرة أخرى بحملات عسكرية ضد السوريين للانتقام منهم ، كما استقل فيصل وجوده هناك فقام بتنظيم فرق محلية بدوية تقوم ببعض الأعمال الداخلية لحفظ الأمن في المدن السورية الشمالية عند الحاجة إليها في المستقبل . وكان في كل خطبة يلقيها أمام الجموع المحتشدة له يؤكد لهم على مبدأ المساواة بين جميع المواطنين بالرغم من اختلاف أديانهم مبيناً لهم بأن الأديان السماوية تأمر باتباع الحق والأخوة ، كما أوضح لهم أنه يعتبر نفسه الممثل الشخصي لوالده الشريف حسين الذي يعتبر رئيس الحكومة في بلاد الشام والحجاز(١) .

وكان فيصل في هذه الزيارات يركز على الهدف الذي من أجله قامت الثورة ، حيث أشار لهم بأن الأماني لا تتحقق إلا بتوحيد الهدف الواحد وهو استقلال البلاد العربية تحت راية وقيادة والده الذي يطمع في ذلك الوقت بأن يكون ملكاً على جميع البلاد العربية متحدي دول الحلفاء ، التي اعترفت به ملكاً على الحجاز فقط .

---

(١) أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٧ .

ولعل الخطب التي القاها ابنه فيصل على السكان في بعض المدن السورية كان لها الأثر الواضح بين المواطنين ، والتي شملت كل الطوائف الدينية - الإسلامية والمسيحية، مما زادت من أنصاره في المناطق الشامية فشملت اللبنانية والفلسطينية ، فانخدعوا باقواله وتصريحاته التي كانت مجرد أوهام ، كشف المستقبل عن حقيقتها المزيفة .

وبعد الجولات التفقدية التي قام بها فيصل في الأجزاء الشمالية من سوريا وزار خلالها بعض المدن السورية الرئيسية بعد جلاء القوات العثمانية منها خافت فرنسا على نفوذها في تلك المناطق التي زارها فيصل نيابة عن والده ، فأسرعت باحتلال الساحل الغربي من سوريا ثم استولت بعد ذلك على القسم المتبقي من الساحل السوري بكامله الممتد من جبل عامل في الجنوب حتى الاسكندرونه شمالاً بعد أن تلقت التسهيلات والامدادات المتنوعة من بريطانيا ، والتي ساعدت على احتلال القسم الجنوبي من بلاد الشام . وبهذا الإحتلال قدم إلى بيروت مسيو جورج بيكو ، المستشار السياسي الفرنسي للجنرال اللنبي أثناء الحرب ، معيناً من قبل الحكومة الفرنسية مفوضاً سامياً ، ويعاونه مسيو كولوندر ، وكلاهما واقف على أحوال هذه المنطقة منذ كان قنصلاً عاماً في بيروت .

ولقد أخذت الحكومة الفرنسية في المنطقة الغربية برئاسة قادة عسكريين تقوم بمهامها بمعاونة من ترى فيهم الكفاءة من أبناء هذه المنطقة دون سواها وتحت اشراف المفوض السامي ومعاونيه . وهذا الاحتلال واجه انقسام بين المواطنين السوريين ، فمنهم من يفضل الانتداب الفرنسي وهي أقلية إسلامية أما الأكثرية فإنهم يفضلون بريطانيا مع الوحدة مع حكومة الشريف حين في الحجاز .

وعندما رأت فرنسا التيار الجارف المؤيد لفيصل في المنطقة الغربية قسمتها إلى ثلاث حكومات مراكزها بيروت واللاذقية واسكندرونة والحقت بها بعض الاقضية ، والهدف من هذه التقسيمات الإدارية هو تضييق الخناق على معظم السوريين المؤيدين لحكومة فيصل الذي يخضع لوالده في الحجاز .

أما المناطق الداخلية من سوريا فقد عهد بحكمها مؤقتاً لفيصل بصفته نائباً لوالده الشريف حسين (١) .

---

(١) زين الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٧٧ - ٧٨ .

وعندما علم فيصل بذلك المخطط الخبيث رفض قبول تلك الإجراءات التي أقدمت عليها فرنسا وبريطانيا في المنطقة الغربية ، واعتبر هذه الاجراءات تدخل سافر في شؤن سوريا وأهلها وأصّر على الاعتراف بحقوق العرب في سوريا ، كما أشار بانه لن يتخلى عن أي شبر منها مهما كلفه الأمر ، وقبل أن يصل الخبر إلى والده رفع برقية عاجلة من جانبه إلى والده الشريف حسين في الحجاز يطلعه على المخطط الاستعماري الذي قامت بتنفيذه الحكومة الفرنسية والبريطانية ، وقيامها بتسليم المناطق الغربية من سوريا لفرنسا وقسمتها إلى عدة مناطق وأقضية ، وقد أغضب هذا العمل الشريف حسين فرفع من جانبه برقية إحتجاج شديدة اللهجة إلى بريطانيا ينتقدها على ما قامت به ، واعتبره مخالفاً للعهود والمواثيق التي قطعتها بريطانيا على نفسها بمساعدة العرب في حروبهم في بلاد الشام ضد القادة الاتحاديين ، وعدم التدخل في شؤونهم ، ومع أن ذلك مجرد وعود كاذبة من بريطانيا .

وفي الوقت نفسه ، الذي كانت فيه بريطانيا تحاول تهدئة الشريف حسين في الحجاز ، أصدرت أمراً إلى القائد العام على المناطق السورية التابع للقوات العسكرية الفرنسية بانزال الأعلام التي أمر فيصل برفعها على الدوائر الحكومية قصراً في جميع المناطق السورية والعمل على منع المظاهرات والاجتماعات السياسية في النوادي ، ومعاقبة من يخالف أوامر الحكومة البريطانية ، وخلاصة القول فان هذه الإجراءات التي اتخذت في سوريا ، ماهي إلاّ خطة خادعة لإخراج حكومة الشريف حسين من سوريا وحصرها على الحدود الحجازية ، وقيام حكومة تضم شرق الأردن ويكون على رأسها مؤقتاً فيصل ، ويكون حكمه باسم القيادة الحليفة خاضعاً للجنرال اللنبي (Allenby) ، وذلك تمهيداً لوضع تلك المناطق تحت الانتداب البريطاني والفرنسي(١) . وبهذه الخطة تستطيع بريطانيا فصل بلاد الشام عن الحجاز ، وهو أمر على ما يظهر مرفوض لدى الشريف حسين إلاّ أنه لا حول ولاقوة له ، لأنه انخدع بالوعود البريطانية الكاذبة رغم تحذير ابنه فيصل وبعض الشخصيات السورية والحجازية من الاطماع الاستعمارية في البلاد العربية .

---

(١) محمد جابر آل صفاء : تاريخ لبنان الحديث ، (بيروت ، ، د.ت) ، ص ٢٢٤ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٩ .

وعندما تسلمت القيادات الفرنسية بعض المواقع في المنطقة الآنفة الذكر التي أنسحبت منها بريطانيا تقسيمها قامت بإنزال الأعلام العربية بالقوة منها رغم معارضة أعضاء الحكومة العربية فيها . ولقد أدى ذلك الاجراء إلى قيام مظاهرات وأستنكار شديد بين أوساط الشعب السوري ، وحدث توتر شديد في العلاقات بين الشريف حسين ونجله فيصل من ناحية ، ودول الحلفاء من ناحية أخرى حول المناطق الشمالية والغربية وبعض المناطق السوريه الأخرى التي قامت بريطانيا وفرنسا بتقسيمها إلى إمارات صغيرة حتى يسهل لهما السيطرة عليها ، مما يساعدهما أيضاً في المستقبل على فرض أنظمتها بالقوة خدمة لمصالحهما السياسية والاقتصادية في سوريا ، وتم تعيين ضابط ارتباط فرنسي في المناطق التي تحت سيطرة فرنسا ومقره بيروت وآخر على المناطق التي تحت سيطرة بريطانيا ، وهذا العمل مارفضه الأهالي في الولايات السورية بتاتاً .

ونتيجة لذلك ، فقد طلبت الحكومة الحجازية من بريطانيا توضيح الموقف السياسي الفرنسي تجاه سوريا ، والموقف الذي قامت به بمساعدة القيادات البريطانية في دمشق . فسارعت بريطانيا برفع برقية عاجلة إلى الشريف حسين في الحجاز تفيدهُ بأن الحكومتين المتحالفتين تضمنان حق العهود والمساواة والعدل لجميع سكان سوريا ولبنان ، ويشجعان هذه البلاد على التقدم الحضاري والاقتصادي ، وحل جميع الخلافات والمنازعات بين القيادات المتصارعة ، والتي طالما أستفادت منها السياسة العثمانية سابقاً (١) .

ومن ناحية أُخرى طُلب من فيصل بن الحسين أن يقبل بالوضع القائم ، وأن يقنع والدُه الشريف حسين في الحجاز بقبول الأمر الواقع الذي فرض في سوريا .

وعندما أُبلغ الشريف حسين بذلك تأكد من نوايا دول الحلفاء الخبيثة ، فزاد من قلقه تجاه السياسة البريطانية التي بدأت تنفذها في بلاد الشام دون أخذ رأي الزعماء السوريين ولا حتى الحكومة الحجازية التي وضعت ثقتها بيد الحكومة البريطانية (٢) . ومما زاد من غضب الشريف حسين أنه تلقى عدداً من الرسائل من القيادات السورية

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص ٢١٩ ؛ ساطع الحصري : يوم ميسلون ، ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٤ .

في دمشق وحلب وحمص وحماة ، متزامنة مع زيارة فيصل بن الحسين الثانية الذي بدأ بها في ذلك الوقت على بعض المناطق السورية الشمالية ضارباً التحذيرات الفرنسية والبريطانية عرض الحائط آخذاً على عاتقه بذل المساعي لتوطيد الإخاء العربي والظفر بالوحدة والاستقلال وتشجيع الجبهة الشعبية في المدن السورية على الثورة ضد الدول الاستعمارية ، وخلال زيارته هذه تم تشكيل لجان للدعاية للوحدة العربية وقد انتظم فيها عدد كبير من السوريين والعراقيين والفلسطينيين والحجازيين وتآلفت فيهم شعور الأمل بتحقيق الوحدة العربية اقامة عدة حفلات والقيت فيها المحاضرات الأدبية والسياسية والقصائد الحماسية ، داعية إلى الوحدة السورية باعتبارها نواة للوحدة العربية في المستقبل .

وعلى أية حال ، فإن الهدف الأول الذي تتوخاه الجبهة الشعبية ولجنة الاستقلال الوطنية بجميع لجانها هو الاستقلال التام أولاً ثم الحيلولة دون انتداب فرنسا على سوريا ، وهذا ما يتمناه الشريف حسين وابنه فيصل الحاكم على سوريا وأعضاء حكومته .

أما الحسين فإنه أخبر بالأعمال الفرنسية في سوريا ، ورأى أنها إهانة لشعوب الشرق العربي وتحطيماً لإرادة الشعب العربي ورغباته في جميع البلاد العربية ، فبادر الشريف حسين برفع برقية أخرى إلى القائد البريطاني الجنرال اللنبي (Gen.Allenby) في سوريا ، يطلعه فيها على الأوضاع السياسية المتردية بسبب تدخل فرنسا ، ويؤكد له بما حدث في سوريا من اعتداءات فرنسية على المناطق السورية التي انسحبت منها القوات البريطانيا لصالح فرنسا ، مما يعتبر هذا العمل مخالفاً لما تعهدت به بريطانيا له . كما قال في برقيته : (انه لم يكن يخطر على بالي أن يحدث للراية العربيه ما حدث الآن ، ويجب أن تمنع فناءنا المعنوي في عيون الشعب . وكل آمالنا تحطمت بعد هذه المعاملة المهينة ولعلمنا الذي اعتبر حليفاً ، خاصة وأن أهل البلاد أنفسهم رفعوه .. وأن أهل البلاد لم يكن بمقدورهم ان يكونوا برهاناً أكثر وضوحاً من رفع العلم بمحض إرادتهم الحرة ، وبهذا يكونوا قد أظهروا مشاعرهم الطيبة) (١) . فجاء الجواب البريطاني الفرنسي بشكل بلاغ رسمي من القيادة العامة ، وقد وزع هذا البيان على نطاق واسع على السكان في المناطق

(١) F.O. 882/17, Telegram, No , 288 from Hussien to Allenby, Dated 26 Nov. 1918 .

السورية عن طريق الصحف التي كان لها مكانة بارزة ، والصقت نسخ منه في النوادي العامة في جميعالمدن السورية ، وأرسلت نسخ منه للحجاز ، يقول فيه : (أن غاية فرنسا وبريطانيا هو تأسيس حكومات وطنيه تنال سلطتها من رغبات المواطنين) (١) .

ولكن هذه البيانات التي صدرت من الحكومتين ماهي إلاّ لتبديد مخاوف الشريف حسين في مكة والزعماء العرب في سوريا ، وإضعاف عزيمتهم من جديد ، كما أنه لم يكن أكثر من مناورة سياسية أقتضتها الظروف من جهة ، وإنذارٌ لفرنسا يوضح لها أن بريطانيا تريد مدينة الموصل التي كانت جيوشها تتقدم تجاهها لإحتلالها وإخراج القوات العثمانية منها ، في حين أخذت فرنسا تعمل على تقوية نفوذها في المناطق الشمالية السورية متحدية الحكومة الحجازية ونائبها فيصل بن الحسين في سورياالذي كان يواصل هو الآخر تحديه للفرنسيين في المناطق السورية التي تحت سيطرتها ، وحاول وضع العراقيل أمام تقدم القوات الفرنسية في الإراضي السورية الأخرى بتحريض الأهالي على الثورة والمقاومة (٢) .

وعندما أحست فرنسا بخطر فيصل والسوريين بدأت تتأهب بالتغلغل داخل المناطق السورية الداخلية ، التي وضعت تحت إدارة الجيش العربي الخاضع للحكومة الحجازية رغم شكاوي الأهالي السوريين ، فاعترض فيصل على ذلك التقدم ، ورفض إجراء أي اتفاق معها يعترف لها بالسيادة الفرنسيه على سوريا ، كما رفض الأعتراف على ما تزعمه من مصالح وحقوق تقليدية قديمة لها في سوريا .(٣)

ولقد اخطرت الحكومة العربية السورية جميع الأهالي في المدن السوريه بالتمسك بالوحدة والاستقلال عن الدول الاستعمارية وتشكيل حكومة عربية مؤقتة لأن الحكومة العربية في طورها الجديد بحاجة إلى إيجاد قوة تحفظ كيانها ، وتكوين حكومة ثابتة الأركان ، وعليهم التصدي للمطالب والتحركات الفرنسية التي تحاول زعزعة الأمن في ا لمناطق السورية الشمالية والساحلية ، ووضع العراقيل أمام إصلاحات الحكومة العربيه السورية الجديدة في سوريا لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية للسيطرة على جميع المناطق السوريه (٤) .

---

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤٠٧ .

(٢) إبراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر ، ص ١٠٨ .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٥ .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٨٨ .

وبعدما رأت بريطانيا إصرار الشريف حسين على تحقيق مطالبه بتنفيذ الوعود التي قطعتها على نفسها ، وتحدي ابنه فيصل للتحركات الفرنسية في سوريا والذي كان دائم الاتصال بوالده في الحجاز ليأخذ التعليمات منه ، وخاصة بعد قيامه بتوسيع نشاطه في المناطق السورية التي يسيطر عليها خلال تلك الفترة متحدياً القوات الفرنسية ، وما أدت إليه تلك الجولات التي قام بها فيصل بن حسين في المدن السورية من تشجيع السكان على مقاومة القوات الفرنسية ، ووجدت بريطانيا أن عليها استخدام أسلوب المراوغه تجاة مطالب الحسين ، حيث أعلنت له بأن مصير سوريا يجب أن يقررهُ مؤتمر السلم الذي سيعقد في باريس قريباً وضرورة مشاركة ممثل عن الحكومة الحجازية في هذا المؤتمر ، وليس هذا غريباً من الدول الاستعمارية التي جعلت من الشريف حسين لعبة في يدها لتحقيق مآربها .

ولما أشتد النزاع بين فرنسا والشريف حسين وابنه فيصل في سوريا ، طلب لورنس من الحكومة البريطانية توجيه الدعوة للحكومة الحجازية ، لحضور مؤتمر الصلح باعتبارها إحدى الحكومات التي اشتركت في الحرب وعليها أن توفد مندوباً عنها إلى المؤتمر الذي تقرر عقدهُ في باريس لوضع معاهدة صلح مع المانيا وحلفائها ، وتنظيم العالم تنظيماً جديداً تقتضيه نتائج الحرب (١) .

لكن الحكومة الفرنسيه اعترضت على بريطانيا لدعوتها لحضور مندوب عن الحكومة الحجازية للمؤتمر ، باعتبار أن قضايا البلاد العربية انتهت ، ولا حاجة لإعادة بحثها من جديد ، إلاّ أن ضغوط الحكومة البريطانية عليها جعلها تعدل عن معارضتها . ويظهر أن ذلك كان أيضاً مجرد مناورة بين الدولتين الاستعماريتين .

وعلى أثر ذلك تلقى الشريف حسين في شهر صفر عام ١٣٣٧هـ/نوفمبر عام ١٩١٨م الدعوة للاشتراك في المؤتمر ،واقترحت عليه بريطانيا أن يرسل مندوباً عنه (٢) ، وحال وصول البرقية إلى الشريف حسين اختار ابنه فيصل في دمشق ، وأصدر أمراً له لحضور مؤتمرالصلح نيابة عنه (٣). وهذا دليل على أن المؤامرة التي تخطط لها الدول

---

(١) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الحسين ، ص ٢٧٦ .

(٢) Tibawi, A.:op. cit , p.284 ;

إبراهيم الشريفي : الثورة العربية الكبرى ، دوافعها وحصادها ، ص ٤٤ .

(٣) جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٧٠ ؛ محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٣ ، ص ١٦٧-١٦٨.

الاستعمارية قد نجحت ، وأن الشريف حسين بقبوله حضور هذا المؤتمر قد وقع في الفخ .

وفي السادس من صفر عام ١٣٣٧هـ/الحادي عشر من نوفمبر ١٩١٨م وصلت البرقية إلى فيصل وهو في زيارة خاصة لحلب للإطلاع على مشروعاته الجديدة فيها ، وكان نص البرقية كالتالي : (فإنقاذاً لرأي بريطانيا أن تتوجه إلى القائد العام البريطاني للتنسيق معه في كيفية السفر إلى باريس ، بعد أن تقرر ما ترونه مناسباً لحالات البلاد وإدارتها في مدة غيابك التي لا تتجاوز عن شهر تقريباً) (١) . فاعتذر الشريف فيصل في بداية الأمر لوالده على قبول هذه المهمة ، بحجة أنه ليس هناك نصوص صريحة موقعة للعهود المعطاة لوالده من بريطانيا بشأن استقلال البلاد العربية ، التي كانت تابعة للدولة العثمانية بعد الانتهاء من الحرب (٢) ، وقد أخبر فيصل والده بأن هنالك مخططاً استعمارياً بريطانياً فرنسياً يرمي إلى تقسيم الأقطار العربية ووضعها تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني . فأرسل الشريف حسين برقية عاجلة لابنه يؤكد له بأن نصوص العهود موجودة في وزارة الخارجية البريطانية فلا حاجة لإرسال نسخة منها ، وكأن هذه الأمور السياسية المهمة تحل بسهولة (٣) ، وأمام ضغوط والده اضطر إلى قبول المهمة ، وعين أخاه زيداً لرئاسة الدولة أثناء سفره ولحين عودته من المهمة التي كلفه والده بها في باريس (٤) ، فغادر فيصل حلب في الثالث عشر من شهر صفر عام ١٣٣٧هـ/الثامن عشر من نوفمبر ١٩١٨م إلى طرابلس ، فاستقبل هناك بكل حفاوة وتكريم وأظهر له الأهالي ولوالده الشريف حسين الولاء والطاعة لأنهم اعتبروا سفره هذا ممثل عنهم ليدافع عن وجهة

---

(١) F.O. 882/13, Telegram from Cairo and Basset Jeddah, of 11/11/1918, p. 164 ; سليمان موسى : المراسلات التاريخيه ١٩١٤-١٩١٨م ، ص ٢٣٣ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبري ، ص ١٧٦ .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤١٦ ، سهيلة الريماوي : التجربة الفيصلية في بلاد الشام ؛ ص٥٦ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ، ص ٨ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبري ، ص ٩٠ ؛ علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر عهد الإماره ١٩٢١-١٩٤٦م ، (عمان مطبعة القوات المسلحة ، ١٩٧٣م) ص ١٢ .

(٤) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٨٨ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص١٤ .

نظر العرب بصورة عامة لما تبين أنه بحاجة إلى مستند يخوله الدفاع عن سوريا بصورة خاصة نظراً لتزاحم فرنسا وبريطانيا على الانتداب عليها .

وقبل سفره أوعز إلى الحاكم العسكري عقد اجتماع عام مع الوجهاء والأعيان وكبار المفكرين وأعضاء الحكومة ، حيث عرض أمامهم مهمته في مؤتمر الصلح واجمعت كلمتهم على ضرورة انابته عن سوريا وتم تزويده ببيان رغباتهم وأمانيهم في الاستقلال التام عن الدول الأجنبية (١) .

وفي السابع عشر من صفر عام ١٣٣٧هـ/الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٨م ابحر فيصل بن الحسين إلى باريس على بارجة بريطانية معدة له واسمها قولد ستار (Gold Star) ، وبرفقته نوري السعيد ورئيس ديوانه رستم حيدر وكاتبه الخاص فائز الغصين ، وأحمد قدري طبيبه الخاص ومستشاره لحضور مؤتمر الصلح نيابة عن والده (٢).

وعندما علمت فرنسا بسفر فيصل لحضور مؤتمر الصلح نيابة عن والده ، رفعت برقية احتجاج للشريف حسين تستنكر عليه إرسال ابنه ليمثله دون أخذ رأيها في سفره لأنها هي الدولة المضيفة للمؤتمر ، ولكن الشريف حسين لم يرد عليها ، لأنه مستند في ذلك الوقت على وعود بريطانيا له .

وقبل وصول الشريف فيصل باريس أبلغت الحكومة الفرنسية الحسين رسمياً بواسطة معتمدها في جدة الكومندان كوس (Couse) بأنها ستحتفي بمندوبه . وفي نفس الوقت وصل فيصل مرسيليا بفرنسا في الحادي والعشرين من صفر عام ١٣٣٧هـ/السادس والعشرين من نوفمبر ١٩١٨م (٣) ، فاستقبلته السلطات الفرنسية واحتفت به على أساس أنه ابن ملك وصديق قديم وعليها القيام بالواجب نحوه .

---

(١) محمد السوادي : عند مشرق العروبة ، (القاهرة ، الناشر العربي) ، ص ٣٦ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٣٨ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٦ ؛ سهيلة الريماوي : التجربة الفيصلية في بلاد الشام ، ص ٥٦ .

(٣) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٨١ ؛ محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ص ١٢٨ ؛ Foster, Henry: op. cit , p. 73 .

وعلى أية حال ، فقد اضطرت الحكومة الفرنسية استقباله بصفته أميراً حجازياً وابن ملك الحجاز الذي اشترك في المجهود الحربي مع دول الحلفاء ، واعتبرت حضوره للزيارة وليس للمشاركة في المؤتمر ، كما أنه ليس له حق التحدث عن سوريا (١) ، وأعدت له خطة تقضي بالطواف به في أنحاء فرنسا ، وعدم إدخاله إلى مدينة باريس باعتبار أنه لا دخل له في المؤتمر ،إلاّ أن البريطانيين لاحظوا موقف فرنسا المتشدد من زيارة فيصل لباريس لحضور المؤتمر فطلبوا من الفرنسيين تعديل خططهم ضده ، إلا أنهم أعلنوا أخيراً أنه لا يستطيع التحدث باسم الشريف حسين الذي يدعي بملكية سوريا ولبنان ، وفي الوقت نفسه ، قام موريس بيريز (Mowrice Berres) ، وهو كاتب صحفي فرنسي بنشر بيانات عامة في الصحف الفرنسية تنتقد فيصل مندوب حكومة الحجاز وبريطانيا على عدم الاعتراف بحق فرنسا في الانتداب على المدن السورية الأربع ، وهي : دمشق ، وحمص ، وحلب ، وحماه (٢) ، كما لم تخف الحكومة الفرنسية دهشتها إزاء وصول فيصل إلى فرنسا دون علم المندوب السامي الفرنسي في سوريا والحجاز ، الذي كان عليه تأمين سفره إلى فرنسا ، واتخذت من هذه النقطة ذريعة لها لعدم الاعتراف به بأية صفة رسمية (٣) . فأرسل الشريف حسين برقية إلى المندوب السامي الفرنسي ، يقول فيها : (اغتنم هذه الفرصة لأعبر لكم بأنه منذ أن دخلت القوات العربية سوريا تغيرت نظرة الحكومة الفرنسية تجاه الحكومة الحجازية تغييراً سلبياً ، ولست أعلم سبب هذا التغيير أو دوافعه ، وأنه لمن الواضح أن دخول القوات العربية لسوريا لم يتم إلاّ بناءً على طلب الأهالي الذين آمنوا بوجوب رفع العلم العربي في المدن السوريه) (٤).

---

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٨٨ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٤ .

(٢) Zeine, Zeine. N. :op . cit , p . 110 .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى١٩١٦-١٩٢٠م،ص٢٢١-٢٢٢؛محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة في العالم الإسلامي (الشرق الأوسط في التاريخ الحديث) ، ص ٢٠٧ .

(٤) غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ، ص ٨-٩ .

وأثناء تجول فيصل في المدن الفرنسية علم بالاجتماع السري الذي عقد في لندن بين لويد جورج (Loyd George) وكليمنصو (Clemenceau) ، وكان لهذا الاجتماع تأثيره السئ في نفس فيصل ، وهو دليل واضح على سوء النوايا الفرنسية تجاه سوريا (١) .

وأمام الضغوط البريطانية رضخت فرنسا بقبول حضور فيصل في المؤتمر ، فاستغلت وجوده وحاولت إقناعهُ بالتنازل عن مطالبه وهو الاستقلال عن الدول الأجنبية ، ولكنه رفض تلبية رغبتها ، فقامت السلطات الفرنسية بتكرار المطالب نفسها لعله يتراجع عن موقفه ، وقد أغضب هذا التصرف فيصل ، ومما زاد من غضبه أنه لم ير علم الثورة العربية من بين اعلام الوفود التي كانت مرفوعة على جوانب شوارع مدينة باريس ، وأبدى أسفه الشديد للوفد المرافق له بعدم ارتياحه للمسئولين الفرنسيين والبريطانيين الذين وعدوه بأن يرفعوا علم الحجاز في وقت لاحق غير أنهم لم يوفوا بهذا الوعد فلم يرفعوه (٢) .

وبهذا الموقف المتخاذل بدأ فيصل يتخوف من نوايا الحكومة البريطانية بعد ما لاحظ سكوتها عن الاستفزازات الفرنسية له ، وعدم رغبتها في اقامة دولة أو اتحاد دول تتكون من البلدان العربية تحت سيادة الحكومة الحجازية (٣) ، وإنما تريد أن تكون سوريا دولة تحت رعاية وحماية إدارة فرنسية بدعوى مصالحها القديمة في سوريا .

وهذا مما دعى بريطانيا إلى تكثيف نشاطها طيلة وجود الشريف فيصل في فرنسا في محاولة منها لإقناع المسئولين الفرنسيين بحضور فيصل المؤتمر الذي سيعقد في باريس ظاهرياً ، ليرعى المصالح العربية على حد قولها ، وليمثل والده الشريف حسين في الحجاز (٤) ، في الوقت الذي كان فيه فيصل يحذوه الأمل أن يصبح ممثلاً للعرب في المؤتمر ، وكانت تعليمات والده شديدة ومحدودة ، وهي المطالبة باستقلال جميع

---

(١) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص١٤٢ ؛ . Bremond , Edw. : op. cit , p. 309

(٢) Bremond, Edw.: op. cit , p.310 ; سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤٦٣ .

(٣) محمد علي الفتيت : العرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ، ص ٣٤٠ ؛ حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢٢ .

(٤) يوسف الحكيم : سورية والعهد الفيصلي ، (دار النهار للنشر ، د.ت) ص ٧٠ ؛ Tibawi , A.: op. cit , p. 283.

البلاد العربية وعليه أن يتمسك بالعهود التي حصل عليها في السابق من البريطانيين بشأن استقلال البلاد العربية مع التحفظات التي قبلها مع مكماهون (Macmahon) ، وعليه أن لا يقبل شيئاً في المؤتمر بأقل من الاستقلال الكامل للبلاد العربية ، وأن لا يبدي أية مرونة أو تردد تجاه موضوع الاستقلال الذاتي لسوريا [١] ، في الوقت الذي كان الشريف حسين لا يزال يعتبر نفسه زعيماً على البلاد العربية المترامية الأطراف ، ولا يقبل عن استقلالها تحت سيادته بديلاً . وهذا ما يمكن أن نلاحظه في كتابه الذي أرسله إلى المعتمد البريطاني في جدة ، الذي قال فيه : (إن هدفنا الأكبر والوحيد هو تحقيق وحدة البلاد العربية تحت رئاسة زعيم واحد)[٢] ، ولكن لن يتحقق ذلك إلاّ إذا تراجعت فرنسا وبريطانيا عن أطماعها في سوريا .

ولعل فيصل بن حسين أحس بالموقف المتشدد من الفرنسيين أثناء تواجده في باريس ، فعزم السفر إلى لندن دون مشورة والده ليقوم بمساع لدى الحكومة البريطانية ، لعله يستطيع أن يحصل منها على تعهدٍ بتنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها مع والده الشريف حسين في الحجاز قبل الثورة ، ومنها : الاعتراف بالدولة التي حددها لمكماهون والمعروفة (بميثاق دمشق) [٣] ، ولذلك غادر فيصل باريس في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ /التاسع من ديسمبر ١٩١٨م إلى لندن يرافقه في هذه الزيارة من البريطانيين لورنس (Lawerance) للترجمة[٤] . وهذا غاية ما يتمناه الفرنسيون ، حيث يمكنهم تحقيق مآربهم وأطماعهم من خلال المؤتمر المشؤم ، وربما يكون ذلك بتخطيط ومشورة من بريطانيا صاحبة الوعود الكاذبة .

وعندما وصل فيصل لندن ، وجد أن مصير بلاد الشام يبدو كما لو كان قد تقرر نهائياً ، وأنه لم تعط زيارته أية أهمية سياسية عند المسؤولين البريطانيين ، حيث لم يستقبل كما كان يتوقع . وفي الوقت نفسه ، علم بأن الأحوال السياسية في سوريا بدأت تتدهور ، وذلك بسبب المظاهرات العارمة التي اجتاحت الأقاليم السورية ضد العدوان الفرنسي بعده [٥] .

---

(١) جميس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٢٦ .

(٢) F.O.626/639 Letter from Hussein to wingate, 23, Dec. 1918 .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٩٦ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص١٨ .

(٥) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٤٥ .

وخلال زيارة الشريف فيصل للندن أجرى عدة لقاءات مع المسئولين قابل ملك بريطانيا والقائم بأعمال وزارة الخارجية ، وطلب من الحكومة البريطانية اعطاءه ضمانات من أجل تنفيذ العهود المعطاة لوالده حول ارتباط الولايات العربية السورية به ، وفقاً لنصوص المعاهدة المحفوظة في وزارة الخارجيه البريطانية ، وطلب اعطاءه صورة منها ليجري البحث على أساسها . لكن السلطات البريطانية ردت عليه كعادتها بالغموض ، وتلكأ الموظفون البريطانيون في تحقيق طلبه بالاعتذارات المتكررة ، وهذا أمر ليس مستغرب من بريطانيا التي جعلت الشريف حسين وابنه فيصلاً العوبة في يدها تكيل لهما الوعود والعهود الكاذبة وهو للأسف الشديد يصدقها رغم تحذيرات الشخصيات العربية والاسلامية ، بالألاعيب البريطانية ، ولكنه يبدو أنه لم تكن لديه الحنكة السياسية التي تمكنه من الوقوف أمام الأطماع البريطانية الخبيثة .

وعندما رأت بريطانيا إصرار فيصل على عدم الاستجابة لها ، رفضت تحقيق مطالبه علناً ، وأسرعت بريطانيا بكشف مخططاتها أمامه ، وذلك بعرض مطالبها عليه مستغلة فرصة وجوده في لندن ، حيث أبلغته بلطف على أن يقبل سيطرة فرنسا على سوريا حتى ولو على جزء منها إرضاء لها . وهذا ما يؤيد ما أشرنا إليه سابقاً من أنه هناك مخطط لتقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ استعمارية طمعاً في ثرواتها .

ولقد أشار تمبرلي (Temperly) إلى أن فيصلاً قد نُصِحَ بأن يقبل سيطرة فرنسا على سوريا ، كما طلبت منه بريطانيا والتي أوضحت له في اكثر من مرة بأنها ليست على استعداد للأصطدام بفرنسا حول الشام .

وأمام الضغوط البريطانية رضخ لمطالبها على الرغم من شدة عواقبها الوخيمة على العرب في بلاد الشام (١) ، كما أن تنازله عن بعض المطالب العربية يعتبر خروجاً عن التعليمات التي أملاها والده عليه قبل سفره إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح نيابة عنه . وبالمقابل فقد استغل اليهود وجوده في لندن ، فقاموا بالاتصال به ، وبثوا له الدعاية الأعلامية وصرحوا بإنهم على استعداد لمعاونة العرب سواء في المحافل السياسية الأوربية أو الأمريكية للحصول على حقوقهم في الولايات السورية ، ولكن هذه الاستعدادات ماهي إلاّ ضرب من مضارب الخدعة خططت لها الدول الاستعمارية لزرع البلبلة في البلاد العربية (٢) .

---

(١) رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ، (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٧م) ، ص ٣٩٧ ؛ Foster, H. : op. cit , p. 74 .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٩٨ .

ولما رأت الحكومة البريطانية أنه من الممكن المفاهمة مع فيصل حول المطالب العربية ، اقترحت عليه بالعودة إلى باريس للاتصال بالحكومة الفرنسية بعد أن تقرر علناً اشتراكه في موتمر الصلح [١] . فقرر فيصل العودة إلى فرنسا ووصل باريس في الثالث من ربيع الآخر عام ١٣٣٧هـ/السادس من يناير ١٩١٩م ، وفور وصوله وجد أن الأمور تسير في غير صالحه ، وهذا مما أكد له آلاعيب السياسة الاستعمارية في بلاده ، وذلك بعد ما علم بالمحادثات التي جرت بين لويد جورج (Loyd George) رئيس الوزراء البريطاني وكليمنصو (Clmenceau)رئيس الوزراء الفرنسي بشأن توزيع غنائمهما في البلاد العربية حسبما نصت عليه اتفاقية فرض الانتداب على البلاد العربية في بلاد الشام والعراق ومنه جلاء القوات البريطانية من سوريا وكيليكية واستبدال هذه القوات بقوات فرنسية [٢] .

وفي الوقت نفسه ، وقبل السماح لفيصل بدخول مؤتمر السلم بعث المسيو بيشون (Pichon) وزير خارجية فرنسا ببرقية إلى الشريف حسين في الحجاز عن طريق معتمد بلاده في جدة يفيده بأن موقف دولته في مؤتمر السلم مرتبط بالاعتراف بحقوق الدول التي قامت في المنطقة أثناء الحرب ، وأن الحكومة الفرنسية سوف تنصح حلفاءها بالأعتراف بمملكة الحجاز المستقلة فقط ، أما غير ذلك فلا تعترف به إطلاقاً [٣] .

أما حقوق فرنسا في سوريا فهي على حد قولها تستند إلى ميراث تاريخي واتفاقيات ومعاهدات ومصالح سابقة مع السوريين ، ولا تقبل أي اعتراض او مساومة عليه ، ويجب احترامها بناءً على رغبة الأهالي السوريين منذ أمد طويل [٤] . كما أنها تحترم قرارات مؤتمر السلام الذي سيعقد على أراضيها إلاّ أن هذه البرقية لم ترض الشريف حسين ، بل أثارت غضبه تجاه فرنسا نتيجة لموقفها المتشدد من معارضة تمثيل ابنه فيصل في مؤتمر الصلح عن البلاد العربية .

---

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤٦٣ .

(٢) محمود أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث ١٥٠٠-١٩١٦م ، ص ٤٣١ .

(٣) Baker, Randoll: King Hussein and the Kingdom of the Hejaz, New York , 1979, P.158; Tibawi, A. : op. cit, P.286.

(٤) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسيه ، ج٣ ، ص ١٤٠ ؛ سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤٦٣-٤٦٤ .

ولما علمت بعض الزعامات السورية في النادي العربي في دمشق بمضمون هذه البرقية عن طريق أخيه زيد في دمشق أعلنوا عدم موافقتهم على ماجاء في المحادثات الفرنسية البريطانية حول تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بينهما ، كما قام الأهالي بإعلان الاحتجاجات والخروج في مظاهرات كبيرة طافت مدينة دمشق حاملة معها أعلام الثورة للحكومة السورية الجديدة ، منددة بالتصريحات البريطانية الفرنسية حول مصير المناطق السورية . وهذا ماجعل كلاً من بريطانيا وفرنسا تعمل على تغيير موقفها المتشدد ، فأعلن كل من لويد جورج (Loyd George) رئيس الوزراء البريطاني والمسيو كليمنصو (Clemenceau) رئيس الوزراء الفرنسي قبولهما بحضور وفدين يمثلان الحجاز وسوريا لحضور مؤتمر الصلح في باريس (١) .

وفي الخامس عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٧هـ/الثامن عشر من يناير عام ١٩١٩م افتتح مؤتمر السلم رسمياً وحضره الشريف فيصل ممثلاً عن حكومة الحجاز وإلى جانبه مرافقاه نوري السعيد ومحمد رستم حيدر ومعهم الجنرال لورنس (Lawerance.) المترجم إلى جانب ممثلي الدول المتحالفة ، وكانت هذه أول تجربة لفيصل مع السياسة الغربية (٢) .

وقد افتتح الرئيس الأمريكي ولسن (Wilson) مؤتمر السلم فناشد الدول الأوربية بأن تعبر بأمانة وإخلاص عن أمانيها للدول الضعيفة ، وأن تحترم الدول القوية حق الأمم صغيرة كانت أو كبيرة في حكم نفسها وإرشادهم إلى السبل الصحيحة الموصلة إلى ذلك (٣) . كما خاطب ولسن ممثلي الدول الكبرى التي أشتركت في المؤتمر ، وهي حوالي سبعة وعشرين دولة والتي من بينهم (مملكة الحجاز) التي يمثلها الشريف فيصل بن الحسين ، حيث قال لهم : (إن هذه الدول لا تود إلاً إلغاء سياسة العنف وإقامة الحق مقام القوة ، مع ضمان حرية شعوبها في حكم نفسها بنفسها) (٤) .

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٤١ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب إلى الأنقلاب ، ص ١٩ ؛ نجلاء عز الدين : العالم العربي ، ترجمة محمد عوض إبراهيم ،آخرون ، ص ١٤٢ .

(٢) Iqbal, Sheikh Mohammad: op. cit, p.194; Baker, Randall : op. cit, p. 158 ;
ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي الحديث المعاصر ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى؛ ص ١٠٠ ؛ زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٦٥ .

(٤) فيصل أبو خضر : تاويخ المسألة الفلسطينية الأزمة ... الحل ، ص ١١٦ .

وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/التاسع والعشرين من يناير ١٩١٩ مثل فيصل أمام المؤتمر ، وقدم مذكرته إلى وفود الدول الكبرى في المؤتمر باسم والده الشريف حسين (١) ، حيث أشار في مذكرته الأولى ، بقوله : (جئت ممثلاً لوالدي الذي قاد الثورة العربية ضد الدولة العثمانية والألمان تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا ، ولكي اطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في اسيا من خط الاسكندرونة ـ ديار بكر ، حتى المحيط الهندي جنوباً ، باستثناء كل من الحجاز الذي هي دولة ذات سيادة ، ومدينة عدن التي هي محمية بريطانية بالاعتراف بتلك الدول وسيادتها بضمان من عصبة الأمم بالاستقلال ولوحدة لأسباب عديدة : فالسكان عرب ينطقون لغة واحدة وينتمون إلى عنصر واحد تقريباً .... ويسكنون ارضاً لها حدود طبيعية مؤكد حدوثها . كما أن منافع البلاد متعددة ، وهى قد وعدت من قبل الدول المتحالفة بالحرية والاستقلال نظراً لما ساهمت به أثناء الحرب ، كما ينظر في تأليف إدارة خاصة في فلسطين بالنظر إلى اختلاف الأديان والمذاهب وأن يمنح لبنان إدارة مختارة بمساعدة فرنسا) (٢) .

واستعرض فيصل في كلمته التي القاها في المؤتمر اهداف الحركة العربية التي أصبح والده الشريف حسين زعيماً لها ، والتي قامت في كل من الحجاز وسوريا والعراق ، وكان القصد منها هو توحيد العرب في أمه واحدة تحت قيادته (٣) .

وقال كذلك : (وبصفتي أحد أعضاء الحركة السورية التي قدتها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ، وكان يعمل معي عدد كبير من السوريون والعراقيين وبعض عرب شبه الجزيرة العربية ، ونحن نؤمن من أن هنالك ما يبرر هدفنا في توحيد الأمة العربية في آسيا ، ولست أرى أي حاجة للتدخل من أي جهة في صدنا عن هدفنا (٤) .

---

(١) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٠٠ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١١٩ .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٤٣-٤٤ ؛ المذكرات المنشورة في كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، بمكتب النشر العربي بدمشق ، ص ٩٢-٩٦؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب حتى الانقلاب ، ص ٩ ؛ . Zeine, Seine. N.: op . cit, p. 79

(٣) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءات وثائقية) في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٢٠-٢١ .

(٤) Hourani, A.: op. cit, p.41 ; مجموعة الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، بمكتب النشر العربي بدمشق ، ص ٩٢-٩٣ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ، ص ١٠ .

كما تحدث أيضاً عن الدفاع عن الأراضي العربية ، فقال : جئت بالنيابة عن والدي زعيم الحكومة الحجازية التي تطالب بالأمور التالية :

أولاً : عدم تقسيم البلاد العربية إلى دويلات .

ثانياً: اعتبار شعوب بلاد الشام والحجاز والعراق شعباً واحداً ، رغم المساحات الكبيرة من الأراضي الصحراوية تفصل بينها ، والتي تقطنها قبائل من البدو الرحل .

ثالثاً: أن هذه الشعوب ترغب في الاستقلال بخيراتها ، ولذلك يجب أن تحظى هذه الشعوب باهتمام كبير من الدول الكبرى ، لأن الوقت قد حان لها لتتحد تحت قيادة واحدة وحكومة واحدة (١) .

رابعاً : الاعتراف بالاستقلال التام لسوريا بما فيها شرق الأردن وولاية الموصل بدون أن يترك ذلك مجالاً لأي تدويل ، وتوحيدها مع الحجاز من الوجهة الوطنية فقط ، وبإمكانها الاستعانة بمستشارين أجانب يساعدونهم عند الحاجة (٢) .

وعلى الرغم من صيحات فيصل إلا أنها لم تجد أذناً صاغية بل رفضت كل مطالبه ، مما اضطر إلى إعادة مطالبته بانسحاب الجيوش البريطانية والفرنسية من سوريا وإحلال محلها قوات عربية ، وتشكيل حكومه عربية دستورية في سوريا تابعة لحكومة الحجاز .

ويبدو أنه جرى معظم تسويات مؤتمر السلم وراء أبواب موصدة ، واتخذت القرارات من قبل أعضاء بعض الوفود التي حضرت المؤتمر ويهمها مباحثات السلم . وسمح لهذه الوفود بالتكلم أمام المؤتمر وعرض قضاياها ، ولكن لم يكن لها سلطة لتقدير أو إبداء أي رأي أو اعتراض على أي خطة (٤) .

---

(١) مجموعة الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب المنشورة ، بمكتب النشر العربي بدمشق ، ص ٩٤ .

(٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٣٨ ؛ بيهم محمد جميل : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٠م ، ص ٩٢-٩٣ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأسات الحسين ، ص ٢٨١ .

(٣) حسين الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٤٤ ؛ ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار ، " قراءة وثائقية في تاريخ سوريا المعاصر" ، ص ٢١ ؛ زين نور الدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاة سوريا ولبنان ، ص٦٦.

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٢١ .

وحاول فيصل الحصول على اعتراف الدول الكبري بوحدة سوريا جغرافياً وثقافياً واستقلالها برئاسة الشريف حسين ، كما طالب بتنفيذ العهود التي وعد بها والده ، ومنها : الاستقلال الكامل للعرب مع الاعتراف باستقلال سوريا على أن تستعين سوريا بمستشارين من بريطانيا عند الحاجة بعد موافقة الشريف حسين ، على أن تكون وحدة سوريا متصلة بحكومة الحجاز في شؤونها الخارجية (١)، ويجب على الحكومة البريطانية الالتزام بتنفيذ إتفاقية حسين - مكماهون - السابقة الذكر ، والعمل على تحقيق الأماني العربية ، ومطلبهم الوحيد هو الاستقلال والوحدة لسوريا ، والعمل على تقدم السكان في تلك المناطق ثقافياً واقتصادياً ، بعد أن قُضيَ على تراثه بفعل الاحتلال الفرنسي والبريطاني لبعض أجزائه .

ولقد وجد فيصل في المؤتمر موقفين متعارضين :

الاول : يطالب بحق العرب في تكوين دولة أو إتحاد من الدول ترعاه وتتولى شؤونه بريطانيا .

ثانيا : يطالب بتكوين سوريا الكبري تحت رعاية وحماية إدارة فرنسية .

وعلى أية حال ، فقد مثّل الشريف فيصل والوفد المرافق له بلاده ، وحضر هو ومن معه جميع جلسات المؤتمر ، فلاحظوا أن الدعوة كانت موجهة للحجاز باعتباره مملكة عربية مستقلة تعترف بها دول الحلفاء المنتصرة . أما بقية البلاد العربية ومن جملتها الدولة السورية الجديدة فلم تمثل بالمؤتمر ، لأنها في نظر الحلفاء دوله غير مستقله ولا تزال ضمن أراضي الدولة العثمانية المهزومة في الحرب ، وأن مؤتمر الصلح سيقرر مصيرها (٢). فتذكر فيصل ما قاله له كليمنصو بأن فرنسا تود أن ترى علمها يرفرف على دمشق مع قوة عسكرية ولو قليلة تعسكر فيها ، ولهذا اهتم فيصل كثيراً في المطالب العربية وعندما تأكد من عدم تمكنه من الاعتماد على بريطانيا لأجل تحقيق . وعودها المعطاة لوالده نصحها بالاتفاق مع كلمينصو للوصول معه إلى حل يرضي الطرفين .

وعندما رأى الرئيس الامريكي ولسن (Wilson) الموقف المتناقض من الحكومتين الفرنسية والبريطانية تجاه الشريف حسين في الحجاز وممثله ابنه فيصل حول مشكلة سوريا ، قدم لهم وجهة نظره في تحقيق مباديء الحق والعدل ، وتسيير سياسة العالم بعد الحرب على قواعده - وأنهما يجب أن لا يتبعان في سياستهما نهج الأطماع الاستعماري . ولهذا أخذ يخالفهما في الرأي ويبذل غاية جهده في فرض إدارة حكومته لنصرة الشعوب الضعيفة ومساعدتها على تقرير مصيرها (٣) .

---

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠م ، ص ٩٣ .
(٢) سهيلة الريماوي : التجربة الفيصلة في بلاد الشام ، ص ٥٧ .
(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٠١ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب حتى الانقلاب ، ص ١١ .

ولقد أستغل فيصل الموقف الأمريكي المتعاطف إلى قضيته ، فأنتهزها فرصة رسمية ، للاجتماع بالكولونيل هاوس (Col. Hous) عضو الوفد الأمريكي في مؤتمر السلم ، لتوطيد علاقته مع الوفد الأمريكي ، ولم يجد فيصل أية مشقه في مصارحة الوفد الأمريكي بكل صراحة وحرية في الرأي ، مما دفعه إلى محاولة المفاهمة مع البريطانيين والفرنسيين على حد سواء حول مصير البلاد العربية ، ولكن كل محاولاته كانت تقابل بالمراوغه والتضليل من جانب الفرنسيين والبريطانيين (١) .

ولقد حاولت فرنسا عرقلة مهمة فيصل مندوب الحكومة الحجازية بعد إلقاء خطابه الأول على الحاضرين في المؤتمر ، فبذلت جهوداً كبيرة للتشكيك في مطالبه وذلك لمنعه من التحدث باسم العرب عامة وسورية خاصة ، كما أخذت تنشر الدعاية بأن العرب لايصلحون للحكم الذاتي ، وجعلت من ثوراتهم وصيحاتهم دليلاً لدعواها (٢) ، ولم تقف عند هذا الحد بل حاولت إقناع الدول السبع والعشرين المجتمعة بأن فيصلاً حجازياً وغريباً على أهل سوريا وليس له حق التحدث باسم والده عن سوريا ، وعليه إذا اراد التحدث ألاّ يتحدث إلاّباسم الحجاز (٣) ، ولكي تدعم فرنسا موقفها ، طلبت من بعض الشخصيات السورية المعروفين بميولهم لها حضور المؤتمر ، ومنهم نجيب عبدالملك عبدالحليم الحجار وداوود عمون ، وأميل أده ، وشكري غانم حيث طلبت منهم حضور كل جلسات المؤتمر لابداء رأيهم .

وخلال جلسات المؤتمر اشركت فرنسا شكري غانم (*) الذي ألقى كلمة أمام المؤتمر استعرض فيه أراء الشريف فيصل ، وأنكر تمثيله لجميع البلاد العربية ، وقال :

---

(١) بيهم محمد جميل : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨-١٩٢٠، ص ٨٧-٨٨ .

(٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٤٢ .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص ٢٢٥ .

(*) شكري غانم : رجل لبناني مثقف كان يقيم في باريس منذ أكثر من ٣٥ سنة تولى تحرير جريدة المستقبل أثناء الحرب ، وأسس جمعية اللجنة المركزية السورية وكان معروفاً بميوله نحو فرنسا ، أنظر حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثوره العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص ٢٢٥ .

(إن فيصل لا يمثل إلاَّ الحجاز ، وليس له أية علاقه بسوريا ، كما أنه ليس له حق التحدث عن شؤون سوريا الداخلية أو تولي الدفاع عن قضاياها) (١) ، وأشار كذلك في كلمته إلى الحضور (بأن سوريا تريد دولة كبيرة تساعدها) ، وطلب أن يوكل إلى فرنسا مهمة إعادة بناء سوريا ، وادعى بأنه يعبر عن أمل بقية المواطنين السوريين ، وطلب من فرنسا باسمهم جميعاً أن تتولى مهمتها في سوريا ، كما طلب من الحكومة الفرنسية ألاّ تتخلّى عن مصالحها الاقتصادية والمعنوية وتقاليدها القديمة (٢) ، ثم قدم مذكرة باسم الوفد السوري المؤيد له ، وشملت المطالب التالية :

أولاً : دعم إستقلال سوريا وحق مواطنيه في الإشراف على أعماله الإدارية والحكومية .

ثانيا : تأليف برلمان يقوم على مبدأ التمثيل النسبي ، وذلك لحفظ حقوق الأقليات .

ثالثا : طلب مؤازرة الدولة الفرنسية لتحقيق هذه التمنيات ومساعدتها على نشر العلوم بواسطة الإدارة المحلية ، وعلى تطبيق مبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، وضمان استقلال الوطن (٣) .

فأستغلت فرنسا هذه المذكرة لصالحها المقدمة من الأعضاء الموالين لها في المؤتمر ، وقامت بعدة محاولات متصلة لتعطيل مهمة فيصل بن حسين ، وضرب الخصم بالخصم حتى تستطيع الوصول إلى تحقيق أهدافها الاستعمارية .

ولقد أدت هذه المحاولات إلى زيادة صعوبة موقف فيصل وتعقيد القضية العربية التي يدافع عنها في المؤتمر ، وعلى اثر ذلك أجتمع ممثلوا جميع الدول الكبرى بحجة تقرير مصير الاقطار العربية في جلسة سرية عقدتها الدول الأربع الكبار ، وقررت فصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية والإعتراف باستقلالها ووضعها

---

(١) زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولاة سوريا ولبنان ، ص ١٠٥ ؛ Zeine, Zeine, N.: OP, CIT, P.71 - 72 .

(٢) هنري فوستر : نشأة العراق الحديث ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٣) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي ، ص٣٠٤ ؛ أمين سعيد : الثوره العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٢١ .

تحت إرشاد أحد الأمم الراقية في الحكم ، ثم قرربعد ذلك أعضاء المؤتمر (١) في السابع عشر من جمادي الآخر عام ١٣٣٧هـ/ للعشرين من مارس ١٩١٩م تشكيل لجنة يشترك فيها اعضاء من فرنسا وبريطانيا وأمريكا للتحقق عن رغبات الشعب السوري بخصوص تحديد نوع الحكم الذي يرغبونه في بلادهم مستقبلاً ، وكان بالإمكان الاعتماد على فيصل الذي كان يحمل معه تفويض جميع الهيئات التي يحق لها التكلم باسم الشعب (٢) وعلى الرغم من قرار المؤتمر بارسال لجنة دولية للاستفتاء إلاّ أنه جاء مغايراً لأمنية العرب ، فقد كان في واقعه نصراً له . وبلغ من حماس ولسن (Wilson) لفكرة تشكيل اللجنة أنه عين عنه في الحال ممثلين اثنين هما : هنري كنج (Henry King) الذي كان مديراً للجيش الأمريكي في الحرب العالمية الأولى ، وشارلس كراين (Sharles Crane) أحد كبار رجال الأعمال ، ونائب رئيس اللجنه المالية الأمريكيه الذي كان عدو اليهود و يضمر لهم من عدائه حداً كبيراً (٣) . وعين البريطانيون جانبهم اثنين من الخبراء فيشؤون الشرق العربي ، هما : مكماهون (Macmahon) وهوجارت (Hogarth) . أما فرنسا فإنها لم توافق مطلقاً على الاشتراك في اللجنة (٤) .

وأمام هذه الصعوبات اجتمع الرئيس ولسن ولويد جورج وكليمنصو لبحث شؤون الشرق العربي ، وقد استهل ولسن (Wilson) الاجتماع ، بقوله : (إن أمريكا لا تستطيع تأخير تنفيذ فكرة اللجنة لأن ترك أعضائها ، وهم من كبار رجال الأعمال

---

(١) تالفت اللجنة من اعضاء امريكيين فقط ، بعدما انسحبت بريطانيا وفرنسا من التمثيل وكانت برئاسة كنج كراين وثلاثة مستشارين هم ألبرت والبيير والدكتور مونتغري والكابتن وليم بيل والكابتن رونالد برووي اميناً للصندوق ، وقضت في سوريا ستة اسابيع في فلسطين وسوريا ، قامت خلالها بزيارات عديدة للمدن والقرى السورية ، وتسلمت من الاهالي تسعة آلاف وثمانمائة عريضة تشمل مطالبهم في الاستقلال ، وبعد عودة اللجنة رفعت تقريرها لسكرتير الولايات المتحدة في باريس ثم سافرت بعد ذلك إلى امريكا ليرفع التقرير إلى الرئيس ولسون والذي حفظ إلى عام ١٩٢٤م .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السوريه في العهد الفيصلي والانتداب الفرنسي (١٩١٥ – ١٩٤٦م) ، ص ٢٤ ؛ فؤاد المرسي خاسر : الموقف الأمريكي من قضايا الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى وتسويتها ، (مجلة آداب المستنصرية – بغداد ، العدد الخامس ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ص ٣٩٨ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الأنتداب إلى الأنقلاب ،ص ١١ ؛ محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٥٣ .

(٣) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١–١٩٤٨م ، (طرابلس ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والأعلان ١٩٨٣م) ، ص ٢٩ ؛ محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة في العالم الأسلامي ، ص ٢٠٩ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الانتداب ألى الانقلاب ، ١١ .

(٤) F.O. 371/4137, Telegram, NO. 1, Reported in Cheetham. feb. 1919; Longring,s . H:op. cit, p.89; محمد أحمد الصلاح : الإدارة في شرق الأردن ١٩٢١–١٩٤٦م ، ص ٢٩ .

ينتظرون في باريس دون عمل . فأصدر أوامرهُ إلى هنري كنج (Henry King) وكراين (Crane) أن يغادرا في الحال إلى سوريا على أن يلحق بهما الأعضاء البريطانيون والفرنسيون في وقت لاحق ، فأجاب لويد جورج (Loyd George) باسم بريطانيا بأنه يرجح اصدار أمر مماثل) وهذا يدل على انها لاتريد الاشتراك في اللجنة (١) .

وهكذا اصبحت اللجنة امريكية خالصة . وبعدما استعدت اللجنة بمغادرة باريس سارعت الحكومة الفرنسية بمحاولة عرقلة سفرها خوفاً من أن توافق اللجنة على عدم أحقية فرنسا بالانتداب على سوريا ، والمحافظة على وحدتها ، مع إعطاء لبنان حكماً ذاتياً في نطاق الوحدة السورية ، وهذا ما يتمناه الشريف حسين والسوريون عامة ، كما أن فرنسا تعلم مسبقاً بنتائج الاستفتاء الذي ستجريه اللجنة لأنها تعرف نوايا العرب في سوريا تجاهها ، إضافة إلى ذلك فإن غاية الوفد الامريكي الموجود في اللجنة الوقوف بقدر المستطاع على رغبات الأهالي في سوريا ، حتى يكون الرئيس ولسن (Wilson) على بينة من الحقائق في البلاد العربية .

وفي الوقت نفسه ، حاول فيصل بن الحسين أن يتفاهم مع الفرنسيين في باريس بعد الانتهاء من المؤتمر ، وكان يأمل أن يصل معهم إلى إتفاق نهائي قبل سفره إلى سوريا يرضي الطرفين ، ولا يضر باستقلال البلاد العربية (٢) ، فعندما رأى انه تأخر في باريس ارسل رسالة إلى أخيه زيد بن الحسين في الثالث من جمادي الآخر ١٣٣٧هـ/السادس من مارس ١٩١٩م ، يقول له : (أمّا أنني سأقنع كليمنصو (Clemenceau) ببعض المنافع التجارية لفرنسا ، وأن لم ترض فرنسا فسيأتي كومسيون وسينظر في مطالب الأهالي وأفكارهم (٣) . وبناءً على ذلك تأخر فيصل في باريس وعقد عدة اجتماعات مع رئيس الوزراء المسيو كليمنصو بوزارة الخارجية الفرنسية من اجل الوصول إلى تسوية مباشرة لمشكلة سوريا مع فرنسا ، وتمت بينهما مقابلة في الثاني عشر من رجب عام ١٣٣٧هـ/الثالث عشر من ابريل ١٩١٩م ، دار فيها الحديث حول مسألة انسحاب الجيوش البريطانية وإبدالها بجنود فرنسية .

ويبدو أن الشريف فيصل خرج من هذه المقابلة وهو مقتنع بأن فرنسا تنوي السيطرة المباشرة على سوريا ، وأنه لا مجال للتوصل معها إلى تفاهم ، فرأى أنه من الأفضل أن يتابع مساعيه لدى الرئيس

(١) داكوبرت فون فيكوش : عبدالعزيز (ترجمة أمين رويحه) ، ص ٥٣ ؛ كامل محمود خله . التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٨م ، ص ٢٩ ؛ . Hourani, A.: op, cit, p.51

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢٨ .

(٣) انظر الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، بمكتب النشر العربي بدمشق ، ص ٨٥ ؛ Baker, Randall : op, cit , p.161.

ولسن (Wilson) لتنفيذ قرار المؤتمر لإرسال لجنة التحقيق إعتقاداً منه من أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا المتخاذلة لن تتخليا عن مطالب والده الشريف حسين بعد أن حصل على تأييد الرئيس (Wilson) بإرسال لجنة الاستفتاء ، ورأى ضرورة العودة إلى سوريا قبل سفر اللجنة لحشد الرأي العام السوري بذلك [١] .

وقبل أن يغادرالشريف فيصل باريس إلى دمشق ، طلب رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو الاجتماع معه فوافق , وكان ذلك في الخامس عشر من شعبان عام ١٣٣٧هـ/السادس عشر من ابريل ١٩١٩م .

وفي الاجتماع فاتح رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو (Clemenceau) فيصل بأن البريطانيين سينسحبون من المنطقة الشرقية السورية ، ويود أن يحل الجنود الفرنسيون محل الجنود البريطانيين ، ويجب عليه أن يبذل قصارى جهوده مع شعبه من أجل الاعتراف بأن فرنسا هي الدولة المناسبة ، لكي تقدم لبلاد الشام المعونة اللازمة لإقرار النظام وتحقيق التقدم الذي ينشده الشعب السوري مقابل أن تعترف فرنسا باستقلال سوريا ، وعليه إبلاغ والده الشريف حسين بذلك [٢] . فرفض فيصل ذلك العرض مؤكداً له بوجود قوة عربية كافية تستطيع حفظ الامن والنظام فيها ، غير أن كليمنصو لم يقتنع برد فيصل الذي غادر باريس إلى دمشق محبط الآمال . بعد ما فشل نهائياً في مهمته ليس في تنفيذ سياسة والده في الاعتراف بمطالبه ... في ضمان الحد الأدنى من الاستقلال في سوريا الداخلية [٣] ، في الوقت الذي كان فيه الموقف في المناطق السورية يزداد توتراً يوماً بعد الآخر بعد أن شعر الأهالي بالمراره لفشل قضيتهم .

وهكذا غادر فيصل فرنسا عائداً إلى الشام على ظهر الفرقاطه الفرنسية في الثاني والعشرين من رجب عام ١٣٣٧هـ/الثالث والعشرين من ابريل عام ١٩١٩م يحمل معه نتيجة مساعيه ليعرضها على أعضاء الحكومة في دمشق ، وبقي محمد رستم في باريس ممثلاً لحكومة الحجاز في المؤتمر مع عوني عبدالهادي الذي أنابه فيصل عنه [٤] .

---

(١) Mousa, S.E.E: Lawrence, And Arab, Oxford, 1966, p. 247 ,
محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث ، ص ٤٣٩ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسي ، ج٣ ، ص ٣٤٤ .

(٢) Hourani, A.: op. cit, p.52 ; Zeine , Zeine , N.: op. cit , p.78 ;
وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص٢٨٦ .

(٣) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠م ، ص ١٠٣ .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثوره العربيه الكبري ، ص ١٠٥ ؛
Baker, Randall : op. cit, p.161; Hourani, A.: op. cit, p. 55 .

ولقد صرح فيصل قبل سفره لكلايتون (Clayton) مندوب بريطانيا في المشرق العربي والموجود في ذلك الوقت في باريس بأن السوريين يعارضون دخول الفرنسيين البلاد السورية ، ويرحبون ببريطانيا كدولة منتدبة مؤقتاً ، لكن رئيس الوزراء البريطاني لم يعط فيصلاً أي رد مقنع بشأن مدى إستعداد بريطانيا لتولي الانتداب على بلاد الشام (١) . وبهذا التصريح يعني أن فيصلاً خرج عن تعليمات والده الشريف حسين الذي يتطلع إلى اعتراف دول الحلفاء به زعيماً على كل البلاد العربية ومنها سوريا . كما أن اعترافه بالانتداب البريطاني على بلاد الشام وهو أمر لا يملكه هو ولا والده ولا يقره السوريون على بلادهم . كما أنه بمطالبته إخراج فرنسا من سوريا وإحلال بريطانيا محلها لم يوفق للحل السليم فكلاهما سواء من بعض .

وفي التاسع والعشرين من شعبان عام ١٣٣٧هـ/الثلاثين من ابريل ١٩١٩م ، وصل فيصل إلى بيروت وهي إحدى الولايات التابعة لسورية في ذلك الوقت ، ثم غادرها في اليوم الأول من شهر شعبان عام ١٣٣٧هـ/الثاني من مايو ١٩١٩م إلى دمشق ومعه الجنرال فين (Gen. Fen) قائد الجيش البريطاني وقائد الفيلق الواحد والعشرين هاملتون (Hamlton) اللذان كانا في استقباله في بيروت (٢) ، وحال وصوله دمشق وجد قلقاً متزايداً على وجوه الأهالي حول مصير بلادهم ، وبدأ الشك يحوم حوله لتحفظه من جهة فيما يقول لهم ، ويخبرهم بمفاوضاته السرية والشخصية مع الفرنسيين والبريطانيين ، فطلب عقد اجتماع عام في دار الحكومة ، لإزالة الشكوك عنه وأوعز لرئيس الحكومة رضا باشا الركابي أن يوجه دعوة عامة لزعماء ورجال الرأي العام في سوريا لحضور البيان الذي سيوجهه سموه لهم ليبين موقف والده الشريف حسين من حقوق العرب عامة وسوريا خاصة (٣) .

ولقد لبى هذه الدعوة كثيرٌ من السوريين حضروا من كل المناطق إلى مقر الاجتماع في دار الحكومة بدمشق ، وألقى عليهم خطاباً عاماً أوضح لهم فيه أسباب قيام الثورة العربية ، والجهد الذي قام به أخوانه تحت راية والده الشريف حسين رئيس الدولة ، الذي حمل على عاتقه الكفاح ضد العثمانيين ، وأصبح السوريون ينتظرون

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٥٩ .

(٢) غالب العياشي : تاريخ سورية السياسي من الانتداب حتى الانقلاب ، ص ٤٢ ؛ Baker, Randall :op . cit, p.161 - 162 .

(٣) محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهظة في العالم الأسلامي ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص١٤٢ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٢٥ .

منه نتائج المؤتمر لتحقيق آمانيهم لينعموا باستقلالهم التام [(١)] . ثم أشار بعد ذلك بأن من أهم أسباب ذهابه إلى باريس هو حضور مؤتمر الصلح نيابة عن والده وممثل عن كل البلاد العربية ثم شرح لهم الموقف السياسي الذي واجهه من دول الحلفاء ، وتجاهل الدول الأوربية للحقوق العربية في سوريا التي يطالب بها السوريون والشريف حسين ، وتحدث أيضاً عن الدور الذي يقوم به والده في سوريا ، موضحاً مطالب والده بإعادة ما فصل عن الحجاز بغير حق مؤكداً أن كلاً من سوريا والعراق لن يرضيا بديلاً عن استقلاله عن الاستعمار الأجنبي [(٢)] .

كما أشار بقوله : (إن الاستقلال يأخذ ولا يعطى عفواً ، فعلينا أن نسعى متحدين لأخذ استقلال بلادنا التام ، كما أننا لا ننكر الحاجة الماسة إلى المساعدة الفنية والإقتصادية والصناعية) [(٣)] .

وحاول أن يبرر موقف والده للسوريين ، بأنه قام بالثورة ضد الحكومة العثمانية ، ولم يفكر في أي يوم من الأيام فيما يقع على الحجاز وأهله من كوارث ، ولكن الله يسر هذه الأمور فتم جلاء العثمانيين عن سوريا بعد أن تم التخطيط المسبق لذلك بمساعدة دول الحلفاء [(٤)] ، إلاّ أن دول الحلفاء لم تعط الفرصة الكاملة لتكمل الحكومة الحجازية إصلاحاتها في المناطق السورية ، بل بادرت بالكشف عن نواياه الاستعمارية بتقسيم سوريا إلى ثلاث مناطق حتى يصعب سيطرة القوات العربية عليها [(٥)] . وكرد فعل لذلك حث السكان السوريين على إعلان الجهاد ضد القوات الفرنسية التي أخذت تتأهب للاستيلاء على بعض المناطق السورية الداخلية . كما تم تقوية جهاز الحكم لمواجهة التحديات الاستعمارية ، وزيادة نشاط الحركات الوطنية في جميع المناطق السورية ، وساعد على ذلك قيام الصحف والأندية بدور

---

(١) Baker , Randall : op. cit, p.162 ; حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ،ص٤٨-٥٠.

(٢) يوسف الحكيم : بيروت والبنان في عهد آل عثمان ، ط٢ ، ص ٢٢٩ .

(٣) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٤٣ ؛ غالب العياش : تاريخ سورية السياسي من الأنتداب حتى الأنقلاب ، ص ٩ - ١٠ .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١١١ ؛ حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٥١ .

(٥) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١١٥ .

كبير في بث روح الجهاد ، والدعاية ضد الفرنسيين والبريطانيين في المناطق التي تخضع لسيادتهما [١] مما إلى زيادة نشاط الحركة الوطنية السورية ضد الدول الاستعمارية . ولقد أدت الحمله الصحفية السورية إلى زيادة التطوع بين المواطنين الى جانب التجنيد الإجباري وأدى ذلك إلى انضمام عدد كبير من الشبان السوريين إلى الحركات الوطنية المناهضة لدول الحلفاء ، ويذكر تقرير ضابط الاتصال البريطاني في دمشق بأن فيصلاً قد طلب الموافقة من القائد العام على تجهيز جيش قوامه أربعة عشر ألف جندي ليتمكن به من محاربة فرنسا عند الضرورة ... فالشعور قوي بين السوريين [٢] .

وعلى أية حال فقد افترق السوريون حول خطاب فيصل في دمشق وحلب افتراقاً نشأ عن درجة تفكيرهم ووعيهم السياسي ، فالفريق البعيد عن الثقافة والخبرة السياسية يرى أن فيصل بن حسين تحول عن الوحدة العربية إلى الوحدة السورية وخروجاً عن العهد العربي الذي لامبرر له ، وفي تقسيم سوريا إلى مناطق وإعطاء الأقليات المقام الأول في إدارة الحكومة ، بينما يرى الفريق الثاني وجله من المفكرين الأحرار على اختلاف أديانهم في الخطابين الحكمة والإعتدال اللذين اقتضتهما الظروف الدولية والرغبة في إظهار سوريا بمظهر الحكم الذاتي والاستقلال .

وعندما رأت الحكومة الفرنسية زيادة نشاط حماس الروح الوطنية العربية بين السوريين في دمشق وتأثر بقية سكان المناطق السورية المجاورة لها بهذه الحركات الوطنية ، أدركت دور فيصل ووالده الشريف حسين في الحجاز في إشعال نار الثورة ضدها ، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية والبريطانية تعمل معاً على مواصلة الجهود لإيقاف الثورة ، بكيل من الوعود لتهدئة الوضع السياسي المتفاقم في سوريا ، فطلبت من فيصل مساعدتها لوضع حد لتلك الحركات الوطنية في سوريا حتى يسهل عليها التفاهم مع بريطانيا لتطبيق معاهدة سايكس - بيكو (Sykes-Picot) ، فأوحت إلى بطل المعاهدة الفرنسي مع بريطانيا جورج بيكو (George-Picot) بسرعة تنفيذ بنود المعاهدة قبل توسع الحركات المناهضة للاستعمار ، فجاء إلى دمشق في التاسع عشر من شعبان ١٣٣٧هـ/العشرين من مايو ١٩١٩م ، وأجرى محادثاته مع فيصل في دمشق ، وأستمرت

---

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ص ١٠٤ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١١٥ .

هذه المحادثات عدة أيام وكانت تدور حول أسس تنفيذ بنود معاهدة سايكس - بيكو (Sykes-Picot)، وخلال فترة المباحثات معه تم إقامة إدارة وطنية في الساحل السوري ولبنان تحل محل الحكم العسكري الفرنسي الذي كان قائماً فيها خلال تلك الفترة وترتبط مع المنطقة الشرقية لسوريا بوحدة وطنية وفقاً لرغبات الأهالي ، وبذلك نجد أن فرنسا حاولت أن تفرض سيطرتها بالقوة على بعض المناطق السوريةالمهمة مستغلة تأخر وصول لجنة الاستفتاء الأمريكية لسوريا .

وعندما سمع الأهالي السوريين بالمحاولة الفرنسية الأخيرة في سوريا مع فيصل طلبوا من الشريف حسين ضرورة تحقيق أي حل سلمي قبل وصول لجنة الاستفتاء الدولية إلى سوريا .

وعندما عرض فيصل الصلح على الحكومة الفرنسية اخذت تماطله في تحقيق أي صلح معه حتى تستغل الفرصة المناسبة لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية (١) . واخيراً قامت بمحاولة أخرى عن طريق جورج بيكو (George-Picot) الذي قام بابلاغ الشريف فيصل بأن الحكومة الفرنسية على استعداد تام باصدار بيان عام تعلن فيه موافقتها على تنصيب موظفين سوريين للمنطقة الساحلية (٢)، على شرط أن يتخلى فيصل عن المطالبة باستقلال سوريا كلها ، وهو الأمر الذي لم يستطع فيصل قبوله ، خاصة بعدما ظهرت له بوادر النوايا الاستعمارية في مؤتمر السلم في باريس ، ولادراكه بأن الفرنسين ضد أي استقلال لسوريا مهما كان نوعه ، كما أن الأحزاب الوطنية السورية ترفض مثل هذه الشروط . (٣).

وعندما وجدت الحكومة الفرنسية الموقف المتشدد من الشريف حسين وابنه فيصل الذي شكل لجان للدعاية للقضية العربية في المدن السورية وتستعين بفيصل في رسم الخطط لها . وبما أن هذه الدعاية تحتاج إلى أموال فقد تسلم فيصل مبالغ كبيرة من جمارك فلسطين ولبنان تم صرفها على الأعمال الوطنية كالدعاية واستمالة بعض الأشخاص ولاسيما في السواحل السورية . وهذا ما أشعل الروح العربية الاستقلالية

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ؛ ص ١١٦ ؛ حمكت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٠ .

(٢) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ٤٨٣ .

(٣) Bremond. Edw. : op. cit, p 326 .

في دمشق وينتشر تأثيرها في المدن السورية الساحلية المسيطرة عليها فرنسا الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تحسب لذلك ألف حساب ، فرأت الحكومة الفرنسية أن تواصل مساعيها في دمشق لتضع حداً للمقاومة العربية ، ولكنها فشلت في مسعاها فاضطرت إلى توجيه تهديد لفيصل بتعطيل مهمة لجنة الاستفتاء الأمريكية التي تأخرت عن موعد وصولها لدمشق ، وهذا مما أدى إلى رد فعل لدى المواطنين في المناطق السورية ، حيث اشتدت وتوسعت الاضطرابات في كل المناطق السورية ، وظهرت أول مقاومة ضد الفرنسيين في جبل العلويين على يد الزعامات السورية ثم امتدت بعد ذلك إلى بعض المناطق السورية الأخرى ، تطالب بالاستقلال التام عن بريطانيا وفرنسا ، في الوقت الذي اتصلت فيه بعض الزعامات السوريه الاخرى بالشريف حسين في الحجاز ، فوجدت منه الترحيب لمقاومة الوجود الفرنسي ، وهذا ما أدى إلى رفع معنويات رجال المقاومة في المدن السورية ، فبرز منهم رشيد طليع متصرف حماة الذي قدم مساعدات كبيرة للثوار ضد الفرنسيين (١) . وفي الوقت نفسه ، دعت القوى الوطنية بناءً على اقتراح من أعضاء حزب الاستقلال العربي للوقوف ضد التهديدات الفرنسية . وحاول الجنرال اللنبي (Allenby) إرسال مساعدات للفرنسيين عن طريق حمص ، ولكن تدخل فيصل وحال دون إتمام وصول أي مساعدات ، فاضطرت بريطانيا إلى تقديم النصح للفرنسيين بالتخلي عن التهديد باستخدام القوة ، وبالفعل نجحت وساطتها (٢) .

وأخيراً عمد فيصل إلى الاستمرار في تنفيذ مخططه في البلاد السورية ، ولم تثنيه التهديدات او أخبار تقدم القوات الفرنسية تجاه بعض المناطق السورية ، بل بدأ بتكوين الحكومة ، ودعى الزعامات السياسية في سوريا بالانضمام إلى الحكومة الجديدة (٣) . وكان فيصل كغيره من المسؤولين لايزال متعلقاً بالاعتقاد بأن بريطانيا ستستخدم نفوذها ضد فرنسا لمصلحة العرب ، وخاصة لما كان يتظاهر به الموظفون

---

(١) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص٧٢ ؛ محمد كرد علي : المذكرات ، ج ٢ . ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٢) هذا الحزب هو الاسم الجديدلجمعية الفتاة العربية التي أعلن عن وجودها في ١٥ فبراير سنة ١٩١٩م ، بعد أن قرر أعضاؤها ترك العمل السري ، وأصبحوا يعرفون بالاستقلاليين .

(٣) petran, Tabitha : op. cit, p. 60 .

والضباط البريطانيون في المنطقة من صداقة ودعوة بأن بريطانيا ستعمل من أجل دعم وحدتهم واستقلالهم (١) .

وفي هذه الأثناء وصلت إلى فيصل برقية من والده الشريف حسين يحذره من مغبة الإقدام على عقد أي اتفاق منفرد مع الفرنسيين حول مستقبل سوريا ، فرد فيصل على برقية والده في الحجاز بأن فرنسا تحاول أن تضع العراقيل أمام سفر لجنة الاستفتاء الدولية إلى سوريا زاعمة بأن سكان سوريا لم يصلوا إلى مرحلة النضج الفكري والثقافي الذي يمكنهم من الدفاع عن انفسهم أو حماية مصالحهم في المنطقة (٢) .

وهكذا نلاحظ ، أن فيصلاً أدرك مدى جدية التحدي الفرنسي من خلال تلك الدعاية التي تثيرها ضده في فرنسا وسوريا ، وهذا مما جعله يحس بالخطر المحدق الذي أخذ يحيط به والذي هو من تدبير بريطانيا وفرنسا في سوريا ، فبدأ يطلب المساعدات و يتقبل نصائح والده الشريف حسين القائد العام في الحجاز ، كما أخذ يبث روح الاستقلال بين المواطنين ، والتي أخذت تزداد بين الأهالي في المناطق السورية ، هذا إضافة إلى مساهمة بعض الأحزاب السياسية السورية في مناصرة تحركات الشريف حسين ، ومنها : على سبيل المثال حزب الاستقلال العربي الذي تشكل أخيراً ليكون الدعامة الأساسية للتحركات السورية ، وحزب الإصلاح السوري الذي كان يرفض كل حماية ، ويتمسك بالاستقلال التام وبوحدة البلاد العربية تحت قياده الشريف حسين في الحجاز (٣) .

ومنح فيصل تلك الأحزاب السياسية دعمه وتعاونه الوثيق معها وربما وجد فيها أحسن سبيل لتوطيد مركزه من جديد بين بعض القيادات السورية بعد أن بدأت تضعف مكانته بينهم نتيجة لفشله في مؤتمر السلم ولم يحصلوا على مايريدونه وهو الاستقلال عن الدول الأجنبية .

ولقد أرسلت القيادات السياسية في دمشق رسالة إلى الشريف حسين في مكة المكرمة يطلبون منه أن يطالب الحكومة البريطانية تنفيذ وعودها معه ويخبرها بأن

---

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١١٨ ؛ مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ص ١٠١ .

(٣) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

الأهالي لا يرغبون منها إلاّ الوحدة المطلقة بين المناطق السورية من جبال طوروس شمالاً حتى الخابور والفرات شرقاً ، ومن البحر الأحمر فخط العقبة ، ورفح والبحر المتوسط غرباً ورفض الهجرة الصهيونية إلى فلسطين رفضاً باتاً (١) .

وأمام هذه الأحداث المتلاحقة ، تم تأسيس مجلس وطني سوري يضم في عضويته ممثلين عن جميع المناطق السورية الداخلية والساحلية والسورية الجنوبية التي تحت الإدارة العربية والفرنسية ، عرف باسم المؤتمر السوري ، وقد افتتح المؤتمر في السابع من يونيه عام ١٩١٩م في النادي العربي وحضر اجتماعه الأول واحد وعشرون مندوباً من مجموع أعضاء المناطق ، وكانت نية فيصل من دعوة المناطق السورية إلى انتخاب ممثلين رسميين لهم ، لكي يجتمعون في دمشق باسم المؤتمر السوري العام هو من أجل مناقشة مصير البلاد ، وشكل الحكومة الذي يرغبون في إقامتها (٢). وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على عقد مؤتمر سوري عام يمثل جميع المناطق السورية الداخليه ، والساحلية وسوريا الجنوبية ، وحاولت فرنسا وبريطانيا عرقلة مهام هذا المؤتمر بمعارضة اشتراك الساحل السوري وفلسطين في المؤتمر (٣) . ولكن أمام إصرار فيصل وتحدي السوريين عقد الاجتماع وحضره ممثلو جميع الزعامات السورية في المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية على قدم المساواة (٤) .

وكان الغرض الأساسي من هذا المؤتمر هو إظهار رغبة الشعب السوري في الاستقلال ، ولإحاطة لجنة الاستفتاء الأمريكية بتلك الرغبة ووضع قانون أساسي للبلاد العربية من جهة أخرى (٥).

---

(١) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية منشورة) ، ص ١٢٤ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٤٨ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ – ١٩٢٠م ، ص ١٠٩ .

(٣) Baker, Randall : op. cit, p. 171 .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٢٣ ؛ حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٨٥ – ٨٦ .

(٥) غالب العياشي : تاريخ سوريه السياسي من الانتداب إلى الانقلاب ، ص ٤٤ ؛ عبدالعزيز العظمة : مرآة الشام (تاريخ دمشق وأهلها) ، ص ٢٥٣ .

وقد عقدت عدة اجتماعات متتالية لهذا المؤتمر العام برئاسة فيصل بن الحسين ، وعندما وصلت لجنة الاستفتاء الأمريكية إلى دمشق في السادس والعشرين من رمضان عام ١٣٣٧هـ/الخامس والعشرين من يونية ١٩١٩م ، قابلها هاشم الأتاسي في الرابع من شوال عام ١٣٣٧هـ/الثالث من يولية ١٩١٩م على رأس وفد يتكون من واحد وعشرين عضواً يمثلون مختلف المناطق السورية ، وقدموا للجنة القرار الذي تم الاتفاق عليه في المؤتمر السوري الأول (١).

وكان القرار يتكون من عشرة بنود على النحو التالي :

١ - المطالبة بالاستقلال السياسي التام والناجز للبلاد السورية التي تحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً رفح ، فالخط المار من جنوب الجوف الى جنوب العقبة وشرقاً نهر الفرات فالخابور وغرباً البحر الأحمر بدون حماية .

٢ - أن تكون الحكومة في البلاد السورية ملكية مدنية نيابية تدار مناطقها على طريقة اللامركزية وتحفظ فيها حقوق الأقليات وعلى أن يكون ملك هذه البلاد فيصل الذي جاهد في سبيل تحريرها .

٣ - أن الشعب العربي الذي يعيش في سوريا شعب لايقل رقياً من أي قطر آخر .

٤ - إذا لم يقبل المؤتمر هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لانعلم كنهها ، نعتبر مسألة الانتداب الواردة من عصبة الأمم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لاتمس باستقلال البلاد السورية ،

٥ - إذا لم تتمكن أمريكا من قبول هذه المساعدة ، فإننا نطلب أن تكون المساعدة من بريطانيا وعلى أن لا تمس استقلال بلادنا السياسي .

٦ - لانعترف بأي حق تدعيه فرنسا في سوريا ونرفض أن يكون لها مساعدة في بلادنا .

٧ - نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطناً قومياً لهم .

٨ - عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروف بفلسطين والمنطقة العربية الساحلية عن القطر السوري .

٩ - طلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر وعدم ايجاد أي حواجز اقتصادية بين البلدين .

١٠- أن القاعدة السياسية من قواعد الرئيس ولسن التي تقضي بإلقاء المعاهدات السرية التي تقضي بتجزئة سوريا إلى مناطق انتداب .

---

(١) أنظر تفاصيل البنود في : ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءات وثائقية) في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٤١-٤٣ ؛ عبدالعزيز الشناوي وآخرون : وثائق ونصوص التاريخ الحديث المعاصر ، ص ١٢٠ .

ولقد تمت الموافقة على تسعة منها بالاجماع ، والعاشر منها تم التصويت عليه بالاغلبية ، وتتضمن هذه القرارات رغبة أهل البلاد السورية من المسلمين وبعض المسيحيين بالاستقلال التام مع رفض أي تدخل أجنبي في البلاد السورية (١).

وبعد ما تم للجنة مقابلة الوفود والهيئات الرسمية وممثلي الطبقات السورية ، تلقت وهي في دمشق ما يقرب من ألفي عريضة كلها مؤيدة لمطالب المؤتمر وللوقوف على الأوضاع السياسية والاقتصادية عن كثب ، وقامت اللجنة بجولة على جميع المناطق السورية للاطلاع على أراء السكان في المدن والأرياف وأطراف الصحراء ، ومكثت عدة أيام في زيارات متتالية للمناطق السورية ، زارت فيها بعلبك والبقاع وحمص وحماه وحلب (٢).

ولقد ظهر للجنة ، أن معظم الأهالي في سوريا يؤيدون إقامة حكومة سورية متحدة مع البلاد العربية الأخرى تحت زعامة الشريف حسين ملك الحجاز ، ثم غادرت اللجنة بعد ما أنهت مهمتها إلى أوربا بعد أن قضت اثنين وأربعين يوماً (٣) . فوصلت باريس في أوائل ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/أوائل سبتمبر ١٩١٩م لتقدم تقريرها إلى أمانة المؤتمر ، ولكنها وجدت كل شي قد تغير في فرنسا بعد غيابها فحملت تقريرها إلى واشنطن ، وسلم إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وظل محفوظاً حتى عام ١٩٢٤م .

ولقد أدى تأخر رد اللجنة على المطالب السورية إلى قيام بعض المظاهرات التي عمَّت المدن والأرياف السورية تطالب بالاستقلال التام ، وأتهمت الشريف حسين بالتقصير في الدفاع عن قضيتهم ، وسبب هذا الموقف المتفجرإلى إحراج الشريف حسين في الحجاز ، وابنه فيصل في دمشق ، حتى أنه فكر في السفر إلى أوربا في الحال بناءً على طلب والده الشريف حسين والزعماء السوريين ، وذلك لمعرفة ما تم التوصل إليه من نتائج على ضوء تقارير اللجنة الأمريكية ، خاصة بعدما لاحظ زيادة

---

(١) انظر تفاصيل المؤتمر السوري ، حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨م) ، ص ١٩٤ - ١٩٦ .

(٢) خالد العظم : مذكرات خالد العظم ، ج١ ، ص ٩٨ ؛ غالب العياشي : تاريخ سوريا السياسي من الأنتداب إلى الأنقلاب ، ص ٤٧ .

ضغوط فرنسا على بريطانيا لتطبيق معاهدة سايكس – بيكو التي كشف أمرها مؤخراً .
فأرسل فيصل رسالة إلى لويد جورج (Loyd George) أشار له بأن الاتفاق على تقسيم البلاد العربية مجحف تماماً بحقوق الامة العربية ويخالف ما كانوا يتوقعون من الحكومتين الفرنسية والبريطانية خاصة من العالم المتحدف عامة كما ان العرب الذي جرى الاتفاق على بلادهم وبدون علم منهم لا يمكنهم ان يعترفوا بما وقع ، كما ان معاهدة سايكس بيكون ليست معروفة رسمياً عند العرب وبريطانيا لا ترغم اي شعب على قبول انتداب لا يريده ثم ختم رسالته بالحرج من موقفه أمام الأحزاب السياسية في سوريا التي تطلب منه مزيداً من الحزم . وبين رغبته في السفر إلى أوروبا كي يحمل إلى شعبه تأكيدات جديدة تضمن وحدتهم واستقلالهم [1].

أما بريطانيا فعندما علمت بالاحتجاجات والمظاهرات التي عمّت كل المناطق السورية ، وينوي فيصل السفر أرسلت خطاباً عاجلاً إلى لورنس في دمشق تطلب منه بأن ينصح فيصل أن يؤجل سفره إلى لندن على اعتبار أن الأمر لازال معقداً ويحتاج إلى وقت [2] ، كما أرسلت برقية مماثلة وعاجلة إلى الشريف حسين في الحجاز تطلب منه أن يؤخر سفر ابنه إلى أوربا ، وإن يوقف فيصل تحديه للحكومة الفرنسية في المناطق التي تحت سلطتها بناءً على التقارير التي وصلت إلى الحكومة البريطانية من رئيس اركان قواتها في الشرق الأوسط الكولونيل ماين هيرزاكن (Meinertzhagen) الذي خلف كلايتون ، بأن فيصلاً يشجع على حركة التطوع لتقوية قضيته أمام حكومة جلالته .. وأن القائد العام رفع برقية إليه يعلن فيها عدم موافقته على الحركات الوطنية التي عمّت المدن السورية الرئيسية بتشجيع من القيادات السورية ، لأنها تخلق تأثيراً غير مستحب في أوروبا .. وتضر بمصالح دول الحلفاء .. ويأمل من فيصل ألا يعتمد عليها وأن يستخدم نفوذه ضدها [3] ، لأن ذلك قد يؤدي إلى عرقلة الجهود المبذولة لإصلاح الأوضاع في سوريا على حد قولها .

---

(١) انظر تفاصيل رسالة فيصل إلى لويد جورج ،وجيه علم الذين: العهود المتعلقة بالوطن العربي، ص ١٣٢ – ١٣٦ .

(٢) Tibawi, A.: op. cit, p. 298 .

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١١٤ .

وعندما وصلت البرقية إلى الشريف حسين واطلع على مضمونها تألم من الموقف المتأزم في سوريا ، فأفسارع بابلاغ الحكومة البريطانية بذلك الموقف عن طريق معتمدها المقيم في جدة ، بانه يجب عليها الألتزام بما تعهدت به سابقاً من استقلال جميع البلاد العربية وان يكون له حق الملكية على سوريا بعد الانتهاء من الحرب ، كما دعاها ايضاً بان تقدم له المساعدة لإيقاف الأطماع الفرنسية المتزايدة في سوريا، لأنها على حد قوله جزء من الحجاز وأهلها متمسكون به ، وعلى بريطانيا إيقاف استفزازات الفرنسيين للمواطنين . كما أشار كذلك بأن سبب الثورات العربية التي عمّت البلاد السورية يعود أساساً إلى الضغوط التي تمارسها فرنسا ضد السكان العرب لإنتزاع أراضيهم بالقوه وتسليمها لمواطنين موالين لها في المناطق السورية الشمالية والغربية التي تقع تحت السيادة الفرنسية مدعية بمصالحها القديمة (١) . وأخيراً اشار للبريطانيين من أنه سيدافع عن الشعب السوري وعن حريته واستقلاله ، ولن يتردد في المجيء إليهم للتعاون معهم بصفته عربي الشخصية ، وحتى يعرفوا أنه لن يخونهم .

وفي الوقت ذاته ، أخذت القوات الفرنسية تتمركز في المناطق القريبة من دمشق استعداداً للإستيلاء على بعض المناطق الأخرى . وكرد فعل للإستفزازات الفرنسية قام الشريف فيصل بإجراء بعض التعيينات في الحكومة السورية الجديدة بناء على طلب الزعامات السورية في تشكيل حكومة لها جيشها القوي لمواجهة التهديدات الاستعمارية . وبهذا الاجراء رفع الشريف حسين برقية عاجلة إلى ابنه فيصل في دمشق يعاتبه بقدومه على هذا العمل دون أخذ رأيه ، لأنه كان متخوفاً من رجال المعارضة السوريين التي كشفت المخطط الفرنسي ومدى التعاون البريطاني مع فرنسا ، لأنها بدأت في تسليم بعض المناطق السورية إلى حليفتها فرنسا ، ولم تستجب لنداءات المواطنين والشريف حسين ، ومن ناحية أخرى تخوف الأهالي من سكوت الشريف حسين من هذه الاجراءات التي قامت بها بريطانيا ، ومن تنازله عن قضيتهم مع أنه تلقى رسالة من ابنه زيد وصف له الوضع السياسي المتدهور في سوريا ، وهذا مما جعله يحاول أن يبرر موقفه أمام القيادات السورية بتعنته مع الحكومة البريطانية .

---

(١) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٧٢ .

وعلى كل حال ، فإن تخوف الشريف حسين في الحجاز من التنظيمات التي أجراها ابنه فيصل كانت في محلها ، لأن بعض الصحف السورية أخذت تطعن في شخصية الشريف حسين ومدى إخلاصه لقضيتهم ، وأتهمته ببيع سوريا لبريطانيا وفرنسا واستدلت بتساهله في قضيتهم ، وذهبت بعض الصحف السورية إلى الاستخفاف بالشريف حسين وابنه فيصل وبمن بايعوهما من السوريين . وسخروا من الأمر الصادر بالدعاء لأمير المؤمنين في الخطب بسوريا ، كما دعت بعدم التصريح باسم الملك حسين خليفة المسلمين ، وأشارت أيضاً بعدم تلقيب الملك حسين بأمير المؤمنين ، وهو لا يملك إلاَّ الحجاز وحده ، لأن أهم شروط الخلافة هو إجماع الأمه العربية والإسلامية تحت سلطته وأن يدافع عن حقوق المسلمين المهدورة وأن لا يكون لعبة للاستعمار ومخططاته (١) .

وقد حمَّلت الصحف السورية الشريف حسين ونجله فيصل المسئولية التامة لتهاونهما مع التصرفات الفرنسية الإستفزازية التي أخذت تزداد ضد السكان السوريين (٢) ، ثم وجهت بعد ذلك دعوة عامة إلى الأهالي في كافة المناطق السورية إلى توحيد الصف ونبذ الخلافات بعيدين عن التعصب الأعمى للدفاع عن أنفسهم وبلادهم ، التي أصبحت الآن أمام الخطر الأجنبي الذي يحبك المؤمرات ضدها لوضع البلاد والعباد تحت هيمنة الاستعمار الأجنبي ونهبت خيرات البلاد السورية ..

وبعد هذه التصريحات الصحفية السابقة الذكر ضد الشريف حسين قام ابنه يتقرب من الأهالي والزعامات السورية ، كما قام بإجراء بعض التنظيمات والاصلاحات الإدارية في المناطق السورية متحدياً التهديدات الفرنسية ، وعلى أثر ذلك أخذت الحياة تنتعش من جديد بين السوريين وهدأت الاستخفافات الصحفية بالشريف حسين ، وكان من الطبيعي أن يهتم الشريف فيصل بالصحافة بعد الانتصار الكامل للرأي العام الذي حققته ضد الفرنسيين ، فدعى رؤساء تحرير الصحف السوريةبدمشق ، وطلب منهم

---

(١) إحسان عسكر : نشأة الصحافة السورية (عرض للقومية في طور النشأة من العهد العثماني حتى قيام الدولة العربية) ، ص ٤٥٠ .

(٢) إحسان عسكر : تطور الصحافه السورية (عرض للقومية في طور التطور في العهد الفرنسي حتى قيام دولة الوحده) ، ص ٢٥ .

سرعة مضاعفة الجهود ، والاتجاه إلى تأسيس نظام قوي يضمن للبلاد استقلالها (١) ، كما أصدر الشريف حسين أمره إلى ابنه فيصل في سوريا بأن يهتم بالصحافه لأنها تنطق بلسان الحكومة والشعب السوري ، فأخذ يمد الصحافة بالبيانات والقرارات ، ولذلك أصدرت جريدة العاصمة في سوريا بيانات عامة تنشرها مرتين في الأسبوع توضح خطة قوانين الحكومة وأنظمتها ومقرراتها وبلاغاتها الرسمية مع ذكر بعض الأخبار المحلية الاستفزازية التي يقوم بها الجنود الفرنسيين ضد الأهالي والقيادات السورية (٢) .

ومن ناحية ، أخرى فقد نشر الشريف حسين في مكة في جريدة (القبلة) بياناً عاماً على الأهالي في الحجاز ، أشار فيه بالدور الكبير الذي قام به في سبيل القضية العربية في سوريا ، ووزع نسخاً منه على الأهالي في سوريا ، وذلك للرد على الانتقادات السياسية التي وجهت له ، نتيجة لتكاسله وتصديقه للإدعاءات البريطانية ، والذي أعتبرهُ تنازلاً منه للمصالح البريطانية في المنطقة السورية (٣) . وأن الوحدة العربية التي تطالب بها السلطات الحجازية تخدم مطامع (فئة قليلة من النفعيين العرب) ، فردت بعض الصحف السورية على بيان الشريف حسين ، بقولها : (أن الذي يريد نشر السلام في ربوع البلاد العربية التي وقعت في شرك الاستعمار ، من الواجب عليه اجتناب الوقوع في حبائل المخططات البريطانية بالوعود الكاذبة) (٤) .

ويبدو أن الدعاية الوطنية التي أخذت تنشرها الصحف في سوريا والحجاز قد بلغت ذروتها ، ووجدت تجاوباً لدى السكان في المناطق السورية ، مما أدى إلى قيام بعض المظاهرات في المدن التي أخذت تتوسع في المقاطعات السورية واللبنانية ،

---

(١) محمد كرد علي : المذكرات ، (دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٤٨م) ج١ ، ص ١٣١ .

(٢) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافه السورية عن الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال (القاهره ، دار المعارف ، د.ت) ، ج٢ ، ص ١٥ .

(٣) المناره ، مصر ، ج٧ ، المجلد ٢٢ ، ص ٢٥ .

(٤) إحسان عسكر : نشأة الصحافة السوريه (عرض للقومية في طور النشأة من العهد العثماني حتى قيام الدوله العربية) ، ص ٤٥٧ .

تجوب المدن والأرياف ، ووجدت تفاعلاً حتى مع أهل مكة المكرمة ، وكان المتظاهرون يطالبون السلطات الفرنسية بالانسحاب من المناطق السورية التي استولت عليها ، وإيقاف بعض المغرضين من المسيحيين الذين يعملون إلى جانب الفرنسيين والبريطانيين ، ومنهم على سبيل المثال شكري غانم ، الذي يدعي بأن السوريين واللبنانيين ليسوا بعرب لا يعترفون برئاسة الحسين عليهم (١) .

ولقد اتهمت السلطات الفرنسية الشريف حسين بإثارة هذه الاضطرابات التي عمت مناطق سوريا ، وكرد فعل على ذلك أرسلت فرنسا قوة عسكرية كبيرة لمحاصرة مدبري المظاهرات والفتك بالسوريين الآمنين في قراهم ، فاضطرّ الشباب القادرون على حمل السلاح إلى تشكيل قوة تعمل بطريقة حرب العصابات الخاطفة ضد القوات الفرنسية ، التي لم تسلك مسلك الحكمة واللين مع المواطنين .

ولما سمع الشريف حسين بذلك الخبر ، أرسل لإبنه فيصل خطاباً يسأله عن مدى صحة تلك الأعمال العدوانية التي تمارسها فرنسا في بعض المناطق السورية ضد السكان المتأثرين بالصحافة السورية ، ولكن الحكومة البريطانية علمت بالأمر فتدخلت على الفور لتهدئة الموقف المتأزم في المناطق السورية ، حيث أرسلت قوة بقيادة رئيس أركان القيادة العليا البريطانية في الشرق الكولونيل ماين هيرزاكن (Meineher Zagen) ومعه الكابتن الفرنسي لولوندز (Lu Lundus) إلى سوريا لإبلاغ فيصل بأن بريطانيا تعلن رفضها التام للانتداب الفرنسي على سوريا ، وأن اللنبي (Allenby) عازم على إعادة الأمن إلى نصابه ، فأجابه فيصل بأنه هو ووالده لا يوافقان على تقسيم البلاد العربية المحررة من تركيا ابداً ، ولا يوافقان على استعمارها ، وأن سبب المظاهرات التي قامت في سوريا ولبنان هو خوف السكان من أن تُهضم حقوقهم ولعدم اطمئنانهم على مصيرهم المجهول ، ثم أوضح لهم مدى الارتباط الذي يجمع بين الحجاز وسوريا وأنه سبق وأن أتفق الحجازيون والسوريون على تأسيس دولة عربية مستقلة ، تشمل حدود كل البلاد العربية تحت قيادة الشريف حسين في الحجاز بناءً على رغبة المواطنين في البلاد العربية على حد قوله .

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٤ .

والذي يبدو من تدخل بريطانيا ماهو إلاّ امتصاص لغضب السوريين والشريف حسين في الحجاز ، بعد ما شعرت بالتحركات العربية في سوريا التي أخذت ثمارها تظهر في المناطق السورية واللبنانية لصالح الشريف حسين وابنه فيصل في دمشق .

أما فرنسا فبدأت تراقب بدقة كل ما يجري على الساحة السورية مع مراقبة اتصالاتهم بالحجازيين ، كما أخذت في الوقت نفسه ، تدرس بعض التدابير السياسية خشية أن ينالوا منها مأرباً ، في الوقت الذي لم يكن الموقف الأمريكي واضحاً من هذه الاضطرابات .

كما أخذت فرنسا تحاول اطفاء نار التحركات العسكرية السورية عن طريق وضع الإغراءات أمام الحكومة السورية الجديدة بعدم الاعتراف بسلطة الحكومة الحجازية عليها ، فقامت بنشر تقارير كاذبة عن اللجنة تفيد بأنها تريد فرض نظام الانتداب على سوريا الذي تدعيه فرنسا ، وهذا مايرفضه الشريف حسين والسوريون ، وعادت مرة أخرى ، وقالت : (قررت أيضاً بأن يكون الانتداب على سوريا لمدة محدودة ، والهدف من ذلك هو إيصال البلاد إلى مرحلة الاستقلال بالسرعة التي تسمح بها الظروف) (١). كما (أوصت كذلك بأن يكون الانتداب على سوريا وفلسطين كمنطقة واحدة منفصله عن الحجاز ، لأنها بلاد صغيرة وقليلة السكان ووحدتها الاقتصادية والجغرافية والعرقية ، واللغوية واضحة كل الوضوح ، بحيث يصبح من غير الملائم إنشاء دول عديدة مستقلة داخل حدودها ، ويكون فيصل ملكاً دستورياً على هذه الدولة (٢) .

ولقد شعرت الحكومة البريطانية بموقفها الحرج من القضية السورية ، وما أثارته فرنسا من إشاعات عن نتائج تقارير لجنة كنج كراين (King - Grane) من امتعاض لدى الحكومة البريطانية ، مما جعلها تسحب يدها من القضية العربية بالمماطلة مع الشريف حسين وابنه فيصل(٣) ، ولعلها تقصد من وراء ذلك إعطاء فرنسا الفرصة المناسبة ، لكي تستولي على مواقع جديدة ، حتى تقوم بتطبيق بنود المعاهدة بينهما ، وقد قامت

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣١-٢٣٢ ؛ جورج أنطونيوس : اليقظة العربية ، ص ٤١٠ .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٨٩ ؛ عبدالعزيز الشناوي وآخرون : وثائق ونصوص التاريخ الحديث المعاصر ، ص ٢٣٥ ..

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٤ .

الصحف البريطانية بحملات إعلامية لصالح الحكومتين لتأيد هذا التحرك ، وهذا مما أدى إلى عقد اجتماع طارىء مع حلفيتها فرنسا (١) .

واتفقت الحكومتان مبدئياً بسرعة احتلال الجيش الفرنسي لبعلبك والبقاع والاجزاء الداخلية من سوريا ، بينما ينسحب الجيش البريطاني منها بحجة إرتفاع نفقات الحاميات في سوريا ، في الوقت الذي لم يظهر فيه أي أمل لتسوية هذه الأزمة التي أخذت في الازدياد في المناطق السورية بسبب تشجيع الشريف حسين وابنه فيصل لهم (٢) . ورأت أنه لابد من التفاهم مع فرنسا حول هذه المسألة ، لا سيما بعد الاتهامات الفرنسية المتكررة لها .

وفي الوقت نفسه ، اعترض كليمنصو على استدعاء فيصل إلى أوروبا ، وأصر على تأخير التسوية إلى أن تصبح الولايات المتحدة مستعدة لاتخاذ قرار ، لأنه لايمكن فصل القضية السورية عن بقية القضايا المتعلقة بالتسوية النهائية للامبراطورية العثمانية (٣) .

وبعد ما لاحظت الحكومة البريطانية أن الأمور تأزمت اكثر في بلاد الشام ، رأى لويد جورج (Loyd George) رئيس الوزراء البريطاني أنه لا يليق لحكومته أن تترك حليفاً لها يجرح مثل الشريف حسين ونجله فيصل اللذين قدما كل ماديهما من امكانيات للمساهمة في إسقاط الحكومة العثمانية في بلاد الشام على حسب ما تدعيه بريطانيا (٤) .

وفي ظل هذه الأحداث السياسية المتسارعة تراجعت بريطانيا عن موقفها السابق من تأخير سفر فيصل إلى لندن ، فأرسلت في الرابع عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/العاشر من سبتمبر ١٩١٩م برقية إلى فيصل تستدعيه للحضور إلى لندن لمناقشة الوضع السياسي المتدهور في المنطقة السورية ، في الوقت الذي بدأ لويد

---

(١) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ١٤٩ .

(٢) جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٧٣ ؛ بيان نويض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م (دراسة وثائقية) ، (بيروت مؤسسات الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨٣م) ، ص ١١٦ .

(٣) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م .

(٤) Petran, Tabitha, : op. cit, p. 60 .

جورج واللنبي وكليمنصو يتأهبون لتطبيق الاتفاق الفرنسي - البريطاني السري ، على أن تبدأ بريطانيا بتسليم بعض المواقع الاستراتيجية لفرنسا ، ودعته على ألا يتأخر وصوله إلى لندن عن العشرين من ذي الحجة ١٣٣٧هـ/السادس عشر من سبتمبر ١٩١٩م (١) ، فقبل فيصل الدعوة ، ولكنه لم يستطع السفر إلاّ بموافقة والده ، وقبل أن يعتزم السفر رفع برقية عاجلة إلى والده في الحجاز يستأذنه بالسفر إلى لندن ، فأيده وشرط عليه ألاّ يتنازل عن حقوق السوريين ، فوجه فيصل بياناً عاماً في الصحف إلى السوريين في التاسع عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩١٩م يخبرهم بنيته على السفر في اليوم التالي للندن لحضور الجلسات التي ستعقد بشأن قضية سوريا (٢) .

وعلى أثر ذلك ، غادر فيصل دمشق إلى حيفا وهناك أبحر على باخرة بريطانية إلى مرسيليا (٣) ، وكان في معيته بعض الشخصيات السورية واللبنانية البارزة ، ومنهم : أركان حرب محمد إسماعيل ، وفؤاد الخطيب سكرتيره الخاص للشؤون الخارجية ، وحداد باشا مدير الأمن وغيره من القادة السوريين ، ولكنه تأخر وصولهم بسبب العراقيل التي وضعتها له السلطات الفرنسية في باريس .

ويبدو أن التأخير متعمد ، خطط له حتى يتم التوقيع على الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والبريطانية ، والذي يقضي ببدء تطبيق اتفاقية سايكس - بيكو (Sykes-Picot) على سوريا قبل وصول فيصل إلى لندن ، وبموجب ما تم الاتفاق عليه في التاسع عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/الخامس عشر من سبتمبر ١٩١٩م بانسحاب الجيش البريطاني من سوريا كلها ويحل محله الجيش الفرنسي (٤) ، ويستثنى من الاحتلال الفرنسي ما يسمى بالمدن الأربع الداخلية ، وهي : محافظات دمشق ، وحمص ، وحماة وحلب ، والبلاد الكائنة في شرقها كحوران والبلقاء والدير ، ومدخل الأقضية الأربعة (البقاع ، وبعلبك ، وحاصبيا ، وراشيا) ، التي كانت تابعة للمنطقة

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٥ .

(٢) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٢٦ .

(٣) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٧٣ .

(٤) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

الشرقية في منطقة الاحتلال الفرنسي وفقاً لما جاء في اتفاقية (سايكس - بيكو) (١).

وفي الواحد والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/السابع عشر من سبتمبر ١٩١٩م ، نشر في باريس بلاغ رسمي ، هذا نصه : (تقرر في الاتفاق الذي عقد بين الدولتين على إحلال جنود فرنسيين محل الجنود البريطانين في كيليكيا ، وأن تترك من الآن المدن الأربع ، وهي : دمشق وحمص وحماة وحلب ، وشرقها خارج منطقة الاحتلال العسكري) (٢).

وعندما وصل فيصل إلى لندن قادماً من سوريا عن طريق باريس في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/التاسع عشر من سبتمبر ١٩١٩م ، ليجد لويد جورج الذي قضى على فرص نجاحه واستقبله استقبالاً حافلاً لتخفيف وقع المصيبة التي بدأت تظهر جلياً له بعد الآمال الذهبية التي كان يحلم بها كل عربي بنيل الاستقلال ، وتقوية روابط الوحدة التي كانت قائمة بينهم في العهد العثماني ، وهناك قابل فيصل اللنبي (Allenby) ، ورئيس الوزراء البريطاني ، وكانت مقابلتهما له مقابلة مجاملة له ، من أجل تطييب خاطره .

وعندما شرح لهم وجهة نظره واعتراضاته طلبا منه أن يتفاهم مع فرنسا ، ووعداه بالدفاع عن وجهة نظره لدى كليمنصو .. كما قدم جورج إلى فيصل نسخة من مذكرة تشرح قرار الانسحاب مع تبرير القرار بعبء التكاليف على دافعي الضرائب البريطانيين ، كما أوضح بأن ارتباط الحكومة مع الحسين في الحجاز له نفس قيمة ارتباطها مع فرنسا ، فاحتج فيصل على ذلك الطلب خوفاً من والده (٣).

ولقد أقام فيصل شهراً في لندن ، اطلع خلال إقامته على بنود الاتفاقية السرية التي عقدت بين دول الحلفاء حول تقسيم المناطق السورية والعراقية الى مناطق نفوذ بينهما ، فعقد عدة اجتماعات مع رجال الحكومة البريطانية ، رفض خلالها قبول الاتفاق

---

(١) وجيه علم الدين : العهود المتعلقه بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٧ .

(٢) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٧٣ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٨ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٣٠ .

الذي عقد في السابع عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/الثالث عشر من سبتمبر ١٩١٩م بين لويد جورج وكليمنصو ، وحاول إقناع الحكومة البريطانية بأن تحل القوات العربية محل القوات البريطانية المنسحبة من المدن السورية ، أو يبقى الوضع على ماهو عليه حتى تتم التسوية النهائية مع والده الشريف حسين .

وفي أثناء وجود ه في لندن ، تأكد من عدم تمكنه من الاعتماد على بريطانيا في تحقيق وعودها المعطاه لوالده الحسين بعد الاتفاق الذي عقد بين الحكومتين في التاسع عشر من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩١٩م ، فرفع برقية عاجلة إلى أخيه زيد في دمشق يؤكد له فيها بأن آمال العرب لا يمكن أن تتحقق إلاّ إذا حقق العرب القوة العسكرية والتضامن ضد الاستفزازات الاستعمارية ، وطلب منه في رسالة أخرى أن يسعى هو وأركان الحكومة السورية إلى تقوية الجيش ووضع الاستحكامات حول المدن السورية ويطلب من والده في مكة الدعم المالي والعسكري حتى يتمكن من حفظ الأمن والنظام في كافة المناطق السورية ، التي بدأ الوضع السياسي فيها ينفجر(١) .

كما أرسل برقية مماثلة إلى والده في مكة يذكره بتجاهل الحكومة البريطانية لوجود أي معاهدة معه قبل الثورة ، وطلب منه إرسال كل الوثائق التي تؤيد المطالب العربية ووافقه على تحقيقها بعد الانتهاء من الحرب ، فأرسل الحسين مقاطع وأجزاء لفيصل مما يسميها معاهدة (٢).

وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٣٧هـ/الحادي والعشرين من سبتمبر ١٩١٩م رد فيصل على مذكرة لويد جورج بالمادة الوثائقية التي حصل عليها من والده ، بقوله (٣) :

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبري ، ص ٢٣٥ .

(٢) العاصمة : عدد ١٠٢ ، بتاريخ ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢٠م .

(٣) انظر تفاصيل رد الشريف فيصل على مذكرة لويد جورج في وثيقة منشورة في نوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار" قراءات وثائقية " في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٦٠ – ٦٥ .

أولا : إن هذا الاتفاق الأخير مجحف تماماً بحقوق العرب لأنه يضر بمصالحهم ، ويخالف ما يتوقعه من الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، خاصة من العالم المتمدن الذي يحاول القضاء على الاستقلال ، وجعل البلاد المقدسة ميداناً للحرب .

ثانيا : أن العرب الذين جرى الاتفاق معهم على توزيع بلادهم وبدون علم مسبق من أهلها ، يرفضون الاعتراف بأي اتفاقية توقع دون معرفتهم ، ولايتحملون مسؤولية نتائجه .

ثالثا : أن معاهدة سنة ١٩١٦م التي قسمت البلاد العربية ، ليست معروفة رسمياً عند العرب ، ويجب على دول الحلفاء والدول المشتركة في المؤتمر محو جميع المعاهدات السرية بشأن البلاد العربية ، خاصة بعد الذي تلقاه الحلفاء من اعتراض والدي الملك حسين في الحجاز عليها ، عندما وقعت في يده نسخه منها منشورة في جريدة المستقبل الباريسيه نقلاً عن صحف بلاد الشام ، التي أذاعها أحمد جمال باشا في يونيه عام ١٩١٨م .

ثم أوضح فيصل للحكومة البريطانية في لندن موقف الحكومة الحجازية المعارض لهذه الاتفاقية السرية التي عقدت بينها وبين الحكومة الفرنسية بأنها مزعجة ومجحفة للحقوق العربية ، وأن والده الشريف حسين يرفض مثل هذه الاتفاقيات (١) .

ونتيجة لذلك ، فقد وصلت أخبار نتائج مفاوضات فيصل في لندن إلى الشريف حسين في الحجاز والأهالي في سوريا ، فأثارت هذه الأخبار غضب الاهالي في المناطق السورية ، فقامت عدة مظاهرات في المدن السورية بدعم الشريف حسين في الحجاز الذي أحس بخطئه الفادح ، وقام بإعلان دعوة الجهاد والكفاح المسلح ضد المخططات الفرنسية في الحجاز وسوريا ، وخرجوا المتظاهرات يجوبون شوارع جدة ومكة تنادي بالسوريين للجهاد المقدس ضد الاستعمار ونادت الحسين بالدعم ، وقامت حركة التجنيد والتطوع التي بدأت قبل رحيل فيصل إلى أوروبا ، وكان الشريف حسين يريد من هذا الدعم أن يبرز موقفه أمام السوريين بأنه معهم ، بعدما لاحظ أنهم أحسوا بأنه خذلهم في مساعيه في أوربا حيث أتهم بأنه قدم سوريا هدية لدول الحلفاء بناءً على وعود

---

(١) Zeine, Zeine. N.: op. cit , p. 103 .

كاذبة من بريطانيا ، والتي مكنت فرنسا من الاستيلاء على سوريا ، ونادى الأهالي الشريف حسين بالحرية والاستقلال .

وعلى أثر ذلك ، بدأت الصحف في دمشق توزع منشورات على السكان في المدن السورية ، تدعوهم إلى المطالبة بالاستقلال والدعوة إلى الجهاد ضد الدول الاستعمارية والتمسك بحقوقه ومعارضة تقسيم الأقطار العربية بين الدول الاستعمارية (١) . وطلب ياسين الهاشمي (*) رئيس هيئة أركان الجيش العربي مقابلة اللنبي في القاهرة ، وتحميله مسئولية تحديد عمل الجيش العربي لممارسة القائد العام عمله ، كما طلب منه حل لجنة الدفاع الوطني وإلغاء قرارها حول التعبئة العسكرية والجزئية ، وإبلاغ الحسين بعواقب تلك المظاهرات التي بدأت تتوسع في سوري(٢) ، وامام تشدد المندوب الفرنسي بيكو ، طلب اعتقال الهاشمي وإبعاد علي رضا عن سوريا بالقوة حتى لايثير عامة الشعب ضد فرنسا ، ولكن القائد العام لدول الحلفاء رفض ذلك الطلب خوفاً من حدوث مالا تحمد عقباه (٣) .

وامام هذه الأحداث المتتالية اتضح للسوريين حقيقة الإتجاه الاستعماري الذي تخطط له دول الحلفاء ، فزادت الهجمات العربية على الجنود الفرنسيين في الأجزاء الشمالية والغربية من سوريا ، وبدأ المجاهدون ينظمون في الخفاء ويحثون الرأي العام السوري على القتال ، ومطالبة بعض البلدان العربية بتوحيد الصفوف ضد الدول الحليفة التي خضعت العرب وخططت على تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ استعمارية لاستنزاف خيراتها .

---

(١) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافه السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ص١٤ ؛ جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٧٣ .

(*) ياسين الهاشمي : كان عضواً في جمعية العهد ثم الفتاة ، هرب من الجيش التركي والتحق بالبريطانيين ، وأصبح رئيس ديوان الشورى الحربي ، الذي كان يعادل منصب أركان حرب واعتقله البريطانيون بحجة أنه كان يقوم بالاستعدادات العسكرية ضد الفرنسيين .

(٢) العاصمة : عدد ٧٣ ، ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٩م .

(٣) خيرية القاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٤٣ .

ولقد جاءت هذه التحركات العربية في المناطق السورية ، في الوقت الذي كان فيه فيصل في لندن ، والتي غادرها على وجه السرعة إلى باريس ، فوصلها في الخامس والعشرين من محرم عام ١٣٣٨هـ/العشرين من أكتوبر ١٩١٩م (١) . وحال وصوله عقد اجتماع مع كليمنصو وسلمه مذكرة احتجاج من والده الشريف حسين والأهالي في سوريا ، وحث فيصل الحكومة الفرنسية على تكوين لجنة عليا لدراسة طريقة الانسحاب من سوريا ، وتشكيل إدارة محلية مؤقتة في سوريا تتكفل بوحدة البلاد وتؤمن التنسيق الإداري بين المناطق المحتلة ، وتحفظ حقوق السوريين . ولكنه تأكد بعد تسليمه المذكرة وكثرة المجاملات والحفلات التمثيلية التي تقام لهمن أن الفرنسيين مصرون على التمسك ببنود اتفاقية سايكس - بيكون السالفة الذكر ، والتي تقضي بفرض الهيمنة الكاملة على بلاد الشام بين بريطانيا وفرنسا (٢) .

ولقد استغلت الحكومة الفرنسية وجود فيصل في باريس منشغلاً بالاجتماعات مع مسئولي حكومتها ، فعينت الجنرال غورو وهو من كبار قادتها مندوباً سامياً لها في سوريا وقائداً عاماً للجيش الفرنسي في الشرق . وقد صرح قبل سفره بأن مهمته هي ابدال الجنود البريطانيين بالفرنسيين في تلك البلاد إلى أن يقرر مؤتمر السلام مصير هذه البلاد .

ولما رأى فيصل نفسه وحيداً في باريس ، بعدما أحس بتخلي البريطانيين والأمريكان عنه ، وعلم باستعداد الفرنسيين على إحتلال الأقضية الأربعة (بعلبك ، البقاع ، راشيا وحاصبيا) بعد انسحاب البريطانيين منها ، وعدم تأكده من حقيقة استعداد الشعب في سوريا للقتال ضد فرنسا ، فاضطر إلى انتهاج سياسة اللين ورفع برقية لوالده في الحجاز يخبره بذلك (٣). ورأى ضرورة الاتفاق المباشر مع فرنسا في محاولة منه لإيجاد تفاهم معها حول حل الأزمة بالطرق السلمية لأن القوة لاتفيد معها . وفي الوقت نفسه ، أراد أن يتخذ بعض الإجراءات العسكرية الدفاعية في سوريا ، ولكنه لم يستطع أن يقوم بذلك العمل إلاَّ بعد مشاورة والده وأخذ الموافقة منه ،

---

(١) زهير الشلق : من أوراق االانتداب ، ص ٧٤ .

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٦ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٢ .

فأرسل برقية عاجلة إلى والده الحسين في مكة يخبره بهذه الخطة التي ينوي تطبيقها ، كما رفع برقية مماثلة إلى أخيه زيد في دمشق يطلب منه مقاومة تقدم القوات الفرنسية نحو المنطقة الشرقية من سوريا (١) . ثم طلب من الحكومة البريطانية أن تساعده بالتوسط لدى الحكومة الفرنسية لإقناعها بعدم احتلال هذه المناطق ، وبالفعل جاملته بريطانيا فأرسلت إلى قائد القوات البريطانية في مصر الذي استطاع إقناع الجنرال غورو (Gouraud) قائد القوات الفرنسية في لبنان بتأجيل الاحتلال لبضعة أيام ريثما تصل إلى (غورو) تعليمات جديدة من حكومته (٢) .

وفي اليوم الثاني من ربيع الأول لعام ١٣٣٨هـ/الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١٩م استطاع فيصل التفاهم مع فرنسا حول مشكلة الأقضية الأربعة بعد موافقة والده له ، حيث تم الاتفاق بينهما على أن تنسحب القوات العربية من الأقضية الأربعة المذكورة وألاّ تحتلها القوات الفرنسية ، وأن يتولى أمرها رجال الأمن العرب للمحافظة على النظام والامن فيها (٣) ، وترسل بعثة تفتيشية تتألف من ستة ضباط ، منهم : ثلاثة من العرب وثلاثة من الفرنسيين لمراقبة قيام السوريين بمسؤولياتهم (٤) .

وقد وافق فيصل على هذا الاتفاق رغم أنه مخالف لتعليمات والده الحسين في الحجاز والمشاعر العربية ، ولكنه يبدو أنه كان متاكداً من أنه لا سبيل له لمقاومة فرنسا بالقوة ، وأنه لابد من إجراء أي تفاهم معها ، خاصة وأنه كان يعتقد أن هذه إجراءات مؤقتة ، وفي رأينا أنه وقع تحت وعود كاذبة وأماني ضائعة ، مما جعل الأهالي في بلاد الشام يضجرون من هذا التصرف غير الحكيم ، ويعلنون ثورتهم ضد من يحاول

---

(١) Khourg, Philips. op. cit, p.86 ;
حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٨٣ .

(٢) بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م ، ص ١١٦ .

(٣) Hourani, H.A: op. cit, p.53 .

(٤) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٨٣ .

العبث بمقدراتهم ومصير بلادهم . فلقد استمر هذا الوضع حتى النصف الأول من شهر صفر عام ١٣٣٨هـ /الاسبوع الأول من نوفمبر ١٩١٩م ، حيث حل محله وضع جديد بين العرب والفرنسيين إذ اعتقد السوريون أن ذلك مقدمة لتسليم المنطقة للقوات الفرنسية ، وبدأوا يعبرون عن استيائهم الشديد بالقيام بأعمال عدائية ، فتلقوا نبأ اجتماع فيصل وكليمنصو بالإنكار والاحتجاجات التي تحولت بعد ذلك إلى مظاهرات عمّت أغلب المناطق السورية ، وقد اتهم زعماء الحركة العربية فيصلاً بأنه يتعامل مع فرنسا ضدهم(١) ، وأخذت الألسن في سوريا تردد : أنه لما فشلت مساعي فيصل مع البريطانيين بدأ يتقرب من الفرنسيين ، ولربما يكون ذلك بإيعاز من بريطانيا ووالده الشريف حسين الذي تنازل عن قضيتهم ، وقد بلغته هذه الأنباء وهو في باريس يجري بعض الاجتماعات مع المسئولين الفرنسيين مما جعله يبرق لنائبه اخيه زيد في دمشق ، يطلب منه التنديد بالاشاعات وبالمرددين لهذه الأقاويل الكاذبة (٢) .

وأمام هذه الاشاعات دعى المؤتمر السوري الى عقد اجتماع طارئ وقرر الحضور تقديم لائحة لزيد في دمشق تتضمن الاسراع في اعلان استقلال سوريا بأجمعها مع ملكية فيصل وتزليف حكومة نيابية وتنظيم القانون الأساسي ، ولما كان زيد لايقدر على إجراء ما طلب منه دون أخذ رأي أخيه وأبيه الشريف حسين فقد أمر بتأجيل جلسات المؤتمر لوقت آخر .

أما فرنسا فإنها استغلت الشائعات التي عمّت المدن السورية ضد فيصل ، وبدأت تعمل على إثارة الفتن بين المواطنين في سوريا لتضع لنفسها مبررات لاحتلالها ، وذلك عن طريق توزيع الأموال كرشوة على مؤيديها من المسيحيين في بيروت وبعض المدن السورية الساحلية (٣) ، وهذا مما دفع اتباعها في المنطقة السورية الغربية إلى الاشتراك مع الجنود الفرنسيين في مهاجمة بعض المواقع السورية في المنطقة الشرقية ، وإثارة النعرات الدينية المغرضة للعرب (٤). مما زاد الوضع اكثر تعقيداً للقضية العربية

---

(١) Hurewits: Diplomacy in the Near and Middle East, New York, 1956, p.127 .

(٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٧٥ .

(٣) القبلة ، عدد ٣٣١ ، ١٣/١١/١٩١٩م .

(٤) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٧ .

فقامت السلطات البريطانية في سوريا باعتقال ياسين الهاشمي في السابع عشر من شهر صفر ١٣٣٨هـ/الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٩م بأمر من اللنبي (Allenby) الذي اصر على اعتقاله في هذه المرة ، بحجة أنه كان يبث دعاية عدائية ضد الفرنسيين ، ويباشر الاستعدادات العسكرية لمقاومة احتلال الفرنسيين للمنطقة السورية التي انسحبت منها بريطانيا بايعاز من الحسين في الحجاز ، فزاد هذا التصرف من عداء العرب للفرنسيين والبريطانيين معاً ، وجعلت إمكانية التفاهم بين الشريف حسين وفيصل مع فرنسا اصعب مما قبل . وإزاء هذه المواقف الفرنسية في سوريا قامت عدة انتفاضات وطنية مسلحة في منطقة صيدا والحولة ومرجعيون ، والمعلقة وبعلبك والنصيرة وجبل عامل ، وقررت الحكومة العربية السورية ، فرض التجنيد الإجباري على جميع المواطنين القادرين على حمل السلاح من سن العشرين إلى سن الأربعين سنه (١) .

كما عملت الحكومة العربية على تدعيم المدرسة العسكرية لتخريج الضباط للدفاع عن البلاد المعرضة للاحتلال الأجنبي ، وفي هذه الأثناء كان فيصل لايزال في باريس يتفاوض مع المسئولين الفرنسيين للوصول إلى اتفاق نهائي معهم حول سوريا ، وقد قطعت المفاوضات شوطاً كبيراً .

ويبدو أن كليمنصو بذل جهداً كبيراً لتحديد نطاق المطالب الفرنسية ، وكان يعتقد بأنه تساهل تساهلاً معقولاً في مفاوضاته مع فيصل ، وقدم إليه تنازلات لايمكن لإي فرنسي آخر أن يقدمها دون أن يخون قضية بلاده وأمانيها التقليدية . لكن هذا الاعتقاد لم يكن صحيحاً ، فكيف يحق له ولغيره من الفرنسيين أن يتحكموا في مصير شعب كامل هو الشعب السوري إنه مجرد خداع الدول الاستعمارية .

وفي الرابع والعشرين من صفر عام ١٣٣٨هـ/السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٩م ، أرسل فيصل برقية أخرى عاجلة لأخيه زيد في سوريا يبلغه فيها بأنه على وشك الاتفاق مع الفرنسين على انسحاب الجيوش العربية من البقاع وعلى أن تقوم هيئة عليا مؤلفة من فرنسيين وعرب بأعمال الشرطة والدرك الموجودة حالياً

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٨٢ .

بالبقاع وعليه أن يبلغ والده بهذه الخطة ، ولكن البرقية تأخرّ تسليمها لزيد ، مما سبب اصطداماً عسكرياً في البقاع بين الفرنسيين والعرب [١] ، فأضطر زيد إلى إرسال نوري السعيد إلى بيروت لإقناع الجنرال غورو (gouraud) بعدم احتلال الأقضية السورية الأربعة ، وهي : (صابيا وراشيا والبقاع وبعلبك) والتي ابدت فرنسا موافقتها لفيصل الانسحاب منها ، وأن يقتنع [٢] ، الجنرال غورو الاكتفاء باحتلال رياق فقط .

وخلال زيارة نوري السعيد لبيروت حدث اصطدام مسلح بين الفرنسيين والأمير محمود الفاعود أمير عرب الفضل في منطقة الجولان ، وبعض المناطق الأخرى التي تحت السيادة الفرنسية ، كما قام حسني البرازي الذي كان موجوداً في ذلك الوقت في باريس بإرسال برقية للشريف حسين لإطلاعه على حقيقة ما يجري في باريس مع نجله فيصل ، فتأثر بما سمعه خاصة من الضغوط الفرنسية في باريس على ابنه ، فغضب على تصرفات ابنه وماعقده من اجتماعات مع الفرنسيين دون علمه ، وتأكد من أن بريطانيا ضللته بوعود كاذبة طيلة الحرب مع العثمانيين . فطلب من القيادات السورية اعلان الثورة ضد فرنسا ، فلبى دعوته (كامل القصاب) الذي خطب في اجتماع أمام حشد كبير عقد في دار البارودي في حي القنوات ، حيث طالب الحضور بالاستقلال التام عن الاستعمار ثم نادى بالجهاد ضد الدول الاستعمارية ، ولم يخرج الحاضرون من الدار حتى تم التوقيع على ميثاق أي تنازل لفيصل مع كليمنصو في باريس .

وكتب بعد ذلك الشريف زيد في دمشق لشقيقه فيصل في باريس يخبره بما قام به والده الشريف حسين في سوريا من تحريض الأهالي في المناطق السورية على الثورة ضد القوات الفرنسية وتلبية دعوته ، فرد عليه فيصل بأن لا يقوم بأي تغيير جوهري في الحكم قبل أن يثبت مصير البلاد .

وفي الثامن من ربيع الأول عام ١٣٣٨هـ/الأول من ديسمبر ١٩١٩م ألقى الشريف زيدٌ بياناً عاماً أمام عدد كبير من السوريين ، دعا فيه إلى الإبقاء على التشكيلات الحاضرة للحكم مع إمكانية إجراء بعض التعديل في الأمور الفرعية من أجل الحفاظ

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٧٤ .

على ما بقي من البلاد . وبعد هذا البيان بتسعة أيام قدم الركابي استقالته للشريف زيد بعد أن تعذر عليه الأخذ برأيه ، وعين زيد عبدالحميد باشا القلطقجي مكانه ، وأجريت بعد ذلك عدة تعيينات ، منها : تعيين الفريق يوسف العظمة لوزارة الحربية ، ولكن بالرغم من تلك التعديلات وخاصة في مركز الجيش فإنه تعذر تزويد الجيش بالسلاح الثقيل .

وهذا مما زاد الأمور اكثر تعقيداً عما قبل ، فاتهمت دول الحلفاء الشريف حسين في الحجاز وبعض القيادات السورية بتورطهم في تشجيع المواطنين السوريين بالمظاهرات والاحتجاجات ضد المفاوضات التي جرت بين الشريف فيصل وكليمنصو ، لأجل وضع خطة معه تساعدهما على الاستيلاء على المناطق السورية التي تحت السياده العربية والتابعة لحكومة الحجاز ، كما أن الشريف حسين لم يكن راضياً عن كل الاتفاقيات التي تحاول دول الحلفاء عقدها مع ابنه فيصل ، لأنه أحس بالخطأ الفادح الذي وقع فيه مع الحكومة البريطانية التي ضللته بالاتفاقيات والوعود الكاذبة له .

جـ - الموقف السياسي للحجاز من الإحتلال الفرنسي لسوريا عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م

لقد انتهت المفاوضات بين ممثل الحجاز والحلفاء في مؤتمر الصلح في باريس دون إيجاد أي حل مرض بشأن سوريا . ولقد وجد فيصل في هذا المؤتمر موقفاً متخاذلاً من جانب بريطانيا لصالح حليفتها فرنسا ، التي سيطرت أثناء غيابه على مناطق كثيرة من سوريا ، وأحس بإصرار فرنسا على فرض سيادتها على البلاد بالقوة ، وكانت آخر الجهود المبذولة للتفاهم مع الفرنسيين هي محادثاته الأخيرة مع كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي في باريس في الرابع عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٨هـ/السادس من يناير ١٩٢٠م (١) ، والتي أنتهت بعقد اتفاق مبدئي عرف باسم اتفاق فيصل - كليمنصو(٢) ، ويحتوي على ثمانية بنود ، وهي :

١- تتعهد فرنسا بان تعترف بدولة سوريا ضمن حدود سيعترف بها مؤتمر الصلح ، كما تقدم الحكومة الفرنسية المعونة بكل اشكالها إلى الأمه السورية ، وتضمن استقلالهم ضد أي اعتداء . وفي تعيين هذه الحدود ستبذل الحكومة الفرنسية جهدها لنيل جميع التعديلات الحقة من الوجهة الجنسية واللغوية والجغرافية .

٢- يتعهد فيصل بأن يطلب من حكومة فرنسا المستشارين والفنيين ، والموظفين لتنظيم الإدارة الملكية والعسكرية ، وهؤلاء المستشارون الأخصائيون سيأخذون تفويضهم من الحكومة السورية ، ويعترف فيصل للحكومة الفرنسية بحق الأوليه التامة في تنفيذ المشروعات ونيل القروض المحلية ، كما تتعهد الحكومة الفرنسية مع فيصل على تطبيق نظام دستوري في سورية يضمن حقوق الاهالي السياسية .

٣- يعترف فيصل باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية .

٤- يتعهد فيصل بأن يسهل بالمشاركة مع فرنسا تنظيماً واستقلالاً ذاتياً لدروز حوران داخل نطاق الدولة السورية ، وتكون هذه المناطق مجهزة بأوسع مختاريه تلتحم مع وحدة الدولة السورية .

٥- تقدم سوريا كل معونة لفرنسا بكل قدرتها وفي كل المناسبات .

٦- ستكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الإدارت والمدارس على أن تعلم اللغة الفرنسية كلغة إضافية إجبارية .

٧- ستكون دمشق عاصمة سورية ، ومحل إقامة رئيس الدولة ويختار المفوض السامي

---

(١) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ١٣٣-١٣٤ ؛ أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص١٥٥ - ١٥٧ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق١٩١٨-١٩٢٠م ،ص ١٤٠ .

(٢) انظر الوثيقة منشورة في كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، ص ١٣٧-١٣٩ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج٣ ، ص ١٧٧-١٧٩ .

له مقراً عادياً ليكون على مقربة من كيليكيا وهي منطقة الحدود ، وتعد النقطة الطبيعية لجيوش الدفاع المجتمعة ، وإذا احتاج الامر إلى دعوة الجيوش للتدخل فلا يكون ذلك إلاّ بطلب رئيس الدولة السورية وبالاتفاق مع المفوض السامي .

٨ -يكون للشريف فيصل مندوب سام في باريس تحت إمرته ، وممثل في لندن وآخر في روما ، وثالث في وشنطن ضمن السفارات الفرنسية في هذه العواصم ، أما في البلاد الأخرى فستكون المصالح السورية تحت رعاية الممثلين الدبلوماسيين والقناصل الفرنسيين .

واختتم المشروع بحاشية تنص على أن هذا الاتفاق سيظل سراً بين الجانبين إلى أن يتم توقيع الاتفاق النهائي المفصل عند عودة فيصل إلى فرنسا ويقدم في الوقت المناسب إلى مؤتمر السلم إذا أعيد عقده مرة أخرى (١) .

ثم أوضح فيصل لوزير خارجية فرنسا (كوسيه دروسيه) حقيقة الوضع السياسي المتدهور في سوريا ، ورغبة السكان في الحصول على الاستقلال ، رغم الاتفاقية التي عقدت بينهما والذي يجب على الشريف حسين الاعتراف بها وإلاّ لفشلت الموافقة على هذه الاتفاقية . لأن موقف الحكومة الحجازية معارض تماماً لهذه الاتفاقية . وأشارالطرفان بأن يتم التعاون بينهما على أساس المصالح المشتركة والصداقة والاحترام المبتادل . وطلب كليمنصو من فيصل أن يضغط على والده الشريف حسين ليغير من سياسته المتشددة تجاه فرنسا في سوريا والأعتراف منه بالاتفاقية التي تم أبرامها معها .

وقبل أن ينهي فيصل زيارته الثانية لباريس وصلته الأنباء بأن الجنرال الفرنسي غورو (Gouraud) أخذ يستفز أعضاء الحكومة العربية في دمشق ، والسكان في سوريا بالتحركات العسكرية المشبوهة ، واحدثت هذه بعض الاحتجاجات والاستنكارات والتي أدت إلى ظهور المظاهرات من جديد في معظم المدن السورية تطالب بالجهاد ، كما أخذت الصحف السورية تندد بالممارسات الفرنسية ضد السكان ، ووصل الخبر إلى الشريف حسين في الحجاز الذي رفع برقية احتجاج ضد بريطانيا ، واستغلت فرنسا ذلك الموقف المتوتر ، فأدخلت قوة كبيرة مكونة من ثلاثة آلاف جندي إلى بعلبك ، وأحتلت ثلاث قرى تابعة لحمص (٢).

---

(١) زيادة لتفاصيل انظر حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ١٣٣-١٣٦ ؛ وكذلك انظر محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحدث ، ص ٥٨٨ .

(٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص١٨٦ ؛ محمد علي الغتيت : الغرب والشرق من الحروب الصليبية ، ص ٣٢٠ .

وعندما سمعت الحكومة الفرنسية بالاضطرابات التي اجتاحت المدن السورية أصدرت تعليماتها لقائدها الجنرال غورو بعدم إثارة شعور الاهالي وحتى تنتهي من مباحثاتها مع فيصل ، لتصل إلى الغاية التي ترجوها ، وفي الوقت نفسه ، أرسل زيد بن حسين برقية عاجلة لفيصل في باريس ، يطلب منه العودة على وجه السرعة لسوريا لتهدئة الحالة السياسية المتوترة ، ولذلك قرر فيصل العودة إلى سوريه حال استلامه للبرقية ، حاملاً معه نسخة من وثيقة الاتفاق الذي أبرمه مع الحكومة الفرنسية لإحتواء الاضطرابات التي طرأت في سوريا ، وكان فيصل في قرارة نفسه يميل شخصياً إلى قبولها بصورة نهائية ، وهذا العمل مخالف لتعليمات والده والأهالي السوريين (١) .

ومن حسن الحظ ، وصل الدكتور ثابت نعمان طبيب الشريف حسين إلى باريس قبل أن يغادرها فيصل إلى سوريا ، ومعه أمر تحريري من الشريف حسين يحذره فيه من مغبة توقيع أي اتفاق يتنافى مع العهود المعطاة له من الحكومة البريطانية قبل دخوله في الحرب ضد الدولة العثمانية . وهذه العهود صريحة تنص بأن يكون العرب مستقلين استقلالاً تاماً وتشمل المنطقة التي يتباحث فيصل بشأنها مع الحكومة الفرنسية في باريس (٢).

وعندما علم الشريف حسين بالاتفاقية التي عقدها ابنه فيصل مع كليمنصو في باريس غضب وأعلن معارضته الشديدة لمثل هذه الاتفاقية ، وطلب منه أن يخبر الحكومة الفرنسية بأن الحكومة الحجازية لا تعترف إلاّ بالمساعدات التي تقدمها للشعب السوري ، ولكنها الآن في غنى عنها ، مادام أن هذه المساعدات سوف تضع سوريا تحت رحمة وسيطرة الفرنسين (٣). وهذا يدل دلالة واضحة على سوء تصرف فيصل بن الحسين ويعود ذلك إلى ضعف حنكته السياسية ، لأن الاتفاقية التي أبرمها مع فرنسا وضعت سوريا وأهلها تحت الاستعمار الفرنسي .

ولقد تسربت هذه التصريحات إلى المواطنين السوريين عن طريق المؤيدين للحكومة الحجازية قبل وصول فيصل من باريس ، ووجدت ترحيباً كبيراً لدى معظم السوريين ، حيث رفع من حماسهم في المناطق السورية الشمالية والداخلية والجنوبية ، وصرحوا بأنهم لا يقبلون إلاّ الأستقلال ، ويرفضون أي اتفاق مع أي دولة أجنبية لأنه يؤدي إلى الاستعمار ، مع ان بعض الشيوخ والزعماء في سوريا وافقوا فيصل على ضرورة الاتفاق مع فرنسا ليؤخر تقدم القوات الفرنسية ، لأنهم ادركوا انه ليس لهم قدرة على مقاومة تقدم القوات الفرنسية خاصة بعدما انسحبت بريطانيا عن بعض المناطق لها .

---

(١) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٤١ .

(٢) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٧٧ .

(٣) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ١٤٥ .

وعندما لاحظت بريطانيا تأزم الموقف السياسي حاولت التدخل لحل النزاع الذي بدأ يتفاقم بين الحكومة الحجازية والفرنسيين تجاه مصير سوريا ، فأرسلت خطاباً إلى الشريف حسين في الحجاز مليء بالخداع والتسويف كعادتها ، وتم تسليم الخطاب بواسطة معتمدها في جدة تفيده فيه بأنها تعمل على تأمين الاستقلال لحليفها الشريف حسين في كل البلدان العربية ، ولكن لم تحدد أي من البلدان العربية (١) . وتقترح عليه بأنه حالما يتم ترسيخ استقلال الحجاز من الناحية القانونية - فإنه سوف يتم فتح باب المفاوضات مع فرنسا بشأن الخلاف حول سوريا . ولكن الشريف حسين رد على بريطانيا برسالة مماثلة يخبرها بان المشكلة في سوريا وليس في الحجاز وبرفضه التام للتفاهم مع فرنسا حول مستقبل سوريا الذي اصبح الآن في يده .

كما طلب الحسين من بريطانيا سحب القوات الفرنسية التي حلت محل جنودها في المناطق السورية التي انسحبت منها ، ولكنها بدأت تماطله في تلبية مطالبه بالتسويف ، مما أدى إلى غضب الشريف حسين في الحجاز والسوريين الذين بدأوا ينظمون المظاهرات في الشوارع بدمشق احتجاجاً على موقف بريطانيا وفرنسا ووقوع فيصل بن الحسين لعبة في يدهما ، وذلك بعدما انكشفت الألاعيب الحقيقة الذي تسير عليها فرنسا وبريطانيا ضدهم في مفاوضاتها ومكاتباتها مع كل من الشريف حسين وابنه فيصل الذي كان مقيماً في ذلك الوقت في باريس .

وفي الوقت الذي بدأت فيه القوات العربية في سوريا تهاجم القوات الفرنسية في مراكزها احتجاجاً على تدخلها السافر في الشئون الداخلية ، أخذت بريطانيا تؤيد الموقف الفرنسي ، وقامت بإجلاء قواتها من كل المناطق العربية السورية لتحل محلها القوات الفرنسية بناءً على اتفاقية سايكس - بيكو السرية (٢) .

وعلى الرغم من الإجراءات الصارمة التي أتخذتها بريطانيا وفرنسا ضد المظاهرات في المدن السورية إلاّ أنها لم تستطع اخمادها . وعندما شعرت بريطانيا بخطورة الموقف على حليفتها فرنسا من المظاهرات أصدرت تعليماتها إلى اللنبي (Allenby) لزيارة الحجاز لتصفية جو العلاقات بين الحسين وفرنسا فاستقبله في جدة وأخبره بالموقف السياسي المتفاقم في سوريا وعن قلقه الشديد بالنسبة للوضع السائد فيها ، وطلب من الحسين أن يكف يده عن تدخله في أمور سوريا والعراق واليمن ويقصر عمله على مملكته في الحجاز ، لأن الوضع السياسي

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية " دراسة وثائقية ، ص ٢٥ .

(٢) محمد عبدالرحمن برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، ص ٢٤٣ .

المتدهور في سوريا سيعرض في مؤتمر الصلح ، فتحفّظ الشريف حسين على هذه الزيارة ، وأراد أن ينتهز فرصة زيارة كليمنصو (clemenceau) إلى الهند فوجه إليه دعوة لزيارة الحجاز وهو في طريقه لمناقشته بشأن سوريا ، فرفض كليمنصو تلبية الدعوة متعللاً بمشاغله التي تحتاج الى سرعة السفر وتمنعه من زيارته له . ولقد أثر ذلك على نفسية الشريف حسين وتيقن من موقف فرنسا العدائي تجاهه حينئذ . فأمر المسئولين بجريدة القبلة بأن يصدروا بيانات احتجاج ضد السياسة التي تنتهجها فرنسا في سوريا (١). وأرسلت نسخاً منها إلى القيادات السورية الثائرة في دمشق ، فأدى ذلك إلى زيادة المظاهرات في المناطق السورية بكاملها .

وفي هذه الأثناء ، نشرت جريدة (Temps) الفرنسية مقالاً أوضحت فيه بأنه قد تم التوصل إلى اتفاق بين فيصل والحكومة الفرنسية حول سوريا يتضمن موافقة الشريف فيصل على الانتداب الفرنسي على كل بلاد الشام مقابل موافقة فرنسا على إقامة دولة عربية ، تضم المدن السورية الأربع (دمشق وحمص وحماه وحلب) يديرها الشريف فيصل بمساعدة المستشارين والمفتشين الفرنسيين فانزعج بعض السوريين من ذلك الخبر المؤلم وأخذوا ينظمون العصابات لمقابلة الجنود الفرنسيين (٢) .

ومع هذا التطور المفاجئ أعلنت الجريدة نفسها شجبها الشديد لموقف الشريف حسين في الحجاز ، واتهمته بأنه يحاول توسيع سلطته على سوريا مستغلاً تأييد الأهالي له ومستندة على عبارات أطلقها فيصل مندوب حكومة الحجاز الذي حضر مؤتمر الصلح ، تدل على أن الحجاز وسوريا (حكومة واحدة) ، وبينت الجريدة بأن الذي يريد نشر السلام في الشرق العربي يجب عليه أن لا يسعى لمصالح شخصية ذاتية له ولابنائه في بلاد لا تعترف به ملكاً عليها معتمدة على تصريحات المسيحيين المؤيدين لسياستها الاستعمارية .

وقد أدت هذه التصريحات إلى زعزعة مركز فيصل بن حسين في بلاد الشام ، في الوقت الذي كان لايزال موجوداً في باريس يجري بعض المفاوضات مع المسئولين الفرنسيين حول سوريا ، فازدادت صيحات الاحتجاجات والسخط عليه من السكان (٣) .

ولذلك عجّل فيصل العودة إلى دمشق لمحاولة طمأنة السوريين بعدم صحة الإشاعات التي تثار ضده من بعض السوريين المسيحيين وهم قلة ، وليحصل على تأييد أعضاء المؤتمر السوري له

---

(١) Bremond, Edwi .: op. cit , p. 39 ;

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٩٢ .

(٣) احسان عسكر: نشأة الصحافة السورية عرض للقومية في طور النشأة من العهد العثماني حتي قيام الدولة العربية ، ص ٤٥٦ ؛ المنار : القاهرة ، الجزء السابع ، المجلد الثاني عشر ص ١٢ .

في المفاوضات التي أجراها مع الحكومة الفرنسية اثناء تواجده في باريس .

وهكذا وصل فيصل في الحادي والعشرين من ربيع الآخر ١٣٣٨هـ/الثالث عشر من يناير ١٩٢٠م إلى بيروت ، وهناك استقبله الجنرال دولا موط نيابة عن الجنرال غورو ونزل في دار الداعوق وأوضح لهم نتائج مباحثاته مع الحكومة الفرنسية والذي سيعرض نصوص اتفاقه على الشعب في دمشق ليأخذ رأيهم ثم يعود بعد ذلك الى أوربا ليكمل بقية مساعيه . وبعدما انهى فيصل اجتماعه في بيروت سافر إلى دمشق ، حيث وصل في اليوم التالي ، واستقبله جمع من المواطنين ، وقد أحس بعدم رضا المواطنين السوريين من نتائج مفاوضاته مع المسئولين الفرنسيين التي أستهدفت تجزئة سوريا إلى ثلاثة أقسام ، وهي : قسم تحت سيطرة القوات العربية ، وأخرى تحت سيطرة القوات البريطانية في فلسطين ، اما القوات الفرنسية في ساحل سوريا ومعظم الجهات الغربية والشمالية منها [١] .

كما أنه وجد أن الأوضاع السياسية متوترة بين السوريين والفرنسيين ، لأن القوات الفرنسية أخذت تضيق الخناق على السوريين ، وتحد من حرية تنقلهم أو الابداء بأرائهم في أي شكل من الاشكال [٢] . مما اضطرّ الأهالي إلى تكوين قوة عربية سرية على شكل خلايا عصابات داخل المناطق المحتلة تحارب القوات الفرنسية في بعض المدن السورية ، مثل : دمشق ، وحمص ، وحلب ، وحماه وغيرها من المناطق السورية الأخرى ، بطريقة لم تستطع السلطات الفرنسية والبريطانية كشفها والقضاء عليها .

فرأى فيصل أن يعمل على إزالة حالة التوترالتي تسود المدن السورية ، فأقام حفلة كبيرة في دمشق حضرها عدد كبير من السوريين وألقى فيهم خطبة ، أوضح لهم فيها بأنه متمسك بالاستقلال التام وبدون حماية أو وصاية من أي دولة اجنبية والمطالبة بالدفاع عن الاستقلال بكل غال أو رخيص ، وأنه عازم على تشكيل حكومة عربية قوية في سوريا برئاسته وتابعة لحكومة الحجاز .

وفي الوقت نفسه ، أحس الشريف حسين بخطأه الفادح عندما صدق الوعود البريطانية ومعرفة خطأه ، ارسل رسالة إلى ابنه فيصل في دمشق يحذره فيها من مغبة منح أي تنازلات سواء للبريطانيين أو الفرنسيين أو تنفيذ أي اتفاق يتم بينه وبين المسئولين الفرنسيين في سوريا إلا بموافقته لأن الاتفاق الذي عقد بينهما في باريس يعتبر تنازلاً عن الحقوق العربية في سوريا وهو باطلٌ ومرفوض من جانبه ، وحذره من مغبة إتساع النقمة الشعبية ضده والتي سوف تتحول في المستقبل إلى ثورة

---

(١) احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٨ .

(١) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ، ص ٢٦ .

واسعة تعم جميع البلاد العربيـة في بلاد الشام والعراق ويصعب القضاء عليها مستقبلاً (١) ، وأوضح له بأن بوادر هذه النقمة قد بدأت بالفعل هجماتها على معاقل الجنود الفرنسيين في مراكز معسكراتها في المنطقة الشمالية والساحلية ، تشجعهم في ذلك البيانات والرسائل المطولة التي تنشرها الصحف السورية ، إضافة إلى ما ينشر في جريدة القبلة الحجازية في مكة المكرمة ، التي أخذت هي الأخرى تنشر بعض المقالات الحماسية المطولة والمثيرة ، التي تهاجم النفوذ الفرنسي في سوريا واطماعها الاستعمارية ، وتحث السكان بالهجوم على القوات الفرنسية في كل المناطق السورية (٢).

وهـذا مما زاد مـن حـرج فـيصل الـذي كـان يـحـمـل مـعـه اتفاقـه الذي أبرمـه مع الفرنسيين ، ويحاول الحصول على موافقة الشعب السوري عليه ، وفي الوقت نفسه ، وجد أن والده والشعب السوري بكامله غير راضين عن هذا الاتفاق الذي يعطي فرنسا فرصة السيطرة على سوريا ، لكنه كان يوهم نفسه بأن مـا حدث خارج عن إرادته ، وأن يثبت لفرنسا بأن رفض الاتفاق يعود إلى رغبة الشعب السوري وليس هو شخصياً (٢) ، وهذه دلالة أخرى على عدم سلامة منهجه السياسي الذي أوقع الأمة العربية والإسلامية في موقف صعب وجعلها لقمة سائغة للمستعمرين ، وهذا يدل على ضعف سياسته في معالجة مثل هذه الامور .

وحاول فيصل أن يقنع زعماء المناطق السورية الذين كانوا ينادون بالاستقلال التام أن يلتزموا بالهدوء والسكينه ، وطلب من والده في الحجاز أن يساعده بسياسته وحنكته في ايقاف المظاهرات السورية التي عمت المدن السورية بالطرق الدبلوماسية حتى لا تخرج هذه الاضطرابات من يدهم ، في الوقت الذي كان الشريف حسين متخوفاً من أن تخرج سوريا من يده ، ويفقد استقلالها ووحدتها مع الحجاز .

وفي الوقت الذي كانت فيه سوريا تعاني من المجاعة بسبب ويلات الحرب والحصار المفروض عليها من جانب فرنسا ، قامت بريطانيا بمنع الشريف حسين في الحجاز أن يرسل أي دعم مالي إلى ابنه فيصل في سوريا خشية أن تصل هذه الأموال إلى يد المتظاهرين من رجال القبائل ، وبعض

---

(١) إسماعيل ياغي وآخرون : تاريخ العالم الأسلامي الحديث والمعاصر ، ج١ ، ص ٧٧ ؛ محمد الخير عبدالقادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافه العثمانية ، ص ١٠٥ .

(٢) جريدة العاصمة ، العدد ١٠٨ ، ١٤ يناير ١٩٢٠ م .

(٣) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٥٩٢ .

القيادات السورية المناهضة ضد العدوان الفرنسي ، فتستخدم هذه الأموال ضد حليفتها فرنسا [١] ، في الوقت الذي اخذت القوات الفرنسية تمارس أقصى وسائل القمع ضد الثورات الوطنية في المناطق السورية ، وخاصة في المواقع الأستراتيجية منها ، فأدى ذلك إلى قيام القيادات السورية بتوجيه نداءات إلى الشريف حسين مطالبة إياه بالاستقلال والمساعدة في إبعاد الخطر الاستعماري عن بلادهم ، فوجدت استجابة كبيرة على الصعيدين الرسمي والشعبي في الحجاز ، فخرجت المظاهرات في جدة ومكة المكرمة ، تعبر عن غضبها الشديد من الاستعمار وتنادي الحكومة الحجازية بالتدخل السريع لإنقاذ إخوانهم السوريين من ربقة الاحتلال الفرنسي .

أما فيصل ، فإنه حاول أن يظهر تعاطفه مع السوريين وحثهم على التعاون والتعاطف والتكاتف لتحقيق الاستقلال عن الدولة الأجنبية ، وذلك عن طريق التفاهم مع الفرنسيين بالاعتراف باستقلال المناطق الداخلية من سوريا تحت رئاسته في ظل تاج مملكة عربية تابعة للحكومة الحجازية نظير ترك السواحل السورية للفرنسيين ، رغم معارضة والده الشريف حسين وبعض القيادات السورية لذلك الاعتراف والذي ربما تستغله فرنسا لبسط سيادتها على سوريا ، وقد عللً فيصل لوالده وللاهالي بان هذه التنازلات مقابل أن يستعين بالفرنسيين في الخبرة الفنية والاقتصادية ، ولكن السوريين رفضوا هذه المطالب تماماً [٢] .

وعندما رأى فيصل معارضة المواطنين السوريين له وعدم تأييد والده لأي اتفاق يبرمه مع الفرنسيين وخوفاً من تفاقم النقمة الشعبية عليه وعلى والده ، فإنه أعلن رفضه القاطع لكل الاتفاقيات التي عقدها مع الحكومه البريطانية والفرنسية ، وذلك إرضاءً لوالده بعدما أدرك أن والده أرتكب خطأً كبيراً في حق السوريين منذ بداية الثورة ، وأن هذه الأخطاء لا يمكن أن تغفر له إلا إذا اعترفت بريطانيا وفرنسا باستقلال سوريا بكاملها [٣] .

كما قام الشريف حسين في الحجاز بدور إيجابي لضمان حرية استقلال سوريا وعودة

---

(١) عبدالكريم رافق : من تاريخ سوريا الحديث والعلاقات السورية التركية ١٩١٨-١٩٢٦م ، (مجلة الدراسات التاريخية ، العدد التاسع والعشرون ، نيسان - تموز ١٩٨٥م ، جامعة دمشق) ، ص ٦٥ .

(٢) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٣٤ ؛
أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٥٣ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص١١٦ .

(٣) طالب وهيم : مملكة الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥م) . ص ٢٣٣ .

الحقوق المشروعة لأهلها ، فشجع رجال الحركات الوطنية ضد القوات الفرنسية ، كما حث الصحافة على نشر مساوىء الاستعمار واعطاءها الحرية التامة لنشر الأراء والمعاهدات .[(١)]

وأضف إلى ذلك فإن الحكومة الحجازية سعت إلى دعم الثورة الشعبية في سوريا بالمال والسلاح بقدر ما تسمح به الظروف سراً حتى لا تكشفها السلطات الفرنسية والبريطانية في المدن السورية المحتلة ، فعمّت المظاهرات العارمة في جميع الأقاليم السورية منددة بالاحتلال الفرنسي .

وهذا مما جعل فرنسا تطلب من بريطانيا التدخل السريع لإيقاف زحف المظاهرات الاهلية عن بعض المناطق السورية التي تحت سيطرتها ، فحاول اللنبي (Allenby) ايقاف المساعدات التي تدخل إلى سوريا عن طريق شرق الاردن مهما كان نوعها ، والتي كانت ترسل من الحجاز إلى رجال الحركات في المناطق السورية الغاضبة ، واشترطت السلطات البريطانية على الشريف حسين أن يغير من سياسته تجاه سوريا وألا يرسل أي دعم مالي أو عسكري يكون له تاثير على فرنسا في سوريا .

وعندما شعر المواطنون السوريون بالانحياز البريطاني الواضح لفرنسا ، قاموا بمعارضة كل محاولة تقوم بها بريطانيا في سبيل تهدئة الثورات ، وفي الوقت نفسه أرسلوا برقية عاجلة إلى الشريف حسين يطالبونه فيها التوسط لإيقاف التدخل البريطاني في شؤونهم الداخلية [(٢)] .

وعندما رأت بريطانيا ، اتساع المظاهرات والاحتجاجات في دمشق ، دعت الشريف حسين لزيارة لندن ، لكي يقلده جورج بيكو (George-Picot) الوسام الذي قرر البريطانيون منحه له أيام الحرب ، وكان اللنبي يرى أن دعوة كهذه يمكن من خلالها محاولة إقناع الشريف حسين بأن يصادق على اتفاقية فيصل- كليمنصو[(٣)] ، التي قوبلت بالرفض القاطع من جانب الأهالي في المناطق السورية والحسين في الحجاز ، والتي ادت إلى زيادة المظاهرات في المدن السورية بقيادة

---

(١) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافه السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ، ص١٩ .

(٢) عبدالكريم رافق : من تاريخ سورية الحديث ، والعلاقات السورية التركية ١٩١٨ - ١٩٢٦م ، (مجلة الدراسات التاريخية ، العدد التاسع عشر والعشرون ، نيسان - تموز ، ١٩٨٥م ، جامعة دمشق) ، ص ٦٨ .

(٣) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءه وثائقية) في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٨١ - ٨٢ ؛ سليمان موسى : صفحات مطوية ، ص ٢٨ .

القيادات السياسية العربية في سورية ، وبمساندة من الحكومة الحجازية [(١)].

وعلى كل حال ، فإن الشريف حسين قد ارتكب أخطأ كبير ويتجلى خطاؤه في اعتماده على ظواهر الأقوال من وعود البريطانيين ، وتمريناتهم المرنة وتفسيرها وتأويلها لنفسه حسبما كان يعالج ضميره من آمال [(٢)] ، كما وقع في أخطاء أخرى ، وهو قبوله باستثناء سوريه الغربية ، وحذفها من سائر البلاد العربية بدعوى أن أكثرية سكانها من المسيحيين ، بينما هذا لاينطبق إلاّ على جبل لبنان وحده . أما ألوية الاسكندرونه واللاذقية وطرابلس والبقاع وبعلبك فهي تؤلف الجبهة الغربية ، وهي مسلمة بأكثريتها الساحقة ، ولكن الحسين وقع في فخ البريطانيين الذين كانوا يعملون على حصر مطالب الشريف حسين في المدن الأربع الداخلية فقط ، وهي : (دمشق ، وحمص وحماه وحلب) دون أن يكون لها أي منفذ على البحر [(٣)]، فلم يتنبه الحسين لمكائد السياسة البريطانية ووعودها الكاذبة إلاّ بعدما وقع الفأس على الرأس كما يقول المثل .

وقبيل إنعقاد المؤتمر السوري في دمشق حاولت بريطانيا عن طريق مندوبيها في سوريا والحجاز إقناع الحسين وولداه علي وعبدالله في شرق الأردن بالموافقة على انتداب فرنسا على سوريا . ولكن الشريف حسين أصرَّ على موقفه القاضي بمبدأ المطالبة باستقلال سوريا كاملاً من الاستعمار ، وبذلك نرى أن الزيارات التي قام بها المندوبون البريطانيون في سوريا لم تنجح في إقناع الحسين للعدول عن موقفه السياسي المتشدد تجاه سوريا [(٤)] . وكان هدف الشريف حسين من تعنده تجاه التفاهم مع الحكومة البريطانية يعود إلى رغبته في تصحيح الخطأ الذي وقع فيه ، كما أن الحالة السياسية كانت مضطربة في كل الأقاليم السورية ، فمنهم من كان يشجع فيصلاً ويقيم له الخطب والأفراح ، ومنهم من قاطع الاجتماع معه ، وعارض الدور الذي قام

---

(١) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٣٥ .

(٢) وجيه كوثراني : الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٣٠٣ ؛ عبدالعزيز العظمة ؛ مرآت الشام (تاريخ دمشق واهلها) ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ،ص ١٣ .

(٤) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٥٨ .

به فيصل في باريس (١) . وقد تسببت هذه الخلافات إلى نشوب صدامات دامية بين جنود الاحتلال والمواطنين السوريين ، في الوقت الذي كانت فيه السلطات الفرنسية تمارس أعنف أنواع أساليب القمع والبطش ضد الأهالي لتفريق الانتفاضات المسلحة ، التي اتخذت شكل عصابات هنا وهناك في المدن السورية ضد تحركات القوات الفرنسية ، فاستولى المتظاهرون على بعض المواقع الأستراتيجية في سوريا واقاموا فيها المتاريس لإيقاف تقدم القوات الفرنسية ، وقد لقيت هذه التحركات العربية السورية تشجيعاً من الشريف حسين في الحجاز ، وابنه عبدالله الذي كان معسكراً بقوات كبيرة في ذلك الوقت على اطراف منطقة شرق الأردن .

ولقد شنت هذه العصابات المسلحة غاراتها على مراكز القوى المسلحة الفرنسية ، وأحرقت بيوت جميع المسيحيين المؤيدين للسلطات الفرنسية ، وفي الوقت نفسه ، وعد فيصل بن حسين الجنرال الفرنسي غورو (Gouraud) بأنه لن يقوم بأي عمل معاد للفرنسيين في سوريا ، على الرغم من الدور الذي قام به والده الحسين في تأييده للثورات والمظاهرات التي توسعت في المناطق السورية ضد الفرنسيين (٢) ، وتشجيعه للأهالي على إقامة لجنة تهدف إلى تطبيق نظام التجنيد العسكري الاجباري على لشبان والرجال القادرين على حمل السلاح ، لتقوية الجيش النظامي لمقاومة تقدم الفرنسيين ، والقيام بهجمات معاكسة شرسه على المعسكرات الفرنسية في كل المواقع التي توجد فيها .

وفي هذه الأثناء ، عقد المؤتمر السوري الدورة الأولى لبحث الوسائل التي تساعد على استقلال سوريا ، ومن خلال هذا المؤتمر طالب رئيسه هاشم الأتاسي - وهو من كبار رجال مدينة حمص - بالاستقلال الكامل لبلاد الشام ضمن حدوده الطبيعية بما فيها فلسطين ، وتقرير مصير الشعب السوري بناء على مباديء ولسون (Wilson) ، بانسحاب كافة القوى الأجنبية (٣) ، إضافة إلى مناشدتهم للحكومة الحجازية بالتدخل السريع لمحاربة القوى الاستعمارية ، التي أخذت تتوسع وتفرض سيطرتها على معظم المدن السورية بالقوة .

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٦٣ .

(٢) F.O. 371/6455, (E3362/117180) , Beirut, 1920 .

(٣) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٦٥ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص١٨٨ ؛ . Khoury , Philips. : op. cit, p.86

ولذلك طلب الشريف حسين من ابنه عبدالله في منطقة شرق الأردن أن يرفع رسالة احتجاج نيابة عنه ويرفض فيها كل الاجراءات الاحتلالية التي قامت بها بريطانيا وفرنسا في سوريا وطلب مساعدة أخيه فيصل والمواطنين السوريين بناءً على طلبهم ، والذين بدأوا بطور الجهاد للدفاع عن وطنهم ، في الوقت الذي طلبت فيه القوى السورية الحكومة الفرنسية بأن تسحب قواتها جزئياً من البقاع ، والتي أصبحت مسرحاً للاصطدامات العنيفة بينهم (١) ، وإيقاف الاغراءات المالية والشائعات التي تستعملها الحكومة الفرنسية في سوريا لحمل الاهالي على الأعتراف بها (٢) .

وبعدما عجزت فرنسا عن إيقاف الحركات والمظاهرات العربية السورية ، تقدمت بشكوى احتجاج إلى حليفتها بريطانيا ، تطلب منها التدخل السريع لإيقاف القوى العربية السورية التي تجد مساندة كبيرة من الحكومة الحجازية وابنه عبدالله في شرق الأردن ، ولابد من وضع حد لمثل هذا الدعم ، فطلبت بريطانيا من الحسين إيقاف الدعم المالي الذي يقدمه الحجازيون ، والذي ظهرت آثاره على تحريك روح الجهاد الوطني في سوريا بعد فشل محادثات فيصل في كل من لندن وباريس ، وعاد إلى دمشق وعقد المؤتمر السوري اجتماعه الأول ، لمعالجة الأوضاع السياسية المتدهورة في سوريا . كما طلبت بريطانيا من الشريف حسين وانجاله عدم التدخل في الشؤون الداخلية في سوريا ، فرد على هذا الاحتجاج ، بقوله : (إن مصلحة السكان السوريين - تتطلب تحقيق وحدتهم وتنظيم كيانهم السياسي والإداري باللجوء إلى النصائح والمعونة لا بالاستعمار والهيمنة المسلحة ، ولذلك فإنه من واجب الحكومة البريطانية أن تنفذ ما وعدت به لنا) (٣) .

أما فيما يخص السوريين ، فإنهم أعلنوا رفضهم القاطع لكل الوعود البراقة من الفرنسيين ، أو عقد أي اتفاق معهم ، ولذلك عقد أكثرهم العزم على الاستقلال

---

(١) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٤٣م ، (بيروت دار النهضه العربي ، ١٤٠٥هـ/١٩٧٩م) ، ص ٨٥ ؛
Khoury, Philips. : op, cit, p. 87 .

(٢) محمد أديب تقي الدين : كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ، (بيروت ، منشورات دار الافاق الجديده ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ج٣ ،ص ١٢٣.

(٣) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

عن الفرنسيين ، وتأكيد حقوق السكان الناطقين باللغه العربية ، والقاطنين في الأراضي السورية من سائر الأديان (١) .

وأثناء ذلك ، حاول فيصل أن يحصل على تفويض من القادة السوريين ليدافع عن سياسته إزاء محادثاته مع فرنسا ، حيث قال أمام حشد من القيادات السورية والعلماء في دمشق : (إني اناضل من اجل الاستقلال الذي ترغبونه ... ولكن من الواجب علينا عدم التشدد في العداء للفرنسيين ، لأنه بينكم وبينهم روابط اقتصادية لايمكن أن تتجردوا منها ...) (٢) ، وطلب من المقربين منه من السوريين ضرورة تقديم بعض التنازلات لفرنسا ، ووعدهم بأنه يرفض أي مشروع تقدمه فرنسا يؤدي إلى التشدد على السكان . وأمرهم بالتحلي بالصبر والواقعية من أجل استقلال سوريا ، وذكرهم بموقف الشريف حسين المتشدد ضد الأطماع الفرنسية . ولم يعط أي صلاحيات أو تنازلات من المواطنين لإجراء المفاوضات مع الحكومتين البريطانية والفرنسية حول سوريا ، ويظهر أن فيصل ندم على تنازله السابق في باريس لفرنسا ببعض الحقوق في سوريا والتي ربما تستغلها فرنسا لصالحها ، وشعر أنه لم يكن له حق التنازل عن ذلك ، ووجد أن تعليمات والده له كانت محدودة وصريحة وأنه تسرع في اتفاقه مع الفرنسيين مع أن السوريين لم يقبلوا على تقسيم بلادهم (٣) .

وبذلك فإن فيصلاً ، حاول أن يصلح خطأه مع الشعب السوري ومع والده الحسين في الحجاز ، الذي يعتبر نفسه نائباً عنه في سوريا ، وأخذ يعمل جاهداً على تصفية جو العلاقات العربية الفرنسية المتدهورة ، فأرسل إلى الحكومة الفرنسية رسالة يطلب منها تعديل بعض بنود مشروع كليمنصو (Clemenceau) (٤) ، وطلب كذلك من الجنرال الفرنسي غورو (Gouraud) أن يساعده على تحقيق الاستقرار الذي يرضي السوريين والشريف حسين ، ولا يتم ذلك إلا إذا تم العفو العام عن جميع المتظاهرين العرب ، الذين تم اعتقالهم بواسطة الجيش الفرنسي ، وفي حالة إطلاق سراحهم ، سيكسب ثقة المواطنين به .

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١١٩ .

(٢) حسان حلاق : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣م ، ص ٨٨ .

(٣) جلال يحيى وآخرون : العرب في التاريخ الحديث . ص ٣٩٤ .

(٤) Khoury, Philips. : op. cit, p.80 .

كما طلب من الجنرال الفرنسي بأن يأمر جنوده بالتزام الهدوء ، وعدم القيام بأية أعمال عسكرية أخرى استتفزازية تثير غضب المواطنين وتؤدي إلى إثارة الفتن والخلافات بينهم ، ولكنه لم يقطع له وعداً بذلك ، ومن جهة اخرى طلب من والده في الحجاز أن يقتنع بخطورة الوضع السياسي المتدهور في سوريا ، وما يمكن أن يترتب عن رفضه لمشروع الاتفاق مع كليمنصو (Clemenceau) الذي اعتبره الشريف حسين خدعة للعهود والمواثيق التي وعدته بها بريطانيا ، وأخبره بأن هذا هو أقصى ما يمكن الحصول عليه من الحكومة الفرنسية ، وأن رفضه لهذا الاتفاق معناه إعلان فرنسا الحرب على السوريين (١) ، ويتبين من هذه التصريحات ان فيصل لم يستقر على رأي واحد ، بل انه بين المؤيد والمعارض لها .

ومن المحاولات التي قام بها فيصل في سوريا ليرضي والده في الحجاز ، أنه كتب له رسالة مطولة ، عرض له فيها وجهة نظره من ناحية السياسة البريطانية في سوريا ، لأنه كان يرى أن العرب لا يستطيعون مواجهة بريطانيا وفرنسا معاً بالقوة ، وأنه لابد من المرونة والحكمة ، وإظهار الصداقة لبريطانيا حتى يمكن الحصول على أكبر فائدة ممكنة (٢) . وقد مضى فيصل في تحليله الشخصي للوضع السياسي المتفاقم في سوريا إلى القول بأنه من الأجدى للقضية العربية ، أن يقدم الشريف حسين في الحجاز بعض التنازلات حتى لا يؤدي ذلك إلى قيام صدامات حربية بين السوريين والفرنسيين في المدن السورية ، والمستفيدة منه فرنسا لأن ما حدث من تفاقم كان مرده تشدد الشريف حسين تجاه التحركات الفرنسية والبريطانية في بلاد الشام . فأن ذلك أدى إلى بعض المواجهات الدامية بين المتظاهرين ودول الحلفاء وخاصة فرنسا ، وشمل ذلك كل المقاطعات السورية ، وقد ختم فيصل رسالته بأن ذلك اضطرَّه إلى تشكيل حكومة وطنية قوية تمثل جميع القيادات العربية في المناطق السورية (٣) . ثم ألقى فيصل بعد ذلك خطاباً في النادي العربي بدمشق ذكر فيه أنه سلَّم الحكم لأيادي امينة قادرة على تسيير دفة الحكم وإخراج البلاد إلى بر الأمان من الأيدي الاستعمارية . وأكد للأهالي في كافة المناطق السورية بانه لا يرضى إلاَّ بالاستقلال التام لجميع البلاد العربية المنشودة حتى يكون لها كيان سياسي تحت سيادة والده الشريف حسين ، الذي قاتل قتال الأبطال - على حسب قوله -

---

(١) حكمت فريحات : السياسه الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص ٢٤٠.

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية " دراسة وثائقية " ، ص ٢٩ .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٧١ .

شهد له معظم القادة العرب السياسيين والعسكريين إلى جانب دول الحلفاء [١].

كما أوضح في خطابه رفض الحسين الكامل لكل المزاعم الفرنسية التي تدعيها في الأراضي السورية ، ويؤيد ذلك الغالبية العظمى من المسلمين وبعض المسيحيين [٢]. وهذا يدل على تناقض سياسة فيصل في أقواله وأفعاله كما اشرنا آنفاً ، فهو يعقد الاتفاقيات السرية مع فرنسا ، مثل إتفاقه الأخير مع كليمنصو ثم يكتب لوالده يطلب منه ترك بريطانيا وفرنسا تفعل ما تريد ويقدم التنازلات لدول الحلفاء ثم يطلب منه بعد ذلك تهدئة الوضع المتدهور في سوريا ولا يريد إلاّ الاستقلال . وفي الوقت نفسه ، يخدع السوريين بتصريحاته المعسولة بقوله أنه لا يرضى إلاّ بالاستقلال التام لكل البلاد العربية وهذه التصرفات غير حكيمة .

وبعد إلقاء الخطاب أستشار فيصل أحد الزعماء السوريين وهو رضا باشا الركابي المعروف باعتداله في المؤتمر لأخذ أراء المواطنين حول إعلان الحكومة الجديدة ، وإعلان استقلال القسم الغربي من البلاد من السيطرة الأجنبية ، لكن رضا باشا الركابي طلب التريث لأن ظروف عمله لاتسمح بذلك ، لأنه حاكم عسكري وكان كثير الاتصال بضباط القسم السياسي البريطاني ولم يكن هؤلاء من محبذي هذا العمل ، إلا أن الركابي عندما علم بأن فرنسا لاتمانع في ذلك أيد الفكرة التي كان من نتائجها تسميته رئيساً لوزراء سوريا المستقلة [٣].

وكانت مشاعر الناس متمثلة كلها بحماس وإيمانٍ منهم بأحقية استقلالهم بعد وقوف الشريف حسين والعرب مع الحلفاء إبان الحرب العالمية الأولى موقفاً كله إخلاص [٤].

كما اظهر فيصل تحمسه الشديد لفكرة عقد المؤتمر السوري من الأعضاء السابقين ، على أساس إزالة حالة التوتر التي تسود البلاد ، ولذلك طلب الحصول على تفويض محدد من أعضاء المؤتمر الذين أوفدوه سابقاً إلى باريس في زيارته الأخيرة ليسافر إلى باريس حتى يستكمل مشاوراته مع الحكومة الفرنسية .

---

(١) نجيب الأرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، (ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٧٣م) ؛ زين نور الدين زين : الصراع الدولي على الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ، ص١٣٧ .

(٢) Tibawi, A. : op. cit, p.81 .

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٧٧ .

(٤) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاة الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٨ ؛ محمد ضياء الدين الريس : تباشير النهضة في العالم الإسلامي ، ص ٢١٣ .

وفي الخامس عشر من جمادي الآخر عام ١٣٣٨هـ/السادس من مارس عام ١٩٢٠م ، عقد المؤتمر السوري جلسته الثانية ، وكان يضم ثلثي الأعضاء من القيادات السورية العربية في مناطقها الثلاثة ، الداخلية والساحلية والجنوبية (فلسطين) ، وحضره فيصل وأركان حكومته ، وانتهى المؤتمر بقرار إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، وأن يكون فيصل بن الحسين ملكاً عليها ، يخضع للحكومة الحجازية إسمياً (١) .

أستمر اجتماع المؤتمر إلى السادس عشر من جمادي الآخر عام ١٣٣٨هـ/الثامن من مارس عام ١٩٢٠م ، والذي ادار جلساته هاشم الأتاسي ، وفي صباح اليوم التالي أعلن في دار بلدية دمشق بيعة فيصل ملكاً دستوياً على سوريا ، وأعطيت له زعامة غير محدودة يتلقى عرشه من شعبه ، ورفع علم سوريه الجديد على المراكز الحكومية ، الذي أصبح الآن علم الأردن فيما بعد ، ونادى باستقلال البلاد السورية استقلالاً تاماً بحدوده الطبيعية على أساس الحكم المدني النيابي ، وحفظ حقوق الأقلية المسيحية ، ورفض مزاعم الصهيونية وكون لجنة ثانية لصياغة الدستور على قاعدة الحكم الملكي الشورى والموافقة على الجهاد السياسي ، ولم ترق دم شهدائها الاحرار وتثير حكومة الاتراك إلا طلباً للإستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات وجود مستقل تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الأخرى التي تزيد عنها مدنية ورقياً (٢) . ثم انصرف أعضاء المؤتمر السوري بعد إعلان الاستقلال والبيعة ، وفي اليوم التالي تم مناقشة مشروع القانون الأساسي الذي أعد من قبل لجنة الدستور ومراجعة الأسس التي أعلنها المؤتمر في قراراته السابقة ، وهي أنه حكم ملكي شورى يأخذ بنظام المجلسين (النواب والشيوخ) ، وينظم طريقة الحكم على قاعدة الاستقلال الإداري (٣) .

وكان القانون الأساسي للمملكة السورية الذي وضعه المؤتمر السوري العام يتكون من ثمانية عشر فصلاً (٤) . كل فصل يتكون من مجموعة قوانين أساسية ، ولا يمكن

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ١٩٢ ؛ خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٦٥ .

(٢) نجيب الأرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، ص٨ ؛ خالد العظم : مذكرات خالد العظم ، ج١ ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٣) ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءات وثائقية) في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٩٦ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٣٢ .

(٤) انظر تفاصيلها منشورة عن هذا القانون في ، حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ١٥١ - ١٥٤ ؛ كذلك أنظر ، ذوقان قرقوط : المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (قراءات وثائقية) في تاريخ سوريا المعاصر ، ص ٩٧ - ١١٢ .

تحديدها نهائياً بسبب ما كان يطرأ عليها من حذف وإضافة (١) .

وبعد ما تم تشكيل الحكومة ووضع قوانينها الأساسية التي باتت تحت التنفيذ ، أعلن الشريف فيصل لأعضاء وزارته الجديدة رغبته باتباع سياسة الإعتدال مع فرنسا وبريطانيا للوصول إلى الغاية التي تهدف إليها البلاد وهو الاستقلال . ومع تشكيل هذه الحكومة لم يعد فيصل المسؤول الأول عن سياستها ، بل أصبح ذلك منوطاً بوزارة مسؤولة أمام المؤتمر الوطني السوري ، وجاء إعلان هذه الحكومة وسياستها المبنية على الاعتدال مع المستعمر ، في الوقت الذي أصبح فيه الساحل السوري واللبناني تحت احتلال القوات الفرنسية ، كما تخضع فلسطين (سورية الجنوبية) للاحتلال البريطاني (٢) .

ونظراً لسياسة فيصل الضعيفة التي يريد أن تسير عليها حكومته مع الدول الاستعمارية ، فان الوزارة الجديدة المكونة من السوريين المعتدلين تسير على مسالمة كل من فرنسا وبريطانيا ، وحرصت على إحلال الهدوء في البلاد ، متوخية من وراء ذلك عدم مقاومة السلطات المحتلة في المناطق السورية التي تحتلها ، والمطالبة من تلك الدول بالاعتراف بتبعية تلك المناطق للحكومة السورية الجديدة . ولذلك أبرق المؤتمرون بدمشق إلى حكومتي لندن وباريس راجين الاعتراف بما تم الإعلان عنه لصالح المواطنين السوريين .

وفي الحادي والعشرين من جمادى الآخر ١٣٣٨هـ/الثاني عشر من مارس ١٩٢٠م ، أرسلت مذكرة إيضاحية إلى دول الحلفاء تبلغهم بقرار المؤتمر السوري ، وإعلان الاستقلال التام لسوريا . وأكدت الحكومة السورية الجديدة عزمها على إقامة الصلة والروابط الودية ، التي تضمن المصالح المتبادلة بين السوريين والحلفاء ، وسلك الشريف فيصل بن الحسين مسلك حكومته ، فأرسل رسالة خاصة إلى الرئيس ويلسون (Wilson) ، ذكر له فيها كفاح والده الشريف حسين أثناء الحرب لنصرة السوريين ، ومبادئهم المتضمنه المطالبة بحقهم في تقرير مصيرهم ، وتمتعهم بالاستقلال من أي ضغوط خارجية (٣) . ثم أشار له بعد ذلك الى تقسيم سوريا عقب الهدنة الى اربع

---

(١) نجيب الأرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، ص٨ ؛ العاصمة : عدد ١١٣ في ٢٩ مارس ١٩٢٠م .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٩٤ ؛ . Hourani, A.: op . cit, p. 53

(٣) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٩٥ .

مناطق إدارية وفقاً لمعاهدة سرية لانعلم عن حقيقتها شيئاً فحنق الشعب عندما رأى ما آلت إليه حالة بلاده .

ولقد قابل السوريون قرارات المؤتمر بالحماسة الوطنية التي عمّت جميع المناطق السوريا ، على الرغم من معارضة من بعض الفئات السياسية في سوريا ولبنان وهي قلة ، ومنهم المسيحيون المؤيدون للدول الاستعمارية . كما أدت قرارات المؤتمر إلى استياء شديد في كل من بريطانيا وفرنسا ، حيث رفضتا كل العروض التي تقدمت بها الوزارة السورية الجديدة (٢) ، حيث ظنت بريطانيا أن فلسطين وقعت تحت تصرف الحكومة العربية السورية الجديدة . أما فرنسا فقد اتجهت إلى تعميق بذور الشقاق بين سكان سوريا ولبنان كوسيلة لتمزيق شمل السوريين لتعزيز مصالحها ومركزها (٣) .

لقد تكتم الشريف حسين على قرارات المؤتمر السوري ، حينما وصلت الأنباء إليه ، ولم يوافق على نشرها إلاّ في الحادي والعشرين من جمادى الآخر ١٣٣٨هـ/الثاني عشر من مارس ١٩٢٠م (٤) ، حيث نشرت جريدة القبلة أنباء المؤتمر ، ولكنها لم تنشر شيئاً عن أخبار تعيين الشريف عبدالله ملكاً على العراق .

وفي الوقت نفسه ، عاد فؤاد الخطيب وزير خارجية الشريف حسين إلى الحجاز ، بعد أن قام بترتيب الأمور في دمشق ، وابلغ الشريف حسين بتفاصيل قرارات المؤتمر وبخطاب فيصل الى الرئيس الامريكي ولسن ، ورأى كل من فؤاد الخطيب وعبدالله أنه ينبغي على الشريف حسين أن يوافق على دفع القضية العربية إلى الأمام ولا يتردد بشأنها ، وكان الشريف حسين في بداية الأمر متردد من تأييده لقرارات المؤتمر السوري ، ولكنه وافق عليها بعد ذلك تحت ضغوط داخلية . وكان تردده نابعاً من أنه كان يرى أن تأييده له ربما يعني إغضاب الحكومة البريطانية ، كما قد يؤدي إلى قطع المعونة المادية عنه وهو في امس الحاجة لها ، في الوقت الذي كان

---

(١) نجلاء عزالدين : العالم العربي ، ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون ، ص ٢٠٩ .

(٢) خيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠م ، ص ١٦٤ ؛ محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة ، (القاهره ، خط ، ١٩٦٤م) ، ص ١٤٩ .

(٣) Khadduri, Constitutional Derelopment in Syria, Middle East Journal, Vol.5, 1951,p.137 ;
نجلاء عزالدين : العالم العربي ، ترجمة محمد عوض ابراهيم (وآخرون) ، ص ٢٠٩

العداء متفاقم بين الحسين في الحجاز والسلطان عبدالعزيز آل سعود في نجد (١) ، لكن المسؤولين الفرنسيين في الحجاز أبلغوا الشريف حسين بأن موافقته على قرارات مؤتمر دمشق الأخير يعرّض مصالحها في سوريا للخطر .

ولقد حاولت الحكومة البريطانية تخفيف وطأة هذه القرارات على فيصل ، فألحت عليه باستعدادها للاعتراف به مبدئياً كرئيس لدولة سوريا المستقله بحدودها الطبيعية ، بشرط ألا يتدخل في الشؤون الداخليه لسوريا وألا يبطيء في المجيء إلى أوروبا للمرة الثالثة لطرح المسألة من جديد (٢) ، ورغم تمسك فرنسا بفكرة الانتداب وإصرارها على تنفيده بالقوة وبأسرع وقت ممكن ، فأوعزت فرنسا إلى بعض الصحف المأجورة والصحفيين المسيحيين الذين يؤيدونها في سوريا ولبنان بمهاجمة أعضاء المؤتمر السوري وسبّ الشريف حسين ونجله فيصل ، ومنع ذكر إسم فيصل في خطب الجمعة حتى تتمكن من ترتيب أمورها العسكرية وتطبيق نظام الانتداب بالقوة على سوريا . ولكن الزعامات السياسية السورية تنبهت لذلك المخطط الخبيث ، ونشرت عدة بيانات في المناطق السورية والحجاز ضد المؤامرة الفرنسية ، وأعتبر السوريون التهديدات الفرنسية ضربة قاصمة أصابت أمانيهم الوطينة ، فأعلنت الجماهير السورية احتجاجها ، وطالبت الحكومة الحجازية والسورية باتخاذ إجراءات عاجلة لحماية استقلال البلاد السورية من التعديات الاستعمارية المستمرة (٣) .

ولقد أبلغ الشريف حسين زعماء المؤتمر السوري بأن الحكومة الفرنسية والبريطانية تخططان لتقسيم البلاد العربية إلى مناطق حتى يسهل السيطرة عليها بسهولة ، في الوقت الذي أخذت فيه القوات الفرنسية استعدادها لتكمل سيطرتها على جميع الأراضي السورية تحت قيادة الجنرال الفرنسي غورو (Gouraud) ، واستلام مواقع إدارتها المدنية والعسكرية لتصريف الأمور في جميع المناطق السورية ، وذلك من السلطات البريطانية والتي قامت بدورها بتسليم

---

(١) العاصمة : العدد ١١٣ في ٢٩ مارس ١٩٢٠م ؛
Baker, Rondall : op. cit, p.171 .

(١) فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٦٦ ؛ زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٢) العاصمة : عدد ١٤٠ ، ١٤ يوليه ١٩٢٠ م . جاسم محمد حسن العدول (وآخرون) : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٤٦ .

ما بقي من المناطق التي تحت سلطتها للقوات الفرنسية ، كما عارضت إعلان الاستقلال بحجة أن إعلانه يخرج فيصل من كونه أحد قادة الحلفاء إلى محتل لبلاد كانت تابعة للعثمانيين ، وقد سبق لفيصل ووالده أن عقدا الصلح مع دول الحلفاء ، وحاربا معها في أحلك الظروف في الحرب العالمية الأولى ، وأن أي اختيار لفيصل ملكاً على بلاد الشام يعتبر خروجاً عن رغبة والده الشريف حسين في الحجاز ، والذي يعتبر بلاد الشام بكاملها جزء من دولته الكبرى التي ينادي بها قبل إعلان ثورته على العثمانيين ، كما أن قيام أي دولة او تكوين حكومة في سوريا لابد أن يسبقه موافقة رسمية من الحكومتين البريطانية والفرنسية وإلاّ اعتبرت هذه الدولة لا وجود لها . وهكذا تحلل بريطانيا لنفسها ما تحرمه على غيرها . ولكن هذا ليس من المستغرب على دولة استعمارية تبني سياستها على الكذب والخداع .

ولقد أدى الموقف البريطاني المعادي للعرب إلى قيام بعض المظاهرات في كل المناطق السورية ، فأستغل الجنرال الفرنسي غورو (Gouraud) هذه المظاهرات التي قامت ضد الوجود الفرنسي في سوريا ، وذلك أثناء تنصيب فيصل ملكاً على سوريا . فأرسل رسالة باسم الحكومة الفرنسية إلى فيصل يوضح له فيها موقف حكومته من إجراءات إعلان تنصيبه ملكاً على سوريا ، ويطلب منه إيقاف كل المظاهرات والاجراءات حتى تسود السكينة والهدوء في ارجاء سوريا حتى تحل الازمة بينهم بالسلم ، كما أعلن معارضة حكومته لأي تدخل من جانب الشريف حسين ويحمله المسئولية الكاملة في كل ماحدث في سوريا ، لأن الاضطرابات لم تظهر عندما دخلت القوات الفرنسية إلى المواقع التي كانت تحت القيادة البريطانية ، وإنما بدأت الاضطرابات تزداد من الحين إلى الآخر بسبب يد خفية على حدّ قول القائد الفرنسي ، ويقصد من ذلك التدخل الحجازي ، وما كان هذا إلاّ عذراً من أعذار الفرنسيين ليبرروا عن موقفهم من تدخلهم السافر في الشئون الداخلية لسوريا (١) .

وعلل القائد الفرنسي وجود مثل هذه الإضطرابات بأنها سوف تكون سبباً يؤثر على رقي سوريا ونظامها السياسي والإداري والاقتصادي الذي سوف تقوم فرنسا بتحسينه ،

---

(١) فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٦٧ ؛ سير بدربولارد : بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى ١٩٥٢م ، ترجمة حسن أحمد السليمان ، (بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٦م) ، ص ١٠٨ .

كما أوضح كذلك بخطورة الموقف المتوتر على الجنود الفرنسيين في المنطقة العربية ، وحمّل الشريف حسين في الحجاز وفيصل في دمشق المسئولية التامة حول تردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية في المنطقة ، فدمشق تحمل كل التبعية إزاء أهالي سوريا في ظل الاحتلال الفرنسي لها ، ويجب على الحكومة الحجازية تغيير موقفها من سوريا [١] . وكل هذه المبررات الفرنسية الواهية ما هي إلاّ حلقة من عملية واسعة لمؤامرة تستهدف الدول الاستعمارية من ورائها بسط هيمنتها على البلاد العربية عن طريق الخداع .

ولقد أدى هذا الموقف المتشدد من فرنسا إلى قيام البدو في جنوب سوريا ، وشمالها بهجوم مفاجيء على مؤخرة القوات الفرنسية رغم التهديدات الفرنسية التي تعلل تحركاتها بسبب رفض حكومة دمشق السماح لها باستعمال سكة حديد رياق - حلب ، وكل هذه مبررات واهية تحاول الحكومة الفرنسية استغلالها للسيطرة على سكة الحديد ، لأن استخدامها للسكة الحديدية سوف يساعدها على إعاشة الفرق العسكرية المتمركزة في الأجزاء الشمالية من سوريا حتى تتمكن من مواصلة قتالها ضد السوريين ، وتدعي فرنسا بأن هذه الفرق العسكرية تقاتل قوات معادية للسوريين تابعة للحكومة الحجازية ، وأن دول الحلفاء تدافع عن حكومة سوريا الجديدة [٢] .

ولقد بلغ الأمر ذروته في سوريا ، عندما شعر السكان بسوء نوايا الحكومة الفرنسية ، ومادعيه من حقوق قديمة في سوريا ، مما أدى إلى زيادة العداء وإعلان الحرب ضد الفرنسيين ، فزاد الوضع السياسي تعقيداً واستياءً من جانب دول الحلفاء [٣] ، بعد ما رأى قادة الحركات الوطنية السورية تنظم فرقها العسكرية تنظيماً دقيقاً ، وتتوسع في الأقاليم وتضم إلى صفوفها الكثير من المواطنين معظمهم من الشباب للوقوف ضد مطامع فرنسا في سوريا التي تعمل على تمزيقها ، ووضعها تحت رقابة فرنسا زاعمة من أن لها حقوقاً قديمة وصريحة خولتها إياها الدول المتحالفة في معاهدة الصلح في باريس [٤] .

---

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٥١ .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٣) أدم آل جندي : تاريخ الثورات الفرنسية في عهد الانتداب الفرنسي ، ص ١٥٩ .

(٤) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢١١ .

ولكن إصرار المواطنين السوريين على المقاومة والذي يجد دعماً مادياً من حكومة الحجاز ، ساعد على زيادة استمرار مقاومة الحركات الوطنية ضد فرنسا في الأراضي السورية (١) .

واستنتج فيصل وأعضاء حكومته من الويد جورج ان بريطانيا ناقمة على الاحداث في سوريا ، لأن قرار المؤتمر لم يقتصر على حصر الوحدة السورية في المنطقتين الشرقية والغربية ، بل تجاوزها الى دمج فلسطين وشرق الاردن اللتين تعتبرهما بريطانيا داخلتين في منطقة نفوذها بموجب اتفاقها الاخير مع فرنسا ، وزاد من نقمتها مشاركة مجاهدي العراق في الاحداث السورية واعلانهم في نفس الوقت باستقلال العراق على أن يقوم في الوقت المناسب اتحاد بينه وبين سوريا .

وبعدما وصلت الأمور إلى الحد الذي لا يمكن السكوت عليه ، أرسل فيصل رسالة إلى والده في مكة المكرمة ، يصف له الوضع السياسي المتدهور . وفي الوقت نفسه ، رأى أن يرسل نوري السعيد إلى لندن وباريس ، وكان نوري السعيد قائداً عسكرياً اشترك في الحرب مع القوات الحجازية والحلفاء وله لباقة سياسية في المفاوضات ، وقد زوده فيصل بكتابين الأول إلى اللورد كرزون (Lord Curzon) والثاني لميليران (Milliran) مبرراً لهما الخطة التي سار عليها في سوريا ساعياً من وراء ذلك إلى إقناعهما بأن سوريا والعراق لا ترغب إلاّ في استمرار الصداقة ومبادلتها لتأمين المصالح التي كانت تربطها مع الحلفاء إبان الحرب فوافق مجلس الوزراء البريطاني على رأي فيصل ونوري السعيد (٢) .

ونتيجة لتأزم الموقف بسبب الاستفزازات الفرنسية وعلى ضوء المطالب السورية والعربية ، رأت دول الحلفاء أنه لابد من اتخاذ اي خطوة سريعة لمواجهة ماتضمنه قرار المؤتمر السوري من ادخال فلسطين في الوحدة السورية وبحث استقلال العراق ولعدم تلبية فيصل لدعوتها إلى اوربا لتقتنص منه ماتريد من اعترافات وضمانات ، ولم تنال منه فرنسا هدفها من قبول اتفاق فيصل - كليمنصو فأتفقت الحليفتان على عقد اجتماع دون حضور مندوب الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الشيوعية في سان

(١) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٨٧ .

(٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢١٥ ؛
Tibawi, A. : op. cit , p. 318 .

ريمو بايطاليا (San Remo)(١) مابين التاسع عشر والسادس والعشرين من أبريل ١٩٢٠م ، وحضر الاجتماع رئيسا الوزارتين البريطانية والفرنسية لويد جورج وميليران (٢) ، وكان نوري السعيد من بين الحاضرين في سان ريمو (San Remo) ، ولكنه لم يسمح له بحضور اجتماعات المؤتمر بل ظل في الفندق يراقب نتائج الاجتماعات ، وذلك حتى لا يقال إنه كان مندوباً للحكومة الحجازية أو لفيصل دور في المؤتمر (٣) .

وكان الهدف الرئيسي من عقد مؤتمر سان ريمو (San Remo) (*) هو وضع مشروع معاهدة للصلح مع تركيا ومواجهة الأمر الواقع الوارد في قرار المؤتمر السوري بأمر واقع أشد منه ، وهو تقسيم البلاد العربية فيما بينها ، وبعد ست جلسات للمؤتمر تم الاتفاق على وضع معاهدة عرفت بمعاهدة سيفر (Sevres) ، وكانت المادة (٩٤) من بنود المعاهدة تنص على موافقة كل من بريطانيا وفرنسا على أن تكون سوريا والعراق مناطق انتداب يعترف بهما مؤقتاً لدولة مستقلة ، على أن تقوم دولة منتدبة بتقديم المشورة في الإدارة إلى أن يحين الوقت الذي تستطيع فيه كل منهما أن تقف بمفردها (٤) . كما تضع الدولة المنتدبه على سوريا ولبنان نظاماً قضائياً يصون حقوق المواطنين والاجانب على السواء ، كما يعهد إلى الدولة المنتدبه بالسيطرة على جميع علاقات سوريا الخارجية وهذا اضافة آلى مراقبة البعثات الدينية في سوريا ولبنان من اجل المحافظة على الامن والنظام وان تحافظ الدولة المنتدبة على سوريا على كل الاتفاقيات الدولية ومنع الاتجار بالسلاح والمعدات الحربية الاخرى .

---

(١) حضر المؤتمر : فرنسا وبريطانيا وإيطاليا ، وممثل من اليابان ، بينما لم تحضر الولايات المتحدة لأن الرئيس ولسون (Wilson) كان قد أصيب بشلل جزئي في خريف سنة ١٩٢٠م ، ونشب خلاف بينه وبين مجلس الشيوخ الأمريكي الذي رفض توقيع معاهدة الصلح مع المانيا في معاهدة فرساي في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٩م ، لهذا انسحب من المجلس الأعلى .

(٢) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٤٢ .

(٣) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٦٠٢ .

(*) حضر المؤتمر : فرنسا وبريطانيا وايطاليا ، وممثل عن اليابان بينما لم تحضر الولايات المتحدة لأن الرئيس ولسون قد اصيب بشلل ونشب خلاف بينه وبين مجلس الشيوخ الامريكي الذي رفض توقيع على معاهدة الصلح مع المانيا في فرساي ، ولهذا لم يشترك في المؤتمر ، انظر حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٤٢ .

(٤) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٣٣ .

وعلى أية حال ، فلقد جاءت قرارات مؤتمر سان ريمو بايطاليا ملائمة مع رغبة كل من فرنسا وبريطانيا ، ثم أعلن بعد ذلك في المؤتمر تقسيم سوريا إلى ثلاثة أجزاء ، هي : سوريا ولبنان وفلسطين ، ووضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، بينما وضعت العراق وفلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطاني (١) .

ولقد جاءت هذه القرارات ضربة ضد رغبة الشريف حسين ونجله فيصل و الشعب السوري والاجماع العربي والإسلامي ، ومخالفة للتوصيات التي قدمتها اللجنة العربية للجنة التحقيق الدولية سابقاً (٢) ، فقد تم اتخاذ هذه القرارات دون علم الأمة العربية بها ، إذ لم توجه أي دعوة للزعامات العربية في دمشق والعراق وغيرها من البلدان العربية لحضور هذا المؤتمر ، الذي تم فيه رسم الحدود الجديدة السياسية لمناطق الانتداب لكل من فرنسا وبريطانيا (٣) . ومن المعروف أن المصالح الاستعمارية للدول الكبرى - وخاصة فرنسا وبريطانيا - كانت وراء جميع هذه القرارات التي اتخذت ضد رغبة الشعوب العربية عامة وسوريا خاصة التي تنادي بالاستقلال عن الدول الأجنبية. وإن وضع بلاد سوريا تحت الانتداب لم يكن في حد ذاته هو الخطر الذي كان يخشاه فيصل ، وإنما كان كل ما يخشاه هو وضع هذه البلاد تحت انتداب أكثر من دولة واحدة ، لأنه كان يرى أن تقسيم سوريا شراً فرض على بلاد الشام (٤) ، وهذا عكس ما يراه الشريف حسين الذي يريد الاستقلال التام لسوريا من الحكومة العثمانية ودول الحلفاء ، وتكون خاضعة لسيادتة .

وعندما تم الانتهاء من إجتماعات سان ريمو (San Remo) وأعلنت نتائجه ، وأبلغ الجنرال الفرنسي غورو بذلك في سوريا ، أرسل برقية إلى فيصل في دمشق ، شرح له فيها ما تم الاتفاق عليه في سان ريمو ، وأن قرارات الاجتماع سوف لن تؤثر على الصداقة المتبادلة بين البلدين ، وأن سوريا يجب أن تعتمد على الصداقة الفرنسية

---

(١) مصطفى الشهابي : محاضرات في الاستعمار ، ج٢ ، ص ٩٨ ؛
Foster, Henry: op. cit, p.77 .

(٢) انظر تفاصيل تقرير اللجنة الدولية ، حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨م ،ص ١٧١-١٩٣ .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاة الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٤٣ .

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ١٩٨ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٤١ .

القديمة ، ورجاه تبليغ ذلك للحكومة الحجازية والسورية ، كما بدأت فرنسا تنشر بعض البلاغات المتعارضة مع تصريحاتها السابقة بإنها هي الدولة المنتدبة على سوريا ، وأن سوريا شعوباً لا شعباً واحداً ، وأنها ستعمل قصارى جهدها على أن يصبح السوريون أمماً ، وأن مؤتمر سان ريمو خولها حق إرشاد الشعوب السورية للأخذ بيدها وإيصالها إلى طريق الاستقلال والرقي (١) .

وعلى كل حال ، فإن مثل هذا الحديث الذي صرح به غورو لا يخطر على بال أحدٍ من المواطنين السوريين أو العرب عامة ، حيث كان هدفهم الوحيد منذ اعلان الثورة على العثمانيين هوالاستقلال التام من أي سلطة .

وعندما أبلغ فيصل بنتائج مؤتمر سان ريمو وبموقف فرنسا المتمسك بسوريا ، رفع برقية عاجلة إلى والده في الحجاز ، يخبره بنتائج مؤتمر سان ريمو وقراراته ، واعتبر الشريف حسين هذا المؤتمر وقراراته الجائرة ضربة قاصمة له ولأماني السوريين التي فرط فيها منذ البداية ، فرفع من جانبة برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية يعارض فيها قبول قرارات مؤتمر سان ريمو ، وأعتبرها مخالفة للعهود والمواثيق التي بينه وبين بريطانيا . ولكن لم تنظر إلى احتجاجات الشريف حسين على قرارات المؤتمر واعتبرت كل شيء انتهى .

وفي الوقت نفسه ، واجه السوريون خبر قرارات المؤتمر بالحماس الوطني وبالمظاهرات والاحتجاجات ضد فرنسا ، وأبلغوا قيادات دول الحلفاء في سوريا بأن فيصل بن الحسين ملكٍ على سوريا الموحدة والمستقلة بحدودها الطبيعية ، ونائبٌ عن الشريف حسين في الحجاز ورفض كل مداخلة أجنبية تمس السلطة العربية (٢) .

فقابلت بريطانيا المعارضة السورية بالشدة ، وحاولت تحجيم موقف الشريف حسين ، حيث طلبت منه الرضوخ للأمر الواقع ، والاعتراف بقرارات مؤتمر سان ريمو ، والقيام بالضغط على نجله فيصل في سوريا بالاعتراف بتلك القرارات ، والعمل على تهدئة الوضع المتدهور في المناطق السورية .

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ زين نورالدين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ، ص ١٦٠ - ١٦١ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ٤٧ .

(٢) محمد صبيح : مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية ، (ط٢ ، القاهرة ، مط ، ١٩٦٤م) ، ص ٤١٣ ؛ أحمد طرابين : الوحدة العربية بين ١٩١٦-١٩٤٦م ، (القاهرة المطبعة الكمالية) ، ص ٣٥ .

ولكن الشريف حسين قابل المطالب البريطانية بموقف الرفض بكل ماجاء في القرارات التي صدرت عن مؤتمر سان ريمو ، والتي أعطت دول الحلفاء أحقية الاستيلاء على بعض البلاد العربية . وعندما لم يستجب الشريف حسين لمطالبها منعت عنه المساعدات المادية من أجل الضغط عليه حتى يعترف بقرارات مؤتمر سان ريمو ويمتنع عن تقديم أي دعم مالي للسوريين خوفاً من تقوية كفة السوريين ضد حليفتها فرنسا (١) . ولكن الشريف حسين اعتبر أن احتلال فرنسا لسوريا وعملياتها الحربية الأخيرة في سوريا لا تنسجم مع المصالح والاتفاقيات السابقة ، التي دخل بموجبها الشريف حسين غمار الحرب إلى جانب دول الحلفاء ضد العثمانين في سوريا (٢) .

وعندما رأت الحكومة البريطانية الموقف المتشدد من الشريف حسين في الحجاز تجاه قضية السوريين ، وازدياد نشاط الحركات السورية ضد الوجود الفرنسي في المناطق السورية بتشجيع منه ، حاولت أن تغري الشريف حسين بالمساعدات المادية الإضافية حتى يتخلى عن تهديداته لفرنسا ، حيث وافق اللورد كرزون (Lord Curzon) على دفع مساعدات مالية إضافية كبيرة تدفعها سنوياً للحجاز ، وعلى شرط أن يرسل أحد أولاده إلى لندن لإجراء المفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأنها ، وأن يوقع على معاهدة الصلح مع دول الحلفاء حتى يظهر اسم دولة الحجاز من بين أسماء الدول التي وافقت على شروط الصلح (٣) .

ثم عادت مرة أخرى فعرضت على الحكومة الحجازية بأن تعترف بما جاء في معاهدة مؤتمر سان ريمو من قرارات ، ثم أوعزت بعد ذلك إلى المعتمد السامي البريطاني في جدة إلى إجراء ترتيبات مع الحسين من للتوقيع على بنود المؤتمر بأسرع ما يمكن قبل أن تستأنف الجمعيات مع جميع الاوساط الوطنية في سائر أنحاء سوريا نشاطها الفعلي ، وإحاطة الشريف حسين علماً بأن المعاهدة تعطي الحجاز الاعتراف الكامل كدولة مستقلة تحت قيادته الحالية ، ومعنى ذلك أنها تريد أن تضلل الشريف حسين في الحجاز بالمساعدات المادية وبالمعاهدة ، وتصرف نظره عن الاحتلال الفرنسي لسوريا ، الذي هو من أولويات اهتمامات الشريف حسين في ذلك الوقت .

---

(١) زهير الشلق : من أوراق الانتداب ، ص ٨٧ .

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية " دراسة وثائقية " ، ص ٢٥ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

ولكن الحسين رفض قبول كل الأغراءات التي قدمتها له بريطانيا ، بحجة أنه تم الاتفاق على قرارات المؤتمر السالف الذكر دون علم أهلها ، ولم توجه الدعوة له في الحجاز او لإبنه فيصل في سوريا أو لأي زعامة عربية اخرى ، لأنها لم تعترف بأن سوريا تابعة لزعامة الحسين في الحجاز ، وقامت برسم الحدود الجديدة لمناطق الانتداب لكل من الدولتين بالقوة (١) . وهذا مما أدى إلى استنكار الشريف حسين لتلك المخططات التي أقدمت عليها بريطانيا وفرنسا في بلاد الشام واعتبرها خيانة عظمى ، لأنها انتهكت حرمة المبادىء العامة التي أعلنتها بريطانيا سابقاً ، والوعود التي قطعتها على نفسها أثناء قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م (٢) .

وعلى أية حال ، فقد تم التوقيع على اتفاق سان ريمو على حساب العرب دون أي اعتبار لرغباتهم المعروفة بالاستقلال التام ، فاقتسمت الدولتان فيما بينهما البلاد العربية التي حارب أهلها العثمانيين إلى جانب الشريف حسين والحلفاء أملاً في الحصول على الاستقلال من الدولة العثمانية (٣) .

ولقد سجل اتفاق سان ريمو المشهد الأخير من سلسلة مؤامرات الدولتين الغاشمتين في سبيل استغلال الموارد العربية تحت ستار من التضليلات الكاذبة ، حيث صرحت فرنسا للسوريين بأن المساعدة التي تقدمها الحكومة الفرنسية لسوريا هي أفضل من الخدمات التي تقدمها لهم الحكومة الحجازية ، لأنها تضمن المحافظة على البلاد من الخراب ، وسوف تحافظ على استقلالهم من كل إعتداء ضمن الحدود المعروفة ، والتي حددت في مؤتمر الصلح ، وهذه التصريحات ما هي إلاّ خدعة للمواطنين (٤) .

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م ، ص ٢٤٣ ؛ Tibawi, A.: op. cit, p. 319 .

(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٢٢٩-٢٣١ ؛ نجلاء عزالدين : العالم العربي ، ترجمة محمد عوض إبراهيم ، ص ٢٠٩ .

(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٥٨ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٤٤ .

وهكذا كشف فيصل بن حسين مسلسل المخططات الفرنسية والبريطانية بعد فوات الأوان من البرقيات والمراسلات الخادعة التي ترسل له ولوالده من الحكومتين ، بعدما بذل جهوداً كبيرة في سبيل تحرير البلاد السورية من حكم العثمانيين . والذي كان من المقرر أن يتحدد في المؤتمر مصير البلاد العربية ، التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية سابقاً (٢) .

وفي الخامس من شعبان عام ١٣٣٨هـ/الرابع والعشرين من ابريل عام ١٩٢٠م ، ابلغت الحكومة الفرنسية المواطنين السوريين بالمباديء العامة التي تنوي تطبيقها ، ومنها : تحرير الشعوب العربية ودعمها اقتصادياً وسياسياً ، حسب بنود المباديء التي اتفق عليها في مؤتمر الصلح ، وتؤكد اعترافها للأهالي المتحدثين باللغة العربية من جميع المذاهب في القطر السوري بأن لهم الحق أن يحكموا أنفسهم بصفتهم شعوب مستقلة (٣) . ومن واجبها أن تقبل المهمة التي عهد إليها في مؤتمر الصلح أن تقدم للسكان مشورتها ومساعدتها المادية والفنية لتحقيق أمانيهم المشروعة مع ضمان إستقلالهم ، وستدافع عنهم ضد أي اعتداء خارجي .

ومن المعروف فأن مضمون هذه البرقية ماهي إلاّ خدعة للعرب في سوريا حتى يسهل لها تطبيق الانتداب بصورة كاملة على كل المناطق السوريه مستغلة في ذلك تخبط الشريف حسين في سياسته الخارجية مع جيرانه من الأمراء المحليين وبريطانيا التي بدأت تتخلى تدريجياً عنه بتقليص مساعداتها (٤) .

وعلى أية حال ، فقد رفع اللنبي (Allenby) برقية ثانية إلى فيصل في سوريا وهو لا يعلم بأنه تلقى برقية أخرى من الحكومة الفرنسية تبلغه فيها بقرارات المؤتمر ، وتخبره بأنها تنوي تنفيذ الانتداب على سوريا ، بطريقة سريعة خوفاً من المظاهرات ، وتصاعد المقاومة الوطنية ضدها ، فأخذت أولاً تلوح بخطتها الماكرة بالاعتراف به ملكاً على سوريا إذا قطع علاقته مع الحكومة الحجازية ، وساعدها على تهدئة الوضع

---

(٢) فيلب حتي : موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٣٢٣ ؛ محمد صبيح : مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية ، ص ٤١٣ – ٤١٤ .

(٣) ساطع الحصر : يوم ميسلون ، ص ٢٨٩ .

(٤) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٨٤ .

السياسي المتدهور في سوريا .

ولكن السوريين تأكدوا من نوايا فرنسا الخبيثه ، وما تحمله لهم من معاني الخداع وإخفاء للحقائق من برقية حبيب لطف الله الموجود في باريس والذي احتج على الاتفاق واوضح في برقيته بأن فرنسا استغلت ضعف فيصل أمامها ، ولقد أدى ذلك الى تنظيم عدة مظاهرات في شوارع المدن السورية ، يطالبوا الحكومة السورية باتخاذ التدابير اللازمة لحماية الاراضي السورية من التهديدات الفرنسية ، وتحقيق الأماني للسكان (١) ، ومن جانب آخر فإن إعلان الانتداب أحدث أزمة وزارية في سوريا ، إذ اتهمت وزارة الركابي بالضعف ، وطُلب منه أن يستقيل من الوزارة والمطالبة بتشكيل وزارة جديدة برئاسة الأتاسي الذي بادر حال استلام الوزارة باتخاذ كافة التدابير الدفاعية اللازمة في المدن السورية (٢) .

وقد رافق ذلك تجاوز العصابات تلك الحدود وتعرضها أحياناً للمواقع التي تمركزت مفرزات القوات الفرنسية فيها ، وهذا مما اوجب نقمة السلطة الفرنسية على الحكومة السورية وعلى رئيس حكومتها .

وأمام تلك الازمة ، فقد احس الشريف حسين بفشل سياسته إزاء الازمات المحيطة به وبالبلاد وفقدان أمل الاستقلال المنشود وبعدما اتفقتا فرنسا وبريطانيا على تقسيم البلاد العربية ، واحس بأنه هو المسؤول الاول امام الدول الحليفة ومؤتمر الصلح ، فكان يحاول وحده أن يكسب ثقة السوريين له وإنابتهم له بموجب وثائق بعثوها له وهو في مؤتمر الصلح وبفضل كونه ممثلاً والده الحسين في الحجاز وسبق مفاوضة رئيس وزراء فرنسا واتفاقه مبدئياً على مصير سوريا ، وكان هو وحده المسؤول عن سياستها الداخلية والخارجية معه .

وامام هذه الاحداث الحرجة ، طلب من رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج (George) أن يتدخل لإيقاف العمليات الفرنسية المحتملة في سوريا . في الوقت الذي اتصلت فيه الزعامات السورية جانبهم بالحكومة الحجازية ، يبلغونها بالاحتلال الفرنسي

---

(١) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢١٥ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢١٠ ؛ مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٤٣ .

لبعض المناطق السورية وبالحشود العسكرية قرب الحدود الشمالية ، فأرسل الحسين للحكومة البريطانية برقية يسألها عن الحشود الفرنسية ومبدأ الانتداب على الأقطار العربية وعن وعودها له منذ قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م (١) ، فأكدت له في مذكرتها باحالة مسئولية الانتداب إلى مجلس السلم الذي رأى ضرورة مساعدة أقطار المشرق العربي من قبل فرنسا وبريطانيا مع الاعتراف بإستقلال الحجاز (٢) .

ومعنى ذلك ، فان الحكومة البريطانية تخلت تماماً عن العهود والمواثيق مع الشريف حسين تجاه البلاد العربية ، خاصة سوريا التي كانت محل اهتمامه في ذلك الوقت . هذا مما دفع الحسين في الحجاز أن يتصل بالقيادات السورية ، ويحثهم على الجهاد ضد الفرنسيين ، وأصدر قراراً لمنح قرض قيمته نصف مليون دينار سوري من المعونات البريطانية لضمان حاجات المعدات الحربية ، وهذا إضافة إلى الأموال الاخرى التي ترسل إلى سوريا من أجل سن قانون التجنيد الإجباري على المواطنين القادرين على حمل السلاح في جميع المناطق السورية ، كما شجعهم على حرب العصابات للقيام ببعض العمليات العسكرية الخاطفة على المعسكرات الفرنسية في الولايات السورية التي فرض عليها الانتداب بالقوة .

ومن جانب آخر بدأ الفرنسيون ينقلون بعض قواتهم من مواقعها قرب حدود المنطقتين الشرقية والغربية إلى مناطق أخرى استعداداً للهجوم على المنطقة الداخلية ، كما قامت بشن حملات عسكرية مفاجأة ضد الثائرين السوريين الذين يجدون الدعم المالي والتشجيع من الحجاز ، وهذا مما أغضب الشريف حسين ونجله فيصلاً من الخطط القمعية التي أقدمت عليها فرنسا ضد السكان ، فرفع فيصل برقية إلى اللنبي (Allenby) في الثالث من شهر رمضان عام ١٣٣٨هـ/الحادي والعشرين من مايو ١٩٢٠م ، يبلغه بأنه سيقطع العلاقات مع الفرنسيين إذا لم يعترفوا باستقلال سوريا ، وإثبات قضيته والاعتراف بوالده ملكاً عربياً على البلاد العربية (٣) .

---

(١) حسين محمدنصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٧٦ ؛ أحمد طربين : الوحدة العربية بين (١٩١٦-١٩٤٥م) ، ص ٣١ .

(٢) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥م) ، ص ١٧٩ .

(٣) Tibawi, A.: op. cit, p. 318 .

فرد اللنبي (Allenby) بأنه لا يستطيع أن يتخذ أي عمل من شأنه أن يلحق الضرر بعلاقاته مع القائد الفرنسي الجنرال غورو (Gouraud) [١] ، كما أوضح له بأن فرنسا لا تزال مستعدة للإعتراف به ملكاً على سوريا في حالة قبوله للانتداب الفرنسي ، والضغط على والده الحسين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية في سوريا ، وان بريطانيا على استعداد أن تتبع طريقة مناسبة يرضى بها السوريون والحجازيون في حالة قبول شروط الحكومة الفرنسية وهو قبول الانتداب [٢].

ومن الجدير بالذكر ، فإنه أصبح واضحاً من أن بريطانيا قد سحبت يدها من المشكلة القائمة بين فيصل ووالده في الحجاز وفرنسا حول سوريا ، وهذا يعني أنها نقضت العهود علناً مع الحكومة الحجازية ، وأرادت أن تقف على الحياد في الخلاف القائم بين طرفين غير متكافئين وهم السوريون والفرنسيون ، وهذا ما أوضحه كرزون (Curzon) عن موقفه في احد تصريحاته الفاضحة ، عندما طُلب منه أن يصدر بياناً عاماً إلى فيصل في دمشق أن يوضح له حقيقة وضع سوريا ، وأن يقبل فيصل بالانتداب الفرنسي على سوريا وألا يخضع لأوامر والده الشريف حسين في الحجاز وان يقطع علاقته به نهائياً . ولكن فيصل رفض ذلك الطلب ، كما عارض التوقيع على البيان لأنه ينطوي على تهديد سافر له من جهة ، ومن ناحية أخرى فإنه صيغ بصيغة لا تخدم إلاّ مصالح فرنسا وحدها ، وهكذا أصبح الشريف حسين وانجاله وحيدين في الميدان أمام المطامع الفرنسية في سوريا ، بعد ما تخلت عنهم بريطانيا ، وانسحبت من كل المواقع في المدن السورية لفرنسا [٣] .

و بالرغم من هذا التغيير البريطاني المفاجيء تجاه الشريف حسين في سوريا إلاّ أنها حاولت أن ترضيه بإرسال الدفعة الأولى من المعونة المالية له ، فاعترضت فرنسا على تصرف الحكومة البريطانية خشية من أن تصرف هذه الأموال على نشاطات معادية لها خارج الحجاز كسورية مثلاً [٤] .

---

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٠م ، ص ٥٥٥ .

(٢) Tibawi, A.: op. cit, p. 319 .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٤٦ .

(٤) F.P. 882/23 , Arab Bureau, Cairo, to the Residency, 29 May 1920 .

وحينما ارسلت بريطانيا الدعم المالي الذي التزمت به ان ترسله سنوياً للشريف حسين ، طلبت منه أن يوقع على قرارات اتفاقية سان ريمو التي تعطي فرنسا حق الانتداب على سوريا ، حتى تستطيع كسر قوة المعارضة السورية ، التي أخذت في الازدياد مرة أخرى في المناطق السورية . لكن الحكومة الحجازية لم تخضع للمطالب البريطانية رغم الاغراءات المالية التي أشرنا إليها ، لأن الحسين كشف خدعتها واحس بخطأه الفادح الذي وقع فيه ، فاضطرت بريطانيا إلى نشر بيان عام اشارت فيه بأنه في حالة رفض الحسين التوقيع على الاتفاقية فإنه سيعْرض وضعه في الحجاز للخطر ، وأن حكومة بريطانيا راغبة في تصحيح ذلك الوضع المتدهور ، ولذا فإنها تدعو الشريف حسين بجدية بأن يرسل ممثله للتوقيع على المعاهدة معها في أسرع وقت ممكن .

وأخيراً أوعز كرزون (Curzon) إلى المسئولين في القاهرة بتخصيص مبلغ (٣٠) إلف جنية تمنح للشريف حسين وعلى ان تكون الدفعة الأولى منها عشرة آلاف جنية شريطة ان يتعهد بصرفها داخل الحجاز (١) ، إلاَّ أن الحسين رفض هذا العرضعلى الرغم من الضائقة المالية التي يعاني منها أهل الحجاز بعد تقلص معونتها له ، على حساب الاعتراف بالانتداب الفرنسي على سوريا ، والتي هي الشغل الشاغل له في ذلك الوقت .

وعلى اية حال ، فان تحدي الشريف حسين وابناءه لفرنسا وبريطانيا يعود إلى الوعود التي وعدت بها بريطانيا وهو الاستقلال التام للبلاد العربية تحت سيادة الحسين ، مما جعل فيصل والمواطنين العاملين معه في سوريا يصرون على الاستقلال ، لأن غاية الثورة العربية منذ قيامها هو استقلال البلاد العربية التابعة للدولة العثمانية في أسيا وخضوعها لسيادة الشريف حسين وهو الحلم الذي يراوده ، ولم يكن استقلال سوريه الداخلية فقط بل كل اجزاءها (٢) .

ولقد اعلن العرب الجهاد تحت راية الحسين الذي أغرته بريطانيا بالدعم المالي والعسكري والتشجيع من أجل أطماعها الاستعمارية مع حليفتها فرنسا ، مما جعل

---

(١) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥م) ، ص ١٨٢ .

(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٠٥ .

الشريف حسين يحس بخطأه الفادح الذي ارتكبه نتيجة لتساهله واهماله وعدم اعتنائه بالجيش ، وحاول أن يصلح خطأه باعلان تحديه الصريح لدول الحلفاء ، وعدم الاعتراف بكل المؤتمرات التي صدرت في لندن وباريس وإيطاليا بشأن سوريا ، لأن المخططات الاستعمارية قد انكشفت أمام العرب بصورة واضحة .

وفي الخامس من شهر رمضان عام ١٣٣٨هـ/الثالث والعشرين من مايو ١٩٢٠م ، أوفد الشريف حسين من الحجاز نجله عبدالله إلى القاهرة ، وكان بصحبته الشريف فايز والشيخ قابل سليمان ومحمود باشا القيسوني وزير الحربية في حكومة الحجاز ، والشيخ فؤاد الخطيب ، وحضر اللقاء الكولونيل فكري (Col.Vickery) ممثل حكومة بريطانيا في جدة . فعرض الشريف عبدالله القضية العربية برمتها على بساط البحث مع المسئولين البريطانيين ، حيث أشار لهم بالدور الكبير الذي لعبه والده الحسين تجاه سوريا . كما أطلع عبدالله اللنبي (Allenby) على برقيتين تلقاهما من والده الشريف حسين ، وفيهما كان يدعي لنفسه - على حد قول اللنبي - حق التمثيل عن كل الأقطار العربية في مؤتمر الصلح . كما أبلغ الشريف حسين آنذاك رسمياً الضابط الفرنسي المقيم في جدة ، وابلغه بأنه اخبر الحكومة البريطانية بذلك .

ولقد رد اللنبي على الشريف عبدالله بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تعترف بحق الشريف حسين في التحدث باسم البلاد السورية أو العراقية إلاّ إذا اختاره أهلها للتحدث باسمهم ، وأن القضية كلها قد أنتقلت من يد الحكومة البريطانية إلى يد المجلس الأعلى للحلفاء ، وأنه مادام المجلس الأعلى قد أصدر قراره الأخير فيما يخص بالانتداب فقد بقي على الدولة التي عهد إليها بالانتداب أن تبحث مع البلاد العربية المعنية بتسوية القضايا مثل الحدود والإدارة وغير ذلك معها بالطرق الودية .

وكان يأمل اللنبي أن يقوم الشريف عبدالله بزيارة إلى بريطانيا ، لأنه يعتقد أنه إذا رشح لتولي مركز أكثر أهمية في بلاد الشام فإنه سيقبل النصيحة ، وسيكون سهل الأنقياد وعلى استعداد للإمتثال لسياسة الحكومة البريطانية في المستقبل ، لأنه أكثر مرونة من أخيه فيصل .

وفي الوقت الذي اعتبرت فيه الوزارة السورية الجديدة أن اصرار وتمسك فرنسا بالانتداب على سوريا تحدياً صارخاً للسوريين الذين يطالبون الاعتراف باستقلال سوريا ، وحمّلت المسئولية الشريف حسين الذي تساهل مع بريطانيا في بداية الامـر

بالتمسك بوعودها فخذلته اخيراً بعدما تم تحرير البلاد العربية من القيادات الاتحادية ، وكان أول عمل قامت بتطبيقه الحكومة العربية هو إصدار قانون جديد يجعل الخدمة العسكرية إجبارية على كل السوريين ، ودعت الحكومة الحجازية أن تقدم لهم الدعم المالي للدفاع عن وطنهم ، وضاعفت الجمعيات الوطنية المختلفة نشاطها في إعداد الشعب السوري للدفاع عن البلاد في حالة نشوب حرب ضد فرنسا (١).

وفي الوقت نفسه ، اشتدت وطأة هجمات الفدائيين السوريين على المراكز الفرنسية المتقدمة في سوريا ولبنان ، بتشجيع من الحجازيين وانزلت الهزائم الساحقة بالقوات الفرنسية في كليكية ، وساعد ذلك إلى انضمام بعض الضباط الذين استقالوا من الخدمة العسكرية ، فقاموا بعدة هجمات خاطفة على القوات الفرنسية في البقاع وجبل عامل وجبال النصيرية ، وفي منطقة أنطاكية واللاذقية وغيرها من المناطق السورية ، التي أزعجت القوات الفرنسية في هذه المناطق المحتلة (٢) .

وفي الوقت ذاته ، حدث هناك رد فعل قوي بين المواطنين في سوريا ، فقد توحدت الصحافة الوطنية الحرة لتدافع عن سوريا بالمقالات ، والرسائل المطولة التي ترسل للشريف حسين والزعماء السوريين ، وأخذت تنشر البيانات المطولة للحكومةالسورية والمواطنين تصف لهم الانتصارات التي تحققت مؤخراً (٣) .

وهكذا فقد أعطيت الصحافة السورية حريتها في إبداء الراء في ظل الحكومة العربية الجديدة في دمشق ، ولم يُعرف في تاريخها الصحفي أنها لعبت دوراً أخطر من ذلك الدور الذي أرتضته للدفاع عن الوطن من الانتداب الفرنسي (٤) .

وعندما رأت الحكومة الفرنسية تزايد المظاهرات الشعبية المعاديةلها ، وكثرة الهجمات الفدائية الخطرة على مراكز قواتها اقترحت على الحكومة السورية الجديدة ان

---

(١) فوزي القاوقجي: مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٣) جريدة العاصمة ، العدد ١٢٧ في ٢٧ مايو ١٩٢٠م .

(٤) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ، ص١٨-١٩.

تطلب من الحكومة البريطانية توجيه دعوة إلى الشريف فيصل لحضور المؤتمر الذي تنوي دول الحلفاء عقده مؤخراً ، ولكن بريطانيا طلبت بأن يقوم الجنرال غورو (Gouraud) بتقديم هذه الدعوة باسم الحكومتين إلى فيصل على اعتبار أن فرنسا هي الدولة التي تقرر أن تتولى الانتداب على سوريا ، لأنها أخذت على عاتقها التزامات تجاه الأقليات المسيحية ، التي تتعرض دائماً للتهديدات من جراء موقف فيصل المدعوم من والده ، وألح المسيو ميليران (Milliran) بأنه يجب على الحكومة البريطانية الإسراع في توجيه إنذار إلى الشريف حسين في الحجاز وفيصل في سوريا ، لأن الموقف لايحتمل الانتظار أكثر من ذلك ، خاصة بعد حرمان القوات الفرنسية الاستفادة من (سكة الحديد من رياق إلى حلب) ، وهو الطريق الوحيد للمواصلات ، والذي يمكّنها من الدفاع عن قواتها الموجودة في كليكية التي دائماً ما تتعرض لهجمات العصابات السورية ، كما طلبت أيضاً من الحكومة البريطانية أن تعمل على وقف الدعم المالي للحجاز ، لأن هذا الدعم الذي يقدمه الشريف حسين للسوريين سواء كان هذا الدعم مادياً أو سياسياً له دور كبير في تشجيع القيادات السورية ضد الأطماع الفرنسية في بلادهم .

ومع ذلك فقد تهيأ فيصل للسفر إلى أوروبا بناءً على طلب الحكومة البريطانية مع أن الشريف حسين لم يسمح له بالسفر ، وحتى أعضاء الحكومة والمؤتمر السوري عارضوا عودته إلى أوروبا ، طالما أن الدول المتحالفة لم تعترف بالاستقلال التام لسورية ، وهذا من جانب ، ومن جانب آخر نشرت وزارة الخارجية في الحكومة العربية في سوريا ، بعض الدعايات حول عودة فيصل إلى أوروبا ، واتهمته بأنه إذا عاد إلى أوربا ، فإنه سيبيع سوريا إلى فرنسا بمقتضى اتفاقية سرية ، وعليه التشاور مع الحكومة الحجازية والقيادات العربية في سوريا قبل أن يعتزم السفر إلى أوربا وذلك لأخذ رأيها (١) .

ولذلك فقد أرسل فيصل برقية عاجلة إلى لويد جورج (george) رئيس الوزراء البريطاني ، يخبره فيها بأنه نظراً لإحتمال هجوم فرنسا على ما بقي من سوريا ، فإنه

---

(١) عبدالرحمن شهبندر : فيصل بن الحسين - المقتطف ، مجلد ٨٣ ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩٣٣م ، ص٢٥٧

متخوف من نشوب حرب تحدث أثناء غيابه ، وبهذا لن يتمكن من مغادرة سوريا ، وطلب منه أن يتوسط رئيس الوزراء البريطاني لإيقاف تقدم قوات فرنسا تجاه بعض المناطق السوريةالداخلية التي تحت سيطرة الحكومة العربية ، كما طلب من لويد جورج التدخل لدى الحكومة الفرنسية لوقف تسليح المسيحيين السوريين ، وتسليم الإدارة في المنطقة الساحلية لحكومة دمشق تنفيذاً لقرار مؤتمر سان ريمو بشأن استقلال سوريا . وكرر اعتذاره الشديد من الحضور إلى أوروبا بسبب معارضة الحكومة الحجازية له ، والاضطرابات التي قامت مؤخراً في المنطقة الغربية من سوريا ، وخوفه الشديد من امتدادها إلى بعض المناطق الداخلية (١) .

ووعلى أية حال ، فإن الشريف حسين اكد على ابنه فيصل بأن عودته إلى أوروبا عديمة الجدوى ، لأنه تقرر مصير سوريا ، وأصبحت فرنسا مصممه على تحقيق اطماعها الإستعمارية ، ويجب عليه الكفاح لأجل الاستقلال ، كما أن الحكومة البريطانية تخلت عن وعودها له ، الذي وعدته بالزعامة على البلاد العربية ، ولم تعد بريطانيا راغبة في الوقوف في وجه تحقيق أطماع فرنسا حتى لا تغضبها ، والابقاء على العراق وفلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني .

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهها فيصل من معارضة سفره إلى أوروبا إلاّ أنه تراجع أخيراً أمام ضغوط بعض الزعامات السورية التي تأمل تسوية قضيتها بالطرق الدبلوماسية وقرر السفر أخيراً لحضور مؤتمر الصلح الذي تنوي الدول الاوربية عقده ، فأوفد نوري السعيد إلى بيروت لعمل الترتيبات اللازمة مع الجنرال غورو(Gouraud) لسفره إلى فرنسا .

وفي الثاني والعشرين من شوال عام ١٣٣٨هـ/التاسع من يوليه عام ١٩٢٠م ، التقى نوري السعيد بغورو وأخبره بسفر فيصل ، فرد عليه بأن الحكومة الفرنسية لن تسمح له بالسفر إلى فرنسا قبل أن يعترف بالمطالب التي تريدها الحكومة الفرنسية ، ويوافق عليها والده الشريف حسين في الحجاز ، وسوف ترسل له هذه المطالب خلال أيام ، وهدد غورو بأنه إذا سافر فيصل إلى أوروبا فإن الحكومة الفرنسية سترفض رفضاً باتاً الاعتراف به أوالتفاوض معه ، فرأت الحكومة السورية

---

(١) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٦٠٩ .

ارسال وفداً من أعضاء الوزارة بدلاً من فيصل للدفاع عن حقوق البلاد عوضاً عن تلبيته دعوة بريطانيا للسفر إلى أوربا [١] .

ولقد اتهمت فرنسا فيصلاً في سوريا بأنه يشجع رجال العصابات على القتال في المناطق التي تحت سيطرتها ، وأرسل الجنرال غورو بعض الخطابات لتهديد فيصل حتى يتخلى عن مساعدته للأحزاب السورية المناضلة . وأن يقطع زياراته لبعض المناطق السورية ، إلاّ أن فيصلاً لم يستجب لتلك المطالب [٢] .

ولقد رأى الجنرال غورو انه لا يمكن الاعتماد على حكومة جاهرة بعداءها لفرنسا ، واخطأت نحو بلادها خطأ عظيماً بظهورها عاجزة عن حفظ الامن وتنظيم إدارتها ، ولذلك رأى غورو انه مضطر لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنوده وسلامة السكان المؤيدين لمؤتمر السلم والانتداب عليهم .فاستغل مندوب فيصل الذي ينوي السفر إلى باريس فسلمه المطالب التي تطلبها الحكومة الفرنسية من فيصل [٣] ، وتعتبر هذه المطالب إنذاراً له ، وهي :

١ - وضع سكة حديد (رياق - حلب) تحت تصرف الجيش الفرنسي .

٢- منع اعتداء المؤتمر السوري على الحقوق الدولية باعلانه الملكية دون اعتبار الامتيازات الاجنبية والاتفاقيات السياسية وقبول الانتداب الفرنسي على سوريا بلا قيد أو شرط .

٣- إلغاء التجنيد الإجباري ، وتسريح المجندين وإعادة الجيش السوري إلى الحالة التي كان عليها في شهر فبراير .

٤- قبول أوراق النقد التي أصدرها مصرف سوريا ولبنان تسهيلاً للحياة الاقتصادية في المنطقتين .

٥- معاقبة المجرمين الذين تمادوا في معاداة فرنسا .

---

(١) وجيه علم الدين : العهود المتعلقه بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ١٩٧-١٩٨ ؛ حسن الحكيم : الوثائق السورية المتعلقه بالقضية السورية ، ص ١٥٠-١٥١ ؛ فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢- ١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٢٦٣ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٦٠ .

(٣) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٦٠ ؛ نجيب الأرمنازي : سوريا من الاحتلال حتى الجلاء ، ص ١٧ ؛ محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢٢٣ .

٦- منه اعتداءات العصابات السورية الوطنية على حدود المنطقة الغربية في الشمال والوسط والجنوب .

وقال : غورو إنه لن يوافق على سفر فيصل إلى أوروبا ما لم تحل الأزمة السورية حلاً نهائياً ، وإذا سافر عن طريق غير بيروت ، فالحكومة الفرنسية لن تناقشه أو تستقبله في باريس (١) .

وفي الرابع والعشرين من شوال عام ١٣٣٨هـ/الحادي عشر من يوليه ١٩٢٠م ، بلغت الأزمة ذروتها ، حيث اضطربت العاصمة السورية حكومة وشعباً بعد سماعهم خبر الانذار الفرنسي لفيصل متزامناً مع عودة نوري السعيد إلى دمشق ، وأصيبت البلاد بموجة من الغضب والهياج صحبتها المظاهرات المعادية لفرنسا ، وفي اليوم نفسه - ودون انتظار وصول الإنذار بصفة رسمية لفيصل ، وأرسل برقيتين الأولى إلى والده الحسين في الحجاز يبلغه بانذار غورو له ، والثانية إلى قناصل الدول الأجنبية في دمشق يخبرهم بالإنذار غير الرسمي الذي تلقاه من غورو (Gouraud) ملتمساً منها عدالة دول الحلفاء ، وعصبة الأمم لمنع سفك الدماء ، وإنقاذ سوريا من التعسف الفرنسي ، وألح فيصل على ممثلي دول الحلفاء في دمشق دراسة الموقف المتأزم معه أو مع الحكومة الحجازية من أجل تعيين لجنة تحكيم عليا للنظر في القضية السورية ، ووعد فيصل من أن السوريين سوف ينفذون قرارات اللجنة (٢) .

وفي الوقت نفسه ، أرسل فيصل في دمشق عدة برقيات إلى والده في مكة المكرمة ، والقناصل الأجنبية في دمشق وجدة ، يعبر فيها عن قلقه الشديد من حشود القوات الفرنسية على طول حدود المنطقة السورية الداخلية ، وعبر عن شكوكه في أن لغورو نوايا عدوانية في سوريا ، ونظراً لأن قواته أحتلت رياق وهو جسر مهم على الطريق المؤدي إلى حلب ، وأكد فيصل بعدالة القضية السورية ، وأن بلاده تريد أن تعيش في سلام (٣) ، كما أشار لممثلي دول الحلفاء في دمشق بأنه رئيس للشعب السوري نيابة عن والده الشريف حسين الذي يعتبر حليفاً للحلفاء جاهد في سبيل القضية المشتركة ووجّه نداءه لهم إلى الحالة الحرجة التي نشأت في سوريا ، وأصبح السلام فيها محفوفاً بالمخاطر (٤) .

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٦١ ؛ حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨م ، ص ٢١ .

(٢) فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢- ١٩٣٢م ، جـ١ ، ص ٦٦ .

(٣) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٦١٢ .

(٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

وفي السادس والعشرين من شوال عام ١٣٣٨هـ/الثالث عشر من يوليه ١٩٢٠م ، نشرت الحكومة السورية بياناً عاماً أمام المؤتمر السوري العام ، شرحت فيه جميع الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية ونوه في بيانه بشروط غورو ، وطالب بالتحكيم الدولي الذي يضمن حقوق السوريين ، كما ذكرت أيضاً أنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبريطانيا إذا احسنت النية ، ولكن بشرط أن لا يمس استقلال البلاد ، وناشدوا الشريف حسين أن يوضح موقفه من قضيتهم ، وعليه التدخل بسرعة لدى الحكومة البريطانية ، لايقاف تقدم القوات الفرنسية إلى المناطق السورية الداخلية .

وعندما رأت الحكومة الفرنسية تشدد فيصل ووالده الشريف حسين بدمشق أحتجت عليهما بأنه لم يأتيها أي رد من الحكومة العربية في سوريا ، كما لم توقف الحكومة الحجازية دعمها المتواصل للمجاهدين السوريين ، فأمرت بتحريك قواتها نحو دمشق ، فاستولت على المواقع الاستراتيجية حول دمشق ، وأخذت تطالب الحكومة العربية السورية بقطع علاقتها مع الشريف حسين ، وتقبل شروط الانتداب الفرنسي على سوريا . ولقد أدى ذلك العمل إلى زيادة حماس الشعب والجمعيات الوطنية والاحزاب السياسية ، وفي طليعتهم اعضاء المؤتمر السوري يدعون إلى مقاومة الاعتداءات الفرنسية والمحافظة على حرية الأمة السورية واستقلالها .

وحاول الشريف حسين في الحجاز إقناع الحكومة البريطانية بالتدخل السريع لإقناع الجنرال غورو (Gouraud) بأن يتراجع عن الانذار الذي وجهه لابنه فيصل ، إلاّ أن محاولاته باءت بالفشل .

ولقد قام الشريف حسين بهذه المحاولة ليتفادى الصدام العسكري الذي من المتوقع أن يحدث بين حين وآخر مع القوات الفرنسية التي تحيط بدمشق عاصمة الحكومة العربية ، مما يجعل إمكانية إمدادها بالسلاح واعطاءها التعليمات من الحجاز صعبة - إن لم يكن مستحيلة - وكان عدد الجنود في الجيش السوري النظامي لا يتجاوز على بضع عشرات من المجاهدين معظمهم من الشبان السوريين ، إضافة إلى أن الذخائر المتوفرة قليلة جداً ، لاتكفي في الدفاع عن دمشق لوقت طويل (١) .

---

(١) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٥٩ ؛ عبدالعزيز العظمة : مرآت الشام (تاريخ أهل الشام) ، ص ٢٦٣ .

أما فيصل فأخذ يسعى بما أوتي من حكمة ورباطة جأش لتسكين حماس الشعب من تأثر الجنرال غورو طالباً من غورو التمهل في فرض شروطه توصلاً إلى حل سلمي وتبعاً لمفاوضات يقوم بها ممثلون عن الفريقين . ولكن القائد الفرنسي رفض عرض فيصل . وأدى ذلك إلى تطور الحالة السياسية في سوريا أمام تجدد التحركات الفرنسية ، فهناك من يريد التفاوض مع فرنسا ، والآخر يطالب الشريف حسين بالتدخل السريع لينفذ وعوده لهم ، وهناك قسم آخر ينادي بالجهاد والاستمرار في المعركة لإنقاذ بلادهم من الاستعمار ، لأنه صعب عليهم الانسحاب من الميدان ، لأن الواجب الوطني والديني يحتم عليهم الجهاد ضد الدول الاستعمارية ، وبهذه الاختلافات في الأراء أظهرت الانقسامات في القيادة السورية في ذلك الوقت العصيب .

ولقد فكرت بعض القيادات العربية في سورية إلى استبدال الحكومة الملكية إلى عسكرية ، ويصبح فيها يوسف العظمة مسئولاً عن مصير البلاد ، مع منحه كل الصلاحيات ، وتحمل مسؤلية الدفاع عن البلاد . ولكن حدثت فوضى بين الوزراء السوريين ، وتوسعت وعمت دمشق وماجاورها من المدن السورية ، وادت هذه الازمة إلى فشل هذه الفكرة (١) .

فاستغلت فرنسا الفوضى في سوريا بسبب الانقسامات في الأراء في الحكومة السورية ، فارسلت إنذارها الأخير إلى فيصل في دمشق في السابع والعشرين من شوال عام ١٣٣٨هـ/الرابع عشر من يوليه ١٩٢٠م ، بعد ما أحست بضعف موقف الشريف حسين تجاه سوريا ، وانهيار معنويات الفصائل الوطنية التي تحاول الوقوف ضد تقدم القوات الفرنسية ، حيث ذكر في الانذار الأعمال العدائية التي وجهت إلى فرنسا والموالين لها من المسيحيين في المناطق السورية واللبنانية (٢) .

---

(١) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص٢٢٧؛ فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص٦٦ - ٦٨ .

(٢) انظر تفاصيل الانذار في الوثيقة المنشورة في كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، بالمكتب العربي بدمشق ، ص ١٤٥ .

وعندما سمع السوريون في دمشق بالانذار الفرنسي الأخير قل إقبال المواطنين السوريين على التجنيد ، ودفع الأموال لصندوق القروض الوطنية ، حتى أصبحت في درجة العدم . لأن الحكومة البريطانية بدأت تخفض من مساعداتها للحسين في الحجاز الذي يدعم القيادات السورية ضد التحركات الفرنسية تجاه دمشق ، تنفيذاً لخططها الاستعمارية (١) .

ونتيجة لذلك ، فقد ضعفت الموارد العربية في سوريا بسبب إستيلاء الحكومة الفرنسية على مداخل الموارد الاقتصادية في الأقاليم السورية واللبنانية ، كما اتخذت بعض التدابير ، ومنه فرض الحصار الاقتصادي ، حيث قامت بمنع الحكومة العربية في سوريا من إنشاء خط دفاعي يمنع القوات الفرنسية من دخول دمشق ، الأمر الذي جعل فيصل وأعضاء حكومته في سوريا يستجيبون لشروط الجنرال غورو التي جاءت في الانذار السابق ، على الرغم من معارضة الشريف حسين وبعض طبقات الشعب السوري لذلك ، فقد أثارت هذه الاستجابة مشاعر المواطنين ، فلاقت معارضة شديدة بين الأوساط الشعبية السورية ، وسخطها على الحكومة الحجازية ، وحمَّلتها المسئولية الكاملة ، حتى أنها اتهمت الشريف حسين بالخيانة الكبرى لتخاذله عن قضيتهم ، مع أنه عارض منذ البداية قبول الانذار الفرنسي (٢) .

وعلى كل حال ، فقد اضطرت الحكومة الحجازية إلى القيام ببعض الاتصالات مع ممثليات فرنسا وبريطانيا وإيطاليا في جدة ، وأعربت لها عن أسفها الشديد تجاه الانذار الفرنسي ، وأعلنت رفضها القاطع لكل الانذارات التي أصدرتها فرنسا ضد ابنه فيصل ، كما قامت بعض الصحف السورية السرية بنشر مقالات حماسية لإشعال نار الوطنية بين المواطنين لحمل السلاح ضد القوات الفرنسية .

---

(١) حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨م ، ص٢٣ - ٢٤ .

(٢) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (وثائق تاريخية) ، ص ١٩٨ ؛ احسان عسكر : نشأة الصحافة من العهد العثماني حتى قيام الدولة العربية ، ص ٤٣٠ .

ولقد أدى تشجيع الشريف حسين إلى قيام بعض المظاهرات الصاخبة في الشوارع والميادين العامة بدمشق تعبر عن غضبها الشديد من أخبار تقدم الجيش الفرنسي تجاه دمشق ، واستعداد جميع الأهالي للدفاع والتضحية في سبيل استقلال البلاد العربية عن الاستعمار الأجنبي ، وأوضحوا في مظاهراتهم بأنه لاينقصهم إلاّ الدعم المالي الذي ينتظرونه من الشريف حسين (١) .

وهذه المظاهرات التي أشعلها الحسين في سوريا ، ساعدته على تأكيد موقفه تجاه المواطنين ، وتأكيده كذلك على وحدة الحجاز وسوريا والعراق وفلسطين ، بغض النظر عما إذا كانت سوريا تتبع الحجاز أم لا ، وأعلن بأن لحكومته رصيداً راسخاً من الرضا الشعبي(٢) . وذهب كذلك الى تهديده بالالتحاق بصفوف السوريين أو إرسال أحد أبنائه إلى سوريا للدفاع عنها مع السكان الاحرار الذين بدأوا بحركة تطوع شاملة مقترنة بمظاهرات عامة (٣) . واقتحم المتظاهرون قلب مدينة دمشق بالاعتداءات الفرنسية وأخذ السلاح من المنادين بالجهاد ضد القوات الفرنسية تساندهم الصحف المحلية التي تقوم بتوزيع منشوراتها على المواطنين تحثهم على القتال ضد الدول المعتدية على أراضيهم .

ولقد سارعت الشرطة الفرنسية في المناطق التي كانت تحت سيادتها ففرقتهم بالقوة ، ورأى الوطنيون أن الحاجة ماسة لإعلاء صوتهم خارج البلاد الشامية (٤).

ولقد احس الشريف حسين بحرج موقفه امام السوريين الذين أيدوه على الثورة ضد العثمانيين ، فأصدر أمره لمسئولي صحيفة القبلة في مكة بأن ينشروا مقالات منها وتوزع على عامة المواطنين في المدن الحجازية تندد بالاحتلال الفرنسي لسوريا ، وأمر بتهريب نسخ منها إلى شرق الأردن لتنشر بين المواطنين في دمشق وليقوموا بتهريبها إلى بقية المناطق التي خضعت للحكم الفرنسي لتشجيع الاهالي على

---

(١) ساطع الحصري : يوم ميسلون ، ص ١١٧ .

(٢) Hourani, A.: op . cit , p. 54 .

(٣) حكمت فريحات : السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ - ١٩٢٠م ، ص ٢٤٩.

(٤) فوزي القاوقجي : مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٢-١٩٣٢م ، جـ١ ، ص٦٧ - ٦٨ ؛ احسان عسكر : نشأة الصحافة السورية في العهد العثماني حتى قيام الدولة العربية ، ص ٣٣٤ .

مقاومة القوات الفرنسية . ولكن الجنرال غورو قرر الاستيلاء على دمشق بالقوة ، وأمر جيوشه بالتقدم إليها بحجة أنه رفع إنذاراً نهيائياً لفيصل . وعندما كشف المواطنون خطة الاستيلاء قامت جميع القيادات السورية تساند الأهالي في دمشق بالنهوض لمقاومة العدو المدجج بالسلاح (١) .

وامام تسارع الاحداث في سوريا وباشاعة تقدم القوات الفرنسية تجاه دمشق دعا المؤتمر السوري لعقد جلسة طارئة ودعوا بضرورة التمسك بقرارات المؤتمر السوري السابق التي تقضي بالدفاع عن الاستقلال التام والوحدة العربية حتى النهاية وختم المؤتمر جلسته بقرار يطلب من الحكومة إقرار اقتراحاته ونشرها على الأمة ، وهي :

١ - الاستقلال التام والوحدة السورية ورفض العدوان الفرنسي والهجرة الصهيونية.

٢ - ملكية فيصل على الاساس النيابي الدستوري .

٣ - ابقاء المؤتمر منعقداً يراقب أعمال الحكومة المسؤولة امامه إلى أن يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي ، قراراً واحداً لايقبل التجزئة ، وان المؤتمر السوري لا يعترف بأية معاهدة أو اتفاقية تتعلق بمصير البلاد ما لم يصادق عليها وابلاغ الشريف حسين في مكة بهذه القرارات .

وبعدما تسلم فيصل قرارات المؤتمر دعا أعضاء المؤتمر لإجتماع خاص في قصره ، ولمح لهم بالأسباب القاهرة التي اضطرته ليجنح إلى مسالمة فرنسا ، فغضب بعض أعضاء المؤتمر وذكروه بماضيه الوطني ، مرددين بأنه لايليق به ان يقبل عن رضى تحطيم الفرنسيين لإستقلال سوريا ، فتألم لما سمع وتغلب على الموقف بكياسة إذ اقترح أن يكتب كل واحد من الاعضاء رأيه الشخصي ويسلمه إليه وهكذا .

وعندما طال رد فيصل على أعضاء المؤتمر نتج عنه قيام بعض المظاهرات وهياج الشعب السوري واخذت الشائعات عن عزم الحكومة على توقيف بعض المواطنين استجابة لمطالب غورو مع أن هذه الشائعات لا أساس لها .

وفي الثامن من ذي القعدة عام ١٣٣٨هـ/الرابع والعشرين من يوليه ١٩٢٠م حدثت

---

(١) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافه السورية من الانتداب حتى الاستقلال ، ج٢ ، ص ٢٢ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٩٩ .

معركة ميسلون (*) الخالدة في التاريخ الاسلامي ضد الاستعمار والذي وضع خطتها يوسف العظمة للدفاع عن دمشق حيث شيد عدة حصون حولها وحشد حوله القوات التي تمكنت من البداية من صد تقدم القوات الفرنسية ومنعها من التقدم تجاه العاصمة ، ولكن في النهاية عجزت القوات السورية من الصمود امام تقدم القوات الفرنسية ويعود ذلك إلى نقص المعدات العسكرية وفقد النظام وقلة عدد الافراد وضعف الامكانات والتدريب على أساليب القتال الحديثة ، وهذا ادى إلى تسريح القوات العربية النظامية ولم يبقى غير المجاهدين من الشبان السوريين ، وهذا مما ساعد القوات الفرنسية بقيادة غورو إلى الهجوم على الحصون وبقية القوات العربية التي فضلت البقاء مع المجاهدين تقاتل عن دمشق واقتحمت المواقع الاستراتيجية الهامة التي كانت الفرق العربية تتمركز بها وتمكنوا من تطويق المجاهدين ومنه أنهارت مقاومة جيش فيصل ، وكان يوسف العظمة من بين الشهداء الذين سقطوا في ميدان المعركة ، وأخذت القوات الفرنسية تتقدم نحو دمشق بقيادة الجنرال غورو ، وكان عدد القوات العربية المشتركة في معركة ميسلون تقدر بحوالي ستمائة من الجنود النظاميين ، وعدد آخر يتراوح ألفين من غير النظاميين ممن دفعهم الحماس الوطني للإنضمام إلى صفوف المجاهدين ، ولا شك أن قلة المعدات العسكرية وتسريح الجيش كان من عوامل هزيمة العرب (١).

لما رأى فيصل أن الموقف لم يكن في صالحه أرسل برقيتين إلى والده الشريف حسين في الحجاز إحداهما في الثامن من ذي القعده عام ١٣٣٨هـ/الرابع والعشرين من يوليو ١٩٢٠م أي في اليوم الذي وقع فيه الهجوم الفرنسي ، والبرقية الثانية في السادس والعشرين في الشهرنفسه ، يلتمس فيهما المعونة العاجلة لصد تقدم قوات غورو(Gouraud) صوب دمشق ، كما أنه طلب من والده لفت نظر العالم الإسلامي والاجنبي إلى هذه الجريمة الكبرى التي حدثت في بلد عربي لايريد إلا الاستقلال التام من أي سلطة اجنبية وملتمساً العدالة والإنصاف لاهل هذه البلاد (٢) .

(*) ميسلون : مكان يبعد عن دمشق بمسافة ٢٠ كيلو متر إلى الجهة الغربية .

(١) القبلة ، العدد ٤٠٣ في ٢٦ يوليو ١٩٢٠م ، ص ١ - ٢ .

(٢) محمود صالح منسي : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٦١٨ .

وقد قدم الشريف حسين نسخاً من هاتين البرقيتين إلى ممثلي الدول الأجنبية في جده طالباً منهم إتخاذ الإجراءات اللازمة لإيقاف الاطماع الفرنسية في سوريا وأشار في خطابه أنه يخشى أن تنهض الأمة العربية والاسلامية للدفاع عن نفسها اذا تعرضت لأي عدوان ، كما أرسل نصوصاً من برقيات فيصل إلى وزراء خارجية بريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبلجيكا ، وأرفق معها إحتجاجه الشديد على العدوان الذي أقدمت عليه فرنسا (١) .

وعندما رأى الشريف حسين في الحجاز بتأزم الأوضاع في سوريا بدأ يتحرك ، فطلب من لويد جورج (george) بأن يتدخل لإيقاف العدوان الفرنسي ، ولكنه لم يفعل شيئاً أمام فرنسا لأنها حليفة لحكومته ، وهذا ماهو إلاّ جزء من مخطط متفق عليه بين الحكومتين ، فدخلت القوات الفرنسية دمشق في التاسع من ذي القعدة ١٣٣٨هـ/الخامس والعشرين من يوليو ١٩٢٠م (٢)، واحتلوا الثكنات الرئيسية ، وأعلن الشريف حسين إحتجاجه الشديد في الحجاز لهذا العمل العدواني ، واستنكر الأعمال الفرنسية وتخاذل بريطانيا أمام هذه الأعمال العدوانية ، وأعقب الاجتماع السابق بأخر ، حيث أرسل برقية أخرى إلى وزارة الخارجية البريطانية مرفقاً بها احتجاج رسمي إلى عدد من الدول الأوروبية ، يستنكر فيها العدوان الصارخ على سوريا ، والادعاءات الفرنسية في سوريا بأنها لها مصالح قديمة ، ومقررات مؤتمر السلام التي لم تنصف العرب ، وأشار كذلك الشريف حسين بأن الجيوش العربية كانت أول الجيوش التي دخلت دمشق منذ عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م واجلت القوات العثمانية منها (٣) .

وهكذا سقطت دمشق و غادرها فيصل إلى حيفا وهناك كتب مذكرة إلى لويد جورج ، يقول له فيها : (إن الأعمال غير الشرعية التي قامت بها فرنسا في سوريا ، قد أضطرتني للسفر إلى أوروبا موفداً من والدي الشريف حسين ، لأعرض القضية العربية مرة أخرى أمام حكومة بريطانيا) التي ابدت تخليها عن قضيتنا (٤). فالأعمال التي قامت بها فرنسا لا يمكن تطبيقها على اعترافاتها السابقة فيما يتعلق بأغراضها وغاياتها في الحرب .

---

(١) Zeine, Zeine. N.: op. cit, p. 183 .

(٢) Baker , Randall : op. cit, p. 171;

شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال ، ج٢ ، ص ٢٢ .

(٣) F.O.371/5063, Report Clyton to Ministery of Foriegn, about Syria, Dated, 9 Aug, 1920

(٤) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج٣ ، ص ٢٦٩ .

وعلى اثر معركة ميسلون غادر دمشق وسوريا عدد كبير من الزعماء السوريين المجاهدين باعمالهم واقوالهم واقلامهم وصحفهم في سبيل الوحدة والحرية والاستقلال التام متجهين إلى مصر وفلسطين وشرق الاردن وجميعها تحت الاحتلال البريطاني وحكم على بعض منهم بأحكام غيابية جراء مساعدتهم العصابات بالسلاح والتشويق والاغراء ، ولقد أدت هذه الأحكام إلى الضعف في سوريا .

وعندما أحس الحسين بالحرج من موقف البريطانيين المتخاذل من القضية السورية ، أرسل في منتصف ذي القعده عام ١٣٣٨هـ/أول أغسطس ١٩٢٠م حبيب لطف الله ، وحسن خالد أبو الهدى إلى لندن بصفتهما موفدان من قبل حكومة الحجاز ، يحملان معهما رسائل من الشريف حسين إلى لويد جورج (George) رئيس الوزراء البريطاني ، حيث قدما له شكوى الحسين من استيلاء فرنسا على سوريا بالقوة ، والاعتداءات التي يتعرض لها السوريون ، والاتهامات الفرنسية الموجهة لحكومة الحجاز التي تناضل لأجل استقلال البلاد العربية على حد قوله (١) .

وعندما قابلاه وقدما له الرسالة رد عليهما بأن الحسين يستطيع أن يوقع المعاهدة مع الحكومة البريطانية التي تنص على الاعتراف بالانتداب على البلاد العربية ، ويعتبر هذا الرد تهرب من مسئولياتها تجاه مطالب الشريف حسين ، وأوضح لهما كذلك رئيس الوزراء البريطاني بأن الحكومة الحجازية بحاجة ماسة للمال وأن من شدة حاجتها دفعها إلى الاقتراض من التجار الحجازيين ، ومعنى ذلك فإن الحكومة الحجازية رأت انه لا تستطيع ان تترك مسئولياتها في سوريا (٢) .

وبعد أن اقتنعت الحكومة البريطانية بشكوى الحسين ردت عليه بكلام غير مهذب ، وأرسلت إلى اللنبي في أول محرم ١٣٣٩هـ/الخامس عشر من سبتمبر ١٩٢٠م أن يتقصى الحقائق في سوريا ، فاستقبل كثيراً من الرسائل من الزعماء السوريين ، يطالبون مغادرة القوات الفرنسية ، والتزام الحكومة البريطانية بالعهود التي فرضتها على نفسها للحسين قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، وبالمبادىء والأخلاق الإنسانية ، كما أرسل الحسين برقية أخرى إلى اللنبي يصف له بأن الانتداب الفرنسي على سوريا سيؤدي إلى حدوث الكوارث والأخطار ، ولخوفه الشديد من

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية ، ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٠ - ٣١ .

النتائج الوخيمة التي ستحدث في سوريا مستقبلاً (١) ، كما طلب من اللنبي بأن يبذل قصارى جهوده لإيجاد الحلول المناسبة لها ، ومن جهة أخرى كان الشريف حسين قد تأثر بثورة حوران السابقة التي أستعان أهلها به ، وإستجابة لطلب السوريين استشار مستشاريه لإرسال أحد أبنائه للإنضمام إلى الثورة في سوريا ، ووقع الاختيار على ابنه عبدالله الذي أرسله عاجلاً ليكون وكيلاً لأخيه فيصل في الأراضي السورية القريبة من شرق الأردن ، ولتكون قاعدة للإنطلاق منها على القوات الفرنسية في سوريا ، وهذا ما سنوضحه فيما بعد (٢) .

وعلى الرغم من تكرار شكاوى الحكومة الحجازية للحكومة البريطانية إلاّ أن السلطات الفرنسية المحتلة بدأت تطبق في سوريا قوانينها التعسفية ضد السوريين (٣) ، كما بدأت في تنفيذ برامجها الاستعمارية ، ومنها : تقسيم وتجزئة المناطق السورية إلى دويلات ، وأعلن الجنرال غورو بإقامة دولة لبنان الكبرى ، وأصدر قراراً بفصل ولاية حلب عن سوريا وإنشاء دولة مستقلة باسمها ، وقام كذلك بإنشاء دولة العلويين في لواء اللاذقية ، وعين لها حاكماً فرنسياً ، ولكن هذه التقسيمات التي اجرتها فرنسا في سوريا لم تثن أهلها عن الثورات المتكررة التي عمت جميع المناطق السورية رغم التعسف الفرنسي ضد المجاهدين السوريين ، ولنترك ذلك النضال في موضوع آخر .

كما انتقد الشريف حسين في رسالته إلى المعتمد البريطاني في جدة ، من السياسة البريطانية المتناقضة في الأزمة السورية الأخيرة ، والتي سببت إلى إثارة الشكوك العربية تجاه سياسة دول الحلفاء العدوانية ، وخاصة تدخلها السافر في سوريا وفلسطين ، وعاب الحسين على المعتمد البريطاني في تصريحه الاخير بموقف دول الحلفاء المتخاذل من الشعوب المضطهدة من الدول المنتدبة عليها ، ومنها ما تفعله الحكومة الفرنسية في سوريا .

---

(١) Baker, Rondall : op. cit, p. 164 .

(٢) Hourani, A.: op. cit, p. 55 .

(٣) نجيب الأرمنازي : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، ص ٢١ .

ولقد تناولت جريدة القبلة أحداث سوريا بنوعاً من التفصيل ، وسلطت هجومها بمساويء الوصاية الفرنسية على سوريا ، وبالبطش والاضطهاد الذي اتبعته ضد المواطنين العرب في سوريا ، رغم كل المحاولات التي قام بها الحسين والقيادات السورية مع الحكومة البريطانية والتي باءت بالفشل الذريع وداست دول الحلفاء بالأقدام على الوعود الصريحة المعطاة للشعوب العربية بالاستقلال عن الدول الاجنبية ولإدارة بلادهم بأنفسهم ، فالدول الاستعمارية عاملت سوريا كغنيمة حربية وقسمتها إلى أجزاء متعددة ، وجعلت السياسية فيها متباينة والوحدة الوطنية ممزقة ، وأماني الشعب بعيدة التحقيق . وكل هذه الاجراءات التي قامت بها فرنسا ما هي إلاّ لتفريق المجاهدين في المناطق السورية حتى يسهل عليها القضاء عليهم .

د - موقف حكومة الحجاز من أحداث المعارضة السورية للإنتداب الفرنسي

١٣٣٩/١٣٤٠هـ - ١٩٢١/١٩٢٢م

كان لأحداث العنف والصدامات التي وقعت بعد احتلال القوات الفرنسية على ما تبقى من سوريا ، وخروج فيصل بن حسين من دمشق أثره السلبي في نفوس السوريين ، حيث ظهرت بعض المظاهرات تجوب شوارع المدن السورية الساحلية والداخلية ، وامتدت حتى الأرياف والبادية تطالب برفض الانتداب ، وإعلان الكفاح المسلح ضد الفرنسيين (١) . ولكن هذه الثورات لم يكن لها أثر كبير تستطيع القضاء على القوات الفرنسية ، لأن قيادات هذه الحركات كانت غير موحدة ، وذلك للإنقسام الواضح الذي ظهر بين عناصرها في تلك الفترة .

وبعد فترة وجيزة من الثورات المتوالية استطاعت بعض الأحزاب السياسية السورية أن تنظم صفوفها ، فقامت بعدة هجمات مسلحة معاكسة على الوحدات العسكرية الفرنسية المتواجدة على الأراضي السورية ، كما وجهت نداءات إلى الحكومة الحجازية . وقد اوجدت تلك الصيحات استجابة عند الأهالي والحكومة في الحجاز ، فقام الأهالي بعدة مظاهرات عامة في المدن الحجازية تندد بالإحتلال الفرنسي لسوريا ، وتطالب الحكومة الحجازية بالتدخل السريع لإنقاذ إخوانهم من الإحتلال الفرنسي ، كما نادت بعض الجمعيات الوطنية السورية إلى حمل السلاح ضد المستعمرين (٢) ، ولكن ذلك لم يتحقق بالدرجة المطلوبة ، وذلك لنقص الأسلحة والمعدات العسكرية والذخائر عند السوريين ، نتيجة للمراقبة المستمرة للقيادات الفرنسية للحدود السورية ، وخاصة منطقة شرق الأردن والعراق ، حيث وقفت سداً منيعاً أمام تهريب الأسلحة التي كانت ترسل من الحجاز إلى سوريا عبر منطقة شرق الأردن والعراق ، بالرغم من الضغوط البريطانية على الحسين للتخلي عن إستفزازاته لفرنسا في سوريا . وفي الوقت ذاته وجدت صيحات ونداءات الحسين في الحجاز ترحيباً عند السوريين ، فأرسل إلى ابنه عبدالله في منطقة شرق الأردن يطلب منه بذل جهوده لمساعدة إخوانه السوريين ، لإسترجاع حكم ابنه فيصل في سوريا الذي سلب منه بدون وجه حق (٣).

---

(١) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٤٧ .

(٢) داكوبرت ميكوش : عبدالعزيز ،ترجمة أمين رويحة ، ص ١٥٥ .

(٣) الجريدة الرسمية ، العدد ١٧٨ ، مارس ١٩٢١م .

وعندما شعرت الحكومة الفرنسية بموقف الحسين تجاهها في سوريا ، طلبت من حليفتها بريطانيا منع الحكومة الحجازية من تصدير الأسلحة إلى سوريا ، لأنها اعتبرت ذلك تدخلاً في الشؤون الداخلية لسوريا .

ولقد استجابت بريطانيا على الفور لطلب فرنسا ، وقامت بمحاولة منع عبدالله بن الحسين من التدخل في شئون سوريا ، وطلبت منه أن يضغط على والده في مكة المكرمة بأن يمتنع من دعمه للمجاهدين السوريين ، ويوقع معها على معاهدة بينها وبين والده . وعندما أحيط الشريف حسين علماً بذلك الطلب رفض قبول توقيع أي معاهدة تعقدها بريطانيا معه تجعله يتنازل عن القضية السورية .

أما فرنسا فإنها استغلت الموقف البريطاني المنحاز الى جانبها بمنع أي تدخل خارجي ضدها في سوريا ، خاصة من الحكومة الحجازية الداعم الاساسي للمقاومة السورية ، فتفرغت لإخماد الثورات والحركات الداخلية التي قامت في اللاذقية ، وشمال حلب ، وبعلبك ، وقسمتها إلى مناطق عسكرية ، ومنها : الأقضية الشرقية وهي : (بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع) ، وعينت عليها قيادات تابعة لها تخضع لسيطرتها لإخماد الثورات (١) . ولكن هذه التدابير التي اتخذتها لم تقض على نشاط الحركات الوطنية التي كانت كثيراً ما تهاجم مراكز القوات الفرنسية ، وتكبدها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ، خاصة في المناطق السورية الداخلية والشمالية ، وهذا مما أزعج القيادات الفرنسية ، ودفعها إلى تشديد قبضتها على كل المدن السورية ، بهدف إخضاع الحركات العربية السورية بداخلها ، واتهمت الحكومة الحجازية بأن لها دوراً كبيراً في بث الروح الوطنية في صفوف المجاهدين والقيام بالأعمال التخريبية التي ظهرت مؤخراً ضدها في سوريا وأدت إلى زعزعة القوات الفرنسية .

ولقد عجزت فرنسا من القضاء على القيادات السورية المشجعة للثورات ضد القوات الفرنسية ، ويعود ذلك للدعم الذي كانوا يلقونه من سكان منطقة شرق الأردن والحجاز ، هذا بالإضافة إلى ما كانت تنشره بعض الصحف ، ومنها : صحيفة القبلة الحجازية من التحريض على الثورة ، لأن ذلك يعتبر من الجهاد المقدس ضد الفرنسيين ، وتصف لهم موقف الشعب الحجازي المؤيد لقضيتهم . ولقد تم تهريب كثير من هذه الصحف المؤيدة للثورة في سوريا عبر منافذ سوريا مع شرق الاردن والعراق ، فوصلت إلى يد رجال الحركات السورية ، الذين قاموا بدورهم بتوزيعها على المواطنين والمجاهدين من الشباب ، مما كان لها الاثرالايجابي في زيادة إشعال المقاومة في دمشق (٢) .

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال ، ج٢ ، ص ٣٠ .

ولقد شعرت فرنسا بالدور الكبير الذي تقوم به الصحف السورية والحجازية التي تشجع المواطنين على القتال ضد الوحدات العسكرية الفرنسية ، والمطالبة بالغاء الانتداب المفروض على اراضيهم ، ومدى تاثيره على المواطنين ، مما ادى إلى ظهور بعض الثورات الجديدة ، ومنها : ثورة ابراهيم هنانو (*) ، التي تاثرت بالمنشورات ووجدت ترحيباً ودعماً كبيرين من المجاهدين السوريين اضافة إلى الفرق العسكرية التركية التي وصلت شمال سوريا لدعمه وتمركزت في القرى الشمالية من الحدود السورية لمساعدة المجاهد هنانو ، واشتبكت هذه القوات مع الفرنسيين في عدة معارك اجبرت القوات الفرنسية إلى الفرار عن بعض مراكزها وشجع هنانو الفرق العربية أن تزحف على بعض المناطق التي تحت سيطرة القوات الفرنسية . وعندما سمع الشريف حسين في الحجاز بهذه الحركة الوطنية عن طريق ابنه عبدالله بن الحسين الموجود في ذلك الوقت في شرق الأردن في أواخر عام ١٣٣٩هـ/١٩٢١م بادر بدعمها معنوياً عن طريق ابنه (١) .

وقد توسعت هذه الثورة المدعومة ببعض رجال الحركات الوطنية السورية الأخرى في المناطق السورية ، والفرق العسكرية التركية . ولقد أدى ذلك إلى زيادة عدد المشتركين في الجهاد حتى بلغ عددهم ما بين ٥٠٠ إلى ٨٠٠ رجل ، ورغم نقص عتادهم إلاّ أن وعورة الأراضي التي يقاتلون عليها ساعدتهم على التصدي لعدوهم ، لأنهم يعرفونها حق المعرفة بعكس الفرنسيين ، إضافة إلى ذلك قيامهم بالعمليات ليلاً ، مما مكنهم من الاحتفاظ ببعض المناطق والمدن في يدهم ، وكان الذي يقود القتال في انطاكية وفي جبل العلويين الشيخ صالح العلى ، الذي قام بتدمير الخطوط الحديدية ، وخطوط البرق التي تربط حلب بالأسكندرونه وبيروت ، مما جعل كل شمال سوريا تحت سيطرة المقاومة ، وهذا ما أزعج الفرنسيين (٢) .

(*) هنانو : هو ابراهيم بن هنانو احد المواطنين السوريين كاتب احد المهتمين بالقضية العربية يطلب المساعدة لثورة ضد الفرنسيين ، فلم يجد من يلبي طلبه الا الحاج فاتح المرعشلي في حلب والشيخ رضا الرفاعي ونوري الجس زملاءه في المؤتمر السوري وكانوا هؤلاء يمدونه من وقت لاخر ما يستطيعونه من اموال واعتده حربية وغذاء ورغم دعم ثورته الا انه اضطر السفر إلى تركيا في الوقت الذي كانت فيه الثورة في اوج شدتها بين الاتراك والفرنسيين في كليكيا ، واخيراً وصل هنانو إلى مرعش ووعده بمساعدته بالاسلحة والزخيرة وكان يرافقه في هذه الرحلة شقيقه عقيل وبعض اصدقائه واخيراً اتصل بالاتراك وطلب اليه الاتراك ان يسير بتوجيههم واشار لهم بانه مستعد لمواجهة الخطر الفرنسي .

(١) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ، ص ١٣١ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٤٦ .

لكن فرنسا لجأت إلى أسلوب جديد لمحاصرة المجاهدين السوريين ، وهو فرض الحصار الاقتصادي على المناطق التي تحت يد المجاهدين ، مما أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في المناطق التي تحت سيطرتهم وذلك لإضعاف معنوياتهم .

وعندما علم الأهالي في المدن الحجازية بالحصار الاقتصادي المفروض على المدن السورية التي تحت سيطرة المجاهدين ، قام الأهالي في مكة المكرمة وجدة بمظاهرات استنكار واحتجاج مطالبين من الحكومة الحجازية التدخل السريع ضد الاجراءات الفرنسية ، فأصدر الشريف حسين أمره للمسئولين على صحيفة القبلة الحجازية أمراً بنشر مقالات الاحتجاج التي تدين التعسف الفرنسي ، وتطالب المواطنين السوريين بالتصدي للقوات الفرنسية التي أخذت تسيطر على معظم البلاد السورية بالقوة . وفي الوقت نفسه ، قام الشريف حسين بتجديد نداءاته للحكومة البريطانية بالغاء نظام الانتداب الفرنسي على سوريا ، وعليها الوفاء بوعودها باستقلال البلاد العربية ، وتوحيدها تحت قيادة عربية واحدة (١) .

وفي نهاية عام ١٣٣٩هـ/١٩٢١م أحست الحكومة الفرنسية باتساع الثورات ضدها في سوريا نتيجة لتكاتف السوريين العرب ضدها ، فلجأت إلى أسلوب القوة ، فانشأت لذلك أربع مناطق قيادية سياسية مؤيدة لها في كل من دمشق ، وحلب ، ومناطق العلويين وجبل الدروز (٢) . وكان يحكم كل منطقة حاكم محلي يعمل إلى جانبه مستشارون فرنسيون يتمتعون بإدارة ذاتية (٣) ، كما عينت مفوضاً سامياً في كل منطقة بمثابة قائد ، وبهذا أصبح مصدر السلطات ورئيسها جميعاً ، يعمل بنظام فردي لا ينظر إلاّ إلى مصلحته دون إعتبار لمصالح بلاد الشام كوحدة واحدة (٤) .

كما أقامت فرنسا شبكات تجسس بين المواطنين في المدن السورية لتشجيع أنصار الفرنسيين ، ومن يواليهم العمل على صد الحركات الوطنية واضعافها ، وكذلك استغلت السلطات الفرنسية الطبقات الطائفية مثل الدروز والنصيرية والشركس والأرمن لصالحها ، فجعلت جبل الدروز وجبال اللاذقية منطقتين عسكريتين ، ويعود ذلك لموقعها الاستراتيجي في البلاد السورية ، وذلك لضرب العناصر غير الإسلامية بالمسلمين ، وفتح صراع ديني في المنطقة عملاً بالسياسة البريطانية (فرق تسد) (٤) .

---

(١) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٢٥٦ .

(٢) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ، ص ١١٥ .

(٣) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية (من الانتداب حتى الاستقلال) ج٢ ، ص ٢٨ – ٢٩ .

(٤) محمد رجائي ريان : نضال الشعب السوري ، (مجلة البحوث التاريخية – مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، س٤ ، العدد ٢ ، جامعة قاريوس – البيضاء ، يولية ١٩٨٢م) ، ص ٢٩ – ٣٠ .

وبعد ما تم تجزئة المناطق السورية ، بدأت بتضييق الخناق على البلاد اقتصادياً ، كما أثقلت كاهل السكان بالضرائب التي تفرض عليهم لإنفاقها على مستلزمات الإدارات المحلية التابعة لها ، فأدت هذه الأساليب إلى معارضة المواطنين في كل المناطق السورية ، وقامت عدة مظاهرات في المدن السورية احتجاجاً على الأنظمة التي فرضها الفرنسيون ، فلجأت فرنسا بعد ذلك إلى استخدام أسلوب القوة لإخماد المظاهرات والثورات ضدها ، ووضعت اللائمة على الحجازيين بأنهم هم السبب في إثارة الاضرابات في سوريا ، وطلبت من الحكومة البريطانية أن تعيد النظر في تعاملها مع الحجازيين وأن تمنع الشريف حسين من التدخل في الشئون الداخلية لسوريا ، وأن تجبره بالقوة على الأعتراف بانتدابها على سوريا ، فقامت بريطانيا من جانبها باستقطاب (الأعيان والوجهاء) في الطوائف الريفية والجبلية من (الدروز العلويين ، والموارنه) ، وأعيان المدن الرئيسية من غير المسلمين في دمشق وحمص وحماه وحلب وغيرها (١) ، وذلك من أجل إشعال الصراع الداخلي بين هذه الطوائف ، لكن هذا الأسلوب الذي أقدمت عليه بريطانيا لصالح حليفتها فرنسا فشل في القضاء على الثورات التي اجتاحت المدن السورية .

ولما أحست فرنسا بفشلها الذريع في إخماد الحركات السورية المعادية لها ، لجأت إلى استغلال تأييد الدروز السوريين لها لأسباب عديدة لمصالحها الخاصة ، فنشرت إشاعات لهم بأن الحكومة البريطانية تناصر حكومة الحجاز ضدهم ، وهذا مما أدى إلى ظهور العداء بين الزعماء السوريين والدروز(٢) ، وبهذه الخطة استطاعت فرنسا أن تسيطر على بعض المناطق السورية ، وبمراقبة الصحف في حمص وحماه وحلب والأسكندرونة والقنيطرة وإنطاكية (٣).

وفي الوقت نفسه ، بدأ الشريف حسين يعمل من جديد ليظهر على مسرح الأحداث في المنطقة ، خاصة بعدما أدرك تماماً مدى الخدعة التي وقع فيها مع الحكومة البريطانية ، التي أخذت تصرح علناً بأن الشريف حسين حاكماً على الأراضي الحجازية فقط (٤).

---

(١) وجيه كوثراني : بلاد الشام ، السكان ، الأقتصادي والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق) ، ط٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) عباس أبو صالح وآخرون : تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي ، ص٣١٦ .

(٣) محي الدين السفرجلاني : تاريخ الثورة السورية ، صفحات خالده من روائع الكفاح العربي في سبيل الحرية والأستقلال والوحدة ، (دمشق ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦١م) ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٤) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية ، (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ، ص ٣٤ ؛ جيمس موريس : الملوك الهاشميون ، ص ٧٦ - ٧٧ .

كما قامت فرنسا باعتقال الرؤوس الكبيرة المدبرة للثورة ضدها ، كما أصدرت على العديد منهم احكاماً متنوعة تصل إلى الأعدام أحياناً أو السجن لمدد متفاوتة ، كما أرسلت حملات عسكرية إلى المناطق السورية التي ظهرت بها ثورات جديدة بغية القضاء عليها ، وملاحقة بقايا جيوب المقاومة الوطنية ، بحجة معاقبة من وصفتهم بـ(المجرمين) (١) .

ولما أحست الزعامات السياسية السورية بزيادة نشاط القيادات الفرنسية ، وجهت عدة نداءات إلى بريطانيا ، ولكن لم تجد إذناً صاغية عندها ، بل تجاهلت كل النداءات التي وجهت لها من القيادات السياسية السورية ، وكذلك من الحكومة الحجازية من أجل إنقاذ البلاد السورية من بطش الفرنسيين .

وعندما رأت فرنسا موقف بريطانيا المتخاذل وسكوتها عن نداءات الشريف حسين للعمل على إيقاف البطش الفرنسي للسوريين ، قامت بمحاصرة رجال الحركات العربية ومصادرة سلاحها ، كما فرضت غرامات مالية كبيرة على أعيان المدن وبعض القيادات السورية ، وأصبح المندوب السامي الفرنسي في دمشق يتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية غير محدودة ، ويلتحق به هيئات انتدابية صغيرة في المدن السورية الكبرى ، علاوة على صلاحياته في تعيين المستشارين في الوزارة وجميع الإدارات الحكومية الأخرى .

وإضافة إلى ذلك أخذت السلطات الفرنسية تنظر إلى حكومة الدروبي في سوريا ، نظرة إدارية شكلية فقط ، خاصة بعدما سلبت منها صلاحياتها ، وبالمقابل أنشأت سلطات الانتداب إدارات خاصة أطلق عليها (المصالح المشتركة) الحقت بالمندوب السامي ، وكان الغرض منها هو الإشراف على البريد والمواصلات والموانيء والأمن وشئون العشائر وغيرها (٢) . كما سيطرت فرنسا على سياسة التعليم في البلاد ، هذا إلى جانب إشرافها على شئون الأوقاف وسكان المدن والعشائر في البادية ، وفرض الفرنك الفرنسي كعملة نقدية رئيسية للتداول (٣) .

وكان الهدف الأساسي من هذه الأعمال التي قامت بها الحكومة الفرنسية في سوريا هو لطمس الهوية العربية في سوريا . ولكنهم أحسوا بسلب حقوقهم الوطنية ، وأن مطالبهم لن تجد إى استجابة لدى الحكومة البريطانية المعروفة بتخاذلها ، وعلى الرغم

(١) محمد العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٤٩ ؛ محمد عزه دروزه : حول الحركة العربية الحديثة ، (صيد - بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) محمد العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ١٤٩ .

(٣) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ٢٥٨ ؛ حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨م ، ص ٢١ .

من التحركات الحجازية المحدودة ، عقد السوريون اجتماعاً في دمشق أعلنوا فيه عن بعض المطالب ، ومنها :

أولاً : إعلان إلغاء الإنتداب حالاً عن سوريا .

ثانياً : إجلاء الجنود الفرنسيين والبريطانيين عن سوريا ، ولبنان وفلسطين .

ثالثاً : مطالبة فرنسا وبريطانيا بالاعتراف باستقلال سوريا ولبنان وفلسطين .

رابعاً : الاعتراف بحق هذه البلاد ، وأن تتحد معاً لتكون بها حكومة قوية مسئولة أمام مجلس نيابي تنتخبه الأحزاب السورية ، وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة .

ولقد أرسلت صورة من هذه المطالب إلى الحسين في الحجاز ، فقام من جانبه بإصدار أمره للمسئولين الحجازيين بنشر هذه النصوص في جريدة القبلة لإطلاع الأهالي الحجازيين عليها ، وقد نشر في جريدة القبلة في عددها رقم ٥٧٩ وبتاريخ ٢٦ رجب عام ١٣٤٠هـ /٢٤ مارس ١٩٢٢م (١) ، فوجدت هذه المطالب ترحيباً كبيراً بين الأوساط الشعبية في المدن الحجازية ، وخاصة في مكة وجدة ، ووجه الأهالي الدعوة للشريف حسين إلى مطالبة الحكومة البريطانية بتنفيذ وعودها ، والموافقة على مقررات الإجتماع السوري (٢) .

وفي الوقت نفسه ، نشرت بعض الصحف السورية التي تصدر سراً في المدن السورية نتيجة الاجتماعات التي عقدت في دمشق ، وعرضت مطالب السوريين ، ووجدت هذه المطالب ترحيباً ودعماً من عبدالله بن الحسين في شرق الأردن ، إضافة إلى الدعم الداخلي من رجال السياسة في المدن السورية ، فبادر الشريف حسين في الحجاز بكتابة بعض الرسائل العلنية للمواطنين السوريين ، التي كان لها أكبر الأثر عند الزعماء السوريين ، وحاول أن تتراجع الحكومة البريطانية عن موقفها المنحاز إلى جانب الفرنسيين ، وأن تساعده في تطبيق نظام الوحدة مع السوريين ، لكنها عارضت تحقيق مثل هذه المطالب تقديراً لحليفتها فرنسا التي بدأت تحكم قبضتها على

---

(١) القبلة : عدد ٥٧٩ بتاريخ ٢٦ رجب ١٣٤٠هـ/٢٤ نيسان (مارس ١٩٢٢م) .

(٢) انظر تفاصيل قرارات المؤتمر ، حسن الحكيم : مذكراتي (صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠ - ١٩٥٨م ، ص ١٩٤ - ١٩٦ .

المناطق السورية المعروفة بكثرة المظاهرت فيها [١] ، وعللت رفضها بأنه قد فات الأوان ، ولا تستطيع التدخل في الوقت الحاضر ، لأن فرنسا فرضت هيمنتها على كل البلاد السورية تماماً حتى الصحافة الداخلية ، إلاّ أنها لم تسلم من هموم الصحف الحجازية التي استمرت في تنديدها بالاحتلال الفرنسي ، وتنشر مواضيع على صفحاتها ضد الاستعمار ، وهذه الصحف كانت تهرب سراً إلى المدن السورية ، وتوزع على المواطنين رغم الرقابة الصارمة التي فرضت عليهم من قبل الفرنسيين المحتلين .

وقد وصلت أنباء التحركات السورية إلى السوريين المقيمين في مصر قبل وبعد سقوط دمشق في يد الفرنسيين[٢] ، فقاموا بدورهم برفع نداءاتهم لدى هذه الحكومات ، والمطالبة برفع الانتداب عن الشعب السوري حتى يحصل على استقلاله [٣] .

فتأثر الشريف حسين بنداءات رجال الأحزاب السورية ، ومنها الحزب الوطني وبعض الزعامات السورية الاخرى ، وأحس بالندم الشديد لخيبة أمله وضياع الوعود البريطانية له ، فأرسل رسالة لإبنه عبدالله في منطقة شرق الأردن يطلب منه أن يتصل بالمجاهدين السوريين ، ليبرر لهم موقفه تجاههم على الرغم من ضغوط بريطانيا عليه ، كما أمره بأن يمد يد المساعدة لهم ضد الحصار الفرنسي الذي ضرب على المواطنين في كافة المناطق السورية [٤] .

ولكن السلطات الفرنسية لم تهتم بهذه الإشاعات التي تروج بين الاوساط الشعبية في سوريا ، كما أنها استطاعت أن تكشف عن المنافذ التي كانت تساهم في دخول الصحف إلى البلاد السورية ، وهي مزودة ببعض التعليمات الحجازية إلى الأحزاب السياسية الوطنية السورية المناضلة لفرنسا ، والذين سببوا متاعب جمّه للسلطات الفرنسية في سوريا ، فاضطرت إلى استخدام القوة ضد القيادات السورية ، التي كان على إتصال مباشر بشرق الأردن ، خاصة بعبدالله بن الحسين والذي يقوم رجاله

---

(١) شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ، ص ٣٨ .
(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٥٦ .
(٣) محمد كرد علي : المذكرات ، ج٢ ، ص ٣٣٨ .
(٤) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٨م ، ص ٣٩ ؛
شمس الدين الرفاعي : تاريخ الصحافة السورية (من الانتداب الفرنسي حتى الاستقلال) ، ج٢ ص ٣٩-٤٠ ؛ الجريدة الرسمية ، العدد ٢٣٢ ، في ١٩٢١/١٢/٢٩م .

بدور نقل تعليمات الشريف حسين من خطط ونحوها للمجاهدين ضد الفرنسيين المحتلين في سوريا [١].

ولكن فرنسا قامت بخطة جديدة محكمة تمهيداً لتشديد قبضتها على المجاهدين ، وذلك لقيامها بالاتفاق مع بعض المنظمات السورية المؤيدة لها ، وكان معظمهم من المسيحيين الذين كانت لهم مصالح معها . ولقد أدت هذه الإجراءات إلى قطع الصلة بين السوريين والحجازيين [٢].

وعندما لاحظ الشريف حسين بأن الحكومة الفرنسية بدأت تطبق مخططها الاستعماري بإسلوب آخر بنقل جميع المواد والمهمات لصالحها ، ووضعت نظاماً معيناً للحد من تحركات السكان في سوريا ، قام برفع مذكرة احتجاج إلى السكرتير العام لعصبة الامم ، أشار فيها ، بقوله : (إنني آسف لما قامت به فرنسا في سوريا بتغيير بعض الأنظمه لصالحها ، وسلب الأهالي حقوقهم وحريتهم المشروعة ، واستغلت خيرات البلاد لصالحها في سوريا ، والعرب ينظرون لهذه الجمعية بعين الارتياح غير أنهم لا يستطيعون قبول الانتداب ، لأنه نفذ دون موافقتهم . كما أرجو ألاّ توافق جمعية الأمم على هذا الانتداب قبل أن تستشيرني بصفتي قائد العرب أثناء الحرب) [٣].

وعلى أثر هذه المذكرة الآنفة الذكر ، أرسلت الحكومة البريطانية مذكرة عن طريق معتمدها في جدة للشريف حسين تطلب منه الموافقة على الانتداب الفرنسي على سوريا ، وأشارت كذلك بأنها مصرة على توقيعه عليها ، خاصة وأن فرنسا طبقت بنود الانتداب على سوريا بالقوة . وهذا الأمر جعل الشريف حسين في موقف حرج للغاية أمام السوريين بعد أن دمّر كل آمالهم ، وأخذ يداعب السوريين حول الاستقلال التام لبلادهم بالاحتجاجات والنشرات التي يرسلها لهم عن طريق القيادات السورية المؤيدة له ، ولنجله عبدالله في شرق الأردن [٤].

---

(١) محمد رجائي ريان : النضال الشعبي السوري ، (مجلة البحوث التاريخية ، مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي ، س٤ ، عدد ٢ ، يولية ١٩٨٢م ، جامة قاريوس ، البيضاء) ، ص ٣٠٠ .
(٢) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٢٣٠ .
(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٦٢ .
(٤) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ٨٦ .

وأمام تعند الشريف حسين لبريطانيا حول الموافقة على الانتداب الفرنسي على سوريا ، طلبت بريطانيا منه بأنها سوف تبذل قصارى جهدها في تسوية أي خلاف بينه وبين فرنسا حول سوريا ، لكن الشريف حسين رأى أن التاريخ لن يعود مرة أخرى ، لأنه سبق لبريطانيا أن وعدته في أكثر من مرة ، وفوجيء بالاحتلال الفرنسي العسكري الذي حل محل القوات البريطانية (١) ، وبهذا تبدد الأمل عنده في إقامة مملكة عربية مترامية الأطراف تحت زعامته مع ذهاب وعود بريطانيا له أدراج الرياح ، ولكي يضمن الشريف حسين زعامته وإستمرار أطماعه وأحلامه في زعامة العرب اثار ضجه كبيرة في بلاد الشام ، مفادها أن الشريف حسين سيرسل حملة عسكرية إلى سوريا ، فانخدع الكثير من العرب بتلك الوعود ، فاتجهت الوفود من مصر وفلسطين إلى عمّان ، للإنضمام إلى القوات الحجازية المدعومة والمتجهة إلى سوريا لإجلاء القوات العثمانية منها ، وخاف البريطانيون والفرنسيون من أن هذه الإشاعات ربما تكون حقيقية في المستقبل ، لأن نتائجها سوف تكون وخيمه عليهما إذا كانت صحيحة ، فحشد الفرنسيون قوة كبيرة في درعان (٢) ، وارسلوا عدة رسائل إلى البريطانيين يستحثونهم على مقاومة أو منع الشريف حسين من القيام بهذة الحملة ، فتأكدت بريطانيا أخيراً من خبر الحملة بأنها مجرد حشود قدمت من كل مكان إلى شرق الأردن ، فأعلن اللورد كرزون (Lord curzon) وزير الخارجية البريطانية للفرنسيين من أنها أخبرت الحكومة الحجازية باستيائها الشديد من التحركات الجارية في منطقة شرق الأردن ، وطلب أن يرسل برقية إيضاح عن هذه الحشود العسكرية المجتمعة في شرق الأردن .

فاستاء الشريف حسين من البرقية البريطانية ، ومن موقفها المتخاذل من القضية السورية ، وكيف حاولت أن تتهرب من وعودها له ، كما علم أن بريطانيا نفضت يدها نهائياً من سوريا بعدما سلمتها لفرنسا ، ومع ذلك اصر الشريف على موقفه المتشدد ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا ، واعتبر فرنسا دولة مغتصبة .

وفي بداية عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م بدأت بريطانيا تتقرب من الشريف حسين ، بعدما رأت ضعف موقفه في استرجاع سوريا ، وأعتقدت من أنه على استعداد للاذعان لها ، فأرسلت له دعماً مالياً كاقتراح منها على حماية المصالح الحجازية ، ولكن الهدف

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص٢٦٣ .

(٢) Baker, Rondall : op. cit, p. 164 .

الحقيقي من هذا العون السالف الذكر هو ان التنازل عن القضية السورية ، ويوافق على عقد معاهدة معها ، لكي يعترف بنظام الانتداب .

وفي الوقت الذي تتفاوض معه على عقد المعاهدة ، كان هناك تشرشل في القدس ينصح عبدالله بأن يضغط على والده بعدم التدخل في سوريا ، وان يوافق على قبول المعاهدة (١) . ولاشك فإن لورنس له دور كبير في هذه اللعبة الغذرة ، حيث زار جدة واخبر الشريف حسين وأعضاء حكومته بشيء من هذا القبيل ، ولكن هذه المحاولات يظهر أنها قد فشلت ، وذلك لعدم موافقة الشريف حسين على التنازل عن سوريا .

ونتيجة لذلك ، فقد أصيب الشريف حسين بخيبة الأمل ، وذلك عندما هدمت بريطانيا وفرنسا صرح أحلامه في إنشاء الدولة العربية التي كان يطمع في إقامتها . ولقد تركت سياسة الانتداب أثراً سيئاً في نفوس الأحزاب الوطنية السياسية في سوريا لما صاحبها من تفرقة على تحريض فئة على أخرى ، إضافة إلى التدهور الأقتصادي والاضطرابات السياسية المستمرة في المناطق السورية .

ولقد أستغلت فرنسا إحباط السوريين على أمل الاستقلال أو الوحدة مع الحجاز ، فسيطرت على كل شيء في سوريا ، وأستخدمت في ذلك كل أنواع القوة العسكرية لإخضاعهم لها . ولقد أدت هذه الإجراءات إلى إثارة بعض الصحف في سوريا التي أخذت تحث الأهالي إلى المظاهرات ضد الفرنسيين ، هذا إضافة إلى الصحف الحجازية التي دعت الأهالي في مكه وجدة إلى المظاهرات استنكاراً للأحداث المؤسفة التي سببها الوجود الفرنسي في سوريا . ولقد دفعت هذه المشاعر الشريف حسين إلى إلقاء كلمة على المحتشدين من الأهالي في شوارع مكة ، أعلن فيها استعدادة التام للإنضمام إلى صفوف المقاتلين دفاعاً عن سوريا ، إذا ما استمر الاستعمار في احتلالهم لسوريا إذا لم تنفع الوسائل السلمية (٢) .

وأعقبه نائب وزرائه بكلمة أمام حشد من المواطنين تضمنت الاستنكار ذاته ثم توالت بعدها خطب الاحتجاج والاستنكار التي القيت في الحفل الخطابي تضامناً مع السوريين . وقد نشرت جريدة القبلة وصفاً دقيقاً لهذه المظاهرات في مكة وجدة ، التي كانت تندد

(١) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ، ص ١٩١ .

(٢) طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ – ١٩٢٥م ، ص ٢٣٨ .

باعمال التعسف التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية ضد السوريين ، هذا فضلاً عن برقيات الاحتجاج التي رفعها الأهالي للشريف حسين وحكومته على السواء (١) .

وكان الشريف حسين ونائب رئيس وزرائه قد تلقيا عدداً من برقيات الاستنكار ، التي بعثت بها الأوساط السياسية السورية ، وهي تهيب بالشريف حسين وأتباعه من خطورة هذه الأحداث ، فأرسل برقية أخرى يناشد فيها الحكومة الفرنسية بإيقاف تعديها السافر على الأهالي ، كما رفع برقية أخرى بالمضمون نفسه إلى رئيس وزراء بريطانيا ، وبرقية ثالثه لرئيس وزراء فرنسا ورابعة لرئيس عصبة الأمم ، يوضح فيها الموقف المتأزم في سوريا ، ويطلب إيجاد حل سريع لهذه المشكلة ، و طالب كذلك الحكومة البريطانية بتنفيذ الوعود والعهود التي وعدت بها قبل قيام الثورة (٢) .

---

(١) القبلة ، العدد ٥٨١ ، ٢٩ رجب ١٣٤٠هـ/٢٧ نيسان ١٩٢٢م .

(٢) جريدة الاستقلال ، العدد ٥٦ ، ٥ مارس ١٩٢٢م .

الفصل الثاني

العلاقة بين حكومة الشريف حسين في الحجاز وشرق الأردن

أ - الوضع السياسي في شرق الأردن إبان قيام ثورة الشريف حسين في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م.

ب - دور الحجاز السياسي في شرق الأردن أثناء الثورة العربية.

جـ - موقف الحسين في الحجاز من منطقة شرق الأردن بعد ثورة عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

د - زيارة الحسين إلى إمارة شرق الأردن عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م

هـ - فكرة ضم معان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن.

أ- الوضع السياسي في شرق الأردن إبان قيام ثورة الشريف حسين في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م .

كانت منطقة شرق الأردن [(١)] إبان قيام الثورة العربية في الحجاز على يد الشريف حسين بن على عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م متصرفية عثمانية ، وكانت تضم ثلاثة أقضية ، هي : معان والسلط والطفيلة ، وناحية واحدة وخمسة وعشرين قرية كلها تابعة للولايات العربية السورية وخاضعة للسيادة العثمانية ، وكان يمثلها في مجلس المبعوثان العثماني نائب يتم اختياره بالانتخاب ، وهو بمثابة نائب لإدارة الولاية ، وكان يتألف من أربعة اعضاء عن كل لواء وكانت تحكم حكماً إقطاعياً وعشائرياً ، وكانت تتوقف سمعة الإدارة العثمانية وهيبتها في شرق الأردن على درجة استتباب الأمن والنظام ، وحماية طريق الحجاج الذي كثير ما يتعرض لغارات القبائل البدوية في تلك المناطق التي تخترقها قوافل الحج من الشمال إلى الجنوب [(٢)] ، وعلى الرغم من تلك الإجراءات الأمنية التي أتخذت إلاً أنه لم تستطع الحكومة العثمانية استئصال جذور العصبية السائدة بين القبائل وتوحيدها تحت سيادتها خلال تلك الفترة الحرجة التي يتأهب فيها الحسين لإعلان ثورته في الحجاز ضد الدولة العثمانية ، لأن منطقة شرق الأردن معروفة بموقعها الجغرافي الاستراتيجي ، لأنها كانت همزة وصل بين الحجاز وسوريا وبين فلسطين وجنوب العراق المطل على الخليج العربي من جهة أخرى ، ولذا حرصت بريطانيا السيطرة على منطقة شرق الأردن وإخضاعها لنفوذها تأميناً لمصالحها في منطقة المشرق العربي ، في الوقت الذي كان الشريف حسين أعطاها جُل اهتمامُه قبل إعلان ثورته ، لأنه متى ما وصلت إليها قواته أستطاعت الاستيلاء على بقية بلاد الشام بسهولة من يد العثمانيين .

---

(١) شرق الأردن : إن إسم شرقي الأردن ، تذكره المصادر المهتمة بتاريخ الأردن القديم أن هذا الاسم قد اطلق على المنطقة في فترة الوجود الصليبي في بلاد الشام ثمانية قرون خلت ، وأن وليم الصوري مؤرخ مملكة بيت المقدس اللاتينية قد سماها (Ultra Jordanem) ، وذكر أنها تشمل بلاد : جلعاد وعمون ومؤاب ، وفي موضع آخر سماها (Trans) ، وأن هذه التسمية تعني (ما وراء الأردن) أو (شرقي الأردن) .
انظر ، يوسف غوانمة : شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى ، (عمان ، وزارة الثقافة والشباب ، ١٩٧٩م) ، ص ٢٢٨ .

(٢) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ، ص ٣١٩ .

وعلاوة على تلك الأهمية المميزة عند الشريف حسين بالنسبة لمنطقة شرق الأردن ، فإن الأحوال السياسية فيها لم تكن مستقرة في ذلك الوقت بالنبسة للحكومة العثمانية ، وخاصة في متصرفيتي معان والسلط اللتان عارضتا المسئولين في الحكومة العثمانية على تعداد سكانها بقصد الحصول على أسماء وأعمار القادرين من اهلها على أداء الخدمة العسكرية ، لسن قانون الخدمة الاجبارية على سكانهما في الجيش العثماني ، للاستفادة منهم في صد أي اعتداء خارجي قد تتعرض له الدولة العثمانية أو لفرض ضريبة جديدة . أما السكان الذين لايستطيعون أداء الخدمة العسكرية ، فقد قامت السلطات العثمانية بتطبيق بعض الإجراءات الانتقامية ضدهم وذلك لإضعاف معنوياتهم ، ومنه فرض ضرائب جديدة باهظة التكاليف عليهم لاضعافهم نفسياً ومعنوياً (١) .

وكان الهدف الرئيسي من تلك الإجراءات هو ضم أكبر عدد ممكن من أهالي منطقة شرق الأردن لقواتها العسكرية ، لمواجهة خطر الثورة التي انطلقت من الحجاز ، وأخذت تتوسع في مدن الحجاز (٢) . لكن الأهالي كشفوا تلك المخططات ، ولذلك حاولوا بشتى الوسائل الممكنة عرقلة ماكانت تهدف إليه السلطات العثمانية من مخططات تعسفية ضدهم (٣) .

وعلى أية حال ، فقد قامت القيادات الاتحادية المسيطرة على الحكومة العثمانية في ذلك الوقت بهذا العمل السالف الذكر، وهم لايعلموا في بداية الأمر عن الاتصالات السِّرية التي حصلت بين الأهالي في شرق الأردن والشريف حسين في الحجاز قبل قيام الثورة على يد مندوبه ابنه فيصل ، الذي زار سوريا ثلاث مرات متتالية ، واتفق مع القيادات العربية المحلية في دمشق على إشعال الثورة في الحجاز والولايات السورية معاً ، ولقد أستغل مروره بشرق الأردن واجرى عدة اجتماعات مع مشائخ القبائل وبعض القيادات العربية ، وشرح لهم خطط والده في الحجاز ومحاسن الاستقلال من السيطرة العثمانية . وعندما وجد التأييد منهم اتفق معهم على إعلان الثورة ضد الدولة العثمانية ، وحثهم على مساندة والده الذي ينوي اعلان الثورة بعدما حصل على وعد بالدعم المالي والعسكري من الحكومة البريطانية .

---

(١) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ١٥٩ .

(٢) محمد كرد علي : المذكرات ، ج١ ، ص ٨١ .

(٣) سليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، (عمان ، ١٩٥٩م) ، ص ١٠ .

وعندما عاد الشريف فيصل للحجاز عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م من جولته الأخيرة وأعلن الحسين ثورته من مكة المكرمة ، بدأت القيادة الاتحادية تشدد من قبضتها على الأهالي في شرقي الأردن فأحس الأهالي بخططها التعسفية ، فحاولوا عرقلة ما كانت تهدف إليه بالقوة ، ولكن الاتحاديين في الحكومة العثمانية ادركوا خطر الثورة عليهم وأصروا على معاودة محاولة القيام بتعداد السكان مرة أخرى بالقوة ، وحصر جميع الأملاك الثابتة في منطقة شرق الأردن قبل أن تتوسع الثورة في الحجاز ، وتمتد إلى أطراف بلاد الشام ، والتي قد تتأثر بها بعض القيادات العربية في الولايات العربية الأخرى ، إلاّ أن القبائل في منطقة شرق الأردن لم تقف مكتوفة اليدين من المخططات العثمانية ، بل قاومت بشدة تنفيذ تلك الاجراءات عن طريق القيام بثورات عارمة عمّت معظم مناطق شرق الأردن ضد الأساليب الوحشية التي بدأت القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية تنفذها بالقوة لإخماد الثورات العربية ، فاضطر الوالي أحمد جمال باشا في دمشق إلى إرسال قوة عسكرية كبيرة لتأديبهم ، حيث بادرت حال وصولها بإلقاء القبض على بعض الزعماء في الكرك ، وعذب ارباب النفوذ في المدن ، والقرى المجاورة لها وان المسلك الذي سلكته الحكومة العثمانية في اخماد ثورة الكرك والاساليب الوحشية التي اتبعتها من سجن ونفي وشنق دل على أن هذه الهوة اصبحت عميقة بين الشعبين العربي والعثماني اللذين كانا يؤلفان اضخم عناصر الدولة العثمانية ، فالعثمانيون كانوا يريدون أن تكون العلاقة بينهم وبين العرب في شرق الأردن يجب أن تقوم على أساس فرض سيطرتهم بالقوة عليهم ، وصبغهم بالصبغة العثمانية ، والقضاء على هويتهم ، بينما العرب يريدون تطوير تلك العلاقات بحيث يحصلون على استقلالهم الذاتي ، ثم المشاركة في تسيير دفة الدولة وسياستها مشاركة الند للند (١) ، وهذا الصراع بين العرب والعثمانيين تبلور بعد الانتفاضات والثورات إلى قيام ثورات عربية عارمة عمّت حوران وجبل الدروز ، والكرك بصورة أكثر جلاء ووضوحاً عما كانت عليه من قبل ، ولا سيما في بداية قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، حيث توغلت هذه الثورات داخل القرى والمدن في بلاد

---

(١) يوسف غوانمة : تاريخ شرق الأردن ، ص ٢٤

شرقي الأردن [١]، ثم توسعت بعد ذلك ، فعمَّت معظم مناطق شرقي الأردن حتى شملت المناطق البعيدة من المراكز العسكرية والوعرة التي لاتستطيع القوات العثمانية الوصول إليها بسهولة ، وكانت تحركاتها متزامنة مع قيام ثورة الشريف حسين في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م ، ويبدو أن سبب زيادة النشاط المعارض لسياسة الاتحاديين في الدولة العثمانية إلى الاتصالات السرية المستمرة بين زعماء القبائل الأردنية ، والشريف حسين في مكة قبل وبعد إعلان ثورته في الحجاز ، والذي كان يولي اهتمامه في ذلك الوقت بتوطيد علاقاته بالقبائل والقيادات العربية والقضاء على القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية التي كشفت عن مخططاته في الحجاز ، وحاولت القضاء عليه بالقوة قبل أن يوسع نفوذه في الحجاز وبلاد الشام .

وبالاضافة إلى ذلك ، فإن الأوضاع السياسية الداخلية السيئة التي كانت تعاني منها شرق الأردن أثناء انطلاق الثورة الحجازية من فساد التنظيمات الإدارية ، وسوء الأحوال الاجتماعية والصحية ، والثقافية التي وعدت الدولة بتحسينها ، ولكنها تخلت عن تحقيقها ، وانصرفت لإعداد العدة لإيقاف الاضطرابات الداخلية التي عمت معظم منطقة شرق الأردن ، وإخماد الثورة الحجازية التي تزعمها الشريف حسين واصبحت تهدد الوجود العثماني فيها .

ولقد أخذ هذا الفساد يزداد تفاقماً في شرق الأردن - التي كانت خاضعة في ذلك الوقت للدولة العثمانية ، وتعتبرها جزء من الولايات العربية السورية ، مما دفع الأهالي إلى القيام بحركات سياسية ضدها . من أجل الاستقلال عن الحكم العثماني بسبب بطش القيادات الاتحادية التي ارسلت لإخماد هذه الحركات بالقوة لصالحها [٢] .

ومن هذه الثورات التي قامت : ثورات دينية ، وحركات انفصالية بين الأهالي ، عمَّت جميع مناطق شرق الأردن ، ينادون بالانتماء العربي ، والتحرر من سلطة الاتحاديين المسيطرين على الدولة العثمانية ، التي بدأت تحاول فرض سيطرتها بالقوة على القبائل ، بعد ما كشفت إتصالاتها بالشريف حسين حتى لاينضموا إليه في

---

(١) محمد العابد : عمان في ماضيها وحاضرها ، (عمان ، منشورات العاصمة ، ١٩٧١م) ، ص ١١٧ .

(٢) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٤٣ .

الحجاز ، في الوقت الذي رفع فيه الشريف حسين راية العصيان والتمرد ، فأخذت أخبار ثورته تتناقلها الزعامات العربية فيما بينها في شرقي الأردن وسوريا (١) .

وعندما رأت القيادات الاتحادية أن الموقف الداخلي في منطقة شرق الأردن لم يكن في صالحها ، انتهجت سياسة القمع والسجن والإبعاد عن شرق الأردن إلى ولاية دمشق ليكونوا على مقربة من الوالي أحمد جمال باشا ، وبهذا الأسلوب الذي اقدمت عليه القيادات الاتحادية عانى الكثير من السكان من وطأة الظلم والتعسف ، حيث قبضت على المتعصبين منهم ونفيهم ، لكي تنفذ فيهم سياسة الردع بالقوة للقضاء على كل أماكن الثورات في شرق الأردن ، وذلك خوفاً من انضمامهم إلى الدول الأوروبية التي أعلنت الحرب العالمية الإولى التي قامت عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ، والثورة الحجازية التي اشتعلت عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م في الحجاز ، وقضت على معظم التحصينات العثمانية في مكة وجدة والطائف (٢) .

ومن الملاحظ ، فإن هذا الصراع الدائر بين أهالي منطقة شرق الأردن ، والقيادات الاتحادية في الدولة العثمانية تبلور أخيراً إلى قيام ثورة عصيان جديدة في حوران والكرك وغيرها من المناطق المعروفة بكثرة تمردها على الولاة العثمانيين في شرق الأردن بصورة أكثر وضوحاً عما كان عليه سابقاً ، متزامنة مع اتساع ثورة الحسين بن علي في الحجاز والذي يولي جل اهتمامه في ذلك بشرق الاردن واستغل تأييدهم له وسيلة لتحقيق أطماعه السياسية في البلاد العربية ، وارتبطت ثورة شرق الأردن به ، ومن جانب آخر أعتبرها البريطانيون وسيلة لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية بعدما لمسوا ضعف الشريف حسين في الامور السياسية فضللوه بالوعود الوهمية لاستكمال السيطرة على المشرق العربي (٣) .

---

(١) محمود العابدي : من تاريخنا ، (عمان ،جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٧٤م) ، ص٧٥ .

(٢) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، (الحرب في الأردن ١٩١٧-١٩١٨م) ، ص ١٢٨-١٢٩.

(١) فريد ريك بك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ترجمة بهاء الدين طوقان ، (القدس ، مطبعة دار الايتام الاسلامية ، ١٩٣٤م) ، ص ١٨٠ .

ولقد وجدت هذه الثورات ترحيباً من بعض القبائل في منطقة شرق الأردن القريبة من الحجاز وأخذت توسع نطاق دعايتها حتى شملت بقية المناطق الجنوبية من شرق الأردن ، والتحقت بها قبيلة الحويطان القاطنة جنوب شرق الأردن بزعامة شيخها عودة أبو تاية بالقوات الحجازية ، التي كانت توالي تقدمها تحت قيادة الشريف فيصل بن الحسين تجاه الوجه خلال تلك الفترة (١) ، وهي النقطة الأولى التي أدت إلى زيادة التعاون بين الحجازيين والأوروبين ضد القيادة الاتحادية في الدولة العثمانية في بلاد الشام .

(١) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب) ، ص ٣١٩ .

ب - دور الحجاز السياسي في شرق الأردن أثناء الثورة العربية

لقد استغل الشريف حسين بن علي في الحجاز تدني الأوضاع الداخلية المتدهورة في منطقة شرق الأردن ، التي أدت إلى ظهور الحركات العربية المعارضة بين القبائل التي كانت تنادي بالانفصال عن سلطة الاتحاديين في الدولة العثمانية ، نتيجة لقيامهم ببعض الاعمال التعسفية من نفي وسجن واعدام بعض الزعماء العرب في الميادين العامة في شرق الاردن وسوريا ، مما كان له الأثر البالغ في نفوس الأهالي في شرق الأردن وسوريا والحجاز ، فاتخذ الحسين بن علي ذلك الموقف المتوتر ذريعة لتحقيق اطماعه السياسية في السيطرة على البلاد العربية .

فعندما وصلت القوات الحجازية إلى الوجه ، وهي أقرب نقطة بالنسبة لمناطق شرق الأردن المتوترة ، بدأ الأهالي يشعرون بنشوة الثورة وحب الانتقام من القيادات الاتحادية التي لم تحقق احلامهم في الاصلاحات الإدارية داخل الدولة العثمانية (١) .

فاستغل الشريف حسين ذلك الوضع السياسي المتدهور في شرقي الأردن ، وقام بتكثيف اتصالاته السرية بشيوخ القبائل والقيادات السياسية العربية . بعدما وصلت قواته إلى الوجه من أجل حشد التأييد له بمنطقة شرق الأردن وربط مصيرهم به .

وعندما أحس الحسين بنجاح خطته بين المواطنين الأردنيين ، قام بحث القادة الحجازيين على توسيع اتصالاتهم بشيوخ القبائل المؤيدين للثورة في منطقة شرق الأردن ، ليكون لهم دور كبير في نشر أخبار انتصار الثورة الحجازية بين الأهالي أولاً بأول ، والتخطيط لهم للقيام بثورة عارمة ضد قادة الدولة العثمانية في المنطقة .

ولقد أدت هذه الإتصالات السرية التي قام بها فيصل مع القيادات الأردنية إلى إنضمام الكثير منهم للجيش الحجازي ، ومنهم : شيخ الحويطات عودة أبو تاية ، الذي رحب بالدعوة وأعلن انضمامه هو وجماعته إلى القوات الحجازية في الوجه ، ووطد علاقته بفيصل بن الحسين ، ونظراً لمعرفته بقبائل المنطقة قام بدعوة رجال القبائل بشرقي الأردن للإنضمام للقوات الحجازية لقتال القوات العثمانية داخل شرق الأردن لمعرفتهم بأماكنها . كما قام بعدة عمليات عسكرية مفاجئة مع رجال قبيلته ضد

---

(١) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ٤٤ .

معسكرات القوات الاتحادية وقام بقطع الخطوط الهاتفية واتلافها في العقبة ، ليقطع أي اتصال بين قوات الدولة العثمانية في المدينة المنورة المحاصرة من قبل القوات الحجازية ، والوالي العثماني أحمد جمال باشا في سوريا ، حتى لايتم تبادل أي معلومات حول نشاط القوات الحجازية شمال الحجاز ، وقد أعطى هذا العمل رجال القبائل في منطقة شرق الأردن حماساً قوياً خاصة في المناطق الجنوبية منها ، حيث تجددت عزيمتهم وانضم عدد كبير منهم إلى الثورة الحجازية .

ثم تطورت بعد ذلك العلاقات السياسية بين الحجازيين وأهالي شرق الأردن على يد فيصل بن حسين ، الذي أعطى منطقة شرق الأردن جُل اهتمامه ، لأنها لعبت دوراً مهماً في قتاله ضد العثمانيين لما لها من أهمية استراتيجية بالنسبة لثورته ، ثم أخذ بعد ذلك يرسل إليهم بعض القيادات ممن لها معرفة بشرق الأردن سراً محملين بهداياه ورسائله التي يصف لهم فيها العلاقات الودية بين البلدين العربيين منذ القدم ، ويطلعهم على الخطط الكفيلة بالنصر على العثمانيين في شرق الأردن بإذن الله ، وما يتمناه لهم والده الشريف حسين في الحجاز من حرية الاستقلال عن الدولة العثمانية ، ويطلب منهم مبايعته على الزعامة العربية بعد تحريرها من قبضة العثمانيين مستغلاً في ذلك تعسفهم .

وبعد أن أجرى فيصل بعض الاتصالات ، والمشاورات مع المسئولين السوريين والأردنيين حول الأوضاع السياسية المتدهورة في جميع مناطق شرق الأردن ، وتأكد من نواياهم تجاه الثورة ، دعا بعض الشخصيات الاردنية التي لم تبد أي رغبة في الإنضمام لثورة أو القيام بهجمات سرية على المراكز الخلفية للقوات العثمانية لاضعافها ، في الوقت الذي أخذت فيه القوات الحجازية توالي تقدمها تجاه شرق الأردن .

وبعدما رأى الحسين زيادة مؤيديه من القبائل في شرق الأردن ، أتفق مع البريطانيين على تكثيف اتصالاتهم بالقبائل الأردنية ، بهدف تحريضهم على الثورة في كافة البلاد العربية . وفي الوقت نفسه ، قام الشريف بمعاودة اتصالاته السرية بالزعامات القبلية ، حيث أرسل لهم بعض الخطابات عن طريق بعض القيادات الأردنية المؤيدة لسياسته ، وقد حدد لهم في هذه الرسائل حدود البلاد العربية - والتي يرغب ضمها إلى حكمه ، والتي تشمل منطقة شرق الأردن والتي تعتبر تابعة للولايات

السورية . والتي أطلق على مجموعة الرسائل (ميثاق دمشق) (١) ، والتي حدد فيها أطماعه وتوسعاته ، خاصة بعد أن وجد ترحيباً منقطع النظير من بعض الزعامات التي انضمت إلى قوات فيصل بن حسين المتمركزة في الوجه .

وقد أدركت بريطانيا أهمية التقارب الذي حصل مؤخراً بين الحسين وزعماء منطقة شرق الأردن مع أنه وافق البريطانيين على معظم الامور الخاصة بالحدود وبالتعديلات الاقليمية التي وردت في المراسلات . هذا مع العلم بأن البريطانين في المراسلات المذكورة لم يتعهدوا - على الاطلاق بالتأييد أو الاعتراف - بالاستقلال التام لأي جزء من المشرق العربي خارج ماكانوا يطلقون عليه اسم الجزيرة العربية ، وقداعتبرت بريطانيا ذلك التقارب مخالفة صريحة لأطماعها في المنطقة ، فعارضت فكرة سيطرة الحسين على منطقة شرق الأردن ولو على جزء منها على اعتبار انها تقع ضمن الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطالب بها الشريف حسين التي وعدت بريطانيا بها وان تعترف باستقلال العرب . ولكن هذا الوعد مشروطاً بأن تمد بريطانيا العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئة حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة ، فدعت بتأجيل قبول زعامته على شرق الأردن إلى ما بعد الانتهاء من الحرب مع الدولة العثمانية ، لأنها تنوي هي السيطرة الكاملة عليها نتيجة لأهمية موقعها الاستراتيجي على الطريق البري الذي يربط قناة السويس بالخليج العربي أو بين العقبة والبصرة وذلك لحماية طرق مواصلاتها إلى مستعمراتها الشرقية وحماية ممري المندب ومضيق هرمز .

ولقد ظهر هذا الحرص أكثر وضوحاً في وضع منطقة شرق الأردن في اتفاقية سايكس - بيكو (Sykes - Picot) السرية ، التي عقدت في شهر رجب عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م بين فرنسا وبريطانيا ووضعت منطقة شرق الاردن ضمن المنطقة (ب) التي كانت بريطانيا مستعدة أن تعترف فيها بدولة عربية مستقلة أو حلف حكومات عربية تحت رئاسة رئيس عربي ولها حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية . ولكن الشريف حسين تجاهلها رغم تحذيرات ابنه فيصل ، وبعض الزعماء العرب في

---

(١) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٧ - ٢٣ ؛ عبدالعزيز وجلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٨٩ - ٩١ .

الولايات السورية من أنه هناك مخطط سري بين دول الحلفاء حول تقسيم المنطقة العربيةإلى مناطق نفوذ (١).

ولعل هذه الاتفاقية تتعارض مع اطماع الحسين الذي ينوي إقامة مملكة عربية واسعة بتشجيع من أهلها والحاح من إبنه عبدالله ، الذي بذل جهوداً كبيرة في إقناعه على قبول الزعامة على كل البلاد العربية ، والذي كان يتخيل له أن بريطانيا ستدعم والده في إقامة حكومة عربية مترامية الأطراف تشمل جميع البلدان العربية (٢) .

وهذا بالإضافة إلى تأييد الأهالي في شرق الأردن ، وترحيبهم واستعدادهم لإرسال وفد إلى الحسين في مكة ، لتقديم الإعتراف له ملكاً على البلاد العربية ، والانضمام لقواته التي كانت تواصل تقدمها تجاه العقبة ، وهي ثاني منطقة تستولي عليها القوات الحجازية مؤخراً بعد المحطة الأولى وهي الوجه . ويرجع ذلك إلى الترتيبات السياسية المسبقة التي تم الاتفاق عليها بين الجانبين قبل تحرك القوات الحجازية تجاه الشمال ، ومنه المنشور الذي قام الحسين بنشره في الحجاز ، وأرسل نسخ منه سراً إلى منطقة شرق الأردن ، ووقع هذا المنشور في يد رجال القبائل في شرق الأردن ، فتأثروا بما جاء فيه من وصف مساوئ الولاة إضافة إلى تحريضه ضد القادة الاتحاديين في الحكومة العثمانية ،مما زاد من تمسكهم بالثورة وفضلوا الانضمام إلى جانب الحسين ضد سلطتهم في الولايات العربية السورية ومنطقة شرق الاردن والتي تعتبر في ذلك الوقت جزءً من الولايات السورية (٣) .

ولقد صور الحسين في منشوره الوضع السياسي المتردي الذي يعيشه العرب في العالم العربي تحت الاستبداد الاتحادي بأنه متدهور للغاية . وعندما شعر الشريف حسين بقبول مشاركة القبائل العربية في شرق الأردن في الحرب ، وضع منطقة شرق

(١) حسن الحكيم : الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية ، ص ٢٤-٢٨ ؛ وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي (دراسة وثائقية) ، ص ٧١ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٠٠ .

(٣) أنظر النص الكامل لمنشور الشريف حسين في كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، المنشور في مكتب النشر العربي بدمشق ، ص ٢٦ - ٣٤ ؛ حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٤٣ -٤٨ .

الأردن ضمن الاعتبارات الجغرافية الاستراتيجية والحربية ، وميداناً للعمليات العسكرية التي تدور رحاها في المستقبل بين القوتين الحجازية والعثمانية بقيادة نجله فيصل ، الذي أصبح له مكانة مرموقة بين الزعامات الاردنية في شرق الأردن .

ومن هنا ، برزت أهمية منطقة شرق الأردن سياسياً وعسكرياً بالنسبة للحجاز ، حيث انخرط الكثير من الأردنيين ممن لم ينضموا إلى الجيش الحجازي في الوجه ، الذي يقوده فيصل وأخوه زيد وأبن عمه الشريف ناصر بن علي وبعض القيادات العربية البارزة ، هذا بالاضافة إلى بعض الجنود والضباط العراقيين الذين في مصر وغادروها إلى الحجاز والتحقوا إلى جانب القيادات السورية التي انضمت للقوات الحجازية في الوجه . وكان لهذه القيادات دور كبير في مسرح العمليات الحربية في شرق الأردن (١) . كما بدأت تتوافد على مكة بعض الشخصيات الدينية والسياسية التي أستطاعت الخروج من منطقة شرق الأردن بحجة الحج ، لتقديم التهاني للشريف حسين بالانتصارات التي حققها في الحجاز على العثمانيين ، وأصبحوا للأسف الشديد ينظرون إليه نظرة الحاكم المنقذ لهم ، كما توهم لهم بقوته التي كانت مدعومة مالياً وعسكرياً من بريطانيا التي عملت على تكتيك الثورة (٢) .

وخلال تلك اللقاءات ، ناقش الحسين الوضع السياسي المتدهور في منطقة شرق الأردن ، والأعمال التعسفية التي يمارسها أحمد جمال باشا وأنور باشا ، وطلعت بك في الولايات العربية السورية ، ومنها : شرق الأردن ، وذلك لإخماد الثورات التي عمت معظم مناطق شرق الأردن ، ومنها : ثورة الكرك التي لم تستطع القوات العثمانية القضاء عليها ، رغم الأساليب الوحشية التي مارستها ضدها ، والتي تمثلت كما اشرنا سابقاً في سجن وقتل ونفي عدد كبير من القيادات والزعامات العربية الأردنية التي كان لها مكانة بارزة في مقاومة القوات العثمانية في شرق الأردن ، بتشجيع الحسين في الحجاز الذي استطاع أن يؤثرعليهم

---

(١) سليمان موسى : لورنس و العرب ، ص ٣٦ .

(٢) Hurbert, Young : the Independent Arab, Juhan Murray , London , 1933, P.244.

بأطماعه الزائفة [١] . كما ناقش معهم وعوده لهم لتحريرهم واستقلالهم من العثمانيين ، ومدى مشاركتهم في الحكومة التي ينوي إقامتها في شرق الأردن [٢] .

وفي مكة المكرمة عقدت ندوة عامة برئاسة الحسين ، شارك فيها أشراف مكة ، وأعضاء من حكومة الحسين ، وكثير من زعماء شرق الأردن وسوريا الذين فروا من بلاد الشام ، واتفق الجميع على الجهاد ضد العثمانيين .

وبعد هذا الاتفاق أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً على العرب ، وكان ذلك في أول محرم عام ١٣٣٥هـ/التاسع عشر من اكتوبر ١٩١٦م . ووافق الأهالي في شرق الأردن بالإجماع على مبايعته سراً ، والمشاركة معه في القتال إلى جانب قواته ضد القوات العثمانية . وفي الوقت نفسه ، اعترفت روسيا بإستقلال البلاد العربية ، وبملكية الحسين بن علي على الأمة العربية ، في الوقت الذي لم تعترف به بريطانيا وفرنسا ملكاً إلاّ على الحجاز فقط . وقررت تأجيل الاعتراف به ملكاً على البلاد العربية إلى ما بعد الانتهاء من الحرب مع الدولة العثمانية [٣] .

وعندما بدأت القوات الحجازية في الاستعداد للتحرك تجاه العقبة وانضمت إليها قبائل الشرارات والحويطات وبني صخر والعمران ، من القبائل الشمالية الشرقية المقيمة في الجوف والكرك ومعان ، وأخذت القبائل في شرق الأردن تظهر موقفها السياسي بوضوح مع قوات الحسين ، فقامت بعض القبائل التي انضمت إلى القوات الحجازية إلى القيام ببعض الهجمات الخاطفة على المراكز الخلفية لعمل خلخلة في القوات العثمانية في العقبة وما جاورها من مناطق شرق الأردن الخلفية ، ممّا أدى ذلك إلى إضعاف تحصيناتهم فيها وسقوطها في أيد القبائل الأردنية والقوات الحجازية ، وبذلك تكون القوات الحجازية قد أثبتت قدرتها على الاستيلاء على العقبة في أي وقت ممكن وبكل سهولة ، لتكون هي المحور الأساسي لها في المستقبل [٤] .

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخيه ١٩١٤ -١٩١٨م ، ص ٣١ .
(٢) جيمس موريس : الملوك العثمانيون ، ص ٥٦ .
(٣) عبدالله بن حسين (الملك) : مذكرات الملك عبدالله ، ص ١٣٧ .
(٤) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورةالعربية الكبرى ، ج١ ، ص ١١٦ .

فطلب فيصل من والده أن يزيد من مخصصاته المالية كي يتمكن من إكرام الوفود العربية من شرق الاردن وسوريا ، وفي نفس الوقت ، أبرق الحسين إلى مندوبه في مصر بفحوى هذا الطلب ، فأجابه مندوبه أن البريطانيين سيرسلون ٣٠ الف جنيه إلى فيصل ليدفعها إلى القبائل المؤيدة له في شرق الأردن ، ومن المرجح أن يكون عودة أبوتاية من بين الشيوخ الذين جاءوا إلى الوجه حينذاك فاراد فيصل أن يكافأة .

وبعد ما استولت القوات الحجازية بمساندة شيوخ القبائل بشرق الأردن التي يرأسها أبوتاية على العقبة ، أخذ الحسين يهتم أكثر مما قبل بزعماء القبائل الأردنية ، وقام بتوطيد علاقاته معهم ، ومنهم : (عودة أبوتاية) ، حيث صحب الشريف (ناصر بن علي) قائد القوات النظامية ومعهما قوة حجازية إلى داخل منطقة شرق الأردن ، وكانت مهمتها تدمير السكك الحديدية ، وبعض المحطات التي تتمركز فيها القوات العثمانية وقطع شبكة الاتصالات الهاتفية ودعوة القبائل العربية في بلاد الشام للانضمام للثورة (١) ، كما أرسل عودة أبو تاية ابن أخيه زعل مع مائة من الفرسان إلى الزرقاء ، وقام بتفجير ونزع عدد من قضبان سكة الحديد بنجاح (٢) .

وعلى أية حال ، فإن هذه هي خطوط الرؤيا التي كان يعمل لها الشريف حسين ، وقادته منذ أن أعلن الثورة في الحجاز على العثمانيين ، وهو يخطط أولاً لإستمالة الأهالي من أجل توسيع قاعدته الشعبية في شرق الأردن لأنه أحس بولاء أهلها له ، وأصبحت هي المنطقة المناسبة لنقل الثورة إليها بعد الحجاز للأسباب التي ذكرناها سابقاً ، كما قام الحسين بالاتصال ببعض القبائل التي تقطن شرق الأردن ، ومنها : القبائل البدوية التي لم يكن بوسعها الالتحاق بالثورة في الحجاز بسبب قطع سبل المواصلات بينها وبين الحجاز . وكان همها الوحيد هو طلب الرزق في المناطق الجبلية وغيرها بعيداً عن أماكن الاضطرابات أو أعين الولاة (٣) . كما زاد اهتمامه أيضاً بمنطقة شرق الأردن أثناء وصول القوات الحجازية العقبة ، لأنها ذات موقع إستراتيجي للغاية بالنسبة للحسين ، لأنه يمكن بواسطتها الحصول

---

(١) ت . أ . الورانس : أعمدة الحكمة السبعة ، (بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٩٨٠م) ، ص ٣١٦ .

(٢) سليمان موسى : لورنس العرب ، ص ٩٢ .

(٣) قاسم محمد صالح : الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٢١ .

على ما تحتاج إليه قواته من أموال ، ومعلومات عن المرتفعات التي تقع غرب معان ليتصل من خلالها بالمدن والقرى في شرق الأردن ، والتي تعتبر بعيداً عن العقبة ، وهذا بالفعل ما قام به فيصل بن حسين الذي وجد من أهلها التعاون والولاء لوالده ، نتيجة للأموال التي قام بتوزيعها على رجال العشائر لإغرائهم ، وفضلوا بعد ذلك الالتحاق بالقوات الحجازية ، وتقديم ولاء الطاعة للحسين ، فأوعز للكثير منهم بالتسلل إلى الخطوط الخلفية للقوات العثمانية في مناطق شرق الأردن الداخلية ، وتقديم الإغراءات المالية للمواطنين للانضمام إلى القوات الحجازية ، والمساهمة في تخريب بعض المراكز العسكرية للقوات العثمانية ، وبالفعل حصل الشريف حسين على التأييد الكامل من المناطق الأردنية ، ومنها على سبيل المثال : أهالي وادي موسى ، والشوبك ، والطفيلة والكرك (١) .

وقد كانت هذه المدن والقرى تخضع للسلطة العثمانية قبل وصول القوات الحجازية إلى العقبة ، وذاق أهلها مرارة الاضطهاد والأحكام العرفية على يد القادة العثمانيين . فاستغل الحجازيون ذلك الوضع السياسي المتردي في تلك المناطق فوظفوه لصالح الحسين ، وكان هؤلاء قد أرسلوا خطابات سرية قبل قيام الثورة إلى الشريف حسين في مكة يطالبونه بالتدخل السريع لإنقاذهم من اضطهاد الولاه العثمانيين ، هذا بالإضافة إلى مشاركة بعض القيادات السورية للعشائر الأردنية ، التي فرَّت مؤخراً من جحيم تعسف الولاة ، وانضمت إلى القوات الحجازية عندما دخلت شرق الأردن ، وكان لها الدور الكبير في تحرير بعض المناطق الداخلية في شرق الأردن قبل توغل قوات الشريف فيصل .

وعلى أية حال ، فقد واصلت القوات الحجازية تقدمها بقيادة فيصل بن الحسين وإخوانه ورجال القبائل الأردنية ، وقامت بعدة عمليات عسكرية بعد أن وجدت ترحيباً منقطع النظير من أهلها ، وساهموا في معارك منطقة معان ، وهي النقطة الثانية بعد العقبة ، وكشف لفيصل موقف سكان شرق الأردن الموالي لوالده ، مما شجعه على التقدم تجاه الطفيلة ومحطات السكه الحديدية ووادي نهر الأردن بعد فرار الكثير من أهلها إليه .

---

(١) سيد على العيدروس : الجيش العربي الهاشمي (ترجمة عبدالعزيز المعايطه) ، (عمان ، ١٩٨٣م) ، ص ٦٩ .

وبعد ما استولى فيصل بن حسين على تلك المناطق ، قام بمراسلة قادة المناطق المجاورة لها ، والذي سبق وأن اتصل بهم وشجعهم على ضرب القوات العثمانية من الخلف لإضعافها امام قواته ، ومن أبرز قادته الشريف زيد بن الحسين والشريف ناصر ونوري السعيد رئيس أركان القوات النظامية الحجازية بالتعاون مع التوايهة وقبيلة بني صخر . هذا إضافة إلى الضباط العراقيين الذين كان لهم الدور الكبير في معارك شرق الأردن أمام القوات العثمانية ، التي لاقت نفوراً من الأهالي بسبب ماعنوه من القمع والاضطهاد على يد أحمد جمال باشا (١) ، وتم أسر عدد كبير من الجنود العثمانيين يقدر عددهم بمائتي جندي ، وحافظ البدو على سلامتهم ، وتم تسليمهم بعد ذلك لقوات الحسين ، لأن فيصلاً كان يغري الأهالي بتقديم مكافأة مالية مجزية عن كل أسير يسلم له حياً (٢) .

وبعد ما استولت القوات الحجازية على معان وما حولها من معاقل القوات العثمانية تقدمت ثلاثة فرق عسكرية نحو الطفيلة ، وهي : قوة بقيادة الشريف مستور تساعده عشائر الحويطات بقيادة حمد بن جازي ، وتقدم بها عن طريق وادي عربة على أن يهاجم الطفيلة من الغرب . أما القوة الثانية فكانت بقيادة الشريف ناصر بن علي وعودة أبو تاية مع بني صخر على أن يهاجموا الطفيلة من الشرق . والقوة الثالثة بقيادة الشريف عبدالمعين الذي تقدم نحو الشوبك لإستعادتها من القوات العثمانية ، ومن ثم مهاجمة الطفيلة من الجنوب .

وبهذه الخطة نجح الشريف ناصر بعد مساعدة نوري السعيد الذي كان يقود قوة نظامية من احتلال محطة جرف الدراويش ، ثم تقدم بها نحو الطفيلة التي استسلمت حاميتها وقوامها (١٥٠) جندياً معظمهم من العرب بقيادة زكي الحلبي ، كما اعلن الشيخ ذياب العوران ولاءه للشريف حسين بن علي . وفي اليوم الثاني وصل الشريف زيد على قوة نظامية قوامها مائة مقاتل يساعده جعفر العسكري .

---

(١) إبراهيم الشريف : الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٠ ؛ قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٢) سليمان القوابعة : الطفيله "موجز في جغرافيتها التاريخية" ، (عمان ، مطابع الايمان ، ب.ت) ج١ ، ص ١٤٥ .

وبعد ما تم تطهير الطفيلة من القوات العثمانية المعروفة بكثرة ثوراتها ضدها ، كتب زيد لأخيه فيصل يخبره بأن إستيلاءهم على الطفيلة سبب قلق للقيادة العثمانية ، وخشيت إن يمتد الاستيلاء العربي إلى الكرك التي كانت تتصل يومياً بالشريف زيد معلنة ولاءها واستعدادها لحمل السلاح إلى جانب قوات الشريف حسين ، وان القادة العثمانيين حشدوا قوات كبيرة بقيادة المقدم حامد فخري شرقاً منه عند السكة الحديدية ومحطاتها (١) . وأنه سيتحرك مع الشريف مستور تجاه تلك الحشود العثمانية لمواجهتها والقضاء عليها ، وسيتصل بعد ذلك بشيوخ الكرك للتنسيق معهم حول مجابهة القوات العثمانية المتمركزة قريبة منها (٢) . ولكن توالي الأحداث لم تسمح له بذلك على الرغم من أن درعا والطفيلة لعبت دوراً مهماً من الناحية الاستراتيجية في الحملة الحجازية المتجهة إلى سوريا فيما بعد .

ومع هذه الأحداث المتسارعة ، حاولت القوات العثمانية في مدينة عمّان أن تفتح طريقاً لها نحو الكرك تجّر طوابيرها التي تضم أعداداً كبيرة من المقاتلين المتمرسين على أساليب القتال بمعداتهم العسكرية ، فاتجهت جنوباً للهجوم على الطفيلة من الجهة الشمالية ، ثم الإتجاه بعد ذلك إلى بعض المدن والقرى القريبة منها التي استولت عليها القوات الحجازية ، بمساعدة القبائل الأردنية ، وبعض القبائل العربية الأخرى المناصرة للحسين في الحجاز ، ولم تصل أخبار الحملة إلى الشريف زيد إلا بعد ما بلغت طلائع القوات العثمانية (وادي الحسا) ، ثم بدأت بعد ذلك تتقدم تجاه المرتفعات القريبة منها لتتمركز فيها .

فأسرع الشريف زيد بطلب المساعدة من سكان شرق الأردن ، لإيقاف تقدم القوات العثمانية التي اخذت توالي تقدمها تجاه بعض المناطق الاستراتيجية ، فلبوا طلبه فانضموا لقواته (٣) .

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية (دراسة وثائقية) ، ج١ ، ص٥٢-٥٣ .

(٢) سليمان موسى : المرجع السابق نفسه ، ج١ ، ص ١٢٤ .

(٣) قاسم محمد صالح : في رحاب الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٢٤ .

ولم يكتف الشريف زيد بذلك المساندة ، بل طلب تجنيد القادرين من الأهالي بشرق الأردن على حمل السلاح ، وتسجيلهم كمتطوعين في صفوف القوات العربية للقتال بجانب قواته النظامية . وقد حدد عدد قوات الثورة العربية في شرق الأردن بحوالي ٣٥٠ جندياً نظامياً ، هذا بالإضافة إلى بعض محاربين من عشائر الحويطات والمطالعة والعقيلات .

ولما وصلت أنباء معركة الطفيلة للحسين بن علي في مكة المكرمة ، أرسل إلى الشريف زيد برقية عاجلة في الخامس عشر من ربيع الاخر ١٣٣٦هـ/التاسع والعشرين من يناير ١٩١٨م يحثه فيها على مواصلة التقدم والاستيلاء على المدن والقرى الخاضعة للسلطة العثمانية وحث الأهالي على القتال [١] ، ثم أعقبها الشريف حسين ببرقية أخرى أرسلها للشريف زيد القائد الحجازي بتاريخ السابع عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ/أول فبراير ١٩١٨م يبلغه فيها بأنه وصلت له برقية من أخيه فيصل يخبره بأن القوات العثمانية فشلت في استرداد الطفيلة وتقهقرت عن وادي الحسا ، بعدما منيت بخسائر فادحة وقد قتل قائدها ويهنئه بولاء الأهالي له ، وبما غنمه من أسلحة وأموال [٢] .

وبعد ما استقرت الأمور في الطفيلة وبعض المناطق التابعة لها ، أرسل فيصل سرية بقيادة الشريف عبدالله الفعر للهجوم على غور المزرعة ، كما أرسل برقية مماثلة في الثامن عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ/الرابع والعشرين من يناير ١٩١٨م إلى أخيه زيد ، يطلب منه أن يستولي على الكرك ، وأن يستعين بأهل الطفيلة وما جاورها من قرى منطقة شرقي الأردن ، كما أمره بأن يطلب المساعدة من ذياب العوران ، لحشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين بناءً على طلب والده الشريف حسين بهدف الزحف على الكرك وقطع السكة الحديدية ، لأنها شريان المواصلات الرئيسية للقوات العثمانية في ذلك الوقت ، واستيلاء العثمانيون عليها قد يؤثر على سير المعارك بين الحجاز وشرق الأردن وسوريا [٣] .

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية " دراسة وثائقية " ،جـ١ ، ص ٢٢ ؛ سليمان القوابعة : الطفيلة (موجز في جغرافيتها التاريخية) ، ج١ ، ص١٤٧ .

(٢) سليمان موسى : المراسلات التاريخية " دراسة وثائقية " ، ج١ ، ص٢٣ .

(٣) سليمان القوابعة : الطفيلة (موجز في جغرافيتها التاريخية) ، ج١ ، ص ١٦٤ .

وقد رد الشريف زيد في الثاني والعشرين من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ/الثاني من فبراير عام ١٩١٨م على فيصل بالموافقة ، وأقترح عليه البقاء ببلدة الطفيلة لإدارة الحركات العسكرية منها بناءً على طلب والده في مكة ، ثم صرح الشريف زيد بقوله : (بأن أهل الديرة - الطفيلة - اليوم مرتبطون بالحجاز ارتباطاً كلياً ، فلا يجوز أن نتركهم في وجه العدو بعد أن التحقوا بقواتنا وسلموا أطفالهم إلينا ، وقد باعوا أرواحهم معنا في سبيل الدفاع عن وطنهم والارتباط بالحجاز) (١) .

ولقد سُرَّ الشريف فيصل بذلك الخبر المفرح ، وبدأ ينشيء مراكز آمنة لنقل البريد بين المدن في شرق الأردن حتى يتم نقل الاخبار بين مواقع الجيش العربي في شرق الأردن في أسرع وقت ممكن . وكتب بعد ذلك فيصل رسالة إلى الشريف زيد يخبره بأن والده الحسين مسرور جداً لجهود رجال القبائل في سير المعارك ، ومنهم : الفلاحون في منطقة شرقي الأردن بما قاموا به من قتال ضد القوات العثمانية في بعض المواقع بشرق الأردن ، وبما أبدوه كذلك من تعاون وارتباط به في الحجاز . وكان الاتجاه في القيادة أن يعين "مولود مخلص" قائداً للقوات النظامية في شرقي الأردن . ولكن تأخر وصول مولود ، أجبر الشريف زيد أن يعين الضابط عبدالله الديلمي في ذلك المركز ، ويرسل لأخيه فيصل برسالة ضمنها أسماء الشهداء الذين سقطوا في المعارك التي حدثت في مناطق شرق الأردن ، والتي أصبحت تحت سيطرة القوات العربية التابعة للحجاز . كما أوضح له أهمية موقع منطقة شرق الأردن الاستراتيجي ، لأنها تقع بين الحجاز وسوريا أي همزة وصل بين القطرين ، ولهذا جعل الحكومة الحجازية تهتم بشرق الأردن ، لأنه في حالة الاستيلاء عليها سيساعدها على القضاء على القوات العثمانية في سوريا .

ولقد اغتنم الشريف زيد الفرصة للإستيلاء على الكرك ، بعد أن وصلته نداءات من أهلها ، كما قدم وفد من مائتي خيالاً لزيارته في الطفيلة يمثلون عشائرالكرك وعربين له عن استعدادهم للترحيب بقوات الشريف حسين ، فطلب منهم الذهاب إلى القويرة للاجتماع بفيصل بن حسين ، في الوقت الذي طلب من الشريف عبدالله الفعر أن يتجه إلى الكرك ، لانه وصلته اخبار تفيده بأن القوات العثمانية تستعد لمغادرة الكرك إثر مهاجمة البريطانيين للسلط وعمان .

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية (دراسة وثائقية) ، ج١ . ص ٥٩ .

جـ- موقف الحسين في الحجاز من منطقة شرق الأردن بعد ثورة عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م

لقد زاد الاهتمام السياسي للحجاز بمنطقة شرق الأردن ، بعد ما وطد الحسين وأبناؤه دعائم سلطته فيها ، ومن هنا انطلقت القوات الحجازية صوب مدينة دمشق ، حيث دخلتها في أواخر ذي الحجة عام ١٣٣٦هـ/أول اكتوبر ١٩١٨م ، بمساندة الجنرال اللنبي (Allenby) قائد القوات البريطانية في المشرق العربي ، والذي قام بزيارة لفيصل في دمشق حال وصوله لها ، وأطلعه على الخطة التي ستتبعها قيادته في المنطقة العربية إلى أن يعقد مؤتمر الصلح مع العثمانيين في باريس في وقت لاحق . وخلاصة هذه الخطة هي : (إنشاء حكومة عسكرية عربية) تبدأ من حدود الحجاز شمالاً ، وتضم (شرق الأردن) والتي تعتبر جزءً في ذلك الوقت من سوريا ودمشق وحمص وحماة وحلب . ويكون على رأسها فيصل بن حسين ، وبالطبع كانت هذه الخطة غير مقبولة من جانب الشريف حسين ، الذي كان يتطلع إلى إقامة حكومة عربية تشمل كل البلدان العربية تحت قيادته [١] .

ومعنى ذلك ، أن منطقة شرق الأردن أصبحت خاضعة من الناحية الإدارية للحكومة العربية في دمشق ، تخضع لسلطة الشريف فيصل الذي كان نائباً عن والده الشريف حسين في الحجاز[٢] . ولكنه بعد فترة وجيزة من دخول القوات العربية دمشق ، فقدت شرق الأردن الاهتمام من الحكومة العربية في دمشق ، وذلك لإنشغالها بإقامة الحكومة وتوطيد الأمن والنظام ومطاردة فلول القوات العثمانية في الأجزاء الشمالية من سوريا ، وبتنظيم إدارتها الداخلية وبدأت اطماع الدول الاوربية تظهر أطماعها ، وهذا الإهمال أدى إلى إشاعة الاضطرابات والفوضى وزيادة النزاعات بين القبائل في منطقة شرق الأردن [٣].

وفي الوقت ذاته ، بدأت القبائل تبدي تذمرها من زيادة الضرائب التي فرضتها الحكومة العربية في دمشق على اهالي منطقة شرق الأردن وأدى ذلك إى زيادة الغزو بين القبائل بعضها ببعض ، فأصبحت العشائر القوية تغزو الضعيفة ، ولا سيما في

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٢٢ .
(٢) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٥ .
(٣) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٠١ .

المناطق التي يكثر فيها البدو ، هذا بالإضافة إلى موقف السكان السلبي من التجنيد الإلزامي الذي فرض عليهم كإجراء احتياطي لمواجهة القوات الفرنسية التي تحاول السيطرة على سوريا . مما جعل بعض القبائل تتذمر من الشريف حسين ، ووصلت هذه الأحداث إلى مسامعه في الحجاز الذي سارع بدوره ، فأرسل برقية عاجلة إلى نجله فيصل في سوريا ، يطلب منه أن يقوم بمعالجة الموقف المتوتر ، والذي أدى إلى قيام بعض الاشتباكات بين القبائل المتناحرة بشرقي الأردن ، وأن يجعلها جلَّ اهتمامه وإلاَّ سيضطر إلى تعيين أمير آخر عليها من قبله أكثر اهتماماً بالمنطقة إذا لم يستطع أن يوقف النزاعات المحلية بشرق الأردن والتي اخذت تتوسع في الارياف .

وعلى كل حال ، يعتبر هذا تهديداً صريحاً من جانب الحسين لولده فيصل ، الذي أهمل منطقة شرق الأردن بعد دخوله دمشق ، وأنشغل بوضع التنظيمات الإدارية والعسكرية لحكومته بدمشق لمواجهة استفزاز القوات العثمانية المتمركزة في الأجزاء الشماليه من سوريا . هذا بالإضافة إلى الاستفزازات الفرنسية في سوريا ، مما جعله يترك منطقة شرق الأردن تعاني من النزاعات المحلية ، نتيجة لإهماله لها مع أن الحسين كان يوليها جُّل اهتمامه منذ قيام الثورة في الحجاز .

وعلى أية حال ، فقد استغل العثمانيون هذه الظروف الحرجة في شرق الأردن ، وبدأوا يحشدون بعض قواتهم في الأطراف الشمالية من الأردن بسرعة مذهلة للإنقضاض عليها ، لانشغال القيادة العربية العامة بأمور تنظيمية بدمشق . ولكن الأهالي انتبهوا لتحركات العثمانيين واستطاعوا أن يرسلوا أحد الخيالة الذي استطاع أن يتسلل بطريقة سرية تامة إلى الأطراف الشمالية من منطقة شرق الأردن ، ويحرق مستودع الاسلحة التابع للقوات العثمانية الذي تتزود منه ، وفي الوقت ذاته دخلت مفرزة من القوات العثمانية الطفيلة لإستردادها (١) ، ولكنها لم تقم فيها وقتاً طويلاً بل عادت ، لأنها وجدت هنالك مقاومة عنيفة من السكان . ولحقت بها بعد ذلك قوات أخرى بقيادة الشريف زيد بن حسين فقضت عليها ، بعد أن دارت بينهما معركة عنيفة انتهت بتشتيتها ، وقتل عدد كبير من ضباطها وجنودها واغتنام معظم معداتها العسكرية ، وفر بعض أفراد القوات الناجية بعد مطاردتها باتجاه الشمال (٢) ، فأرسل الشريف زيد

---

(١) سليمان موسى : المراسلات التاريخية (دراسة وثائقية) ، ج١ ، ص ٩٣ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ص ٢١٩ .

بعد الانتهاء من المعركة رسالتين الأولى إلى أخيه فيصل في دمشق يخبره بنتائج المعارك مع القوات العثمانية ، والثانية إلى والده الشريف حسين في الحجاز يخبره ويطمئنه بعودة نفوذه على بعض المناطق التي أستعادها العثمانيون في منطقة شرق الأردن ، وأن الأوضاع السياسية مطمئنة ، وتسير لصالحه في الحجاز .

وعلى أية حال ، فإن الرسائل التي أرسلها زيد للحجاز ودمشق أعطت اهتمام أكثر للشريف حسين ونجله فيصل والحجازيين عامة بمنطقة شرق الأردن ، حيث أصدر الحسين أوامره بتكوين إدارة عسكرية لتنظيم الأمور فيها . وعين جعفر العسكري قائداً عاماً للقوات العسكرية فيها لمعرفته لأهلها ، وعلى أن يكون نائباً عن الحكومة الحجازية ، كما تسلم رشيد المدفعي قيادة الفرقة الثانية ومركز قيادته في عمّان(١) ، فقام جعفر العسكري حال تعيينه برفع راية الثورة العربية باسم الشريف حسين حاكم الحجاز على الطفيلة وعمّان ، وبدأ بتنظيم الإدارة المحلية فيها ووجه الدعوة لرجال القبائل القادرين على حمل السلاح للدفاع عنها ، وقام بتوزيع المكافآت المالية المجزية على شيوخ المناطق ، وزعماء العشائر بناءً على طلب من الحكومة في الحجاز ، لتوطيد علاقتها بالأهالي حتى لا يخرجون عن طاعتها ويتجهون إلى حاكم آخر اكثر اهتماماً بهم (٢) .

وعندما استقرت الأحوال السياسية لصالح الشريف حسين في شرق الأردن عين على المناطق حكّاماً عسكريين تساعد كل واحد منهم قوة عسكرية ، تقوم بحفظ الأمن والنظام . وباشر أولئك الحكام أعمالهم ، وطلبوا من وجهاء المناطق أن يقسموا يمين الولاء والطاعة لله والاخلاص في خدمة الوطن والشريف حسين .

وعندما أدرك الشريف فيصل بن الحسين لمدى قوة جعفر العسكري أمر بنقله من منطقة شرق الأردن إلى سوريا ، وذلك نتيجة لخبرته العسكرية وخطورة الوضع السياسي المتوتر هناك ، وعين مكانه راجي العراقي الذي بدأ حال تسلمه مهامه العسكرية بنشر الأمن بين الاهالي ، كما قضى على جميع الاضطرابات التي قامت في الشوبك والأزرق ودرعا . وقد أعجب هذا العمل الشريف حسين فأصدر أمراً بتثبيته حاكماً على منطقة شرق الأردن (٣) .

---

(١) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٢٤ .

(٢) مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ١٣٩ .

(٣) محمود العابدي : عمان في ماضيها وحاضرها ، ص ١٢١ ؛ سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى والحرب في الأردن ١٩١٧-١٩١٨م ، ص ١٢٨-١٢٩ .

وفي عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م نقلت الفرقة التي تحت قيادة راجي العراقي من عمَّان إلى درعا ، وبقي في شرقي الأردن لواء عسكري واحد بقيادة القائمقام عبداللطيف نوري ، وتمركزت في الكرك كتيبة مشاة واحدة من هذا اللواء تساندها المدفعية (١) . وعندما تولى رشيد المدفعي قيادة القوات ، عين في المناطق الخاضعة له حكاماً عسكريين تساند كل واحد منهم قوة عسكرية لفرض نشر الأمن والنظام فيها ، وباشر هؤلاء الحكام أعمالهم ، فطلبوا من حكام وشخصيات المناطق التابعين لهم أن يقسموا يمين الولاء لله ثم للحسين ، كما استعانوا بزعماء القبائل في إدارة الشؤون الإدارية والنظام ، كما تم تعيين الشيخ رفيقان المجالي مديراً للأمن الخارجي ، وحسين الطروانة مديراً للأمن الداخلي في الكرك والذي اعطى جل اهتمامه حفظ الأمن .

وفي السادس والعشرين من ذي الحجة ١٣٣٧هـ/الثاني والعشرين من سبتمبر ١٩١٩م اتخذ مجلس المديرين في دمشق قراراً يقضي بإلغاء نظام التشكيلات العثمانية المعمول به في المناطق ، وإحداث تشكيلات جديدة في شرق الأردن تتناسب مع وضع الأهالي واصبح هذا القرار نافذ المفعول بعد أن صدَّق على هذه القرارات فيصل بن حسين الموجود في دمشق ، وقسمت سوريا بموجبه إلى ثمانية ألوية وشملت التنظيمات الإدارية ثلاثة ألوية منها المناطق التي تكونت منها شرق الاردن ، وهي كالتالي (٢) :

١ - لواء الكرك : ومركزه الكرك وتتبعه أقضية الطفيلة ومعان والعقبة ونواحي الشوبك وذيبان .

٢ -لواء البلقاء : مركزه السلط ويتبعه قضاء الجيزة وعمّان وناحية مادبا .

٣ -لواء حوران : ومركزه درعا ويتبعه أقضية أزرع وعجلون وجرش والمسمية ، وبصرى الشام (٣) .

وبمقتضى هذه التقسيمات أو التشكيلات أصبحت الألوية بشرق الأردن مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالحاكم العسكري العام ، وترك لرؤساء الإدارة في الأقضية الجديدة أن يعينوا العاملين معهم في القرى التي ستتبع كل قضاء ، وأن ينظموا الخرائط لبيان

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٢٥ .

(٢) سليمان موسى : الأردن في أواخر العهد العثماني ، (في المجلة العسكرية ، عمّان ، عدد ١٨٢ ، تشرين أول ١٩٨٠م) ، ص ٢٧ .

(٣) منيب الماضي ، وسليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٨ .

حدود الأقضية ، شريطة أن ينظر أثناء تنظيم الخرائط والحدود إلى القرب والبعد قبل كل شيء ، وعليهم رعاية مصالح الحكومة والسكان ، والمحافظة على الأمن باسم الحكومة الحجازية (١) . كما أنشأت الحكومة مجلساً عاماً للعشائر ، أسندت رئاسته للشريف محمد علي بديوي . وكان هذا المجلس يعمل على حل الخلافات الناشئة بين العشائر حسب الأعراف المتعارف عليها عندهم ، وترفع نتائج التحقيقات للشريف حسين في مكة المكرمة (٢) .

وكانت الإدارة المدنية في شرق الأردن في العهد الفيصلي قبل أن يدخلها أخوه عبدالله غير مستقرة على الرغم من التنظيمات التي أنشئت هناك ، مما جعل بريطانيا تستغل هذا الوضع السياسي المتدهور في شرق الأردن لصالحها ، وتصدر تعليماتها إلى كلٍ من لويد جورج (George) وكليمنصو (Clemenceau) بسحب بعض الفرق البريطانية من مواقعها في سوريا إلى منطقة شرق الأردن دعوى حفظ الأمن فيها (٣) . وهذا مما جعل قائد درك الكرك يقوم بتقديم تقرير مفصل إلى متصرف لواء الكرك ، جاء فيه : " إن عربان الحويطات والسلطة وبني صخر والشوبك عاصية لأوامر الحكومة ، وقد كثرت تعدياتهم على الأسلاك والخطوط الحديدية ومأموري المحطات " (٤) ، فاضطر الحاكم العسكري في دمشق علي رضا الركابي في الثامن والعشرين من صفر عام ١٣٣٨هـ/الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٩م إلى نشر بيان عام ، جاء فيه : (إن الجيش البريطاني سيحافظ على مواقعه الأصلية في حوران والكرك "بشرق الأردن ") . وستبقى السلطة الإدارية تابعة لحكومة دمشق ، وكان دخول القوات البريطانية لشرق الأردن هو السبب المباشر في زيادة المظاهرات والمطالبة بالاستقلال من الاستعمار .

---

(١) كامل محمود خله : التطور السياسي شرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٢٥ .

(٢) محمود العابدي : عمّان في ماضيها وحاضرها ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٣٤ .

(٤) منيب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص٨٣-٨٧ .

ولقد جاء في التقرير الشهري الذي قدمه نفس القائد بأنه ورد للقيادة من الجهة العدلية (٢٨) مذكرة احضار ولم ينفذ منها سوى ست مذكرات ، كما لم تنفذ أية مذكرة من مذكرات الاخذ والقبض بسبب تغلب المنفذين . أما امور الجباية بدرجة الصفر بسبب منع الاهالي وعدم وجود قوة كافية تجبرهم على دفعها ، كما أن الضباط والجنود مواظبون على وظائفهم إلا أنه في هذا الشهر حصل فتور عند الجنود وأدى إلى عدم إطاعة القائد بسبب تراكم رواتبهم رغم مساعي نائب القائد .

ويتضح من هذه التقارير أن الأمن لم يكن مستتباً استتباباً كاملاً وأن دفع الضرائب كان مقصوراً على الحضر من السكان ، مما نتج عنه تقصير الحكومة في دفع الرواتب بانتظام لموظفيها وافراد قواتها العسكرية ، كما يتضح أيضاً أن القبائل البدوية كانت تمارس عاداتهظا التقليديظة في الغظزو ، ويبدو كذلك أن نفوذ الدولة كان يعتمد إلى حد كبير على شخصية الحكام الإداريين والعسكريين وعلى ارتباطات رؤساء القبائل بفيصل ورجال دولته . ومع كل هذا فانه لابد من تأكيد أن جهود الحكومة العربية في دمشق كانت موجهة بصورة تكاد تكون تامة إلى النواحي السياسية الخارجية وإلى حل المشاكل التي كانت تثيرها فرنسا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى .

وعندما علم الشريف حسين في مكة بذلك الخبر المؤسف الذي قامت به بريطانيا ، رفع برقية عاجلة إلى نجله فيصل في دمشق يستفسر فيها عن أسباب انسحاب بعض القوات البريطانية من مواقعها في سوريا إلى منطقة شرق الأردن ، وكذلك أسباب المظاهرات التي قامت مؤخراً في المناطق التي استقرت فيها القوات البريطانية ، بحجة إخماد الاضطرابات فيها .

وعندما أخبر الحسين بالتفاصيل وتأكد من نزول القوات البريطانية في شرق الأردن وقامت بمزاولة اعمالها ، رفع برقية احتجاج للحكومة البريطانية ، أشار فيها بأنه هو الملك على العالم العربي ، وأن مسألة سوريا وشرق الأردن تعتبر مسألته لأنها تابعة لسيادته ، ويجب أن يقرر مصيرها هو بنفسه ، وليس لبريطانيا الحق أن تتدخل في شئونها الداخلية .

وحاولت الحكومة البريطانية بالتعاون مع الشريف فيصل ، أن يبرّروا للحسين الموقف الذي أدى إلى تمركز القوات البريطانية في بعض المناطق (بشرقي الأردن) ،

بدعوى أنها مناطق غير مستقرة كثيرة الاضطرابات ، ولم تدخلها القوات البريطانية إلاّ لحفظ الأمن والنظام للحكومة العربية في سوريا ، وفي الوقت ذاته ، أرسلت بعض الزعامات الأردنية بشرق الأردن رسالة للشريف حسين ، تؤكد له فيها عن موقفهم المعارض من السيطرة البريطانية على بعض المواقع المهمة (بشرق الأردن) ، وتطالبه باتخاذ كافة التدابير اللازمة لمواجهة تلك الإجراءات التي اتخذتها بريطانيا في المنطقة وأدّى إلى إستنكار الزعماء في سوريا وشرق الأردن والعراق ، والشريف حسين للوجود البريطاني في شرق الأردن ، والتشكيك في موقف بريطانيا تجاهه ، واتهمها بعدم الإلتزام بما تعهدت به من عهود التي قطعتها له قبل الثورة باستقلاله بالبلاد العربية (١) .

فاضطر الحسين في مكة إلى رفع برقية عاجلة للأهالي بشرق الأردن يدعوهم فيها للوقوف إلى جانبه للتصدي للتجاوزات البريطانية الفاضحة ، كما أصدر أمره للمسئولين بجريدة القبلة في مكة المكرمة بنشر عدة بيانات تحث أهالي شرق الأردن على التمسك بدينهم وبولائهم للملك حسين ، وتوحيد صفوفهم والانضمام إلى جانبه ، ليخلصهم من بوادر الاستعمار الذي أخذ يلوح لهم ، كما قامت الجريدة بنشر أخبار الثورة التي قامت في حوران ، وشجعت المواطنين الحجازيين على مساندتها مادياً ومعنوياً (٢) .

ولقد نشرت صحف شرق الأردن أخبار الثورة في عجلون ، وما صاحبها من أعمال عسكرية ، أدت إلى الهجوم على المحطات وتدميرها وقطع الطرق وتخريبها ، خاصة السكة الحديدية التي لم تتعرض لخراب قوات الثورة العربية في السابق .

واستغل اللنبي (Allenby) هذا الموقف السياسي المتوتر ضد حكومته وضعف الإدارة الفيصلية في اخماد الثورة ، فأرسل إلى بعض المناطق المتوترة بشرق الأردن عدداً من الضباط البريطانيين من رجال المخابرات بحجة الإشراف على المنطقة إشرافاً

---

(١) انظر الاتفاقيات السريه التي بقيت سراً حتى أذاعها البلاشفة ، وفضحوا بها غايات الحلفاء الاستعمارية في كتاب الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب المنشورة بالمكتب العربي بدمشق ، ص ٥٥-٦١.وكذلك انظر الملحق رقم (٦) ، ص ٨٧٨ - ٨٨٤ .

(٢) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٦١ .

مباشراً بدعوى أن فيصل لم يترك نفوذاً فعلياً فيها ، بينما القصد الأساسي من ذلك هو إلغاء نفوذ فيصل والشريف حسين من مناطق شرق الأردن (١).

لكن هذا الإجراء الذي اقدمت عليه بريطانيا لم يوقف المظاهرات والعنف الذي ساد مناطق شرق الأردن ، بل أدى إلى زيادة المظاهرات ، فعمَّت جميع مناطق شرق الأردن وسوريا . وقد حاولت فرنسا وبريطانيا تلاشى ذلك الموقف المتوتر بتوجيه الدعوة إلى شيوخ ووجهاء المناطق القريبة من سوريا ، بالتزام السكينة والهدوء ، وعدم إثارة القلاقل والفتن ، وعليهم في نفس الوقت التقيد بأوامر الحكومة البريطانية (٢) . وضرورة تداول العملة الفرنسية الجديدة محل العملة العثمانية (٣) ، ومعاقبة كل من يتداول بالعملة العثمانية ، ومعنى ذلك فإنها لم تبال بريطانيا وفرنسا ببيانات واحتجاجات المواطنين السوريين والشريف حسين في شرق الأردن ، ولم تعترف كذلك بنفوذه على البلاد العربية وحصرة ملكيته على الحجاز فقط .

وعلى أية حال ، فإن تلك الإجراءات من جانب الحكومة البريطانية عجلت في وضع المنطقة تحت إدارتها ، وأمرت هربرت صموئيل (Herbert Samuel) مندوبها السامي في فلسطين بأن يقوم بزيارة خاصة إلى منطقة شرق الأردن ، ليتعرف على أحوالها عن كثب (٤). فتوجه على الفور قاصداً السلط وعقد اجتماعاً في السادس من ذي الحجة عام ١٣٣٨هـ/الحادي والعشرين من أغسطس ١٩٢٠م في السلط حضره عدد كبير من شيوخ القبائل والقيادات السياسية من الطفيلة جنوباً إلى جرش وعجلون شمالاً ، مبيناً لهم أنه لم يأت إلى المنطقة إلاّ تلبية لدعوة الأهالي الذين طلبوا امتداد الإدارة البريطانية إلى تلك البلاد ، وهو أمر متفق عليه بين الحكومتين البريطانية والفرنسية ، وأشار بأنه من الواجب عليه تشكيل حكومة في شرق الاردن ، وستكون إدارتها منفصلة عن إدارة فلسطين ، وسترسل الحكومة البريطانية عدد من الضباط ورجال القضاء

---

(١) فريد ريك بك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، (تعريب بهاء الدين طوقان) ، ص ٢٢ .

(٢) بلال حسن التل : الأردن محاولة الفهم ، ص ٨٤ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ، ص ٤١ .

(٣) هذه العملة أصدرتها سلطات الاحتلال الفرنسية .

(٤) محمد أحمد الصلاح : الادارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٢ .

البريطانيين ليساعدوا على تنظيم القوات للدفاع عن المنطقة من أي اعتداء خارجي وتنظيم الدرك المحلي ، من أجل المحافظة على النظام والأمن وترويج التجارة ثم حدد المندوب السامي مهام المعتمدين السياسيين في امور تنفيذ العدالة وانفاق الضرائب . ويتضح من تلك الاجراءات التي اشار إليها يريد قطع الطريق على الشريف حسين الذي يدعي بأن شرق الأردن جزءً من الحجاز (١) .

ومن الواضح أن اجتماع المندوب السامي في السلط حدد عدة نقاط هامة ، يمكن اجمالها فيما يأتي :

أولاً : تأكيد رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على شرق الاردن بناءاً على موافقة فرنسا . ويدل على ذلك في الخطاب الذي القاه المندوب السامي امام مجلس الشورى في فلسطين ، حيث اشار فيه بأن جميع الاجراءات التي تمت في منطقة شرق الاردن كانت بالاتفاق مع فرنسا .

ثانياً : عدم رغبة الحكومة البريطانية في ضم شرق الاردن إلى حكومة فلسطين أو إلى الحجاز .

ثالثاً : عدم رغبة الحكومة البريطانية في قيام حكومة واحدة في شرق الاردن ، وقد يعود ذلك إلى سياسة الحكومة البريطانية التقليدية في التجزئة أو يكون راجعاً إلى وجود خلافات عميقة بين زعماء القبائل وعدم وجود زعامة واعية قادرة على انهاء تلك الخلافات وتوحيد المنطقة وربط مصيرها بالحكومة الحجازية .

ونتيجة لمؤتمر السلط تألفت في كل من السلط والكرك حكومة يدير شؤونها أحد رجال الإدارة بالتعاون مع مجلس استشاري اعضاؤه من وجوه المنطقة واعيانها ، وكان يمثل بريطانيا معتمد هو المرجع الأعلى لتلك الحكومة .

وعندما علم الحسين بتلك التصريحات والإجراءات التي اتخذت احتج على بريطانيا ، واعتبر هذا العمل الذي اقدمت عليه مخالفاً للإتفاق الذي تم بينهما قبل اعلان الثورة ، ومنافياً لرغبة المواطنين المؤيدين للحكومة الحجازية . وأوضح كذلك بمعارضته الشديدة لتشكيل أي حكومة إلاّ بمشورته ، لأن هذا العمل يتعارض مع طموحاته ، خاصة وأن منطقة شرق الأردن تخضع لحكومته ، وأن مثل هذا التصرف

---

(١) سليمان موسى : تأسيس الإمارة الأردنية ١٩٢١-١٩٢٥م ، (دراسة وثائقية) ، ص ٢٦-٢٧.

السافر سيؤدي في المستقبل إلى انقسام الزعامات السياسية في المنطقة ، وقد يؤدي كذلك إلى زيادة توسع الخلافات والمنازعات التقليدية بين زعماء القبائل في المنطقة ، على الرغم من أن بعض السكان العاديين يرغبون في الاستقرار تحت سيادة الحكومة الحجازية (١) .

وعندما اخبر الحسين بمخطط بريطانيا واعلن عن موقفه المعارض تجاه ضم منطقة شرق الأردن إليها ، بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية اسرعت بريطانيا بعقد اجتماع ثاني وطارىء مع القيادات السياسية في المنطقة من أجل سرعة إقامة حكومات محلية يدير شؤونها بعض الزعماء من شرق الأردن بعد الاتفاق معهم على طريقة إدارة الحكومة وعرضت عليهم الاغراءات المالية وبالتعاون مع مجلس استشاري بريطاني في إدارة الأمور ، كما عرضت تعيين معتمداً بريطانياً على الحكومات يعدُّ المرجع الأعلى لها (٢) .

ومن الجدير بالذكر ، فإن الحكومة البريطانية قامت بهذا الإجراء ، بعدما لاحظت تزايد ولاء الأهالي في شرق الأردن للحكومة الحجازية ، فرأت أن من واجبها كسبهم لتحقيق مطامعها في المنطقة وأن تقضي على كل المظاهرات المؤيدة للحسين ، وعزل منطقة شرق الأردن تماماً عن السيادة الحجازية في أسرع وقت ممكن (٣).

ولقد أدى هذا الإجراء الذي طبقته بريطانيا إلى انقسام المواطنين على أنفسهم ، بسبب هذا التصرف الأعوج الذي اقدمت عليه الحكومة البريطانية ، والذي أدى إلى زيادة الاضطرابات ، والنزاعات بين زعماء القبائل في مناطق شرق الأردن حول المناصب الإدارية ، وأصبحت العلاقات بينهم مفككة . ورغم هذا التحرك الذي قامت به بريطانيا تجاه منطقة شرق الأردن مستندة إلى أن هذه الإجراءات ماهي إلاّ إصلاحات جذرية لابُد من سرعة تنفيذها ، إلاّ أنّ الحكومة الحجازية لم تقم بأي موقف حاسم ضد بريطانيا لأنها هي الداعمة لها مالياً ، وإنما اكتفت بالتنديدات والاحتجاجات المتوالية ، لأنها وجهت لها تهديداً بقطع المعونات عنها إذا عارضت الإصلاحات التي تنوي بريطانية تطبيقها في منطقة شرق الأردن .

---

(١) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٤٣ .

(٢) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٠٤ .

(٣) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٢ .

ولقد حاولت بعض الزعامات المحلية المؤيدة لسياسة الحسين ، ومنها رئيس عجلون ، الذي يتطلع أن يسيطر على كل مناطق شرقي الأردن ، ولكنه لا يستطيع أن يقوم بهذا العمل ، لقيام حكومات محلية مستقلة عن الإدارة المركزية في عجلون مؤيدة لحكومة الحجاز ، وهذه الحكومات هي : حكومة جرش ، والوسطية والرمثا ، وحكومة دير يوسف (١) . لأنها كانت حكومات ضعيفة ، لم تستطع أن تفرض سيطرتها بالقوة على المناطق الثلاث ، كما أنها عجزت عن حفظ الأمن والنظام ، وحل جميع النزاعات العشائرية بالطرق الودية (٢) .

ونتيجة لهذا الوضع السياسي المتدهور في شرق الأردن ، طلبت الحكومة الفرنسية من حليفتها الحكومة البريطانية إبعاد بعض زعماء القبائل العربية عن منطقة شرق الأردن بالقوة ، خاصة من الذين ثبت أن لهم علاقة وثيقة بالحجاز ويجدون التشجيع والدعم المالي من الحكومة الحجازية ، وطلبت منها أيضاً أن تهددهم بالجلاء عن سوريا ، وإيقاف الحجازيين عن تشجيع المواطنين بشرق الأردن على الثورة ضد البريطانيين والفرنسيين ، أومد يد المساعدة لهم بالأموال والسلاح سراً ضدها .

وهذا الأمر جعل حكومة الحجاز تزيد من اهتمامها بمنطقة بشرق الأردن ، بعد ما لاحظت اطماع الحكومة الفرنسية ، خاصة وأنها تنوي غزو منطقة شرق الأردن بعد سوريا مع أن هذا الأمر كان بعيداً عن الواقع ، لأنه جرى اتفاق سابق على أن تكون منطقة شرق الأردن ضمن دائرة النفوذ البريطانية وقد بقيت فترة من الزمن وهي لاتعرف مصيرها (٣) .

وبعد سقوط الحكومة العربية في دمشق على إثر معركة ميسلون خرج فيصل من سوريا ، فأدى ذلك إلى انتشار الفوضى في سوريا وشرق الأردن ، وساعد ذلك إلى قيام بعض زعماء الأحزاب السورية بالسفر من دمشق إلى شرق الأردن ، حيث انضموا إلى جانب إخوانهم في حوران وجبل الدروز ، فغضب الشريف حسين وابنه عبدالله في

---

(١) سليمان موسى : تأسيس الإمارة الأردنية ١٩٢١-١٩٢٥م ، (دراسة وثائقية) ، ص ٣٢، ؛ سليمان موسى : الأردن في أواخر العهد العثماني ، (في المجله العسكرية ، عدد ١٩٨٢ تشرين أول ١٩٨٠م)، ص ١٢٦-١٢٧ .

(٢) بلال حسين التل : الأردن محاولة للفهم ، ص ٨٥ ؛ علي المحافظة : تاريخ الأردن المعاصر (عهد الإمارة) ، ص ١٩ .

(٣) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٨م) ،ص ٤١ .

الحجاز للإحتلال الفرنسي لسوريا ، فعزما على استعادة سوريا بقوة السلاح . وفي الوقت نفسه ، اتصل العديد من سكان منطقة شرق الاردن ، وعلى رأسهم عودة ابو تاية وسعيد خير وبعض رجال السياسة ، وشيوخ القبائل بالحسين في الحجاز يطلبون منه أن يرسل حملة عسكرية إلى بلاد الشام بقيادة أحد ابنائه ليتولى إدارة الأمور في المنطقة نيابة عن فيصل ، ويقوم بقيادة الحركة الوطنية في شرق الأردن (١) .

وكان الشريف عبدالله بن حسين وزير الخارجية في حكومة الحجاز في ذلك الوقت اقوى المرشحين لقيادة مثل هذه الحملة ووقع الاختيار عليه ، حيث اختاره الشريف حسين لهذه المهمة ومعه مائة وخمسين جندياً من بدو الحجاز وفي طريقه انضم إليه عدد كبير من المجاهدين بلغ حوالي ألفي مقاتل ، تحرك بهم تجاه معان التي كانت خاضعة في ذلك الوقت للسلطة الحجازية (٢) ، فوصلها في الحادي عشر من ربيع الأول عام ١٣٣٩هـ/الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٢٠م ، ممثلاً عن والده الشريف حسين(٣) . وحال وصوله وجد القبائل البدوية في حالة فوضى شديدة بسبب تأثرها بالأحداث التي وقعت في دمشق . وعلى الرغم من تلك الفوضى إلاّ أن الأهالي استقبلوه بكل حفاوة وتكريم ، وكان على رأس المستقبلين له الأمير غالب الشعلان ، والرئيس عبدالقادر الجندي ، والرئيس محمد علي العجلوني ، وخلف بك التل ، وأحمد التل وغيرهم ، وحال استقراره في معان أعلن للأهالي عن سبب قدومه بأنه ممثلاً عن الحكومة الحجازية ينوي إخراج الفرنسيين عن سوريا بالقوة ثم أصدر بعد ذلك بياناً عاماً إلى كافة المواطنين في منطقة شرق الأردن ، يخبرهم بأنه جاء ممثلاً عن والده الحسين ويدعوهم إلى القيام بثورة ضد الفرنسيين في سوريا ، وحمل السلاح لتحرير

---

(١) عصام سليمان موسى : صورة شرقي الأردن في صحيفة التايمز اللندنية ١٩٢١-١٩٢٣م ، (مجلة أبحاث جامعة اليرموك ، المجلد ٨ ، العدد ١ ، اربد - الأردن ، ١٩٩٢م) ، ص ٤٣ ؛ علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٢٠ .

(٢) Aleckirk bride : Acrackle of Thams, London (Experiences in the Middle East, John Murray , 1956) , P.125.

(٣) أمين أبو الشعر : مذكرات الملك عبدالله ، (الطبعه الرابعه ، عمان ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٥م) ، ص ١٥٣ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٥٩ .

C.O.935/1. First Conversation on Trans, Jordania Help At Government House, Jerusalem, in 28 Mar. 1921, P.2-3 .

وطنهم من الإستعمار ، وطرد المعتدين البريطانيين والفرنسيين من بلادهم . كما أوضح لهم كذلك في البيان بأن حكومته لا ترضى أن تكون بلاد الشام مستعمرة فرنسية (١)، وأن قدومه إلى معان ناشيءٌ عن عزم حكومة الحجاز على مقاومة الغزاة المستعمرين ، وأنه جاء نائباً لملك سوريا ومكلفاً من والده الشريف حسين في الحجاز . وخلال وجوده رفع عدة رسائل إلى أهل عمّان يخبرهم بانه ينوي التوجه اليهم ويدعوهم إلى عقد إجتماع عام في عمّان حال وصوله لها لدراسة الاوضاع المتردية في المنطقة ، ووجه خطابات أخرى إلى أعضاء المؤتمر السوري الذين هربوا إلى منطقة شرق الأردن ، ورؤساء العشائر الأردنية لتوحيد صفوفهم ضد الفرنسيين ، فكان رد رؤساء العشائر هو أنه إذا كان معه دولة تقاتل إلى جانبه ضد فرنسا فيمكنه ألاّ يتركهم يعملون على حل مشاكلهم بأنفسهم ، لكن عبدالله على الرغم من تلك التصريحات فإنه واصل سيره فيما بعد إلى عمّان (٢).

وعندما سمع الشريف فيصل بوصول عبدالله إلى معان أبرق إلى والده الحسين في مكة ، يطلب منه إرسال أوامره إلى أخيه عبدالله للقيام بمنع أية أعمال عدائية ضد أي من حلفائه ، والعمل على إحلال الأمن والنظام في المنطقة بانتظار ما تسفر عنه المفاوضات الجارية في لندن (٣) .

ومما يثير الدهشة ، أن الدوائر البريطانية تناقلت نبأ قدوم عبدالله وهو ما يزال في معان . فأرسلت القيادة العسكرية البريطانية في مصر برقية عاجلة إلى وزارة الحربية البريطانية تفيدها بتواتر الإشاعات ، التي تقول : (إن قوة كبيرة من البدو تحتشد بين الحجاز وشرق الأردن ، وربما تكون قد وصلت معان ، وأن قائد هذه القوات هو عبدالله بن حسين، وأن الجهود الحجازية وراء هذه الحركة) (٤).

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٤.

(٢) F.O.371/5285, Telegram, No. 1204 British At Egypt to Ministry of Foreign Affaird .

(٣) عصام سليمان موسى : شرقي الأردن في صحيفة التايمز اللندنية ١٩٢١-١٩٢٣م ، (مجلة ابحاث جامعة اليرموك ، المجلد ٨ ، العدد ١ ، اربد - الأردن ، ١٩٩٢م) ، ص ٤٩ .

(٤) C.O.951/1. First Meeting of the Palistine Political and Military Committee, 17 Mar.1921. P.10.

وفي الوقت الذي كانت تتابع فيه بريطانيا أخبار الحملة العسكرية في منطقة شرق الأردن تجددت المظاهرات والنزاعات في شرق الأردن ، مما اضطر الحكومتين البريطانية والفرنسية إلى إصدار بلاغ عام إلى جميع الحكام الإداريين بمنطقة شرق الأردن تدعوهما فيه إلى الالتزام بالهدوء ، وعدم إثارة الفتن والتقيد بأوامر القيادات البريطانية الموجودة في المنطقة وتداول العملة السورية ومعاقبة كل من يأبى التعامل بها ، ولكن الأهالي لم يهتموا بتلك البلاغات المتتابعة ، لأنهم لايرغبون الخضوع للحكومتين البريطانية والفرنسية ، وإنما يريدون الارتباط بالحكومة الحجازية بصفتها حكومة عربية ، وهذا ما كان يطمع في تحقيقه الشريف حسين في الحجاز ، خاصة بعدما وجد التأييد الكامل من كبار العشائر في منطقة شرق الأردن ، ورجال الحركة الوطنية في سوريا الذين فروا إليها ، واتخذوها قاعدة لهم لمحاربة النفوذ الفرنسي في سوريا ، وذلك لموقعها الاستراتيجي بين سوريا والحجاز الممول الوحيد للعمليات الحربية التي تقوم بها الحركات الوطنية ضد فرنسا . وفي تلك الأثناء خرج فيصل من دمشق إلى أوربا ، للتباحث مع الحكومة البريطانية حول الخلافات التي استجدت بين والده ودول الحلفاء في سوريا وشرق الأردن .

أما الشريف عبدالله فإنه تمركز بقواته في معان ، وقام بمراسلة شيوخ القبائل يطلب منهم أن يشجعوا الأهالي على الاستعداد للجهاد ، ومقاومة الاستعمار في شرق الأردن ، وقال أيضاً في أحد خطبه : (إنه جاء مندوباً عن والده إلى شرق الأردن للدفاع عنها ضد الفرنسيين ، ومساعدة القيادات السياسية الوطنية في سوريا بناءً على رغبة والده الشريف حسين في الحجاز) (١) .

وعلى أية حال ، فقد آثار وصول عبدالله إلى معان (التي يعتبرها الحسين جزء من الحجاز) غضب البريطانيين والفرنسيين في المدن السورية لأنه قام بتأليب السكان ضدهما .

وعندما علم عبدالله بموقف بريطانيا وفرنسا المعارض لسياسته ، قام بمحاولة تهدئة الوضع المتوتر في منطقة شرق الاردن ورفع برقية عاجلة إلى ممثلي الحكومتين الفرنسية والبريطانية يخبرهم فيها بأنه جاء لأجل امتصاص غضب الأهالي في

---

(١) خير الدين الزركلي : مارأيت وما سمعت ، ص٢٥ ؛ القبلة ، عدد ٤٧٠ في ١٨/١١/١٩٢٠م.

منطق شرق الأردن ضد دول الحلفاء الطامعة فيها ، كما قال أيضاً : (إن قدومي ناشيء عن وصول برقيات ، ورسائل أرسلت من زعماء وأحرار أردنيون إلى الحكومة الحجازية يبلغونها بعزمهم على مقاومة الثورات الداخلية في شرق الأردن ، وهذه القوة إنما جاءت بناءً على طلب منهم للعمل على جمع شمل الأردنيين) (١) .

وفي أثناء وجوده في معان أرسل عبدالله برقية عاجلة إلى والده في مكة المكرمة يطلب منه أن يسمح له بالتوجه إلى عمَّان لتفتيش المناطق الشمالية ، كما أن عبدالله أثناء وجوده في معان حكم بالإعدام على اثنين من الجواسيس الذين أرسلتهما السلطات الفرنسية من سوريا ، لتقصي الحقائق في منطقة شرقي الأردن لتتعرف على عدد القوات الحجازية وتجهيزاتها ، والموقف السياسي المتوتر في المنطقة (٢) .

ويبدو أن الشريف حسين أيده على التحرك إلى عمَّان ، فلما علمت بريطانيا بذلك كتبت إلى زعماء العشائر في مناطق شرق الأردن الداخلية تطلب منهم عدم استقبال الشريف عبدالله . وفي الوقت نفسه ، هدد حاكم السلط الإداري مظهر الأمير عبدالله بن الحسين بذلك لأنه كان متأثراً بالبريطانيين ، حيث أرسل له رسالة ، يقول فيها : (بلغ الحكومة الوطنية عزمكم على زيارة شرق الأردن فإن كانت هذه الزيارة لمجرد السياحة فإن البلاد ستقابلكم بالترحيب ، وإن كانت لأغراض سياسية فالحكومة ستتخذ كل الأساليب المانعة لزيارتكم) (٣) . فرد عليه عبدالله بالتهديد ، وأمره بأن يطيع الأوامر المعطاة له من معان وإلاَّ فسيعين غيره إذا كرر تهديداته .

وفي الخامس والعشرين من ربيع الأولى عام ١٢٢٩هـ/السابع من ديسمبر عام ١٩٢٠م ، نشر عبدالله بياناً عاماً وزع على الأهالي بواسطة رؤساء العشائر في منطقة شرق الاردن ، يحثهم فيه على الجهاد ضد الفرنسيين ، الذين أسقطوا الحكومة العربية في سوريا ، كما أشار في بيانه بأن الشريف حسين يولي جل اهتمامه البالغ بمنطقة

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ٣٢ .

(٢) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٥ .

(٣) عبدالله بن الحسين : مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكامله ، ص ١٧٦ .

شرق الأردن[١] ، وهو يراقب عن كثب الوجود العربي في شرق الأردن ، ومدى قدرتهم على الدفاع عن المنطقة ، وموقف أهله المؤيد للنداءات الحجازية الموجهة لهم بالدعوة للانضمام إلى الحكومة الحجازية .

وعندما وصل المنشور إلى ممثلي فرنسا وبريطانيا في المنطقة ، حاولوا قطع الصلة بين منطقة شرق الأردن والحكومة الحجازية عن طريق بث الدعايات والنداءات المضللة التي وجهتها للحكومتان البريطانية والفرنسية ضد الحكومة الحجازية ، وأمام هذه الدعايات غضب عبدالله بن حسين من هذه التصرفات ، فاضطر إلى نشر منشوراً آخر جعل عنوانه الجهاد ضد الاستعمار ووجهه إلى كافة السوريين الذين خرجوا من دمشق بعد سقوط الحكومة العربية إلى منطقة شرق الأردن ، وأشار فيه بأنه ما جاء من الحجاز إلاّ بطلب من والده لمساعدة الأهالي ونصرتهم ضد الاستعمار في المنطقة ، وطلب منهم الصمود والكفاح ضد الدول الاستعمارية ممثلة في بريطانيا وفرنسا التي استولت على مقدرات البلاد العربية [٢] ، وأشار كذلك في بيانه بأن والده في الحجاز سيبذل قصارى جهده من أجل استقلالهم وراحتهم وأمنهم ، لأنه يعتبر منطقة شرق الأردن جزءً من الحجاز رغم معارضة دول الحلفاء لذلك [٣] .

ولقد تسربت هذه المنشورات إلى داخل المناطق السورية ، وأدى ذلك إلى غضب الفرنسيين والبريطانيين ، وفي الوقت نفسه ، اتفق أحمد مريود وفؤاد سليم وأحمد التل وعدد من الفرسان مع الشريف عبدالله على رسم خطة تمهد الطريق لتأييد الأهالي بشرق الأردن لموقف والده ، فقاموا يطوفون في أنحاء البلاد وينتقلون بين عشائرها ، بهدف كسب التأييد للشريف حسين بشرق الأردن [٤] . والتي يعتبرها الحسين منطقة تابعة للحجاز ، وأن وجود ابنه عبدالله فيها ماهو إلاّ حاكم نائب عنه ، وقد تابع عبدالله تحركاته لكسب التأييد لوالده في بلاد الشام ، فوجه الدعوة لأعضاء المؤتمر السوري نيابة عن والده في مكة لمقابلته في معان إلاّ أنهم

---

(١) C.O.951/1. First Conversation on Trans Jordania Help At Government House, Jerusalem, 28 Mar. 1921, P.3.

(٢) منيب الماضي وآخرون : تاريخ شرق الأردن في القرن العشرين ، ص ١٣٦ .

(٣) منيب الماضي وآخرون : نفس المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٤) قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤١٨ .

لم يبادروا بالحضور اليه . أما ضباط الجيش السوري الفارون فإنهم كتبوا لعبدالله خطاباً يشترطون عليه أن تتعهد حكومة الحجاز بضمان إستقلالهم ، حتى ولو ادى ذلك إلى اخفاق الحركات الوطنية خطتها ضد الفرنسيين في سوريا (١) . كما اقترحوا عليه التوجه إلى شرق الأردن بسرعة لإتخاذها قاعدة عسكرية لأنها موالية للحكومة الحجازية . خاصة وأن رؤساء العشائر في مناطق شرق الأردن يعتقدون أن الحكومة الحجازية تحالف دولة قوية ، وأنها ستعمل على توزيع الأموال والعتاد والمؤن عليهم ، كما كان يفعله الشريف فيصل مع أهالي الحجاز أثناء قيام الثورة فيها ضد الدولة العثمانية . لكن عبدالله بن حسين لم يستطع تلبية مطالبهم ، لأنه كان يعاني من ضائقة مالية اضطرته أن يطلب من كامل الديري ثمانية آلاف جنيه كقرض ليؤسس بها خلية استخبارات ودعاية له في منطقة شرق الأردن ، كما اقترض من نبيه العظمة مائة وعشرين ألف جنيه للغرض نفسه .

والحقيقة أن الأمير عبدالله جاء إلى شرق الأردن وهو لا يملك إلاَّ ما كان يرسلهُ له والدهُ الشريف حسين في الحجاز من إعانات مالية ما بين فترة وأخرى لتسديد نفقاته الضرورية ، في الوقت الذي يعتمد والده على المساعدات المالية من الحكومة البريطانية (٢) .

لكن عبدالله مع هذا النقص المادي الكبير الذي يعانيه أصَّر على تحقيق مطامعه ومطامع والده ، ولذلك عمل على مناوئة فرنسا وبريطانيا معاً ، وقام بنشاط كبير وواسع في المنطقة أكبر من حجمه ، فبجانب الرسائل التي أرسلها إلى القبائل في حوران وبعض المناطق الأخرى في شرق الأردن والتي يحثهم فيها على الثورة ضد البريطانيين ، ومساعدته على إرساء الدولة التي يتطلع والده إقامتها في منطقة شرق الأردن ، وتعيينه نائباً عن والده ملك الحجاز في شرق الأردن .

وعندما أحست فرنسا بأن الأهالي في شرق الأردن أعلنوا اظهار نواياهم العدوانية ضد الوجود الفرنسي ، سارعت إلى تقوية مراكزها الدفاعية في المناطق السورية القريبة من حدود شرق الأردن بالجنود والعتاد الحربي ، وجهزت حملة خاصة

---

(١) عبدالله بن الحسين (الملك) : مذكرات الملك عبدالله ، ص ١٥٥ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر . ص ٤٠٢ .

إلى درعا ، للقضاء على الثورات فيها (١). وفي الوقت نفسه ، طلبت من بريطانيا مساعدتها في مقاومة تحركات الأهالي التي أثارها عبدالله بعد وصوله بقواته إلى معان بأمر من الحكومة الحجازية ، ويظهر أن الأمر أخذ في الاتساع ، مما جعل اللورد كرزون (Lord Curzon) - وزير خارجية بريطانيا يقوم بتوجيه دعوة عاجلة لفيصل بن حسين في لندن ، للتباحث معه بشأن الوضع المتوتر في سوريا ومنطقة شرق الأردن ، فقبل الدعوة وسافر إلى لندن ، وهناك قابل الوزير مع بعض المسؤولين البريطانيين ، وتم الاتفاق بصورة مبدئية على أن يدعوا أخوه عبدالله على إيقاف نشاطه في منطقة شرق الأردن ، وأن يأخذ التعليمات من المعتمد البريطاني . وفي الوقت نفسه ، قدم له إحتجاجاً من الحكومة البريطانية ، وطلبت منه أن يرسل برقية عاجلة إلى والده يطلب منه التخلّي عن الموقف العدائي الذي أخذ يبثه عبدالله بايعاز منه بين الأهالي في شرق الأردن ضد بريطانيا . كما طلب منه أن يطلب من والده إيقاف كل حركاته العدوانية ضد الحلفاء في شرقي الأردن (٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد تازم الوضع السياسي وأشتد العداء لبريطانيا ، وحدثت بعض الحوادث في عمّان ، مما جعل الأردنيين يعلنون علناً تأييدهم للحكومة الحجازية .

وزاد الوضع اكثر إحراجاً بعد وصول الشريف علي الحارثي إلى عمان والسلط واتصل بأعيانها وشيوخها . داعياً إياهم لمبايعة عبدالله بن حسين والالتحاق به وتهيئة الجو المناسب لحملة عسكرية على سوريا ، وكانت الحكومة البريطانية آنذاك غير مستقرة على حل نهائي لمشكلة منطقة شرق الأردن أو على تسوية ثابتة في منطقة شرق الأردن (٣) . ونتيجة لذلك الجو المتوتر قام صموئيل (Samuel) بتحذير الحكومة البريطانية من العواقب الوخيمة التي قد تحدث فجاة في منطقة شرق الأردن ، وحثها على احتلال البلاد عسكرياً ، وإخراج الشريف عبدالله بن حسين بالقوة من معان إذا ارادت أن يستتب الأمر لها بالقوة ، وهو رأي في غير محله ، لأن نتائجه سوف تكون وخيمة .

---

(١) سليمان موسى : عمان عاصمة الأردن ، ص ٦٦ .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٤ .

(٣) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ٣٣ .

ومع ذلك فقد استمرت الحكومة الفرنسية في ضغوطها على الحكومة البريطانيه بوقف التوتر الذي يسود منطقة شرق الأردن والذي كان له تأثير مباشر على السوريين ، فقامت بنشر منشور وزعته في عمّان ، والكرك تروج فيه إشاعات تفيد بأن قوة عربية توجهت من شرق الأردن إلى الحدود السورية الجنوبية . لمهاجمة القوات الفرنسية بإيعاز من الحكومة الحجازية ، كما روجت أيضاً إشاعات متناقضة مفادها انه إذا حدثت هذه الحركات فالحكومة البريطانية تستحسنها ، فليكن معلوماً بأن هذه الإشاعات كذب وبهتان ، وإذا ثبتت هذه الحركة فالحكومة البريطانية بالعكس لا تستحسنها ولا توافق عليها مطلقاً ، بل تحتقر الذين يشتركون فيها (١) . وعلى أثر ذلك شددت الحكومة البريطانية ضغوطها على فيصل بن حسين أثناء تواجده في لندن في عام ١٣٣٩هـ /ديسمبر عام ١٩٢٠م ، وأبلغته بقلقها الشديد إزاء تحركات عبدالله في شرق الأردن الذي يجد الدعم والتشجيع من الحسين في الحجاز . وأوضحت له بأن الحكومة البريطانية تنظر باستياء شديد من الحوادث التي تقع في مناطق شرق الأردن ، والتي كثيراً ما تحدث بإيعاز من الحكومةالحجازية ، وطلبت منه أن يرسل برقية عاجلة إلى والده في مكة المكرمة وأخيه عبدالله بشرق الأردن يطالبهما بالعمل على تهدئة الوضع السياسي المتفاقم في شرق الأردن (٢) . وقد استجاب فيصل لطلب بريطانيا ، فأرسل برقية عاجلة إلى الحجاز يبلغ والده فيها بنتائج مناقشاته في لندن ، ويذكر له مطالب الحكومة البريطانية الداعية إلى وقف تدخله في منطقة شرق الأردن في ظل الظروف المتأزمة في منطقة سوريا ، لأن تدخله في شرق الأردن سيؤثر على سير الأحداث والمفاوضات الجارية حول مصير البلاد السورية . كما أرسل برقية مماثلة إلى معان يطلب من أخيه عبدالله إيقاف كل نشاطاته العدائية لبريطانيا وفرنسا في منطقة شرق الأردن ، وأن يقوم مع والده بمساعدة بعض الضباط البريطانيين في تهدئة الوضع المتأزم بين الحكام المحليين ، لإيقاف الحركات التي قامت مؤخراً في المنطقة المعنية ، وأن قبولهم بنصائح البريطانيين سوف يجنب منطقة شرق

---

(١) خير الدين الزركلي : عامان في عمان ، ص ٩ ؛ علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٢١ .

(٢) خيرالدين الزركلي : ما رأيت وما سمعت ، ص ١٠ .

الأردن من حدوث كارثة محققة ، وأن القضية العربية ستبحث من جديد (١) .

وبعد أن وصل عبدالله إلى بعض مناطق شرق الأردن أخذت فرنسا تبدي بعض التساهل مع أهل حوران ، بعد ما تم لها إخماد ثورتهم ، وأدركت أنه لابد من استمالتهم إلى جانبها سواء بالإغراءات المالية أو بغيرها باعتبار أن شرق الأردن محافظة سوريا . وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومتان الفرنسية والبريطانية تظهران نواياهما الخفية بتثبيت الحدود لمناطق نفوذهما في سوريا وشرق الاردن، وذلك بناءً على اتفاقية الحدود التي عقدت بينهما في الحادي عشر من ربيع الآخر عام ١٣٣٩هـ/الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٢٠م (٢) .

وفي لندن قام فيصل بن الحسين بعدة مساعي سلمية نيابة عن والده في الحجاز ، بخصوص منطقة شرق الأردن المتوترة سياسياً بسبب موقف السلطات المحلية من التهديدات الفرنسية لحوران ، ولم يكتف بذلك بل إنه كلف السيد صبحي الخضراء (*) بالذهاب إلى شرق الأردن والاتصال بعبدالله ومساعدته على تهدئة الوضع السياسي المتدهور هناك ، وقد قام صبحي بالمهمة المكلف بها ثم إنه بعث ببرقية إلى فيصل بعد مقابلة عبدالله في معان ، حيث نقل له فيها على لسان عبدالله ، قوله : (إنه أوقف عملياته العسكرية مؤقتاً حسب طلبه ، وأنهم ينتظرون نتيجة المفاوضات التي تجرى في لندن وما تسفر عنه من نتائج) (٣) .

ولقد علق الميجر يونج (Magor yang) على هذه البرقية ، بقوله : (إن وزير

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقيه) ، ص ٣٤ ؛ منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٣٨ ؛
C.O.935/1. Second Conversation on Trans Jordania, 15 Mar. 1921, P. 2 .

(٢) الإتفاقية تقول بأن تكون البلاد الواقعة جنوب خط سايكس - بيكو ضمن منطقة النفوذ البريطاني لا الفرنسي ، فالحكومة البريطانية تميل في هذه الحالة إلى تعيين عدد قليل من الضباط لمساعدة أهل شرق الأردن على تنظيم حكومتهم ووسائل الدفاع . انظر تفاصيل ذلك منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٠٠-١٠١ .

(*) صبحي الخضراء : ضابط فلسطيني حمل السلاح في الثورة العربية الكبرى ، وفي عهد حكومة فيصل في سوريا ، كان مرافقاً للواء جبرائيل حداد مدير الأمن العام في سوريا .

(٣) سليمان موسى : صفحات مطويه ، (دراسة وثائقية) ، ص ٣٤ .

الخارجية البريطاني أمر بإتمام المحادثات مع الشريف فيصل دون تأخر) (١) ، ومما يبرهن على ذلك أن قدوم عبدالله إلى معان قد دفع البريطانيين إلى ضرورة التوصل إلى تفاهم مع العرب بأسرع وقت ممكن ، خاصة مع الحكومة الحجازية ، وإيصال المفاوضات مع الشريف فيصل إلى نتيجة إيجابية .

فاستغل الشريف فيصل حركة أخيه في شرق الأردن ، وأكد للبريطانيين أن العرب لن يسكتوا أو يخضعوا للاحتلال الفرنسي أو البريطاني لبلادهم ، وأن مشاعرهم الوطنية لم تضعف أو تقف عند حد (٢) . وأخيراً قال الشريف عبدالله أثناء مقابلته لصبحي الخضراء ومن معه في معان بشرق الأردن ، بأن الحركة العربية لم تكن موجهة ضد الفرنسيين إلاّ إذا هددوا المنطقة ، مع أنه اعترف في الوقت نفسه ، بأن أخاه فيصلاً قد طلب منه الإلتزام بالإعتدال (٣) ، وهذا أمر كان من طبيعة الشريف عبدالله نفسه .

ولقد تطورت الأمور وأزدادت الاضطرابات ، فعمت جميع مناطق شرق الأردن ، فخاف فيصل أثناء وجوده في لندن على مستقبل منطقة شرق الأردن ، فأرسل برقية عاجلة إلى والده الشريف حسين في الحجاز يبلغه بالأحداث المستجدة في المنطقة ، فاتصل الحسين بنجله عبدالله وهو في معان قبل أن يتحرك منها إلى عمَّان ، يأمرهُ بألاّ يربك الحكومات المحلية في هذا الوقت الحرج ، وألاّ يطلب من الأهالي من الضرائب إلاّ ما هو مقرر عليهم (٤) . كما أوعزت بريطانيا إلى فيصل بأن يرسل برقية أخرى إلى الحكومة الحجازية لكي تتدخل لدى عبدالله بإيقاف الحركات التي شجعها أخيراً ضد دول الحلفاء في منطقة شرق الأردن وسوريا ، ولا يعمل أي شيء يثير سخط الفرنسيين في سوريا ، لأن القضية العربية برمتها ستوضع على بساط البحث من جديد بين الفرنسيين والبريطانيين ، كما أن دول الحلفاء مهتمه بمطالب الحكومة الحجازية في شرق الاردن ،

(١) F.O. 371/5371, Telegram from Subhi Alkhdra, to Hadad dated 13 of jan . 1921 .

(٢) Ibed .

(٣) C.O. 985/1. Second Conversation on Trans Jordania, 15 mar. 1921. P.4 .

؛ عبدالله بن حسين (الملك) : مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكاملة ، ص ١٥٧ .

(٤) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ١٦٠ ؛ أحمد طربين : الوحدة العربية بين ١٩١٦-١٩٤٥م ، ص١٨ .

وان أية حركة تحدث في الوقت الحاضر ستكون ضارة بمستقبل العرب (١) .

وعلى أية حال ، فإن موقف الحكومة البريطانية - بالنسبة لمنطقة شرق الأردن في هذه الفتره تتسم بعدم الوضوح إلى حد كبير على الرغم من أنها كانت ضمن المناطق التي وعدت بها الشريف حسين قبيل قيام الثورة بأن تكون عربية مستقلة تحت سلطته ، وتم تأجيل الاعتراف له إلى ما بعد الإنتهاء من الحرب مع الدولة العثمانية (٢) .

ومن الجدير بالذكر ، فإن البريطانيين حاولوا إيقاف تحركات عبدالله وإقناعه بالعودة إلى الحجاز قبل أن يبلغ مرامه في منطقة شرق الأردن . ولكنهم فشلوا في تحقيق مطالبهم ، نتيجة لتعلق المواطنين في المنطقة به ، وعجزوا من منعه فاتبعوا سياسة التهديد ضده ، حيث هدَّد الكابتن برنتون (Brunton) زعماء عمَّان بعدم التعامل مع عبدالله في معان ووالده في الحجاز ، وسيتخذ أشد الإجراءات النظامية ضد من يتصل بهما (٣) . لكن تهديداته لم تسفر عن شيء ، رغم أنه امر مظهر رسلان متصرف السلط ، بأن يكتب رسالة إلى عبدالله في معان يحذرهُ من مغبة دخول عمَّان ، لأن الحكومة البريطانية مصمِّمة على إتخاذ كل الإجراءات المانعة لزيارته لعمَّان . فأجابه عبدالله على رسالته متحدياً ، بقوله : (إنني سأزور شرق الأردن زيارة احتلالية غير عابيء بنصائح المثبطين والمحذرين المتلونين) (٤) . وأرسل خطابات إلى شيوخ القبائل في منطقة شرق الأردن يطلب منهم أن يتلقوا الأوامر منه ، لأنه يتكلم باسم حكومته في الحجاز ، ولا ينسى أن عبدالله يحكم مركزه بنفسه ، ويمتلك سلطة قوية على رجال القبائل (٥) .

---

(١) محمد شريف بديع وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثه ص ٤٨٤.

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ٣٣ .

(٣) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٣٧ .

(٤) محمد شريف بديع وآخرون : دراسات تاريخيه في النهضة العربية الحديثة ص ٤٨٤-٤٨٥ ؛ عبدالله بن الحسين(الملك): مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكاملة ، ص ١٥٧ ؛ قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤١٧ .

(٥) C.O. 935/1. first Meeting of the Palestine Political and Military Committee, P.3.

وفي اليوم التالي قررّ عبدالله أن يتوجه إلى عمّان نيابة عن والده وقام باستقبال الوفود التي جاءته من مختلف مناطق شرق الأردن ، وبعض أنصارهُ من السوريين والعراقيين ا، لذين خرجوا من سوريا بعد سقوطها في يد فرنسا ، ومن بينهم : عبدالقادر الجندي ، وبهجت طبارة ، وجلال القطب وراضي عناب . كما ارسل خطابات إلى بعض زعماء القبائل يحثهم على الاستعداد للوقوف في وجه المستعمرين ، وأوضح لهم بأنه ما جاء إلى هنا إلاّ للدفاع عنهم ، وما تحملته الحكومة الحجازية من العبء الثقيل عسكرياً ومادياً ما هو إلاّ لنصرتهم (١) .

فجاءته بعد ذلك الوفود من كل مناطق شرق الأردن ملبين لدعوته ويقسمون له اليمين بالولاء لله وتنفيذ أوامر الحسين أو من ينوب عنه في الجهاد ضد فرنسا وغيرها ، متى ما تعرضت شرق الأردن لأي تهديد استعماري (٢) .

وبعد ما تأكد عبدالله من ذلك الحماس المنقطع النظير من السكان في عمّان له ، توجه إلى السلط في موكب كبير سار فيه ، تتقدمه كوكبة من الفرسان وكتيبة من القوات العسكرية ، وكان لهذه الزيارة تأثيرها الطيب في نفوس السكان في كل المناطق بشرق الأردن .

وعندما علمت الحكومة البريطانية بذلك الحماس ، والتأييد السكاني لعبدالله حاولت منع انتقاله إلى عمّان ، في الوقت الذي احتجت فيه فرنسا على بريطانيا بالسماح له بالسفر إلى عمّان ، وأشارت بأن عبدالله يشجع القبائل ويجمع الجيوش ضدها من جميع مناطق شرق الأردن بواسطة أنصاره ، ويحثهم على التوجه إلى عمّان ، ليحقق مطامع والده في الحجاز ، وقد أصبح الآن يهدد وجودها في سوريا على حسب قولها ، وقد تأكدت بريطانيا من ذلك بواسطة جواسيسها ، وعلمت بالاستعدادات والتهديدات العدائية لها من جانب اتباع عبدالله بن الحسين . لكن بريطانيا فضلت تهدئة الموقف . فأرسلت برقية عاجلة تهدد فيها عبدالله والحكومة الحجازية ، وتطلب إيقاف تحركات جحافل قواتهم تجاه المناطق الداخلية من شرق الأردن ، وبعض المناطق القريبة من الحدود السورية ، لأن وجود اي قوات فيها قد يؤدي إلى زعزعة الأمن في المناطق

---

(١) سليمان موسى : عمان عاصمة الأردن . ص ٦٨ .

(٢) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٣٩ .

السورية المجاورة لشرق الأردن ، ولتأكيد ذلك أرسل ديدس (Deeds) السكرتير العام للحكومة البريطانية في فلسطين ، رسالة في أواخر ربيع الآخر عام ١٣٣٩هـ/ديسمبر ١٩٢٠م إلى المعتمد البريطاني الميجور سمرست (Magor Semerset) ، ذكر له فيها بأن الحكومة الحجازية أكّدت على عبدالله بن الحسين بأن العاقبة ستكون وخيمه إذا قام بأي حركة عدائية ضد الحلفاء في منطقة شرق الأردن (١) .

وفي تلك الأثناء كان الحسين في الحجاز يكتب بعض المقالات في الصحف ، فتهرب وتوزع على الأهالي في سوريا وشرق الأردن بطريقة لا يعرف عن كيفية نشرها بين الاهالي ، تندد بالاستعمار ، وتشجع الاهالي على الثورة ضد الدول الاستعمارية في شرق الأردن وسوريا (٢) .

وفي الوقت نفسه ، صرح عبدالله بأنه ينوي الانتقال من معان إلى عمّان بناءً على طلب أهلها ووالده الحسين ، بعدما تأكد من عدم جدية معارضة الحكومة البريطانية له .

ولقد لعب عوني عبدالهادي دوراً بارزاً في عملية التوسط بين الحكومة البريطانية وعبدالله الممثل عن الحكومة الحجازية في منطقة شرق الاردن ، حيث سافر إلى عمّان ومعه رسالة شفوية سلمها للسيد هربرت صموئيل (Herbert Samuel) الذي تعرف عليه أثناء زيارته لباريس ولندن مع فيصل ، وقام بترتيب لقاء بين عبدالله وتشرشل (Chirchill) في القدس ، حيث أكد له تشرشل بموقف حكومته تجاه حكومة الحجاز ممثلة في الحسين (٣) .

ويجدر بنا هنا ، أن نذكر أن بعض العشائر في عمّان عندما سمعت بموقف بريطانيا المعارض من دخول عبدالله عمّان ، أرسلت له رسائل ترحب به بمقدمه لهم ، وأشارت بأنها مستعده لمبايعة الشريف حسين على السمع والطاعة إذا توجه إليهم

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٧٤ ؛ منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٤ .

(٢) سليمان موسى : الحسين بن على والثورة العربية الكبرى ، ص ١١٦ .

(٣) C.O. 935/1. First Meeting of the Palestine Political and Military Committee , 17 March. 1921, P. 3

نيابة عن والده الحسين في الحجاز ، كما أوضحوا له مدى العلاقة الوثيقة التي تربطهم بالأماكن المقدسة في الحجاز وبحكومة الحسين (١) .

ومما سبق ذكره يتضح لنا ، أن الحكومة البريطانية لم تستخدم القوة ضد عبدالله ، عندما سمعت بأنه يرغب التوجه إلى عمّان بالقوة ، لكنها اكتفت بتحذيراتها له ، وفي الوقت نفسه ، لم يبال عبدالله بتهديداتها له ، ولم يعمل أي شيء ضده باعتبار أنه أحد أبناء الشريف حسين حليفها ، لكنها اشرطت عليه أن لايقوم بأية حركة عدائية في سوريا ضد حليفتها فرنسا (٢) . حتى يحضر تشرشل إلى القدس ويتم الاتفاق على نوع الإدارة في منطقة شرق الأردن .

وعندما تأكدت فرنسا من تحرك عبدالله بن الحسين باتجاه عمّان ، أرسلت برقية عاجلة إلى الحكومة البريطانية تعلن معارضتها الشديدة ، وتستنكر وجوده في منطقة شرق الأردن نائباً عن والده في الحجاز ، بعد أن علمت بأنه ينوي دخول عمّان بالقوة رغم التحذيرات البريطانية ، واعتبرت هذا العمل تحركاً عدوانياً ضدها . وقد بلغ من شدة عداء الحكومة الفرنسية لعبدالله أنها رفضت السماح لأخيه فيصل بالمرور عبر الأراضي الفرنسية أثناء عودته من بريطانيا إلى الحجاز . مما جعله يختار طريقاً آخر عبر أوربا والبلاد العربية ليعود منه إلى بلاده الحجاز (٣) .

وعندما عاد فيصل إلى الحجاز ، بعث عبدالله برسالة إلى والده في الحجاز ، يقول فيها : إنه وافق على الخطة السياسية التي عرضتها الحكومة البريطانية عليه ، والتي توافق فيها على بقائه في منطقة شرق الأردن ، على أن يتولى إدارتها بصفته ممثلاً لحكومة الحجاز وعلى أن يتلقى التعليمات من مندوبها ، في الوقت الذي ترفض فيه فرنسا وجوده في المنطقة .

ونفهم من رسالة عبدالله لوالده في الحجاز ، أنه كان يرى السير على خطة تحمل في طياتها الأمل في استرجاع سوريا من يد الفرنسيين .

---

(١) C.O. 937/1. first Meeting of the Palestine Political and Military Committee, 17 march 1921. p. 3 .

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية ، (دراسة وثائقية) ص ٥٠ .

(٣) سليمان موسى : المرجع نفسه ، ص ٥٢ .

أما بريطانيا فإنها ، كانت تحاول أن تقترح على الحكومة الفرنسية ، أن تقوم بعقد اتفاق مع حكومة الحجاز وعبدالله حفاظاً على استقرار الوضع السياسي المتوتر في منطقة شرق الأردن شريطة ألا يؤذي ذلك الفرنسيين ، خاصة وأن عبدالله يمثل حكومة الحجاز ، وأن شرق الأردن تابعة لحكومة الحجاز (١) .

وفي الثاني عشر من جمادى الثاني عام ١٣٣٩هـ/العشرين من فبراير ١٩٢١م ، طلب عبدالله بن الحسين من والده في الحجاز للمرة الثانية أن يأذن له بالرحيل إلى عمّان فأذن له ، فبدأ يجهز قواته العسكرية المرافقة له من القبائل التي تقطن معان ، وبعض المناطق القريبة منها بشرق الأردن ، وقبل أن يسافر ألقى خطاباً عاماً أوضح فيه للحضور بأنه متوجه إلى عمّان بإيعاز من والده الشريف حسين ، وأن أي واحد منا لا ينتسب إلى إقليم جغرافي معين ، وإنما ينتسب إلى شبه الجزيرة العربية التي نشأ فيها العرب جميعاً ، والبلاد العربية منطقة واحدة ، واشار في خطابه بأنه ارسل علي بن حسين الحارثي إلى عمّان وكانت مهمته إن يتصل بالمواطنين ويسبرا غور الحالة ويعمل على تمهيد السبل امامنا ، وقد استقبل الشريف علي كبار المشائخ ومنهم مثقال الفايز وعلى رأس قوة تقارب على الألف فارس من بني صخر وعشائر البلقاء ووجد ترحيباً منقطع النظير في مناطق شرق الاردن (٢) .

وفي عشية يوم الإثنين العشرين من جمادى الثاني عام ١٣٣٩هـ/الثامن والعشرين من فبراير ١٩٢١م ، غادر عبدالله بن الحسين بصحبة عوني عبدالهادي بالقطار معان ، بعدما استعرض قواته العسكرية ، وتقدم لوداعه ومن معه شيوخ العشائر والزعماء في معان .

لكن مجريات الأمور فيما بعد ، أظهرت أن طموحات الشريف عبدالله كانت أبعد من ذلك بكثير ، خاصة بعد ما أعلن نفسه (نائبا لحكومة الحجاز) ، وأخذ يوسع دائرة اتصالاته ، بغية جذب أكبر عدد ممكن من المؤيدين له للالتفاف حوله ، من أجل تثبيت قدمه في منطقة شرق الأردن . وبعد هذه التحركات أحست بريطانيا بالخطر ، فأسرعت إلى عقد مؤتمر في القاهره في الثاني من رجب عام ١٣٣٩هـ/الثاني عشر من مارس ١٩٢١م حضره مسئولون بريطانيون ، لبحث مستقبل الوضع السياسي السائد في البلاد العربية التي تقع تحت النفوذ البريطاني ، وقد ضم المؤتمر من البريطانيين تشرشل والكولونيل لورنس وعدداً كبيراً من المعتمدين والخبراء في الحكومة البريطانية في الشرق الأوسط ، ومندوبين عن سلطات الإنتداب في العراق ، ومن شرق الأردن مثل كل من الكابتن فردريك بيك والميجور سمرست ،

---

(١) عبدالله بن الحسين : مذكراتي ، ص ١٨١ .

(٢) خيرالدين الزركلي : مارأيت وما سمعت ، ص ١٩.

وهذا بالإضافة إلى جر ترودبل (Miss Gertrude Bell) الخبيرة البريطانية في شؤون العراق وخبراء دائرة الشرق الأوسط [١] ، وقد رأى المؤتمرون انه لابد من وجود تفاهم بين فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط ، بهدف تخفيض القوات البريطانية في الشرق الأوسط ، ويكتفي بإقامة قواعد جوية هدفها صد العدوان الخارجي ، والمحافظة على الأمن والنظام الداخلي في شرق الأردن ، ووضع المسائل التي اتفق عليها فيصل وتشرشل موضع التنفيذ [٢] . كما قرر المؤتمرون إرسال قوات عسكرية إلى شرق الأردن لإحتلالها ، وتأمين قيام حكومة فيها منفصلة عن حكومة الحجاز تضمن حماية حدود فلسطين الشرقية من غارات القبائل عليها .

وفي الوقت نفسه ، تمنع جميع الحركات العدوانية ضد الفرنسيين في سوريا ، وحينما طرحت مسألة شرق الأردن على بساط البحث في المؤتمر ، وتم الاتفاق على وضع خطة تهدف إلى منع عبدالله من دخول شرق الأردن كما أشرنا ، وصلت أنباء بتحرك عبدالله بقواته تجاه عمّان . وأعادوا طرح قضية شرق الأردن من جديد ، وبعد تبادل الرأي قدمت ثلاثة حلول للمسألة الأردنية [٣] ، ومنها :

اولاً : إخراج الشريف عبدالله من منطقة شرق الأردن بالقوة إذا أمكن .

ثانيا : الاتفاق مع الشريف عبدالله على حكم البلاد شريطة ان يقطع علاقته بالحكومة الحجازية وان يخضع لأوامر بريطانيا .

ثالثا : الاعتماد على القوى المحلية في منطقة شرق الاردن في التخلص من الشريف عبدالله بن الحسين .

ولكن بريطانيا عارضت هذه الاقتراحات ، وأشار ممثلوها على إعادة النظر في هذه الحلول من جديد . وأوصى المؤتمر رغم تحفظ فرنسا عليه بأن يناط بعبدالله بن الحسين إدارة حكومة عربية في المنطقة ، وأن تنقل مسئولية حفظ الأمن والنظام في منطقة شرق الأردن من وزارة الحربية إلى وزارة الطيران [٤] . وهذا مما جعل فرنسا تتخلى عن موقفها السابق وتعرب عن مخاوفها الشديدة من اتفاق بريطانيا مع الحسين وابنه عبدالله ، باعتبار أن أي إتفاق معهما قد يدفع بعبدالله بن الحسين إلى الاستمرار في مشروعه الذي قدم من أجله ،

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م . ص ٣٦ .

(٢) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٤١ .

(٣) علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر عهد الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٢٣ .

(٤) سليمان موسى : تأسيس الإمارة الأردنية ، ص ١٠١ .

وهو اعداد حملة عسكرية كبيرة لإخراجها من سوريا . كما أن وجود عدالله في عمّان ممثلاً عن والده سيكون بمثابة ملاذ للثوار السوريين ومشجع لحركاتهم ضدها ، خاصة وأن الشريف علي الحارثي وصل إلى عمّان في مطلع شهر ديسمبر الماضي عام ١٩٢٠م ، واتصل بأعيانها ثم غادرها بعد ذلك إلى السلط ، ودعا شيوخها لمبايعة عبدالله بن الحسين ، وحثهم على التكاتف والاستعداد ، وعاد بعد ذلك إلى عمّان ، وهناك عقد اجتماع حضره عدد كبير من الزعامات الأردنية ، وتبادل معهم الأراء حول الاعتداءات الفرنسية على سوريا ، فقرروا بعد ذلك دعوة عبدالله بن الحسين للقدوم إلى عمّان نيابة عن والده (١) .

وفي ٢١ جمادى الآخر ١٣٣٩هـ/أول مارس ١٩٢١م ، تقدم عبدالله إلى الكرك والطفيلة ومنها إلى عمّان ، فوصلها في الثالث من رجب ١٣٣٩هـ/الثاني عشر من مارس ١٩٢١م (٢) ، وبوصوله إلى عمّان انتهى عهد الحكومات المحلية ، وأخذت السلطة المحلية تتركز في يده ، في حين فشل البريطانيون في إخراجه ، بعد أن رسخ وجوده في منطقة شرق الأردن نائباً لوالده في الحجاز ووجد تأييداً من اهلها ، ولذلك تراجعت بريطانيا عن موقفها المعارض لدخول عبدالله عمّان . وأعلن معتمدها إليك كركبرايد في عمّان بترحيبه له بصفته ابناً لحليف بريطانيا (٣) . وكان يهدف من وراء ذلك ضرب الخصم بالخصم ، وغدت عمّان مركزاً مهماً لوقوعها في منتصف منطقة شرق الأردن ، وارتباطها بخط سكة حديد الحجاز الذي يربط بلاد الشام بالحجاز .

وقد بدأت وفود القبائل تتوافد من مختلف مناطق شرق الأردن على عمّان ، لتقديم الولاء والطاعة لعبدالله وحكومة والده في الحجاز (٤) .

وقد صادف وصول عبدالله إلى عمّان وصول تشرشل إلى القاهره في الثالث من رجب عام ١٣٣٩هـ/الثاني عشر من مارس ١٩٢١م ، لوضع الخطط السياسية لبريطانيا في البلاد العربية الواقعة تحت نفوذها ، حيث عقد مؤتمراً ثانياً في القاهرة ضم بعض المسئولين البريطانيين ، وقرر المؤتمرون على إرسال قوات عسكرية إلى

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ، ص ٣٦ .
(٢) منيب الماضي وأخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٤١-١٤٢ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٨٢ ؛ Hurbert, young : cit, P. 325 - 326
(٣) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٧ .
(٤) دفيد فرومكين : سلام ما بعد سلام (ولادة الشرط الأوسط ١٩١٤- ١٩٢٢م) ، ترجمة اسعد كامل ألياس ، ص ٥٦٦ .

شرق الأردن لإحتلالها وتأمين قيام حكومة فيها تحت اشراف مسئولين بريطانيين لضمان حماية حدود فلسطين الشرقية من غارات القبائل ، وفي الوقت نفسه ، تمنع الحركات العدوانية ضد الفرنسيين في سوريا وبعد الانتهاء من المؤتمر غادر القاهرة إلى القدس (١) .

وهناك أصدر عبدالله الأوامر للحكومات المحلية بالمحافظة على الأمن ، وفي الوقت ذاته ، بادر بتعيين عوني عبدالهادي رئيساً لديوانه (٢) .

وبعد أن وطد عبدالله نفوذه في المنطقة بدأ في إجبار الأهالي على دفع الضرائب لإنفاقها على الإصلاحات ، كما فاوض زعماء القبائل وشيوخها على منع القتال بين القبائل لمدة ثلاثة شهور (٣) .

وخلال تلك الفترة تلقى الشريف حسين في الحجاز رسالة من جورج وزير الخارجية البريطاني (George) ، يعرب له فيها عن مشاعر الصداقه والولاء له ، وأوضح له بأنه سيتم الاتفاق على حل مرضي لكل القضايا التي تهم الطرفين في الحجاز وشرق الأردن ، وأن الحكومه البريطانية على ثقة من أن الحسين سوف ينجح في تنمية استمرار العلاقات السلمية في منطقة شرق الأردن (٤) .

وفي االسادس من رجب عام ١٣٣٩هـ/الخامس عشر من مارس عام ١٩٢١م ، أرسل الشريف حسين برقية إلى ابنه عبدالله في عمّان يهنئه على الإجراءات التي قام بها ويخبره بأن وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل سيصل إلى القدس وقد يزور وادي موسى (البتراء) ، وعليه أن يقابله ويفاوضه في الأمور التي تخص منطقة شرق الأردن (٥) . وفي الوقت نفسه ، تلقى عبدالله دعوة من هربت صموئيل (Herbert Samuel) لزيارة القدس ومقابلته لمناقشة الاوضاع السياسية في منطقة شرق الاردن .

---

(١) الشرق العربي ، السنه الأولى ، العدد ١٥ ، (سبتمبر ١٩٢٣م) ، ص ٣ .

(٢) جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٠٤ ؛ قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤٢١ .

(٣) خيرالدين الزركلي : مارأيت وماسمعت ، ص ٤٤ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٨٣ .

(٤) F.O. 686/74, Letter from George to King Hussin, dated 15, March 1921.

(٥) سليمان موسى : عمان عاصمة الأردن ، ص ٦٩ ؛ محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م. ص ٣٧ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ، ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٨٧ .

وحال وصول البرقية لعبدالله وهو بعمّان ، بادر بإرسال خطاب من جانبه مع عوني عبدالهادي وبرفقته بعض القيادات السياسية إلى صموئيل في القدس وفي السلط استقبله ديدس (Deeds) (*) السكرتير العام لفلسطين باسم المندوب السامي أحد الضباط البريطانيين والكولونيل لورانس لمرافقته للقدس .

ولقد طلب عبدالله في رسالته من المسئول البريطاني في القدس أن يساعد مندوبه عوني عبدالهادي على مقابلة تشرشل الذي سيصل إلى القدس من القاهرة ، وأكد له كذلك في رسالته بأنه لن يقوم بأي عمل من شأنه يعكر صفو العلاقات بين منطقة شرق الأردن وفلسطين (٢) . وأشار كذلك بموقف الحسين تجاه بريطانيا في شرق الأردن ، وكرر عبدالله بأنه لم يأت إلى منطقة شرق الأردن إلاَّ بطلب من أهلها الذين أرسلوا وفداً رسمي للحسين ، يطلبون منه أن يرسل لهم أحد أبناءه . وبناء على ذلك أرسله والده ، ليقوم بالنيابة عن أخيه فيصل بإدارة المنطقة التي كان يحكمها نيابه عن والده الحسين في الحجاز قبل خروجه من سوريا .

وحينما تسلم المندوب السامي البريطاني الرسالة وعرف فحواها ، طلب من عوني عبدالهادي أن يبلغ عبدالله بضرورة العودة من حيث جاء ، فأجابه عوني عبدالهادي بأن الرجوع غير ممكن ، مادام منطقة شرق الأردن عربية وجزء من الحكومة العربية في سوريا ، الذي يحكمها فيصل نيابة عن والده حاكم الحجاز ، وقد جاء عبدالله نائباً عن أخيه بعد إلحاح شديد من الأهلين وأصحاب الشأن الأول في الأمر (٣) . بعد ذلك عاد عوني عبدالهادي إلى عمّان يحمل دعوة لعبدالله لمقابلة تشرشل في القدس الذي

(*) ديدس (Deeds)من اسرة ريفية من مقاطعة كنت ببريطانيا وبعد تخرجه من جامعة ايتون ، نال رتبة في فرقة الحرس الملكي ، وظل مدة اثنين وعشرين عاماً ثم تطوع بعد ذلك للخدمة في قوة الدرك العثماني وهي قوة الشرطة التركية التي انشئت حديثاً بقيادة ضباط أوربيين ، ثم انتقل بعد ذلك وعمل تحت رئاسة محمد طلعت ثم تنقل بعد ذلك في الخدمة التركية . وفي عام ١٩١٥م وصل القاهرة من عاليبولي واختياره نائباً لرئيس المخابرات المصرية ، حيث اثبت معرفته بالشئون التركي .... الخ ، انظر التفاصيل : دافيد فرومكين : سلام ما بعده سلام ، ص ٧ – ٨ .

(٢) سليمان موسى : عمّان عاصمة الأردن ، ص ٦٤ ؛ دفيد فرومكين : سلام ما بعد سلام (ولادة الشرط الأوسط ١٩١٤– ١٩٢٢م) ، ترجمة اسعد كامل الياس ، ص ٥٦٧ .

(٣) قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦–١٩٢٥م ، ص ٤٢٠ .

وصل في الخامس عشر من رجب عام ١٣٣٩هـ /الرابع والعشرين من مارس ١٩٢١م (١). ولم يلبث أن تلقى الدعوة الرسمية الأخرى من هربرت صمويل لزيارة القدس والاجتماع بالوزير البريطاني .

فقبل عبدالله الدعوة ، وغادر عمّان إلى القدس في السابع عشر من رجب عام ١٣٣٩هـ/السادس والعشرين من مارس ١٩٢١م ، يرافقه وفد كبير من القيادات العربية ، منهم بعض الزعماء السوريين ومن بينهم رشيد طليع وعوني عبدالهادي وأحمد مريود ومظهر رسلان وغالب الشعلان وأمين التميمي ، واستقبل في السلط الكولونيل لورنس والمرشال سلموند ليرافقاه ، وفي السلط أوضح لورنس لعبدالله بالخطة البريطانية بشأن تثبته في منطقة شرق الأردن ، وبين له استحالة عودة فيصل إلى سوريا ثم تحرك بعد ذلك ووصل القدس في الثامن عشر من رجب عام ١٣٣٩هـ/السابع والعشرين من مارس عام ١٩٢١م ، وأستقبل في دار الحكومة بالقدس ، في الوقت الذي لم يعرج على مستقبليه في بقية المدن الفلسطينية فأتهموه بأنه خضع منذ البداية لنصائح البريطانيين (٢).

وفي اليوم التالي ، افتتح المؤتمر وكان يمثل الجانب البريطاني تشرشل وهربرت صموئيل (H.Samuel) والسكرتير العام لفلسطين البريطاني وندهام ديدس (Deeds) والكولونيل لورنس (Lawerance) (٣) ، وقد استهل تشرشل وزير المستعمرات الحديث بالثناء على العرب والأهداف الطيبة التي جمعت بين بريطانيا والعرب في الحرب ، وبالأمال المنوطة بتلك الروح (٤) . ثم استعرض التعاون الذي حصل في الحرب ، وذكر بعد ذلك جهود بريطانية في الحيلولة دون حدوث أي أحداث بين فرنسا والعرب في سوريا ، ثم قال : المندوب البريطاني إن بريطانيا محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين وهم حلفاؤها ، ثم انتقل بعد ذلك في الحديث إلى بيان الخطة البريطانية

---

(١) عبدالله بن حسين : مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكاملة ، ص ١٥٩ ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٢٨م ، ص ٨٧ .

(٢) عبدالله بن الحسين : الأمالي السياسية ، ص ٢٣ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ١٠ ؛ ديفيد فرومكين : سلام ما بعد سلام (ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤- ١٩٢٢م) ، ترجمة أسعد كامل الياس ، ص ٥٦٧ ؛ قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤٢١ .

(٤) عبدالله بن الحسين : مذكرات الملك عبدالله والآثار الكاملة ، ص ١٦٠-١٦١ ؛

رسمتها بشأن الأسرة الهاشمية ، والتي تتضمن تخلي فيصل نهائياً عن المطالبة بعرش عن سوريا بسبب الضغوط الفرنسية وسفرهُ إلى القاهرة والحجاز لتقديم احترامه لوالده ، ومن هناك ذهب إلى العراق ليرشح نفسه ملكاً على العراق ، وبقاء عبدالله في منطقة شرق الأردن بشرط أن يبقى متعاوناً مع البريطانيين ، وأن يبتعد عن اوامر الحكومة الحجازية ، وأن يسير بالسكان في منطقة شرق الأردن مسيرة تبتعد عن تحدي الفرنسيين ، وأنه إذا تم هذه الشروط فإن فرنسا ستعيد النظر في علاقتها ، وتغير موقفها على مر الزمن معه (١) .

وفي نهاية المباحثات اتفق كل من عبدالله بن الحسين وتشرشل بالاتفاق على ما يلي :

١ - إقامة حكومة وطنية في منطقة شرق الأردن برئاسة عبدالله بن الحسين .

٢ - تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالاً إدارياً تاماً عن الحجاز .

٣ - تساعدها بريطانيا مادياً لتوطيد الأمن .

٤ - تسترشد برأي مندوب بريطاني يقيم في عمّان .

٥ - تنشيء قاعدتين للطيران في عمان وزيزياء (الجيزة) .

٦ - تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الشريف عبدالله والسلطة الفرنسية في سوريا .

٧ - تحافظ على حدود سورية وفلسطين من كل اعتداء .

٨ - تعتبر هذه الإتفاقيات مؤقتة ولمدة ستة شهور فقط (٢) .

واتفق أيضاً على أن يقوم المندوب البريطاني في فلسطين بزيارة عمان لوضع أسس هذه الإدارة الجديدة في شرق الأردن .

ولقد اعتبر عبدالله هذه الاتفاقية حلاً مرضياً معتقداً بأنه قد حظى بدعم دولة كبرى كبريطانيا لتحقيق آماله لأنه يدرك تماماً انه لايستطيع إلاّ أن ينفذ ماطلبه تشرشل وهذا مما جعل عبدالله يوافق على طلب بريطانيا دون أخذ موافقة والده الحسين ، مما أدى إلى غضب والده على العمل الذي أقدم عليه دون أن يأخذ موافقته (٣) . ويتضح ذلك من رسالته التي وجهها إلى والده التي قال فيها : (ولما كنت أعلم

---

(١) C.O. 935/1. First Conversation on Trans Jordania Help cit Government House jerusalem , P. 2-3 .

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ علي محافظة : تاريخ الأردن المعاصر عهد الامارة ، ص٢٤ .

(٣) سليمان موسى : تأسيس الإمارة ، ص ١٣٠ .

شدة الرغبة السنية في تطبيق الاتفاقيات بشأن القضية العربية . ولتأكدي بعدم الاقتدار على استخلاص سورية بحرب نقيمها نحن بدون معاونة دولية ، ولوقوفي هنا على حقيقة عدم اقتدار الشعب السوري على ذلك ، وتأكدت أيضاً من استحالة رجوع فيصل إلى سورية برضى فرنسا . فقبلت الخطط السياسية المعقولة التي رسمتها بريطانيا ، وتعهدت أن أدير شرق الأردن بصفتي ممثلاً لجلالة والدي) (١) .

وفي الوقت ذاته ، لم يشر الوزير البريطاني في الاجتماع إلى تعيين رئيس عربي على القدس ، تكون علاقته مع المندوب السامي في القدس مثل علاقته مع المندوب السامي في بغداد (٢) ، وأكد على عبدالله بن الحسين أن يبقى في منطقة شرق الأردن ، وستقوم بريطانيا بتقديم المعونة المالية لتأسيس كيان عربي تحت سيطرته . وهذا مما جعل الشريف حسين يخاف اكثر من نوايا بريطانيا الخبيثة حالما وصلت برقية ابنه عبدالله يخبره بالخطة . فرفع الحسين برقية عاجلة إلى بريطانيا يعارض الخطة التي رسمتها مع ابنه عبدالله على اعتبار أن منطقة شرق الأردن تابعة لحكومة الحجاز ، ولايمكن فصلها ، كما رفع الشريف حسين برقية أخرى لنجله عبدالله في شرق الأردن ينكر عليه الاقدام على مثل هذه الخطوة التي اتفق عليها مع بريطانيا دون أخذ موافقته .

أما عبدالله بن الحسين ومرافقوه فإنهم رأوا أن العرض الذي قدمته بريطانيا في مصلحة الشعب الأردني مع أنهم لم يفكروا في عواقبه في المستقبل ، فوافق عبدالله ومرافقوه بالاجتماع ، وبعد الانتهاء من الاجتماع عاد إلى عمّان ، للشروع في تأسيس حكومة وطنية عربية برئاسته في شرق الأردن ، وأن تكون هذه الحكومة مستقلة ، تعتمد على مساعدة الحكومة البريطانية ، لسد نفقات القوات العسكرية فيها ، وغايتها توطيد دعائم الأمن والنظام في مناطق شرق الأردن(٣) . وقد تقرر أن تسترشد الحكومة الجديدة برأي مندوب بريطانيا الذي سيقيم في عمّان ، مع تعهد الأمير بمنع الاعتداءات

---

(١) C.O. 935/1. First Conversation on Trans Jordania Help Cit Government House Jerusalem, p.2-3.

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية ، (دراسة وثائقية) ، ص ٤٩ ؛ دافيد فرومكين : سلام ما بعد سلام (ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤- ١٩٢٢م) ، ترجمة اسعد كامل الياس ، ص ٥٦٧ .

(٣) C.O. 935/1. First Conversation on Trans Jordania Help At Government House, Jerusalem, P.1-2 .

على حدود سوريا وفلسطين (١) .

ومعنى ذلك أن بريطانيا تقصد من وراء هذا الإجراء فصل منطقة شرق الأردن عن الحجاز ، وهذا مما يغضب الشريف حسين في الحجاز لأنة يعتبرها منطقة تابعة للحجاز كما أوضحنا سابقاً .

ولقد وصل عبد الله بن الحسين عمّان في العشرين من رجب لعام ١٣٣٩هـ/ الثلاثين من مارس ١٩٢١م ، وقام بوضع الخطط الكفيلة لتنظيم الامور بمنطقة شرق الأردن ، وتوحيد أقسامها المختلفة تحت إدارة مدنية واحدة ، وهذا عمل عسير وصعب ويحتاج إلى تضافر جهور اهلها ، وذلك للأسباب التالية :

١ -أن هذه المنطقة لم تعرف الأمن والنظام والاستقرار من قبل ، ويعود ذلك إلى سيطرة القبائل البدوية لتي تسودها الروح العشائرية .

٢ -أهلها يرغبون الانضام إلى حكومة الحجاز .

٣ -أن روح العداء لازالت منتشرة بين البدو والقرويين ، لأسباب معيشية واقتصادية .

٤ -أنه من المؤكد أن عبدالله بن الحسين سيواجه مصاعب مالية كبرى رغم تعهد الحكومة البريطانية له بتقديم ما يلزم من معونة مالية ، ولمدة قد لا تزيد عن ستة أشهر (٢) .

وبالرغم من تلك المصاعب التي واجهت عبدالله بن الحسين في شرق الاردن إلا انه نجح في تكوين الإدارة المركزية لإمارته ، حيث عين رشيد طليع (*) رئيساً لمجلس المستشارين ، وكلفه بمهمة تعيين جهاز إداري منظم في الثاني من شعبان عام ١٣٣٩هـ/الحادي عشر من إبريل ١٩٢١م (٣) .

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٣٧ ؛ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ١٣ .

(٢) سليمان موسى : تأسيس الإماره الأردنية ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(*) رشيد طليع : تولى عدة مناصب إدارية في العهد العثماني إذ كان نائباً لحوران في مجلس المبعوثان ، ثم عين متصرفاً للاذقيه وفي العهد الفيصلي عين حاكماً عسكرياً لحماه ، ثم مديراً للداخلية ، ثم واليا لحلب ، وعند دخول الفرنسيين لسوريا غادرها إلى حوران فشرق الأردن ، وقد كان أكثر الموجودين حين تأسيس الإماره إقتداراً على الاضطلاع بهذه المهمه ، واتصف رحمه الله بالوطنية وقوة الشخصية والخلق العظيم والاتزان والكفاءة والنزاهة مما أكسبه احترام المتصلين به ، ووصف بأنه شهماً غيوراً .

(٣) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٤٩ .

وبعد إعلان الحكومة الجديدة بوقت قصير ، زار هربرت صموئيل (H. Samuel) عمّان يرافقه السير وندهام ديدز واللورد أدوارد هنري والكولونيل لورنس للمشاركة في تكوين الحكومة ، وقرر تعيين أربعة معتمدين بريطانيين ، فاعترض رشيد طليع على تلك التعيينات مكتفياً بتعيين المستر إبرامسون (Abramson) رئيساً للممثلين البريطانيين ، كما عين سبعة من المستشارين السياسيين البريطانيين ، لمساعدة عبدالله بن حسين على سير الإدارة الجديدة (١) .

أما أعضاء الحكومة الجديدة فكانوا أغلبهم من قادة حزب الاستقلال ، وريث الجمعية العربية الفتاة التي حلت في عهد فيصل بن حسين في سوريا ، ولم يكن بينهم سوى أردني واحد وهو علي خلقي الشرايري . أما البقية ، فمنهم أربعة من السوريين ، وهم : رشيد طليع وأحمد مريود ومظهر رسلان وحسن الحكيم ، واثنان من الحجاز ، وهم : (الشريف شاكر بن زيد ومحمد الخضر الشنقيطي) ، وفلسطيني واحد هو أحمد أمين التميمي . وهناك أعضاء حزب الاستقلال الذين تركوا سوريا أو طردوا عنها على يد السلطات الفرنسية وانضموا اخيراً تحت لواء عبد الله بن الحسين فور وصوله إلى شرق الأردن ، وتعاونوا معه على دأب الصدع ، وجمع الشمل وتنظيم الصفوف لأجل النضال الوطني ، وتنظيم أمور الدولة في منطقة شرق الأردن ، وهذا مما جعل عبدالله بن الحسين يثق بهم ، ويقوم بتعيينهم في حكومته الجديدة .

وبتعيين أعضاء الحكومة تم إنشاء الإدارة التابعة لهم بشكل محدود بحيث لم تستحدث من الوظائف إلاّ الضروري منها ، وذلك نظراً لما تمر به الحكومة الجديدة من أزمة مالية . وفي ضوء ذلك التنظيم السياسي حدد مرتب أكبر موظف في هذه الحكومة ، بما لا يزيد عن أربعين جنيها استرليني (٢) . كما يلاحظ أن عبدالله بن الحسين أعطى الناحية المالية في حكومته إهتماماً كبيراً على ان تكون الواردات كافية لتغطية النفقات ومراعياً في ذلك عدم إرهاق الأهالي بالضرائب . وتوظيف المساعدات المالية المقدمة من بريطانيا في الأمور الضرورية مع محاولة تقليل الاعتماد على الإعانات المالية من الحكومة

---

(١) علي المحافظ : العلاقات الأردنية – البريطانية – من تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة ١٩٢١ – ١٩٥٧م ، ص ٣٣ ؛ جاسم العدول وآخرون : تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ص ٢٠٥ .

(٢) تيسير ظبيان : الملك عبد الله كما عرفته (عمّان ،المطبعه الوطنية ، ١٩٦٧م) ، ص ٣٢ – ٣٣.

البريطانية . مع مراعاة الاحتفاظ بقسط وافر من الواردات لإستخدامه في تكوين قوة عسكرية وطنية للدفاع عن الوطن (١) .

وعندما سمع الشريف حسين في الحجاز بتلك الإجراءات التي تم الاتفاق على تنفيذها بين ابنه عبدالله والسلطات البريطانية في شرق الأردن ، غضب ورفع برقية إلى ابنه عبدالله في عمّان يحذره من مغبة فصل منطقة شرق الأردن عن الحجاز ، والتوقف عن تنفيذ كل الإجراءات الإدارية التي تم الاتفاق عليها مع بريطانيا في المنطقة . لكن عبدالله أجاب والده ببرقية رفعها له يخبره فيها بأنه تولى إدارة حكومة شرق الأردن نيابة عنه وممثلاً لجلالته .

وفي التاسع من شعبان عام ١٣٣٩هـ/الثامن عشر من إبريل ١٩٢١م ، عقد عبدالله بن الحسين اجتماعاً مع عدد من رؤساء العشائر والشيوخ وأعيان شرق الأردن بدعوة منه ، وفي هذا الاجتماع ألقى هربرت صموئيل (H. Samuel) خطاباً رسمياً رحب فيه - باسم بريطانيا - بالتعاون مع عبد الله ، كما أشار في خطابه إلى مهمة الموظفين البريطانيين في المنطقة وبالدور الذي قاموا به ، وأكد على أن تكون المحافظة على النظام والأمن العام في المقام الأول من الأهمية ، وطالب بتكوين قوة عسكرية احتياطية تستخدم في توطيد سلطة الدولة الجديدة في منطقة شرق الأردن (٢) .

وأوضح كذلك ، بأن الحكومة البريطانية ستلبي رغبات عبد الله ، ثم ناقض بعد ذلك هربرت صموئيل (H.SAMUEL) نفسه مباشرة ، فاعترف بأن تلك التدابير التي اتخذت إنما هي لكبح جماح كل من يعكر صفو الأمن والنظام في الأراضي المجاورة غرباً وشمالاً لشرق الأردن ، كما أوضح إلى ضرب أي حركة داخلية معادية لعبد الله ، وهدد بأن الحكومة البريطانية مصممة على أن لا تكون منطقة شرق الأردن مركزاً للمعارضين سواء كان لفلسطين أو لسوريا . كما أشار أيضاً إشارة عابرة إلى أن الاتفاق الذي تم بين تشرشل (Chirchill) وعبدالله كان نيابة عن والده (٣) .

ويتضح من خطاب هربرت صموئيل (H. Samuel) أنه ينوي إرساء الأسس السياسية التي تريدها بريطانيا في المناطق التي ستتبع شرق الأردن ، وتعيين ابرامسون

---

(١) C.O. 935/1. Telegram, Chirchill to General Gourgaud , March, 21, 1921.

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ،ج ٣ ، ص ١٣ .

(٣) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ٩٥ .

(Abramson) اليهودي معتمداً بريطانياً رسمياً في عمّان (١) . وذلك إلى جانب لورنس (.Lawerance) الذي أمضى ستة أسابيع في شرق الأردن لمساعدة عبدالله بن الحسين في كيفية إدارة المنطقة بعد أن اطلع على كل شيء في المنطقة ، منتهزاً فرصة رغبة عبدالله بن الحسين في تطوير وتنظيم الوحدات المحلية (٢) .

ولقد أبدى عبدالله بن الحسين استعداده الكامل لتنفيذ نصائح الحكومة البريطانية ، وتعهد بإبقاء شرق الأردن هادئاً على أن تستمر اتصالاته بوالده الشريف حسين حاكم الحجاز وأخيه فيصل في العراق لاطلاعهما على مقترحات الحكومة البريطانية ، كما أنه تعهد بعدم القيام بأية أعمال معادية ضد الفرنسيين (٣) .

حيث أن الحكومة الجديدة لم تكن تملك القوة العسكرية الكافية لاخضاع الخارجين عن طاعتها والمناوئين لها ، فإنها سعت إلى استخدام الأساليب الأدبية لإقناع الخارجين عن طاعة الدولة الجديدة ، من أمثال : كليب الشريدة الذي دعته بالانصياع لتنظيماتها الإدارية التي بدأت تطبقها في شرق الأردن (٤) .

كما تم تعيين أمين التميمي متصرفاً للواء عجلون ومركزه أربد ، الذي باشر في جمع الأموال ، وتحصيل الضرائب من أهلها ، لأن الحكومة الجديدة لم تكن تملك أموالاً تنفقها على الاحتياجات الضرورية (٥) .

وفي أواخر شعبان عام ١٣٣٩هـ/أواخر إبريل ١٩٢١م ، غادرت أربد قوة عسكرية بقيادة عمر لطفي ، وكانت مهمتها الأساسية هي مساعدة الموظفين المختصين في تحصيل الضرائب ، وتعداد الأغنام في منطقة الكورة ، وقد وفقت هذه القوة في مهمتها ، وذلك لوجود نجيب الشريدة أحد زعماء المنطقة معها (٦) .

---

(١) C.O. 935/1. letter, Chirchill to sir Herbert Samuel , April, 2, 1921.

(٢) C.O. 935/1. Report on Middle east Conference Help in Cairo and jerusalem , p.6 ; Bentwich, N, : Jueaea lives again , london, 1946, p.120.

(٣) C.O. 935/1. Third Conversation Trans Jordania, p.3 .

(٤) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٠٢ .

(٥) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٥١ .

(٦) خير الدين الزركلي : عامان في عمّان ، ص ١١٩ .

ولكن حدثت أخيراً بعض الخلافات الداخلية في الكورة ، ويعود سببها إلى العادات والتقاليد ، والأحكام القبلية السائدة في المنطقة ، حيث حرمت الحكومة الجديدة في عمّان شيوخ العشائر ، ومثلهم في الريف من بعض الامتيازات ، التي كانوا يتمتعون بها في العهد العثماني ، وكانت رغبة الحكومة الجديدة أن يكون شيوخ القبائل مجرد وسيط بين الحكومة وأبناء القبائل ، كما أن عليهم جمع المال والضرائب للحكومة [١] . وقد أحدث ذلك صدام شديد بين الحكومة الجديدة ورؤساء العشائر في منطقة الكورة احدى المناطق بشرق الاردن والمشهورة بكثرة تمرد اهلها ، لرفضهم للتنظيمات الإدارية ، التي نفذتها الحكومة مؤخراً ، وبهذاالخلاف انضمت منطقة الكورة إلى متصرف إربد تحت زعامة كليب الشريدة . الذي قرر الخضوع للحكومة الجديدة في عمّان بشرط أن تخضع هي الأخرى للحكومة الحجازية . لكن عبدالله بن الحسين رفض هذا الغرض ، وعمد لمعالجة الموقف بالطرق الودية [٢] .

وفي حقيقة الأمر ، فأن المسئولين في عمّان ، كانوا يدركون تماماً مدى خطورة قوة الحركات المناهضة لهم في المنطقة ، ومدى ولائها للشريف حسين ، وأنه إذا توسعت رقعة الاضطربات في منطقة الكورة وما حولها والمعروفة بكثرة ثوراتها ، فانه لا تستطيع أي قوة إخضاعها ، لأن قراها تزيد على عشرين قرية تقريباً ، إضافة إلى وعورة الطرق بين الوديان وكثرة الجبال الشاهقة .

وفي الوقت نفسه ، أبلغ بعض الشيوخ في الكورة عبدالله بن الحسين رئيس الحكومة في عمّان بأنهم لا يزالون على ولائهم له وللحكومة الحجازية ، وأنهم سيتعاونون مع قواته في محاربة كليب وأعوانه ، خاصة بعد أن أعلن محمد سعيد الشريدة وأخوه نجيب ، أنهما لا يوافقان عمهما كليباً على خطته في مناوئة الحكومة الجديدة بشرق الإردن التي تخضع للشريف حسين [٣] . لكن ذلك لم يحل المشكلة ، مما دفع الحكومة إلى اختيار استخدام القوة العسكرية لمواجهة الخارجين عن طاعتها . وذلك بإرسال قوة عسكرية من عمّان لتأديب المتمردين عليها ، بعد أن تكاتف الأهالي مع الثائرين رافضين تسليم الثوار للحكومة في عمّان .

وفي الخامس عشر من رمضان عام ١٣٣٩هـ/الثاني عشر من مايو ١٩٢١م ، غادرت

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٥٨ .

(٢) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ١٥٦ .

(٣) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٠٤ .

القوة العسكرية عمّان بقيادة فؤاد سليم (*) ، فوصلت إربد - عن طريق جرش في السابع عشر من رمضان الموافق الرابع عشر من مايو . وحاولت هذه القوة إخضاع المتمردين على السلطة إلاّ أنها لم تنجح في اخضاعهم ، مما جعل حكومة عبدالله بن الحسين تقرر إرسال حملة عسكرية أخرى استطاعت أن تخضع كليب الشريدة الذي أعلن خضوعه للحكومة الجديدة ، مما جعل عبدالله بن الحسين يصدر عفواً عاماً عن جميع المتمردين في الكورة . وكان لهذا العفو أثره البالغ في تهدئة الوضع السياسي المتدهور في المنطقة ، كما أن ذلك أتاح للحكومة الفرصة في أن تعيد تنظيم قواتها العسكرية ، حتى يصبح في مقدورها فرض النظام والقانون على جميع مناطق شرق الأردن (١) .

ونتيجة للتمرد الذي حدث في منطقة الكورة ، فإن السلطات البريطانية خشيت أن يمتد العصيان إلى مناطق أخرى يصعب عليها إخضاعها ، فأرسلت قوة عسكرية بريطانية إلى عمّان تمركزت في رابية مركا ، مما جعل رشيد طليع يكتب إلى المعتمد البريطاني خطاباً احتج فيه على قدوم تلك القوة ، وطلب منه إعادتها في أسرع وقت ممكن (٢) ، إلاّ أن المعتمد رفض ذلك الاحتجاج وأصر على بقائها .

ومن أجل تهدئة الموقف المتأزم بين بريطانيا وحكومة عبدالله بن الحسن في شرق الأردن ، فان الحكومة البريطانية قررت في شهر ذي القعدة عام ١٣٣٩هـ /يوليه عام ١٩٢١م ، تخصيص مبلغ (١٨٠) ألف جنية مساعدة لحكومة شرق الأردن حتى تعتمد على نفسها دون الاستعانة بحكومة الحجاز في إعادة تنظيم إدارتها وقواتها المسلحة ، وعلى الرغم من تلك المساعدات إلاّ أنها لم تكن كافية لتحسين الحالة المالية فيها ، فلم يستتب النظام والأمن العام في البلاد . ولذلك اضطرت الحكومة البريطانية إلى إرسال مندوب عنها من القاهرة لدراسة الأوضاع في البلاد ، وتقديم تقريراً مفصلاً عن السياسة التي ستتبع بالنسبة لها هناك .

(*) فؤاد سليم (١٨٩٣-١٩٢٥م): سوري الأصل انضم إلى جيش الثورة في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م ، ودخل دمشق مع القوات العربية ، وقاتل الفرنسيين يوم ميسلون في سوريا ، وثبت ساعة التقهقر فكاد يؤسر ، ولكنه نجا بأعجوبة ، ثم قصد بعد ذلك شرق الأردن ، فاشترك في تنظيم جيشها وعمل ضد البريطانيين ، فأبعده الأمير عبدالله بحيل إلى مصر . خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٤ ، ص ٣٦٨ .

(١) عبدالله بن حسين : مذكراتي ، ص ١٦٦ .

(٢) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٦٣ .

فوصلت الأخبار إلى الشريف حسين في الحجاز ، تحمل أنباء التحركات البريطانية ومساعداتها المادية لشرق الأردن ، فبادر بإرسال برقية إلى بريطانيا يعارض فيها تدخلها في شئون شرق الأردن الداخلية ، ويطلب منها سحب مندوبيها وقواتها من المنطقة ، كما أوضح لها بأن منطقة شرق الأردن خاضعة لسلطته في الحجاز ، وأنها تعتبر جزء من حكومة الحجاز في الحاضر والمستقبل ، ولا يحق لبريطانيا او غيرها التدخل فيها مهما بلغت الأوضاع السياسية فيها ، إلاَّ أن المعتمد البريطاني رفض احتجاج حكومة الحجاز ، وأصرَّ على بقاء القوات البريطانية في منطقة الكورة لأي ظرف طاريء قد يحدث في شرق الأردن (١) .

ولقد أدت هذه الخلافات بين الشريف حسين و الحكومة البريطانية حول منطقة شرق الأردن إلى تمرد عشائر منطقة الكورة والطفيلة من جديد ، مما جعل رئيس الحكومة عبدالله بن الحسين يسارع إلى حسم الخلاف بسرعة قبل أن يستفحل أمره ، فأرسل مندوباً عنه إلى الكرك ، وعقد إجتماعاً مطولاً مع شيوخها ، وشكل لجنة فيها برئاسته وعضوية كل من : رفيقان المجالي ، وعطوي المجالي ، وحسين الطراونه ، وقد استطاعت تلك اللجنة معالجة الأزمة وتم حسم النزاع بالطرق العشائرية المعروفة عندهم (٢) . وتم إبلاغ الشريف حسين بالطريقة التي تم فيها حسم الخلاف في المنطقة قبل أن يصل الخبر إليه بصورة مخالفة للواقع ، مما قد يؤدى إلى غضبه على نجله عبدالله .

وفي أواخر رجب عام ١٣٤٠هـ/وأواخر مارس ١٩٢٢م تم للقوات الحكومية السيطرة الفعلية على منطقة الكرك ، وزحفت نحو الطفيلة ، فألقت القبض على عدد كبير من مثيري الشغب والعصيان ، كما قامت القوات نفسها في السابع عشر من شعبان عام ١٣٤٠هـ/منتصف إبريل ١٩٢٢م بتوطيد الأمن والنظام ، والمساهمة في تحصيل الزكاة ، والقضاء على المتمردين من أبناء العشائر ، فاستتب الأمن ، وساد الهدوء وعادت بعد ذلك القوات إلى عمَّان بعد أن أكملت مهمتها بنجاح تاركة وراءها مفارز عسكرية في غور الصافي جنوب البحر الميت تأهباً لإي تحركات معادية جديدة للحكومة في منطقة شرق الأردن .

---

(١) Patati, R., : the Kingdom of Jordon, New York, 1958, P. 35 .

(٢) كامل محمود خله : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٦٣-١٦٤ .

وبعد القضاء على حركة الكرك والطفيلة ساد هدوء نسبي في المنطقة (١) ، مما ساعد على تهيئة الجو المناسب لمحادثات لندن ، والتي كان من المقرر إجراؤها في الثامن عشر من شعبان عام ١٣٤١هـ/السادس عشر من إبريل ١٩٢٢م بين عبدالله ممثل الشريف حسين ، والحكومة البريطانية بواسطة مندوبها وزير المستعمرات جلبرت كلايتون (G. Clayton) ، الذي عينته الحكومة البريطانية ليتولى المفاوضات من جانبها لوضع أسس العلاقات الأردنية البريطانية . وكانت الحكومة البريطانية تهدف من وراء هذه المحادثات محاولة توطيد العلاقات بينها وبين حكومة شرق الأردن . وفصل المنطقة عن حكومة الحجاز . ولكن الاجتماع بينهما تأخر ولم يعقد إلاَّ في السابع والعشرين من ربيع الأول عام ١٣٤٠هـ/السادس عشر من نوفمبر ١٩٢٢م ، حيث تقررعقد الاجتماع بين كلايتون وعبدالله الذي وصل متأخراً عن الموعد ، وكان يرافق عبدالله بن الحسين وفد يضم كلاً من : علي رضا الركابي ومحمد الأنسي وفلبي (Philiby) المعتمد البريطاني في عمَّان .

وبعد الانتهاء من الاجتماع قدم الوزير البريطاني تقريراً مفصلاً إلى حكومته عن الاجتماع بين فيه أن عبدالله بن الحسين لا يطلب أكثر من أن تصدر الحكومة البريطانية تصريحاً رسمياً علنياً ، تعلن فيه أن نظام الحكم المتبع الآن في منطقة شرق الأردن يجب أن يستمر ويجرى تثبيته ، والمصادقة عليه بموجب المادة ٢٥ من صك الانتداب على فلسطين (٢) .

ويبدو أن الاجتماع لم يخرج بالنتائج المرضية للطرفين ، مما جعل الحكومة البريطانية طلب تقرر عقد اجتماع آخر . وقد تم عقده في السابع من رمضان عام ١٣٤١هـ/الثالث والعشرين من إبريل عام ١٩٢٣م ، وفي الاجتماع عرضت بريطانيا إمارة شرق الأردن على عبدالله بن الحسين ليكون حاكماً لها ، ولكن بشرط أن لايكون للحكومة الحجازية أي نفوذ على حكومة شرق الأردن فبادر بالقبول . وقد قبلت الحكومة البريطانية بذلك .

وفي التاسع من شوال عام ١٣٤١هـ/الخامس والعشرين من مايو١٩٢٣م أقيم إحتفالرسمي بهذه المناسبة في عمَّان ، حضرته وفود من جميع أنحاء منطقة شرق الأردن ،

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ، ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ٨ ؛ القبلة ، العدد ٥٨٣ في ١٩٢٢/٥/٤م.

(٢) سليمان موسى : إمارة شرقي الأردن نشأتها وتطورها في ربع قرن ، ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص١٥٣-١٥٨ .

كما حضره المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل (H. Samuel) ، فالقى خطاباً في هذه المناسبة ، قال فيه : (تعترف حكومة جلاله الملك بوجود حكومة مستقلة في شرق الأردن برئاسة عبدالله بن الحسين ، ولكن بشرط أن توافق جمعية عصبة الأمم على ذلك ، وأن تكون حكومة دستورية ، مستقلة عن الحكومة الحجازية ، حتى تتمكن حكومة جلالة الملك من القيام بتعهداتها الدولية ، فيما يتعلق بشرق الأردن ، وذلك بعقد اتفاق بين الحكومتين) (١) .

وبعد هذا الاحتفال الذي أقيم للاعتراف بالحكومة الجديدة تم تشكيل الإدارة المحلية في إمارة شرق الأردن ، وعين أعضاء جدد في إدارة الحكومة من حزب الاستقلال وغيره من الأحزاب السورية والبنانية والعراقية في بعض المناصب ، لأن هؤلاء الرجال أكثر كفاءة من أبناء منطقة شرق الأردن ، للقيام بمهمة إنشاء إدارة جديدة منظمة (٢) . حسب ما يراه القائمون عليها . لتنفيذ الأطماع البريطانية حسب صك الانتداب متبعة بريطانيا في ذلك سياستها المعروفة (فرق تسد) .

ولقد أدت هذه التدابير التي اتخذت في شرق الأردن إلى غضب الشريف حسين ، فسارع إلى إرسال برقيتين الأولى للحكومة البريطانية يحتج فيها على تدخلها السافر في المنطقة ، والثانية إلى ابنه عبدالله يعاتبه على عقد اتفاقية مع الحكومة البريطانية على أن يتولى بموجبها منصب إدارة إمارة منطقة شرق الأردن دون أخذ رأية .

وعلى أية حال ، فقد اتخذت هذه التدابير السالفة الذكر دون اشراك بعض العناصر المثقفة في منطقة شرق الاردن التي رأت أن تتولى أو تشترك في إدارة شئون الإمارة بعد إعلان الاستقلال ، وذلك أن حزب الاستقلال في منطقة شرق الاردن هم الذين تولوا رئاسة جميع إدارات الإمارة ، حتى قبل أن يتعهد عبدالله بإدارة المنطقة في ابريل عام ١٩٢١م . ومن هنا فإن رغبة هذه العناصر قد التقت مع رغبة بعض المثقفين وشيوخ القبائل في منطقة شرق الاردن ذلك اللقاء الذي اكسب حركة سلطان العدوان في سبتمبر عام ١٩٢٣م الذي اشهر السلاح في وجه الحكومة . ولم يكن سلطان العدوان زعيماً لقبيلته فحسب بل كان زعيماً تقليدياً لمنطقة البلقاء بما فيها

---

(١) عبدالله بن حسين (الملك) : مذكراتي ، ص ١٧٢ .

(٢) محمد أحمد الصلاح : الإدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١ - ١٩٤٦م ، ص ١٥٦ - ١٥٨ .

السلط والقرى المحيطة بها والعشائر النازلة حولها ومنها عشائر بني حسن وبني حميدة والبلقاوية والدعجة . ومن هنا كان سلطان العدوان يشعر بأن زعامته هذه تخوله حق ابداء الرأي في الامور العامة للبلاد . ومن أهم العوامل التي أدت إلى حركة العدوان فيما يأتي :

أولاً : النفور القديم بين بني صخر وبين العدوان بسبب المنازعات العشائرية القديمة وقد ازداد نفوذ بني صخر وبعدما شاركوا عبدالله في تهدئة الامور في منطقة شرق الاردن وكافأهم على ذلك باعفاءهم من دفع الضرائب لعام ١٩٢٣م مما أثار حفيظة العدوان على ذلك وقدموا عدة شكاوي بخصوص هذه المسألة إلاّ أن الحكومة لم ترد عليه ، مما اثار حفيظة سلطان العدوان وسخطه ونغمته .

ثانياً : لم يكن مظهر رسلان رجلاً قوي حازم الذي يستطيع تسيير دفة الإدارة الناشئة في منطقة شرق الاردن على أفضل وجه وكان هدفه الأساسي هو ارضاء السلطة العليا ومسايرة البريطانيين . ولقد سخط عليه أعضاء حزب الاستقلال الذي استأنف نشاطه في منطقة شرق الاردن ، حيث تعاون مع عبدالله في تنظيم الحكومة وأدى ذلك إلى زعزعة كيان مظهر رسلان وإثارة الشكوك حوله لأنه لم يوافقهم على الثورة ضد الفرنسيين في منطقة شرق الاردن .

ثالثاً : تولى شئون الإدارة في منطقة شرق الاردن رجال من خارج المنطقة من حزب الاستقلال من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، ولا شك ان هؤلاء الرجال أكثر كفاءة من أبناء منطقة شرق الاردن في القيام بمهمة إنشاء إدارة جديدة ، ومن هنا حدثت نقمة بين أبناء منطقة شرق الاردن المتعلمين وبين سلطان العدوان (١) .

أخذ سلطان العدوان يجهر بمعارضته للأوضاع القائمة وتبنى مطلب أبناء المنطقة من حيث اشتراكهم في مسئولية الحكم وتأسيس مجلس نيابي ، وأدى ذلك إلى حدوث خلاف بين مثقال الفايز وبين سلطان العدوان وتفاقم الخلاف حتى بلغ العداء ذروته ، وكاد الفريقان أن يصطدمان ، فتدخلت الحكومة في الامر فأذعن لأوامر الحكومة . ورأى عبدالله أن يرسل فرقة من الجنود إلى قرية أم العمد لمنع الطرفين من الاشتباك ،

---

(١) منيب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص ٢١٢ .

لكن العدوان شك في أمر القوة على أنها قدمت لمساعدة بني صخر ضده فأزداد نقمة وسخطاً على الحكومة وأخذ يحشد أنصاره وأخيراً أعلن ثورته وتمرده على الحكومة وأدى إلى خروج المظاهرات في العاصمة عمّان فتدخلت الحكومة البريطانية بسلاحها الجوي لإخماد ثورته ، وبعد انتهاء المعركة فرّ سلطان العدوان مع أولاده إلى جبل الدروز حيث ظلوا هناك إلى أن قدم الشريف حسين إلى عمّان فلجأ إليه فعفى عنه الشريف حسين ومنع محاكمتهم وأخيراً تم نفيهم إلى الحجاز ثم عادوا بعد ذلك إلى فلسطين .

د - زيارة الملك حسين إلى امارة شرق الأردن عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م

لقد تولى عبدالله بن الحسين منصب إمارة منطقة شرق الأردن مبدئياً حسب الاتفاق الذي عقده مع تشرشل (Chirchill) ، عندما قدم إلى القدس في الثاني عشر من جمادى الأول عام ١٣٣٩هـ/التاسع والعشرين من فبراير ١٩٢١ م .

ونتيجة لذلك ، فقد أرسلت بريطانيا برقية إلى الحسين في مكة ، تطلب منه أن يقبل بالوضع السياسي القائم الذي فرضته في منطقة شرق الأردن حتى لا يضيِّع الفرصة أمام ولده فيصل الذي أصبح مرشحاً لعرش العراق ، ومما يؤسف له أن الحسين قبل بهذا الوضع ، لأنه في اعتقاده أن ذلك سوف يمكن ابنه فيصل أن يتولى عرش العراق ، وأن تخضع بلاد الشام والعراق لسلطته في المستقبل .

وفي الوقت نفسه ، كان الحسين يخشى معارضة بريطانيا في الاعتراف بسلطته على إمارة منطقة شرق الإردن ، خاصة وأن نجله عبدالله بدأ يوسع نشاطه العسكري في عمَّان بدعم من الاهالي ، وأعلن عن تنصيب والده ملكاً على إمارة شرق الأردن ، بعدما احس أنه أخطأ في اتفاقه الاخير الذي عقده مع الممثل البريطاني في القدس حول تنصيب نفسه اميراً على منطقة شرق الاردن قبل أن يأخذ رأي والده ، فأرسل بعض الخطابات إلى العلماء وشيوخ القبائل في الإمارة (١) ، في محاولة منه للحصول على موافقتهم بالاعتراف لوالده ملكاً عليهم ، بعد ما لاحظ تخاذل الحكومة البريطانية تجاه والده ، التي كانت تلوح بتصفية بعض الخلافات مع الحسين واعداد مشروع معاهدة سياسة معه تتضمن موافقة الحسين على الأسس العامة للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ، بهدف تصفية العهود القديمة بينهما (٢) ، وتنظيم العلاقات السياسية في المنطقة على أسس جديدة لصالحها . وقد نشر مشروع المعاهدة في مكة في الأول من شوال عام ١٣٤١هـ/السابع عشر من مايو ١٩٢٣م (٣) .

---

(١) Baker , Randall : Op . cit, P. 186 .

(٢) انظر تفاصيل مشروع المعاهدة البريطانية التي عرضتها بريطانيا على الملك حسين بن علي في ٢١اكتوبر عام ١٩٢١م ، وتتكون من اثنين وعشرين مادة ، وحررت باللغتين العربية والانجليزية . في كتاب حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٤٠٤-٤١١ ؛ سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص٢١١-٢١٦ ؛ قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤٣٢-٤٣٥.

(٣) انظر المنار ، ج٦ ، مجلد ٢٤ ، ص ٤٤٦ .

ولتحقيق هذا الهدف الاستعماري الجديد أوفدت بريطانيا لهذا الغرض الصديق القديم للشريف حسين وهو الكولونيل لورنس ، الذي وصل إلى جدة وأجتمع بالشريف حسين ، لكنه لم يوافق على الاقتراح الذي قدم له ، لأن الحسين عندما عرف بالخطط البريطانية ، أرسل الدكتور ناجي الأصيل إلى لندن في عام ١٣٤١هـ/يوليو ١٩٢٣م يحمل معه تحفظاته التي وصفها بقوله : (لقد عدلت المشروع تعديلاً مهماً ، ونصحت فيه الإدارة البريطانية بإعلان إستقلال فلسطين استقلالاً تاماً ومطلقاً على أن يخول للفلسطينيين إدارة بلادهم بأنفسهم ، واختيار طريقة الحكم الذي يريدونها) (١) .

وعندما وصل مندوب الحسين إلى لندن ، قام بمفاوضة الإدارة البريطانية على بعض الخلافات المختلف عليها في وجهات النظر بين الطرفين ، إلاّ ان الإدارة البريطانية أخبرته بأن يختار أحد أمرين :

الاول : أن تدخل فلسطين في المعاهدة ، ويطبق عليها وعد بلفور (Balfour) بعد تفسيره تفسيراً رسمياً ، على أن لايشمل ذلك إنشاء حكومة يهودية في فلسطين ، ويعتبر هذا بمثابة تمويه من بريطانيا من أجل اعتراف الغرب بوعد بلفور المشؤوم .

الثاني : إخراج فلسطين نهائياً من المعاهدة والسكوت عنها ، وإقامة الاتحاد العربي من العراق وشرق الأردن والحجاز ، وهذا كل ما تستطيع الحكومة البريطانية أن تعمله للعرب (٢) .

ولكن الشريف حسين لم يوافق على الاقتراحات البريطانية . بل فتح باب المفاوضات معها من جديد ، فاستغل دعوة نجله عبدالله بزيارة عمان فاستجاب لدعوته ، وقرر أن يقوم بزيارة خاصة لشرق الأردن ، لكي يناقش مع القيادات العربية في فلسطين ومنطقة شرق الأردن بعض التطورات التي استجدت على الوضع السياسي في المنطقة ، والعمل على تذليل الخلافات بينه وبين الحكومة البريطانيه في شرق الأردن وفلسطين (٣) .

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ، ص ١٣١ .

(٢) قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص٤٠٤ .

(٣) سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٩٩ .

ويبدو أن الوقت كان غير مناسب لتلبية الدعوة لزيارة الأردن وفلسطين ، لأن الحسين لم يقم بالزيارة التي وعد ابنه بالقيام بها ، قبل ان يوافق على مطالبه بضم بلاد الشام والعراق إليه تحت قيادة نجليه عبدالله وفيصل ، ولذلك نجده ينتهز فرصة حج عام ١٣٤١هـ ويصدر في يوم عيد الاضحي بياناً عاماً تم توزيعه على كبار الشخصيات في الحجاز .

ومما جاء في هذا البيان : (أنه لايزال على وعده بتلبية الزيارة التي يقوم بها إلى فلسطين والأدرن ، لمناقشة الخطط التي تمكنه من الحد من الأطماع البريطانية والصهيونية في المنطقة العربية على حد قوله) (١) .

وفي الثامن عشر من جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ/التاسع عشر من ديسمبر ١٩٢٣م وبعد مضي أكثر من أربعة أشهر استطاع الشريف أن يفي بوعده ، فغادر جدة على ظهر سفينة أعدت خصيصاً له متجهاً إلى ميناء العقبة بالأردن الآن . وفي طريقه مر برابغ وينبع والوجه الواقعة على البحر الأحمر(٢) ، وقد وصل ميناء العقبة في العاشر من جمادي الآخر عام ١٣٤٢هـ/التاسع من يناير ١٩٢٤م ، ووجد في استقباله ابنه طلال (٣) . ثم قدم إليه في اليوم الثاني ابنه عبدالله وبصحبته فلبي المعتمد البريطاني في عمّان ، وتوجه بعد ذلك بموكبه إلى معان ، وهنالك عقد اجتماع بينه وبين فلبي حضره بعض ابنائه والقيادات السياسية في امارة شرق الاردن ، وتناول الحديث خلافات الحسين مع عاهل نجد السلطان عبدالعزيز آل سعود ، فقال الشريف حسين : (ليس هناك خلاف بيني وبين ابن سعود ، ألسنا عرب ، وأني أعتبر ابن سعود أحد أولادي ، وأنت صديقي ، وفي وسعك أن تكون رسولي إليه ، وأني أقبل أية تسوية ترضاها أنت) (١) . ولعل الحسين كان يريد من هذا الحديث إزالة بعض

---

(١) القبلة ، عدد ٧٤٤ بتاريخ ٢ جمادي الأولى ١٣٤٢هـ/١٠ديسمبر ١٩٢٣م .

(٢) داكوبرت فون فيكوش : عبدالعزيز ، ترجمة رويحه ، ص ١٧٩ ؛ سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ص ١٧١ .

(٣) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ، ص ١٣٣ ؛ القبلة عدد ٧٥٤ ، بتاريخ ٦ جمادي الآخر ١٣٤٢هـ/١٤ يناير ١٩٢٣م .

(٤) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ، ص ١٣٣

الصعوبات التي تعيق باب المفاوضات بينه وبين الحكومة البريطانية حول سوريا وإمارة شرق الأردن وفلسطين حتى يكسب تأييد الحكومة البريطانية له .وبعد هذا الاجتماع غادر الحسين والوفد المرافق له ، وكبار مستقبليه من رجال القبائل بشرق الأردن في قطار خاص من معان إلى عمّان ، وفي طريقه مر بالجيزة (جنوبي عمّان) فتوقف فيها ، حيث أستقبله بعض الضباط والأهالي وخطب فيهم ، وطلب منهم الحرص على إطاعة جميع أوامره ، وأنه لا يزال في وطنه ، ثم اجتمع بالمندوب البريطاني ، وطلب منه أن يحث حكومته ببذل جهودها لمساعدته مالياً وعسكرياً لتحقيق طموحاته (١) ، ثم واصل بعد ذلك سيره إلى عمّان في نفس اليوم (٢) .

وفي عمان استقبل استقبالاً حافلاً ، وخطب في مستقبليه خطاباً ، جاء فيه : (إنني ما أتيت هنا إلاّ لدراسة الوضع السياسي والاجتماعي لأبناء هذه البلاد ، ولأخذ رأيهم فيما يقررون عمله من أجلْ إنقاذ بلادهم من التدهور ، والعمل على الوفاء بالعهود التي قطعها لي الحلفاء) (٣) . وأكد للوفود برغبته الشديدة في العمل من أجل الوصول إلى إستقلال البلاد العربية . ثم أصدر بعد ذلك أمره بإنشاء إدارة ملكية خاصة بالوفود (٤) .

واستغل الحسين وجوده بين رؤساء القبائل واعضاء الحكومة بشرق الاردن واجرى معهم عدة اجتماعات في عمّان لمناقشة قضايا المنطقة من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية . أما عبدالله بن الحسين والذي تم تنصيبه أميراً على شرق الأردن بمباركة من بريطانيا فإنه لم يظهر له أي دور في مناقشة قضايا المنطقة ، بل ترك الأمر لوالده يقرر ما يراه معتبراً إياه الحاكم الفعلي للبلاد ، وهذا الأمر أغضب الحكومة البريطانية (٥) .

---

(١) القبلة : عدد ٧٥٦، بتاريخ ٧ جمادي الآخر ١٣٤٢هـ/٢١ يناير ١٩٢٤م ، ص ٢ .

(٢) عبدالله بن الحسين : مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكاملة ، ص ١٧٤ .

(٣) الف ياء ، عدد ١٠٣١ في ١٩٢٤/١/٣١م .

(٤) القبلة ، عدد ٧٥٧ ، بتاريخ ١٦ جمادى الآخر ١٣٤٢هـ/٢٤ يناير ١٩٢٤م .

(٥) الف باء : عدد ١٠٣١ ، في ١٩٢٤/١/٣١ م ؛
Baker, Randall : OP. cit, P. 185 .

ولذلك أعرب كل من هربرت صموئيل (H.Samuel) وديدس (Deeds) مندوبا بريطانيا في المنطقة عن قلقهما الشديد ، بعد أن أدركا عجزهما عن فرض أية سيطرة على إمارة منطقة شرق الأردن أثناء وجود الشريف حسين فيها (١) . ومما أزعجهم أكثر كثرة الوفود التي كانت تأتي من كل مناطق شرق الأردن وفلسطين ، لتبارك للشريف حسين .

وعندما شاهد الحسين الحماس المنقطع النظير بين الوفود أعلن في بيان عام تم توزيعه على الاهالي في مناطق شرق الاردن ، اكد لهم بأنه لن يتنازل عن الحقوق العربية ، ولن يقبل التجزئة أو الانتداب على أي شبر من البلاد العربية ، ثم أوضح لهم في بيان آخر نشره في عمّان بأنه سيناشد الحكومة البريطانية بالوفاء بوعودها التي قطعتها على نفسها للعرب عند بداية قيام الثورة العربية ، وفي حالة رفض بريطانيا التعديل الذي طالب به فإنه سوف يرفض المعاهدة برمتها (٢) ، ولن يوقع على أي معاهدة ترفع له قبل أن يأخذ رأي زعماء الأمة العربية والإسلامية فيه (٣) .

وأثناء هذه الزيارة انتشرت شائعات مفادها أن الشريف حسين يعتزم خلع ابنه عبدالله عن إماره شرق الأردن ، وتعيين نجله الأكبر علياً خلفاً له . ممّا أضطرَّ الحكومة البريطانية إلى إصدار بيان عام بتاريخ الثاني عشر من رجب ١٣٤٢هـ/الثامن عشر من فبراير ١٩٢٤م تنفي فيه صحة تلك الشائعات (٤) .

ولم يكتف الحسين بإصدار البيانات التي تندد السياسة الاستعمارية البريطانية في المنطقة ، بل إنه سارع بالاتصال بالزعامات واللجان الفلسطينية في فلسطين ، فانتدبت اللجنة التنفيذية في القدس وفداً برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني وعضوية أمين التميمي وحافظ طوقان وشكري التاجي وراغب النشاشيبي وروحي عبدالهادي

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٣٤ .

(٢) انظرتفاصيل المعاهدة منشورة في ، سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص٢١١-٤١٦.

(٣) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ١٧١ ؛ سليمان موسى : الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى ، ص ١٩٩ .

(٤) الف باء : عدد ١٠٥٣ ، في ١٩٢٤/٢/٢٦م .

ومنيب هاشم لمقابلة الشريف حسين في عمّان ، ومناقشة مشروع الوحدة معه ، والنضال ضد الدول الاستعمارية التي ضللته بوعود وهمية ، وبعد البحث والتداول معهم أوضح الحسين أنه لن يعقد أي عهداً أو يصدر اي أمراً بشأن فلسطين ، قبل أن يأخذ رأي الفلسطينيين أنفسهم ، وينال موافقتهم عليه ، وقال لهم أيضاً إنه سوف يستجيب لإرادتهم ، ويتبع قراراتهم شريطة ألاّ تخرج عن دائرة الحكمة والروية ، واقترح عليهم أن يضعوا ميثاقاً وطنياً يضمنونه خلاصة مطالبهم وأمانيهم التي يسعون لتحقيقها باعتبار أن فلسطين تابعة لإمارة شرق الأردن وكلها تخضع لنفوذه (١) .

ثم عقد بعد ذلك سلسلة من الاجتماعات مع رؤساء الوفود في عمّان والشونة في غور الأردن ، وذلك لدراسة الوضع السياسي في إمارة شرق الأردن وفلسطين (٢) . ومما يؤسف له حقاً أن الشريف حسين عقد عدة اجتماعات مع الكولونيل كش (Kisch) الزعيم الصهيوني في فلسطين ، الذي كان في ذلك الوقت رئيساً للجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية . مما جعل اليهود يعتبرون أن مباحثات رئيس المنظمة الصهيونية مع الحسين نصراً لهم ، وزاد من نصرهم أن الحسين رفض طلب الحركة الوطنية العربية في فلسطين بأن يكذب الأخبار عن تلك الاجتماعات السرية ، كما أن الحسين رفض أن يستنكر أهداف الصهيونية إستنكاراً علنياً وحاسماً (٣) .

ومما زاد الطين بله قيام الشريف حسين بزيارة خاصة لهربرت صموئيل (H.samuel) المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، والسير جلبرت كلايتون (G.Clayton) السكرتير العام للحكومة البريطانية وعقد معهما عدة اجتماعات ، وأشترك معهما أخيراً القائد العام للقوات في فلسطين الجنرال تيودور وحاكم القدس رونالد ستورز ، وقد أكد لهم الشريف حسين بأنه على أتم الاستعداد لدعم الحكومة البريطانية في سياستها في المنطقة ، إذا هي اعترفت بنفوذه على إمارة شرق الأردن وفلسطين

---

(١) منيب الماضي وآخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ٢٢٦؛ قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٤٣٧ .

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ١٧١ .

(٣) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٣٥؛ القبلة ، عدد ٧٥٩ ، بتاريخ جمادي الأخر ١٣٤٢هـ/٣١يناير ١٩٢٤م .

بناءً على رغبة أهلها (١) . لكن كلايتون (Clayton) طلب من الحسين بأن يوافق على السياسة البريطانية في فلسطين على الرغم من أن موافقته على تلك السياسة ستعرضه إلى نقد شديد من القيادات العربية في فلسطين ، وربما تقضي على أي نفوذ له عند الفلسطينيين الذين سيتخلون عنه ، لأنه بعمله هذا قد تخلى عن قضيتهم (٢) . وحاول المندوب البريطاني في القدس إقناع الشريف حسين للتفاهم معه حول مصالحها في إمارة شرق الأردن ، وأن يتنازل عن حكمها لابنه عبدالله لقناعة الأهالي به (٣) .

وعندما رأى الشريف حسين الموقف البريطاني المعارض لخططه ، أمر بتشكيل لجنة لمناقشة الموقف المتأزم معها ، وكانت برئاسة حسن خالد (ابو الهدى) ، وتوجهت اللجنة إلى القدس ، لمقابلة المسئولين البريطانيين هناك.

لكن اللجنة على ما يظهرلم تجتمع لأن بريطانيا عندما علمت بالامر أرسلت إلى الشريف حسين في عمّان تطلب منه ضرورة مغادرة إمارة شرق الأردن والعودة إلى الحجاز . خاصة بعد أن قبل تولي منصب خليفة المسلمين ، مما أدى إلى زيادة التوتر بينه وبين السلطان عبدالعزيز آل سعود عاهل نجد وسبب إحراجاً كبيراً لبريطانيا في المنطقة .

ولقد صدر الأمر إلى المستر اليك كركبرايد (Kirkbride) بنقل قرار المغادرة إلى الحسين في عمان ، وقبل أن يخبره بالقرار تبادل معه التحيات ثم خاطبهُ بعد ذلك بقولهِ : (مولاي عندي اخبار سارة لكم ، وهي القاطرة جددت ، وستكون جاهزة في عمّان بعد يوم أو أكثر لنقلكم إلى المدينة المنورة) (٤) . ففهم الحسين القصد من هذه التلميحات ، فأجابه بالشكر ، وطلب من اليك كركبرايد (Kirkbride) أن يخبر البريطانيين بأنه سيرحل برضى نفسه ، ولكنه لن يتنازل عن إمارة منطقة شرق الأردن مهما كلفة الأمر، لأنه يعتبر الأردن جزءً من الحجاز (٥) .

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ١٧٢ .

(٢) F.O. 686/76 Report Clayton to Representitive of United Kingdom .

(٣) الف باء : عدد ١٠٣٨ في ٨ فبراير ١٩٢٤ م .

(٤) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين (بيروت ، ١٩٦٦م) ، ص ١٢٢ ،

(٥) سليمان موسى : عمان عاصمة الأردن ، ص ٧٢ .

وقد اقترحت بريطانيا على الشريف حسين أثناء طلبها بمغادرة عمّان ، بأنه من الممكن إستئناف المفاوضات بين الطرفين في جدة ، بعد وصوله على أن يتولى مندوبها بولارد (Bulard) مهمة البدء في تلك المفاوضات (١) .

لقد وجد الشريف حسين أن مغادرته لعمّان إلى جدة ، أصبح أمراً لابد منه فأخذ يستعد للمغادرة ، لكنه قبل مغادرته أراد أن يؤكد لبريطانيا رغبة الأهالي في حكمه وانهم قدموا له الولاء والطاعة وهذا دليلاً على تعلقهم به . وكذلك سارع إلى أخذ البيعة له من شيوخ القبائل في السادس من شعبان ١٣٤٢هـ/الحادي عشر من مارس ١٩٢٤م أي قبل سفره بوقت قصير ، وكانت وفود إمارة منطقة شرق الأردن وفلسطين ولبنان في مقدمة المبايعين له . وكان عبدالله أول من بايع باسم شعب إمارة شرق الأردن ، والحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ممثلاً لأهل فلسطين ، ثم تلاهما بعد ذلك قضاة المحاكم الشرعية في فلسطين ، وبعض علماء سورية ولبنان (٢) .

وعند ما سمعت بريطانيا بالبيعة غضبت وحاولت التقليل من أهمية تلك البيعة ، لأن الحسين لايستطيع أن يتخذ موقفاً مناقضاً لموقف السياسيين العرب في إمارة شرق الأردن وفلسطين وسوريا ، وأن العرب في هذه المناطق سوف يصابون بخيبة الأمل إذا عاد الحسين إلى الحجاز ، دون أن يحقق تقدماً مع الحكومة البريطانية بشأن المصير السياسي لفلسطين وشرق الأردن .

ومن الملاحظ فإن تصرفات الشريف حسين أثناء تواجده في منطقة شرق الأردن ، وتدخله في الشؤون الداخلية للإمارة من تعيين وعزل لبعض القيادات السياسية ، وإصدار قرارات تخص بعض الأمور الداخلية أدت إلى إحراج الحكومة البريطانية ، فجعلها تقوم بمحاولة محاصرة نفوذ الحسين ، حيث أمرت المعتمد والمندوب السامي البريطاني بتوجيه تلميحات مهذبة ، تطلب منه إيقاف بعض الأعمال التي يقوم بها داخل الإمارة .

لكن الحكومة البريطانية على ما يظهر لم تقم بهذا الدور إلاّ بعدما لاحظت ميول عبدالله بن الحسين لها ، وقررت إخراج الشريف حسين من إمارة شرق الأردن حتى

---

(١) سليمان موسى : صفحات مطوية (دراسة وثائقية) ، ص ١٧٦ .

(٢) قدري قلعجي : الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٥م . ص ٤٣٠ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٣٥٨ .

ولو أدى ذلك إلى القوة (١) ، بعد أن رفضت الاعتراف به ملكاً على إمارة منطقة شرق الأردن ، بينما أعترفت به ملكاً على الحجاز فقط . وذلك بعد أن أخذ الشريف حسين في توسيع مطامعه برغبته في ضم بلاد الشام . بالرغم من معارضة بريطانيا له .

وفي الثالث عشر من شعبان عام ١٣٤٢هـ/العشرين من مارس ١٩٢٤م ، غادر الشريف حسين عمّان ، قبل أن يتمكن هربرت صموئيل (H. Samuel) من إبلاغ فؤاد الخطيب المرافق للحسين مضمون بعض التعليمات السرية المبلغة له ، فأبرقت وزارة الخارجية البريطانية إلى معتمدها في جدة بأن تبلغ فؤاد الخطيب بتلك التعليمات ، وهي : (وعلى العموم ، فبالنظر لتقلد الشريف حسين منصب الخلافة ، فالوقت الراهن لا يناسب عقد معاهدة معه ، ومن الأفضل عدم عقد أي مفاوضات في الوقت الحالي) (٢) .

وعلى كل حال ، فقد غادر الشريف حسين إمارة شرق الأردن إلى الحجاز، بعدما تمت له المبايعة على الخلافة رغم معارضة بريطانيا لذلك ، والتي لم تعترف به خليفة على المسلمين ، رغم اعتراف بعض الزعامات العربية في العراق وسوريا وشرق الأردن ولبنان له بذلك (٣) . بل إنها لم تكتف بذلك بل إن بعض الشخصيات الأردنية ، أرسلت عدة برقيات إلى العلماء في معظم مناطق شرق الأردن والعراق ، وبعض البلدان العربية ، تطلب منهم موافقتهم على مبايعة الحسين بالخلافة (٤) .

لقد وضع الشريف حسين مطامعه في التوسع ، وضم كلاً من بلاد الشام بما فيها الأردن وفلسطين وسوريا ، وكذلك بلاد العراق وهي من أهم البلدان التي يسعى للحصول عليه ، وقد دعم ذلك بإعلانه أنه ملكاً على العرب ، ثم خليفة على المسلمين بعد ما تنازل السلطان العثماني عن الخلافة . وقد عارض كل من يعارضه في مطالبه . وما وقع بينه وبين بريطانيا لم يكن لصالح الأمة العربية والإسلامية ، بل لأنه عارضها في أطماعها

---

(١) محمد أحمد الصلاح : الأدارة في إمارة شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٦م ، ص ١١١ .

(٢) سليمان موسى : صفحات مطوية ، (دراسة وثائقية) ، ص ١٧٧ .

(٣) عبدالله الحسين : مذكرات الملك عبدالله وتشمل الآثار الكاملة ، ص ١٧٤ ؛ محمد رفيع : مكه في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ٢٧٨ .

(٤) Baker, Randall : OP, cit , p . 180 .

وتوسعاتها ، ولكن بالرغم من ذلك فإن بريطانيا نالت ما أرادت ، وجعلت من الشريف حسين العوبة لها تنفذ من خلاله سياستها الاستعمارية ، والتي بدأت بالانتداب ثم تمزيق بلاد الشام إلى عدة دول ، والأمر من ذلك انها سمحت بقيام دولة اسرائيل على أرض عربية إسلامية فلسطينية .

هـ- فكرة ضم معان والعقبه إلى امارة شرق الأردن

قبل أن نتحدث عن كيفية ضم معان والعقبة إلى إمارة شرق الأردن ، لابد لنا أن نلقي نظرة سريعة عن الأوضاع العامة لتلك المدينتين ، فمعان كانت تتبع لواء الكرك ، التابع لولاية سوريا ، وذلك قبل قيام الثورة العربية .(١) أما العقبة فكانت تتبع لواء المدينة المنورة التابع لولاية الحجاز بناءً على أمر أصدره السلطان العثماني عبدالحميد الثاني عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م .(٢) وقد سبق للوالي في سوريا أنه طلب من الباب العالي أن يصدر أمراً بالحاق العقبة بولاية الكرك لقربها ، لكن السلطان رفض هذا الطلب ، بحجة انه إذا الحقت العقبه بلواء الكرك صارت تابعة لولاية سوريا ،(٣) ودخلت تحت المعاهدات بين الدولة العثمانية والدول الأجنبية ، فصاريجوز للأجانب أن يتملكوا فيها بخلاف ما إذا كانت تابعة لولاية الحجاز .

واستمر هذا الوضع ، بتبعية معان للواء الكرك ، والعقبة للواء المدينة المنورة ، حتى قيام الحكومة العربية بقيادة فيصل بن حسين في دمشق في محرم عام ١٣٣٧هـ/اكتوبر عام ١٩١٨م . وبما أن الشريف حسين يعتبر نفسه ملكاً على العالم العربي ، فإن مسألة تبعية معان والعقبة لولاية الحجاز أو للحكومة العربية في سوريا التي يحكمها أحد أبناءه نيابة عنه ، لم تكن ذات أهمية كبيرة في نظره .(٤) وذلك لعدم وجود أي فوارق أو حدود بين الحكومتين ، كما أنه سبق للحكومة الحجازية أن أسست مركزاً للبرق في معان إبان حكم ابنه فيصل لسورية .

كما أنه كانت تجرى الاتصالات بين مركز معان والمدينة المنورة وجدة وينبع بصورة منتظمة . وبعد سقوط الحكومة العربية في دمشق في شوال عام ١٣٣٨هـ/يوليه ١٩٢٠م ، قرر الشريف حسين ضم معان فعلياً إلى حكومته في الحجاز ، وتم تنفيذ هذا المشروع

---

(١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، (القاهرة ، ١٩٥٧م) ص ١٤٢ .

(٢) محمود صالح منسي : الشرق العربي المعاصر ، القسم الأول الهلال الخصب ، ص ٣١٩ ؛ فريد ريك بيك : تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ص ١٨٩ .

(٣) انظر المنار ج١ ، مجلد ٣٥٥ ، ص ٨٠-٨١ المعاهدات التي وردت في رد الباب العالي والتي تشيد الي المعاهدات الامتيازات الأجنبية بين الدول العثمانيه والدول الأجنبية .

(٤) Lenczowski, G.: Middle East in World, p. 36 .

بسهولة ، وذلك لأن زعماء المنطقه وعلى رأسهم عودة أبوتايه كانوا يؤيدون ذلك الضم . وجاء دخول عبدالله بن حسين إلى معان في التاسع من ربيع الأول عام ١٣٣٩هـ/الواحد والعشرين من نوفمبر ١٩٢٠م إلى معان وربطها بامارة شرق الأردن التابعة آنذاك لمملكة الحجاز مؤكداً ذلك إنه لم يخرج عنها .(١) لأن عبدالله كان يحكم إمارة شرق الأردن نيابة عن والده في الحجاز ، ولم يحدث أثناء وجوده ما يثير القلق للعلاقات الحجازية الأردنية ، على إعتبار أن كل من شرق الأردن والحجاز تخضعان لسيادة الشريف حسين .(٢) كما أن الحسين لم يكتف بعملية ضم معان ، بل عين محمد صدقي (قائداً لمعان وما حولها) ، وعين الشيخ حمزه بن العربي قاضياً لها ، وفي جمادي الأولى عام ١٣٤٠هـ/يناير ١٩٢٢م ، ارسل مفرزة من قواته إليها ، لحفظ الأمن والنظام .(٣) وقام باجراء بعض الإصلاحات ، ومنها : إنشاء خط للسيارات بين العقبة ومعان . وتم تأسيس مركز لاسلكي بثغر العقبة لتأمين المخابرات .(٤) كما تم تعيين بخيت بن محمد الشاكري قائمقام على العقبة ، والسيد عثمان قاضياً شرعياً فيها . وتم إصلاح الخط الحجازي الذي يربط معان بتبوك .(٥)

وفي عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بدأت الحكومة البريطانية تفكر جدياً في ضم معان والعقبة إلى منطقة شرق الأردن ، وكانت تتحين هذه الفرصة إلى أن ظهر تقرير اللجنة الصحية التي أوفدتها منظمة الصحة العامة التابعة لعصبة الأمم في العام نفسه إلى المشرق العربي (٦) ، لدراسة الاحتياطات الدولية التي يجب اتخاذها لمنع انتشار الأوبئة . ومما جاء في هذا التقرير ، أن منطقة معان وتبوك تشكلان

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص١٤٣ ؛ سعد أبو داية : معان ، ص ١٥٢ .

(٢) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص٢٤٨ .

(٣) القبلة : عدد ٥٣٣ بتاريخ ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢/١/١٩م .

(٤) القبلة : عدد ٦٥٩ بتاريخ ٢٧ شوال عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢/٦/٢٢م .

(٥) القبلة : عدد ٦٨٩ بتاريخ ٩ شوال عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣/٥/٢٤م وكذلك عدد ٦٩٣بتاريخ ١٨ شوال عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣/٦/٢م.

(٦) إلف باء : عدد ١٢٨٦ في ١٩٢٤/١٢/٤م ؛ كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٤٤ ؛ سليمان موسى : الحسين بن على والثورة العربية الكبرى ، ص ١٤٤ .

خطـراً على الوجهة الصحية ، وطلبت إنشاء محاجر صحية فيها تحت إشراف الدولة المنتدبة رأساً ، إلاّ أن حكومة الحجاز لم توافق على ذلك (١) .

والواقع أن الحكومة البريطانية كانت تخطط لفصل إمارة شرق الأردن عن حكومة الحجاز ، حتى يسهل عليها ضمها إلى مناطق الانتداب ، التي تقرر منحها لبريطانيا بموجب اتفاقية سايكس بيكو ، ولذلك سعت بكل ثقلها تساعدها في ذلك الصهيونية العالمية لضم العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن ، كخطوة أولى لترسيخ سيطرتها على الطريق بين معان - العقبة ، وبين بغداد والبصرة ، خدمة لمصالحها التجارية والحربية في المنطقة .

وجاء ضم معان والعقبة لإمارة شرق الأردن إبان زيارة الحسين لشرق الأردن ، في جمادى الثاني عام ١٣٤٢هـ/يناير - مارس ١٩٢٤م ، إذ ناقش عبدالله والده بالتنازل عن معان والعقبة لإمارته مادام أنه تابع له (٢) . فوافق والده على طلبه مشترطاً عليه أن يكون ذلك بمثابة التنازل الشخصي ، وأن يبقى حق التبعية للمدينتين للحجاز ويحكمها نجله عبدالله نيابة عنه ، وقد أُعلن ذلك في عمّان في الحادي عشر من شعبان عام ١٣٤٢هـ/الثامن عشر من مارس ١٩٢٤م (٣) .

وبعد بضعة أيام قرر عبدالله أن تكون معان مركزاً للولاية ، والحقت بها إدارياً العقبة ووادي موسى والشوبك ، وعهد بإدارتها إلى القائد غالب الشعلان ، ليكون والياً على المقاطعة الجديدة وقائداً عسكرياً لها ، وله صلاحيات تامة في إدارة شئونها المختلفة (٤) .

ومما لا شك فيه ، فإن الحكومة البريطانية هي التي تولت عملية الضغط على عبدالله بن الحسين ، لإقناع والده على التنازل عن معان والعقبة ، وذلك بعد أن أسقطت الحسين من حساباتها ، بعد ما فشلت المفاوضات معه بشأن توقيع المعاهدة البريطانية

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م . ص ١٤٤ .

(٢) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص١٤٨ .

(٣) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ، ص ٢٤ ؛ سليمان موسى : تأسيس الإمارة الأردنية ، ١٩٢١-١٩٢٥م ، ص ١٧٤ ؛ كامل محمود خله .

(٤) القبلة : العدد ٧٩٤ بتاريخ ٧ ذي القعدة عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤/٦/٩م.

الحجازية في عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م [١] ، واعتقدت الحكومة البريطانية أن السلطان عبدالعزيز آل سعود هو الرجل القوي الذي يستطيع تنفيذ مخططها ضد الشريف حسين .

ولقد استغلت الحكومة البريطانية الوضع السياسي المتدهور بين الشريف حسين والسلطان عبدالعزيز آل سعود ، وتقدم القوات السعودية إلى الحجاز واستولت على الطائف ، وتلا ذلك تنازل الشريف حسين لنجله علي عن الحكم وسقوط مكة في يد القوات السعودية بعدما فشل في صدها ، فأجرت مباحثات مع رضا الركابي رئيس الوزراء بشرق الأردن حول اهمية معان والعقبة ، وهذا ما يؤكد لنا من البرقية التي أرسلها هربرت صموئيل (H. Samuel) إلى وزير المستعمرات البريطانية في التاسع عشر من ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ/السابع عشر من اكتوبر ١٩٢٤م ، والتي أكدت المباحثات موافقة رضا الركابي على تبعية كل من معان والعقبة لإمارة شرق الأردن ، مع التأكيد على أهمية العقبة بالنسبة لإمارة شرق الأردن ، فهو الميناء الاستراتيجي الوحيد على خليج العقبة بالنسبة لحكومة شرق الأردن .

أما عبدالله بن الحسين ، فإنه استغل تنازل والده عن الحكم لإخيه علي ، ففاوض أخاه الشريف علي بن حسين ودعاه للتنازل نهائياً عن العقبة ومعان [٢] ، وذهب إلى أبعد من ذلك ، بل استغل الأزمة المالية التي كانت تواجه حكومة الحجاز واتخذها وسيلة للضغط عليه من اجل التنازل عن منطقتي معان والعقبة .

فقد جاء في إحدى مذكرات عبدالله بن الحسين إلى أخيه الشريف علي في جدة ، بقوله : (سلموا بضم العقبة ومعان ، وأنا أضمن لكم من البريطانيين ما يلي (٣٠٠) ألف جنيه ، وتعويض الضم ، (٢٠٠) إلف جنيه ثمن الأملاك غير المنقولة ، وقرضاً قيمته (٥٠٠) ألف جنية يعقد حالاً . وإيقاف تحركات عاهل نجد السلطان عبدالعزيز آل سعود عن الحجاز ، وتسليم تربة والخرمة له ، وجعل الخط الحجازي رهن إشارتكم في كل وقت) [٣] . وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من عملية الضغط البريطاني على عبدالله وحكومته ، بشأن ضم معان والعقبة .

ولقد قامت بريطانيا ببعض الإجراءات تحت ذريعة الدفاع عن المنطقة ضد هجمات

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن في ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٤٤ .

(٢) سليمان موسى : تأسيس الإماره الأردنية١٩٢١-١٩٢٥م ، ص ١٧٤ .

(٣) أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاتها ، (بيروت ، ١٩٥٤م) ، ص ٤١٥ ؛

قوات السلطان عبدالعزيز آل سعود المتوقفة ، كما أبلغته بأن المنطقة تابعة لإمارة شرق الأردن ، وانها تتحمل مسئولية الدفاع عنها بحكم انتدابها على إمارة شرق الأردن . وفي الوقت نفسه ، قام عبدالله - باتخاذ بعض التدابير المستعجلة لتوطيد السلطة الأردنية في منطقتي العقبة ومعان بصورة محكمة ، بعد ما مارس ضغوطه على أخيه الشريف علي في جدة حتى نجح في مسعاه ، فأصدر الشريف علي قراراً ملكياً مؤرخاً في الخامس والعشرين من ذي القعده عام ١٣٤٣هـ/السادس عشر من يونيه ١٩٢٥م ، بخصوص تسليم العقبة ومعان إلى حكومة شرق الأردن (١) .

أما الشريف حسين ، فإنه وصل إلى العقبة بعد تنازله عن الحكم لابنه علي فغادر مدينة جدة قاصداً العقبة للإقامة فيها لانها بين إمارة شرق الاردن والحجاز ، وانصرف إلى مساعدة حكومة الحجاز مالياً بما ادخره من أموال زمن حكمه وعسكرياً بما كان يؤلفه من فرق المتطوعين ويرسلهم بحراً إلى جدة . وقد أقلق هذا العمل السلطان عبدالعزيز آل سعود وأزعجه فارسل مذكرة احتجاج إلى الحكومة البريطانية يطلب منها إخراج الحسين من العقبة ، فاغتنمت هذه الفرصة ووجهت له إنذاراً ، فغادر العقبة في السادس والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٤٣هـ/السابع عشر من يونيه ١٩٢٥م متوجهاً إلى قبرص . وعندما سأله وزير المستعمرات البريطاني المستر أمري (Amery) عن تبعية العقبة ، قال : (إن الحكومه البريطانيه لم تعترف أبداً بتبعية العقبة ضمن الأراضي الحجازية ، وأن حكومة شرق الاردن قد اتخذت كل الإجراءات اللازمه لتأكيد سلطانها عليها . تنفيذاً لرغبة الحكومة البريطانية) (٢) .

وفي اليوم الثاني من شهر محرم عام ١٣٤٤هـ/الثاني والعشرين من يوليه عام ١٩٢٥م وصل عبدالله بن الحسين إلى معان يرافقه رضا الركابي ، وجرت مراسيم الضم الرسمية ، ورفع علم إمارة شرق الأردن على المؤسسات الحكومية ، واعتبر ذلك اليوم يوماً تاريخياً .

---

(١) كامل محمود خلة : التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م ، ص ١٤٦ ؛ أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٢) Bullard. R. : The Middle East, Apolitical and Economic Surrey, london, 1958, p.347.

ولقد اعترض الحسين على ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن في رسالة بعث بها من نيقوسيا في الثامن عشر من محرم عام ١٣٤٤هـ/السابع من شهر أغسطس ١٩٢٥م .

وبعد مراسم التسليم ، قررت الحكومة البريطانية بقاء غالب الشعلان حاكماً إدارياً على معان ، ووزعت القوة العسكرية الأردنيه على وادي موسى والشوبك والجفر والعقبة ، ونقلت الحكومة الحجازية موظفيها الموجودين في العقبة ومعان إلى مدينة ضبا التابعة لحكومة الحجاز والواقعة على ساحل البحر الاحمر. واعتبرت العقبة مديرية تابعة لحكومة شرق الأردن ، وكذلك الشوبك ووادي موسى معا [١] .

وأدخلت نفقات المنطقة في ميزانية إمارة شرق الأردن بعد أن صادق رضا الركابي عليها ، وبهذا أصبحت جزءً من المناطق الخاضعة لحكومة شرق الأردن .

---

(١) منيب الماضي وأخرون : تاريخ الأردن في القرن العشرين ، ص ٢٥١ .

الفصل الثالث

العلاقة بين حكومة الشريف حسين في الحجاز والعراق

أ- موقف حكام الشريف حسين في الحجاز من الحركة الوطنية العراقية .

ب - موقف حكومة الحسين في الحجاز من أحداث الموصل .

جـ- موقف العراق من النزاع الحجازي النجدي .

أ - موقف الشريف حسين في الحجاز من الحركة الوطنية العراقية

في الوقت الذي كان فيه الشريف حسين يعد العدة لثورته ضد القادة الاتحاديين في الحكومة العثمانية في ولاية الحجاز ، كانت بريطانيا تحاول دعم نفوذها في منطقة العراق خاصة بعدما انضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان في حربها ضد دول الحلفاء ، حيث أرسلت حملة عسكرية بقيادة الجنرال دلامين (W.S. Delamain) يرافقها بيرسي كوكس إلى جنوب العراق ، وبدأت أولاً بالهجوم على شط العرب لكي تغلق الطريق على الجيش العثماني في العراق وتمنعه من دخول الخليج العربي ، ثم واصلت بعد ذلك القوات البريطانية تقدمها تجاه (الفاو) للسيطرة عليها (١) .

وبعد عدة معارك مع المجاهدين العراقيين تكبدت خلالها القوات البريطانية خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات ، ولكنها تمكنت من احتلال البصرة بالقوة في السابع من صفر عام ١٣٣٢هـ/الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٤م ، والتي تعتبر ثغر العراق الوحيد المطل على الخليج العربي .

لقد تحملت الحكومة البريطانية كل هذه الخسائر ، وذلك نظراً لمكانة البصرة الاستراتيجي والاقتصادي على الخليج العربي ، ولما لبريطانيا من مصالح تجارية وسياسية في منطقة الخليج العربي ، وحلقة الوصل بين الهند وأوربا في ذلك الوقت بعدما لاحظت قيام القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية بمحاولة تعطيل المصالح البريطانية في البلاد العربية بإعلان الجهاد المقدس عليها في قناة السويس ذلك الممر الحيوي لقطع الطريق عليها (٢) . وازداد اهتمام البريطانيين بالعراق وتطلعت إلى السيطرة عليه تماماً بعد ما أكدت الدراسة التنقيبية عن وجود منابع نفطية كبيرة ، في الموصل وكركوك في شمال العراق وبغداد في الوسط (٣)، هذا إضافة إلى إمكانياتها الزراعية الواسعة ، نظراً لوجود نهري دجلة والفرات المارين بها من الشمال إلى الجنوب ، مما جعلها ترمي بثقلها لإحتلال البصرة بالقوة ، مهما كلفها الأمر من اجل استغلال هذه الثروات الطائلة .

---

(١) نجلاء عزالدين : العالم العربي (ترجمة محمد عوض إبراهيم وأخرين) ، ص ٢٥٣ .
(٢) نجلاء عز الدين : العالم العربي ، ترجمة محمد عوض إبراهيم وآخرين ، ص ٢٢٤ .
(٣) وليد محمد سعيد الأعظمي : انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١م ، (بغداد ، الدار العربيه ، ١٩٨٧م) ، ص ١٠ .

وبعدما تم احتلال البصرة اذاع برسي كوكس (percy Cox) بياناً عاماً على المواطنين العراقيين في البصرة وعدهم فيه بمستقبل يزخر بالحرية والاستقلال التام إذا امتنعوا عن الجهاد ضد بريطانيا . وكان يهدف من وراء هذا البيان الذي نشره ما هو إلا تسويف في محاولة منه لدعم الاحتلال البريطاني للبصرة والعمل على امتصاص النقمة التي عمّت مؤخراً في صفوف الأهالي الذين يفضلون الاستقلال .

وفي الوقت الذي تحاول فيه بريطانيا السيطرة على مناطق اخرى من العراق ، قام الشريف حسين يطالب بريطانيا بإيقاف تدخلها السافر في العراق على اعتبار أنها تابعة لسيادته في الحجاز ، وذلك بموجب الوثائق التي تسلمها بتوقيع الزعماء السياسيين ببلاد الشام ، والعراقيون المؤيدون له والتي تدعوه للتدخل في شؤون بلادهم ضد التحركات البريطانية الاستعمارية في المناطق العراقية الغنية بخيراتها .

وفي الوقت نفسه ، عارض الحسين ومن معه من المشتغلين بالسياسة من اللاجئين العراقيين في الحجاز من تطبيق القوانين التي تنوي السلطات البريطانية تطبيقها على الأهالي في العراق بالقوة ، وخاصة في المناطق الخاضعة لسيطرتها في الجنوب العراقي (٢) .

لكن الحكومة البريطانية لم تستجب لنداء الشريف حسين ومن معه من العراقيين ، بل استمرت في تطبيق قوانينها بالقوة في الأراضي الخاضعة لسيطرتها في البصرة وما جاورها .

وقد قابل ذلك معارضة شديدة من بعض السياسيين العراقيين من داخل العراق وخارجه وقد تزامن مع ذلك من إعلان الشريف حسين ثورته في الحجاز ، التي أعلنها في التاسع من شعبان عام ١٣٣٤هـ/العاشر من يوليه ١٩١٦م على القيادات الاتحادية في الدولة العثمانية (٣) .

فكان رد الفعل البريطاني هو القيام بعدة اعتقالات لرؤساء العناصر المعارضة لسياستها والمتأثرة بسياسة الشريف حسين الذي يحكم بالزعامة على العرب ، كما شكلت قوة عسكرية خاصة لضرب التجمعات وفرض الأحكام العرفية ، ومنع دخول الصحف إلى الأراضي الجنوبية من العراق ، ومحاولة منع الفئات العراقية المعارضة لسياستها من الاتصال بالحركات الثورية في بلاد الشام والحجاز وذلك لإضعاف معنوياتهم .

---

(١) عبدالله فياض : الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م ، ص ٢٤٩ .

(٢) سليمان موسى : المراسلات التاريخية ١٩١٤-١٩١٨م ، ج١ ، ص ٢٤٢ ؛ سليمان فيض : في غمرة النضال ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) عبدالله فياض : الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م ، ص ١١٤ .

وعلى الرغم من سياسة التعسف والتعتيم ، التي فرضتها السلطات البريطانية على العراقيين ضد الحركات المناوئة لها في بلاد الشام إلا أنهم استطاعوا الحصول على أخبارها عن طريق رجال القبائل البدوية الذين تعودوا على التنقل بين بلاد الشام والعراق والحجاز عبر الصحراء ، مما ساعد على تبادل المعلومات وأدى إلى زيادة نشاط المقاومة في المناطق العراقية القريبة من البصرة (١) .

وعندما رأت السلطات البريطانية زيادة المقاومة الشعبية لها في المناطق العراقية الداخلية وأظهرت تأييدها للحسين في الحجاز ، قامت بإدخال بعض الإصلاحات الفورية في نظام الإدارة في البصرة وما حولها ، وذلك في محاولة منها لتهدئة حركة الانتقام التي قام بها الأهالي ضد البريطانيين وحمّلت زعماء القبائل العراقيين مسئولية بقاء السلاح في أيدي أنصارهم ، والذي أدى إلى تعدي المواطنون على أملاك الدولة للانتقام منها (٢) ، وهذه المسئولية شكلت عامل ضغط اساسي على زعماء البدو ، الذين يهربون الصحف السورية ، وأخبار الثورة الحجازية وموقف السوريين المؤيد للعراقيين . ولكن هذه الضغوط التي مارستها السلطات البريطانية على الساسة العراقيين لم تثنهم عن مقاومتهم للإحتلال البريطاني ، مما جعلها تغير من خطتها بنشر أخبار كاذبة بين القبائل العراقية مفادها أن الحكومة العثمانية قضت على الثورة الحجازية في مهدها وان اخبار الانتصارات التي تلقوها كاذبة ، وذلك في محاولة منها لتوسيع فجوة العداء بين العثمانيين والعرب واضعاف الحركات العربية المناهضة لها في البلاد العربية وخاصة في العراق (٣) .

وهذا بدوره أشعل روح العداء السلبي بين الشريف والحكومة البريطانية ، والتي اعتبرها أنها قد احتلت اراضياً تابعة له في العراق ، حسب قوله . ولذلك طلب من بريطانيا أكثر من مرة بإيقاف العمل بالقوانين التعسفية التي تطبقها قواتها في البصرة وما حولها . لكن بريطانيا لم تأبه بإدعاءات الشريف حسين ، بل اتبعت معه سياسة التسويف والمماطلة في محاولة منها لتخفيف ثورة الأهالي ضدها في داخل العراق وخارجها ، وحاولت توجيه نقمة الثوار في المناطق العربية ضد الاتحاديين في الدولة العثمانية وسياستهم التعسفية في البلاد العربية ، وذلك لصرف الأنظار عنها وعن سياستها الاستعمارية التي تنوي تطبيقها في البلاد العربية .

---

(١) وليد محمد سعيد الأعظمي : انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية - البريطانية ، ص ١٠ .

(١) مسعود ماهر : المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة ، (ط١ ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٢٧ .

(٢) F.O. 882/13. Secretary, King Hussein Mesopotamian Sheikhs. NO.20. Red sea. 23 July , 1918 ;
محمود صالح منسى : تاريخ الشرق العربي الحديث ، ص ٤٣١ .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد جرت اتصالات سرية بين زعماء المعارضة العراقية للسيادة البريطانية في العراق ، وزعماء القيادات العربية في كل من بلاد الشام والحجاز تدعو إلى ضرب التحركات البريطانية الاستعمارية في البلاد العربية وخاصة في جنوب العراق ، وكان لزعماء البادية دور كبير في افشال الخطط البريطانية وإيصال الصحف العربية التي تصدر في بلاد الشام والحجاز إلى زعماء المعارضة العراقية ، وهذا إضافة إلى النشرات والرسائل المتبادلة بين الطرفين ، التي تصلهم عن طريق الرعاة وقوافل التجارة ، مما ساعد على زيادة نشاط المعارضة العراقية داخل العراق وخارجه ، وقد استغل هؤلاء الثوار أطماع الشريف حسين في توسيع دائرة حكمه على البلاد العربية بعد نجاح ثورته في الحجاز على الدولة العثمانية ، فارسلوا عدة رسائل له يطلبون منه مساعدتهم في اخراج البريطانيين من مناطقهم المحتله في العراق (١) .

وهذا مما جعل الشريف حسين ياخذ الأمور بجد وحماس شديدين خاصة انهم أعلنوا ولاءهم له وتبعيتهم لمملكته التي كان يحلم في التربع على عرشها بعد اخراج العثمانيين من البلاد العربية . وفي الواقع فإن الكثير من أصحاب الأفئدة الواعية كانوا يعرفون حقيقة الشريف حسين وأطماعه في الزعامة على العرب ، وأنه وقع لعبة لبريطانيا لتحقيق مطامعها الاستعمارية في البلاد العربية حسب ما خطط لها في اتفاقية سايكس - بيكو بين الحكومتين البريطانية والفرنسية .

ونتيجة لذلك ، بدأت الجمعيات العربية العراقية المناهضة للبريطانيين ، ومنها : جميعة الفتاة والعهد اللتان كان لهما دور كبيرُ في الإتصال بحكام الحجاز خلال تلك الفترة لتوطيد العلاقة معهم لاسيما بعد نشوب الثورة في الحجاز ، ولا يخفى أن للثورة الحجازية تأثير عظيم في توسيع فكرة النهضة العربية ، وهذا مما شجع المعارضون العراقيون إلى الاتجاه للجمعيات العربية السرية بمطالبتهم ومساندتهم ضد الإجراءات التعسفية التي تتبعها السلطات البريطانية الاستعمارية في العراق وشرع بعض الشبان العراقيين المنتمين إلى الجمعيات الهرب من العراق والالتحاق بالقوات الحجازية واخذ كثيراً منهم يبذلون الجهد داخل البلاد لتوسيع نطاق النهضة العربية وساعد ذلك على زيادة حماس العراقيين ضد الاحتلال البريطاني . ولعل هذا ما يفسر لنا معرفة بريطانيا بوجود اتصال كبير بين المعارضة العراقية والشريف حسين لدعمهم ضد بريطانيا .

---

(١) أويلارد أيرلند : العراق - ترجمة جعفر خياط ، (بيروت ، ١٩٤٩م) ، ص ٦٦ .

ولقد تأكدت بريطانيا من تهريب معلومات الثوار العراقيين ومطالبهم إلى الحجاز، عندما رفع الشريف حسين مذكرة احتجاج شديدة اللهجة للحكومة البريطانية حول تدخلها السافر في الشؤون الداخلية للعراق ، ومطالبته لها بتنفيذ وعودها له باستقلال البلاد العربية ، بعد ما بدأت تنكشف نواياها الاستعمارية أمامه ، والتي أوضحها له المطلعون على الاتفاقيات السرية لبريطانيا حول تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا .

وعلى أية حال ، فقد شعرت بريطانيا بالخطر المحدق حولها بعدما كشفت اتصالات رجال الحركات العربية الوطنية العراقية المعارضة لها بالشريف حسين في الحجاز ، وعمدت إلى نشر بيانات متناقضة للتقليل من أهمية الجبهة العربية المعارضة ، وموقف الحركات العربية المعارضة في سوريا من الحسين في الحجاز ، وأشارت كذلك بأن السلطات الاتحادية في الحكومة العثمانية قد قضت على كل الحركات العربية المناصرة للشريف في شرق الأردن وسوريا . وأن الشريف حسين مجرد طامع سياسي .

وكان الهدف الاساسي من ذلك ، هو زعزعة قوة المعارضين العراقيين الذين ينادون بالاستقلال التام عن بريطانيا وربط مصيرهم بالحسين في الحجاز الذي يطمع بالزعامة على العالم العربي (١) . وإضافة إلى ذلك فقد ، تمت بعض المراسلات بين الضباط العراقيين الفارينمن العراق إلى الحجاز ، مما جعل بعضهم يفضلون العودة مبكراًإلى العراق ، والانضمام إلى صفوف الجبهة العراقية المعارضة لسياسة البريطانيين .

وكان لتدخل الشريف حسين وانجاله في أوضاع العراق السياسية أثره الكبير في إثارة القلاقل والاضطرابات داخل المدن والارياف العراقية ، خاصة وأن جيش فيصل بن الحسين كان يضم في صفوفه أعداداً كبيرة من القيادات العراقية ، مما سهل عليه عملية الاتصال بالمجاهدين العراقيين داخل العراق وخارجة ومحاولة تنظيم صفوف الثوار سواء كان عن طريق المراسلات الخطية اوالاتصالات الفردية عن طريق رجال القبائل المشتغلين بالرعي والتجارة بين الحجاز والعراق . وقد ساعد ذلك نجاح ثورة الشريف حسين في الحجاز ضد العثمانيين وتوسعها ، في محاولة منه ضم بلاد الشام والعراق إلى دولته التي يطمع إقامتها على حساب البلاد العربية منتهزاً في ذلك فرصة غضب الشعوب العربية ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي في بلاد الشام والعراق وسياستها التعسفية (٢) .

---

(١) عبدالله فياض : الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م ، ص ١٥٠ .

(٢) كاظم نعمة : الملك فيصل الأول و الانجليز والاستقلال ،(بيروت، الدار العربيةللموسوعات،١٩٨٨م) ،ص٣٦ .

غير أن البريطانيين كشفوا خطط الشريف حسين وأطماعه ، فعملوا على قطع أي اتصال بين الشريف في الحجاز والثوار العراقيين في داخل العراق ، وعدم وصول أي أخبار عن انتصاراته ضد الحاميات العثمانية في الحجاز من شأنها أن تزيد من إشعال ثورتهم . وقد تمكنت بريطانيا من اللعب على جميع الفئات العراقية ومنها الزعامات المعارضة لسياستها بما فيهم الشريف حسين ، فأخذت في مماطلته بتأجيل أي بحث حول أوضاع العراق إلى ما بعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى . حيث تمكن آنذاك من تحديد نوع الحكومة أو النظام الذي يريد الشريف تطبيقه في العراق . خاصة وأنها تدرك تماماً مدى رغبة الشريف حسين في جعل البلاد العربية تحت زعامته .

ويبدو أن الشريف حسين قد انطلت عليه اللعبة البريطانية ، لأنه اقتنع على ما يبدو باقتراحها بتأجيل الأمر ، إلاّ أنه عاد وطلب منها إجراء مفاوضات ودية حول حدود البلاد العربية ، والقاء بعض القوانيين التي تطبقها على الأهالي في الأراضي الخاضعة لها داخل العراق ، وذلك لإرضاء رغبة بعض القيادات العراقية التي كانت على اتصال مستمر به ، وقد انخدعت بثورته في الحجاز واعتبرته المنقذ الوحيد لها من الاستعمار البريطاني . ولم يعلموا من أن نجاح ثورة الحسين في الحجاز لم تنجح لولا دعم بريطانيا وتشجيعها له في محاولة منها لتفتيت الزعامة العثمانية على البلاد العربية عملاً بسياستها الاستعمارية المعروفة " فرق تسد " .

ونظراً لعدم قدرة الثوار القيام بالتحرك المنظم داخل الأراضي التي تحتلها بريطانيا ، وخاصة في البصرة واجزاء اخرى كبيرة من جنوب العراق ، لإن بعض الثوار ومنهم الشيعة اتجهوا في ثورتهم إلى المناطق العراقية الشمالية ، حيث جعلوا من النجف وكربلاء مراكز لتحركاتهم (١) ، واعتبروا أن ثورة الشريف في الحجاز عمل غير مشروع حسب اعتقادهم ، وطالبوا بأن يقوم الشريف بقطع علاته ببريطانيا كشرط أساسي لتأييدهم وانضمامهم لثورته .

أما الفئات العراقية المعارضة غير المنظمة في الأراضي التي تحت سلطة بريطانيا بملاحقتهم وإخراجهم من العراق (٢) ، فما كان أمامهم إلاّ الخروج من العراق خوفاً من الاسر والانضمام إلى جيش الشريف حسين في الوجه ، ومنهم جعفر

---

(١) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٠ ؛
Ibid .

(٢) وميض جمال نظمي : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلاليه) في العراق ، ص ١٤٨ .

العسكري والذي يعد من ابرز قادة الشريف حسين في بلاد الشام .

بالرغم من تشدد بريطانيا في عدم وصول أي أنباء عن ثورة الشريف في الحجاز وتوسعها ومحاولة تشديد قبضتها على المنافذ البرية للعراق لقطع أي اتصال بين زعماء الثوار في العراق وبقية البلاد العربية في الحجاز وبلاد الشام إلا أنه تسربت بعض الأنباء من خلال ما تنشره بعض الصحف السورية والأردنية عن انتصارات الشريف حسين والدور الذي قاموا به القادة العراقيين في القوات الحجازية ، وهذا مما زاد من اشعال نار الثورة داخل العراق ، خاصة بعد ما انضم اليها بعض الضباط العراقيين الذين تدربوا في الجيش البريطاني في بلاد الشام وعملوا في صفوفه فانكشف لهم النوايا البريطانية الاستعمارية ، والمتمثلة في اتفاقية (سايكس -بيكو) المشؤومة . كما كان بعضهم ممن ساهم في ثورة الشريف حسين في الحجاز [١] . وقد انتظم هؤلاء فور عودتهم إلى بغداد وكونوا جمعية معارضة للسياسة البريطانية أطلق عليها اسم " جمعية العهد العراقية " وكان ذلك في بداية عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م . وكان من أهم أهدافها العمل على استقلال العراق وتحريره من أية سيطرة أجنبية وربطه بسوريا والحجاز . وقد وصلت أخبارهم إلى الشريف حسين في الحجاز وطلبوا منه التوسط لهم عند الحكومة البريطانية لتحقيق مطالبهم بالانسحاب الكامل من الأراضي العراقية ، وعرض قضيتهم في مؤتمر الصلح المزمع عقده في باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وأرسلوا له مضبطة أعدها الشيرازي أحد أعيان الثورة والتي تضم توقيعات معظم القيادات السياسية والدينية في العراق برغبتهم في قيام حكومة عربية إسلامية في العراق تحت زعامة أحد أنجال الشريف حسين وإنشاء مجلس وطني تمثل فيه جميع فئات المجتمع في العراق للاشراف على إدارة السلطة في البلاد العراقية بكاملها .

وعندما رأت بريطانيا تزايد الشعبية المؤيدة للشريف حسين ، وتوسع أخبار نشاط الثورة الحجازية في العراق عن طريق الجرائد الشامية التي ازداد تهريبها مؤخرا إلى بغداد ، ولم تستطع بريطانيا إيقافها ، هذا بالإضافة إلى المراسلات الخطية المستمرة التي ترسل سراً إلى زعماء الثورة داخل العراق بطرق مختلفة عبر الصحراء [٢] .

---

(١) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٠ ؛
Ibid .

(٢) من الضباط العراقيين الذين عادوا إلى العراق ولهم دور بارز في الحركات العراقية مؤخراً محمد الشهواني ، ناجي شوكت ، حامد الهاشمي ، ورشيد عالي ، عبدالغفور البدري ، إبراهيم كمال ، وسعيد يحيى إسماعيل نافق ، وغيرهم .

أما في كربلاء ، فقد كون الاهالي لجنة وطنية أوكلوا لها جمع الأصوات في كربلاء وما جاورها لحركتهم وحث الأهالي على رفض أي حلول للتسوية في قضية العراق مع بريطانيا . ولكن بريطانيا ألقت القبض على ستة من اعضائها النشطين منهم ، وذلك في الخامس من ذي القعدة ١٣١٧هـ / أول سبتمبر ١٩١٩م وتم نفيهم إلى الهند ، ومنهم : عمر حاج علوان وطليفح حسون ، ومحمد أبو الحب ومهدي مولودي ، وعبدالكريم عواد(١). وهذا مما اشمأز الاهالي من هذه المعاملة المجحفة بحقوق المواطنين كل الاجحاف فكون الاعيان لجنة لدراسة القضية وقرر رأيهم على أن يطلبوا تأسيس حكومة عربية مستقلة تحت رئاسة احد انجال الملك حسين فكتبوا مضابطاً ووقعوا عليها ، ولكن تمكنت بعض الطبقات العراقية السياسية التي كان لها مصالح مع البريطانيين بالقاء القبض على المضابط من اجل إدامة الحكم البريطاني ، ولا شك فان هذه المضابط زادت من الاضطرابات الوطنية واشتداد الاستياء بين المواطنين الامر الذي افتضى إلى انزعاج حكومة الاحتلال .

وفي بغداد اجتمع قادة الجمعية الوطنية مع ممثلهم السيد محمد رضا الشبيبي آل الحسين وزودوه بمضبطة تضمنت سير القضية العراقية ، وبتوقيع القوى المناهضة للاحتلال من القادة الوطنيين بعد أن انضم إليهم عدد من رؤساء العشائر مطالبين الشريف حسين في الحجاز بالتدخل السريع لحمل البريطانيين على التفاهم معهم ، وحل القضية حلاً سلمياً (٢) .

وسافر الشبيبي سراً إلى البصرة ، ومنها إلى الزبير ليلتحق بقافلة صيدان بن حثلين شيخ قبيلة العجمان ، ثم رحل بعد ذلك إلى حائل ومنه إلى الحجاز ، وعندما وصل إلى وادي فاطمة التقى بعلي وعبدالله ابني الشريف حسين اللذين كانا في انتظاره ، حيث اصطحباه بعد ذلك إلى والدهما في مكة فقدم له رسالة من العراقيين (٣) ، ويذكر الشبيبي : (أن الحسين استعظم ذلك وتسلم منه الأوراق بحذر شديد ، وكأنما كان البريطانيون يراقبونه) (٤) .

---

(١) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٢٢ .

(٢) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م ، ص ٢٤٢ ؛ عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٢٢ .

(٣) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٢٣ .

(٤) حسين فاضل : الفكر السياسي في العراق المعاصر ١٩١٤ - ١٩٥٨م ، ص ٣٧ ؛ علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (ج٦، مطبعة المعارف ، د . ت) ، ص ٧٥ ؛ عبدالله فياض : الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م ، ص ١١٤ .

وقد أكد الشريف حسين له بأنه كتب إلى ممثله في مؤتمر الصلح في باريس عن حقيقة الأوضاع السياسية المتردية في العراق ، ومطالب سكانه الوطنيين وهو استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدودها الطبيعية ، وهذا إضافة إلى بعض المضابط الاخرى التي ارسلت من السكان العراقيين ، في الوقت الذي أكدت له قادة الثورة بأن يعتبر مطالب العراقيين مطالبه وأن العراق جزء من الحجاز ولن تستطيع بريطانيا فصله عن الحكومة الحجازية (١) .

وفي الوقت الذي كان الحسين يناقش مع المندوب العراقي في مكة بعض الأمور المتعلقة بأوضاع العراق ، كان هناك دعاة الثورة في بغداد يرددون في اجتماعاتهم بأنهم يريدون الاستقلال ويفضلون قدوم أحد أنجال الشريف حسين ليتبوأ عرش العراق (٢) . وفي تلك الأثناء كان السيد محمد رضا الشيرازي ، يقوم بعمل نشط ضد البريطانيين في كل من كربلاء والنجف (٣) .

وعندما كشفت السلطات البريطانية أمر المضابط التي سلمت إلى الحسين في مكة ومضمونها قامت بتضيق الخناق على زعماء الثورة في المناطق العراقية ، حتى أنه لم يعد أمام الكثير منهم إلاّ الهرب واللجوء إلى الحسين في الحجاز ، ولقد سهل لهم أمر الوصول إلى الحجاز ، أمير حائل الذي أوصلهم إلى المدينه المنورة بدعوى زيارة الاماكن المقدسة ، حيث نزلوا فيها في السابع والعشرين من رجب ١٣٣٩هـ/الخامس والعشرين من أبريل ١٩٢١م ثم سافروا بعد ذلك إلى مكة ، وعند وصولهم إلى مكة وجدوا فيها مجموعة من رجال الثورة العراقية الفارين من الاضطهاد البريطاني ضيوفاً عند الحسين ، وكانوا فريقين ، فريق البغداديين ، ومنهم : جعفر أبو المتمن ، وعلى البازركان ، ومحمود راشد ، وشاكر القرغولي ، وإسماعيل كنه ، وأمين زكي وعبدالرزاق الهاشمي .

أما الفريق الثاني ، فيتألف من زعماء الفرات الأوسط ورؤساء عشائرهم ، وهم : نور الياسري وهادي المقوط وعلوان الياسري ومحسن أبوطيخ ومرزوق العواد وصلاح الموح وشعلان الجر . وفي الوقت نفسه ، كانت البرقيات ترد تباعاً من العراق للحسين تأييداً له ولحكمه ، ويروي علي البازركان ، بقوله : (إنه كان ذات ليلة في مجلس

---

(١) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م ، ص ٢٤٢ .

(٢) عبدالرحمن البزار : العراق من الاحتلال حتى الجلاء ، ص ١٢٠ .

(٣) عبدالله فهد النفيسي : دور الشيعة في تطور العراق الحديث ، ص ١٨٤ .

الحسين في مكة المكرمة حدث نقاش حول أزمة العراق ، فمدَّ حسين يده تحت فراشه وأخرج ورقة ، وقال : (إنها برقية من أهل العراق ، ثم ناولها له وقرأها) ، وكان نص البرقيه ، يقول : (نرجو إرسال نجلكم فيصل إلى العراق ليكون ملكاً دستورياً علينا ومنتظرين تشريفه) [١] ، وكانت موقعة من قبل محمد مهدي ونوري السعيد .

وعلى أثر ذلك ، اجتمع العراقيون الذين كانوا عند الحسين ، ومعهم الشبيبي المندوب العراقي الذي كان يحمل معه مضبطة من أهل العراق قبل سفره إلى بلاد الشام ، وأبلغوه برغبة العراقيين في تتويج نجله الشريف فيصل ملكاً على العراق ، بدلاً من أخيه عبدالله الذي سبق وأن رشح من قبل الضباط العراقيين لهذا المنصب [٢].

فرد عليهم الحسين بقوله : (إنني أوقفت نفسي ومن يتبعني لخدمة الأمة العربية ، وقد وردت إليَّ عدة رسائل وبرقيات حول هذا الطلب من العلماء والزعماء في الفرات) . وفي هذه الأثناء ، وصل فيصل بن الحسين إلى مكة قادماً من لندن بعد حضور مؤتمر الصلح فقابل والده الحسين فأمره بالتوجه إلى العراق بعد أن مدّ إليه يده معلناً مبايعته فحذى حذوه في المبايعة بقية العراقيين المقيمين بمكة ، ويقال : إن الحسين التفت نحو السيد نور الياسري يخاطبه باعتباره أكبر الحاضرين سناً ، وقال له : (ياسيد نور وإني أعتبرك كأخي الأكبر وإني قد أودعت ولدي فيصل عندك) ، فأجابه الياسري بقوله : (إنه موضع احترامي وتقديري ونضحي بأنفسنا في سبيله) [٣] . وقد باركت بريطانيا مبدئياً هذا الترشيح حتى يمكنها من خلاله تنفيذ سياستها الاستعمارية في المنطقة على ضوء اتفاقية سايكس بيكو ، خاصة بعد أن انتهزت فرنسا غيابه في لندن وشددت قبضتها على سوريا ، حتى لايتمكن من فرض سلطته عليها . ويظهر أن هذه المباركة البريطانية على تعيين فيصل حاكماً على العراق هي عملية إرضاء له وحتى يكون تحت قبضتها وفي تصرفها .

---

(١) علي البازركان : الوقائع الحقيقية ، (بغداد ، ١٩٥٤م) ، ص ٢٢٩ ؛
F.O. 371/5220/4811 to Secretary of State for India 26 April , 1921 .

(٢) علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،ج٦ ، ص ٨٠ ؛ مصطفى عبدالقادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ - ١٩٢٥م ، ص ١٦١ .

(٣) علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ ، ص ٨١ .

في الوقت الذي تم فيه تعيين فيصل بن حسين حاكماً على العراق ، بعد موافقة العراقيين المؤيدين للحسين والحكومة البريطانية عليه ، رفع السيد طالب النقيب مذكرة احتجاج وتهديد للحكومة البريطانية ، لأنه كان يرغب ترشيح نفسه حاكماً على العراق ، مما دعى القائد العام البريطاني بأن يطلب من قواته القاء القبض عليه ونفيه إلى جزيرة سيلان (١) .

ولقد أثّر نفيه على الرأي العام في البصرة أكثر مما قبل ، نظراً لكثرة مؤيديه هناك (٢) ، كما أعطى الفرصة للشيخ خزعل بتكثيف الدعاية لنفسه ودفع مبالغ كبيرة من أجل ترشيح نفسه فكلف مزاحم الأمين لبجاجي بالسفر إلى بغداد للحصول على تأييدهم له لترشيحه حاكماً عليهم ، فاتصل مزاحم بنوري السعيد رئيس أركان حرب الجيش العراقي ، وصهره جعفر العسكري وزير الدفاع المؤقت اللذين سبقا فيصل إلى العراق لترتيب الأمور قبل وصوله (٣) ، ولكنهما أعتذرا عن مساعدته له لأنهما يفضلان فيصل عليه .

وبقى الشيخ خزعل مرشحاً لنفسه حتى تأكد من أن فيصل بن الحسين يستعد لمغادرة الحجاز إلى العراق(٤) ، فقال : (إنني عندما طرحت مسألة عرش العراق على بساط البحث رأيت أن الذين رشحوا أنفسهم هم دوني في المنزلة والكفاءة والقدرة ، وليس فيهم المزايا والصفات التي يجب أن يتصف بها أي ملك أو أمير ، ولذلك رشحت نفسي لأنني رأيت بأني أحق وأجدر من جميع الذين رشحوا أنفسهم له ، أما الآن وقد بلغني ترشيح فيصل بن الحسين لهذا العرش بعد موافقة والده الحسين ، فإنني متنازل عن ترشيح نفسي ، لأني أرى في شخص فيصل جميع الصفات والمواهب التي تؤهله على تولي ذلك العرش ، وإني قابل ترشيحه بكل ابتهاج وأؤيده كل التأييد ، وأرجو من جميع أصدقائي ومواطني أن يؤازروه بكل قواهم) (٥) .

---

(١) حميد أحمد حمدان التميمي : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١م ، (بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٩م ، ص ١٦٨) ؛ وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي ، ص ٢٥٩ .

(٢) C.O. 730/1/18678, Telegram, No. 25, from Chirchill to Cox,in April, 1921.

(٣) عبدالرحمن البزار : العراق من الاحتيلال حتى الاستقلال ، ص ٢٦ ؛ مصطفى عبدالقادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ،ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٤) حميد أحمد حمدان التميمي : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢١م ص ١٧٩ ؛ C.O.730/1/1868, Telegram, No. 25, from Chirchill to Cox, 20 April 1921

(٥) علي الوردي : لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق الحديث ، ج١ ، ٧٩ ، ؛ مصطفى عبدالقادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ،ص ١٦٢.

ولقد أيد المندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس (Sir percy cox) انسحاب الشيخ خزعل من ترشيح نفسه لعرش العراق لفيصل بن الحسين .

وفي الثاني والعشرين من رمضان عام ١٣٣٩هـ /الثلاثين من مايو ١٩٢١م نشرت السلطات البريطانية بياناً عاماً وزع على المواطنين في المدن العراقية ، أعلنت فيه العفو العام عن زعماء الثورة ، ويشمل العفو العام عن جميع من كان لهم يد في المقاومة ضد القوات البريطانية عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م (١) ، كما أطلق سراح جميع المعتقلين في السجون اوالذين تحت التوقيف ، كما سمح للهاربين عن بلادهم بالعودة اليها بعدما قدمت السلطات البريطانية تعهداً بعدم المساس بهم ، وتم حصر الذين سوف تتم محاكمتهم على الفئات التالية :

اولا : الأفراد الذين اشتركوا في المقاومة ، وكانوا من الموظفين في إدارات المناطق المحتلة ، فهؤلاء يُنظر في أمر كل منهم على حده وحسب جريمته التي أرتكبها ضد القوات البريطانية .

ثانيا : الأفراد الذين يعتقد أنهم مسئولون عن اقتراف بعض الجرائم البشعة أو التحريض على اقترافها ، وهم الفارون من وجه العدالة على حسب رأي الحكومة البريطانية ، ومنهم : الشيخ ضاري وولداه خميس وسليمان ، وسرب وسلوبي وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة الزوابع ، وكذلك جاسم المويلحي من عشيرة المهدية ، وبسيوسي بن محاويسي وغيرهم .

أما الأفراد الذين لم تكن لهم علاقة بالمقاومة عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م ، ولكنهم معتقلون أو منفيون ، أو فارون لأسباب تتعلق بجرائم سياسيه ارتكبت قبل المقاومة المذكورة ، فقد خول المندوب السامي برسي كوكس (Percy Cocox) بأن يشملهم العفو ، وأن ينظر في أمر كل منهم على حده وبحسب استحقاقه (٢) .

وفي السادس والعشرين من شوال عام ١٣٣٩هـ/الثالث من يوليه ١٩٢١م رفع فيصل بن الحسين برقية إلى محمد مهدي ويوسف السويدي ، وعلي جودت الأيوبي ، الذين كانوا في دمشق بالتوجه إلى القاهرة ، ومنها إلى الحجاز لمرافقته إلى العراق .

وفي التاسع والعشرين من شوال عام ١٣٣٩هـ/ السادس من يوليه ١٩٢١م ، سافر هؤلاء الثلاثة من دمشق إلى القاهرة ، ومنها إلى جدة بعد أن انضم إليهم الميجر كور نواليس (Mejor Cornwelis) ، الذي أصبح مستشاراً لفيصل ووسيطاً بينه وبين المندوب السامي البريطاني في العراق .

---

(١) Graves, philip : The Life of Sir Percy Cox, London, Second Inpression (N.P), P.203 .

(٢) السيد عبدالرازق الحسيني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ص ٣٦ .

وفي السادس من ذي القعده عام ١٣٣٩هـ/الثاني عشر من يوليه ١٩٢١م ، استقل فيصل الباخرة البريطانية نورك بروك (Nork Brok) من جدة قاصداً البصرة ، في الوقت الذي ارسلت فيه الحكومة البريطانية مبلغ ثلاثة آلاف جنيه إلى البصرة ، وأمرت بدفع مثل ذلك المبلغ لبغداد (١) .

ولقد أبرق الحسين إلى نقيب بغداد يبلغه بتوجه ابنه فيصل إليهم ، بناءً على طلبات الأهالي المتعددة له ، وطلب منه مضاعفة الجهد لتأمين مستقبل العراقيين .

فرد نقيب بغداد على برقية الحسين ، ببرقية مماثلة أكد له فيها بأنه ساد الابتهاج والسرور لدى العراقيين ، بتعيين فيصل حاكماً عليهم وأنه سوف يبادر إلى القيام بالواجب نحو العراقيين (٢) .

ووصلت الباخرة التي كانت تقل فيصل بن الحسين ومرافقيه إلى ميناء البصرة في اليوم السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣٣٩هـ/الثالث والعشرين من يوليه ١٩٢١م (٣) ، وقد استقبل استقبالاً حاراً ، وكانت ترافقه حاشيته المؤلفة من رستم حيدر ، وأمين الكسباني ، وتحسين قدري . وفي اليوم التالي من وصوله ألقى خطبة حماسية ذكر فيها بأنه يطمع في خدمة هذه البلاد لوجه الله (٤) . ثم طلب من الحضور مساندته من أجل إستقلال البلاد وتوحيدها ، كما أثنى على والده الحسين في الحجاز على جهاده ضد العثمانيين ، والدول الأوربية التي تطمع في تقسيم البلاد العربية فيما بينها .

وبعد هذه الخطبة المرتجلة لم يقم في البصرة إلاّ وقتاً قصيراً ، حيث واصل سفرُه إلى بغداد (٥) . وهناك نشر بياناً عاماً على العراقيين أوضح فيه سبب قدومه اليهم بأنه هو المرشح الوحيد ملكاً على العراق ، كما ذكر بأن الحكومة البريطانية ترى أن افضل طريقة للوفاء بعهودها وواجباتها هي مساعدة الأهالي على إقامة حكومة وطنية ، تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة الحسين فترى أن أفضل أنواع الإدارة في العراق هو إنشاء

---

(١) علي جودة : ذكريات علي جودة ١٥٠٠-١٩٥٨ ، ص ١٤٣ ؛ عبدالرحمن البزار : تاريخ العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص ٢٨ .

(٢) علي الوردي : لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ، ج٦ ، ٨٤ .

(٣) مصطفى عبدالقادر النجار : التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، ص ٦٢ .

(٤) عبدالرحمن البزار : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ص ١٢٩ .

(٥) علي الوردي : لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ، ج٢ ، ص ٨٧ ؛ السيد عبدالرزاق الحسيني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ص ٤١ .

حكومة عربية دستورية برئاسة حاكم عربي يكون مقبولاً لدى أهالي البلاد ، وتكون تابعة للحكومة الحجازية .

وفي الوقت الذي كانت فيه القيادات العراقية تستعد لوضح اللمسات النهائية لتشكيل الحكومة العربية التي تقرر إقامتها في العراق ، كانت هناك حركة في الشمال يقودها بعض الزعماء الأكراد الذين يتمسكون بحق تقرير المصير للشعوب التي انسلخت عن الدولة العثمانية ، ممَّا أدّى إلى تأخير البت في قضية تتويج الملك فيصل لعرش العراق .

وبعد عدة اجتماعات مع المسئولين البريطانيين تم الاتفاق اخيراً مع الأكراد على أن تكون المناطق الكردية لها الخيار في الاشتراك في الانتخابات العامة أو عدمه . لأن ذلك لن يؤثر في قرارهم تجاه نوع الحكومة في العراق .

وفي التاسع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٣٩هـ/الرابع من أغسطس ١٩٢١م اجتمع المجلس الوزاري العراقي في دار عبدالرحمن النقيب (١) ، وجرت عدة مناقشات حول المنادات بفيصل بن حسين ملكاً على العراق ، وبعد المداولة قرر المجلس بالاجماع المناداة بفيصل ملكاً على العراق ، بشرط أن تكون حكومته حكومة عربية دستورية نيابية ديمقراطية ، مقيدة بالقانون الذي يوضع لها في المستقبل ، وبعد ذلك أرسل هذا الاقتراح إلى المندوب السامي البريطاني في بغداد للتصديق عليه طبقاً للأصول المتبعة . وطلب من النقيب أن يطلب من وزارة الداخلية بأن تتخذ بعض الوسائل الإدارية اللازمة للحصول على قرار رسمي بالقيام بتسجيل رغبات الشعب العراقي حول هذا الاقتراح . فأصدرت وزارة الداخلية بياناً عاماً إلى متصرفي الألوية العراقية ، طلبت فيه تسجيل أراء الأهالي على قرار مجلس الوزراء بالمنادات بفيصل بن حسين ملكاً على العراق وعمل استفتاء عام ، وبعد عدة أيام عينت اللجان المشرفة على عملية الاستفتاء ، وأوفدت كل لجنة مندوباً عنها ليمثلها في الألوية ، وتقرر أن تقوم هذه اللجان بدعوة المواطنين إلى الاجتماع للحصول على موافقتهم لترشيح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ، وكانت نتيجة هذا الاستفتاء حصول فيصل على ٩٦٪ من مجموع أصوات الناخبين من المثقفين على المناداة بفيصل

---

(١) السيد عبدالرزاق الحسيني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ص ٤٧ .

ملكاً على العراق [١] . ونتيجة لذلك فقد أُعلن بفيصلاً بن حسين ملكاً على العراق ، فاعترفت به الحكومة البريطانية ملكاً على العراق ، لكنها لم تعترف بخضوعه للحكومة الحجازية [٢] .

وعلى أثر ذلك قدم فيصل بن حسين الشكر إلى الشعب العراقي على مبايعته له ، واشار كذلك إلى محبة الأهالي وثقتهم به ، وذكر ما لوالده الحسين من الأيادي البيضاء ، والذي رفع لواء النهضة العربية ، ولا غاية له سوى تحريرهم من الظلم والعمل على تأييد استقلالهم الكامل من الاستعمار على حد قوله [٣] .

وبعد أن استتب الأمر لفيصل في العراق ، قام بالاتصال برجال الحركات الوطنية المعارضة للاستعمار البريطاني فتزعم حركتهم [٤] . مما ساعد على تكوين الأحزاب السياسية المعارضة للاحتلال ، كما احتج على السياسة التعسفية التي تفرضها بين الحين والآخر الحكومة البريطانية على المواطنين في العراق . وفي الوقت نفسه ، حاول إقناع الساسة البريطانيين بضرورة إنصاف العراقيين ، وتحقيق مطالبهم الوطنية وهي الحرية ، كما هو الحال في الفرات الأوسط ، وكربلاء ، والحلة ، والديوانية ، والتي كان يجري البحث فيها عن مستقبل العراق السياسي على نطاق واسع ، وكان للساسة العراقيين الذين جاءوا من الحجاز وسوريا بعد الانتهاء من الحرب في بلاد الشام أثراً بارزاً ومسموع بين الأهالي في الأوساط العراقية .

وعلى أية حال ، فقد رفع الملك فيصل بن حسين في التاسع والعشرين من ذي القعده عام ١٣٣٩هـ/الرابع من أغسطس ١٩٢٢م برقية إلى والده في مكة ، يطلب منه مساعدته على الغاء الانتداب واعتراف بريطانيا به ملكاً رسمياً على العراق دون أي تدخل منها في شؤون بلاده الداخلية ، و رفض فرض أي سلطة أجنبية على الحكومة العراقية الجديدة ، وإطلاق حرية الصحافة لتبدي رأيها لعامة الأهالي في جميع المناطق العراقية [٥] .

---

(١) السيد عبدالرزاق الحسيني : مرجع سبق ذكره ، ج١ ، ص ٥٠ ؛ أحمد رفيق البرقاوي : العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢م ، ص ٣١ .

(٢) وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي ، ص ٢٦٠ .

(٣) انظر خطاب الأمير فيصل ، وجيه علم الدين : العهود المتعلقة بالوطن العربي ، ص ١٦١-١٦٢ ؛ كذلك ، عبدالرزاق الحسيني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ٥١-٥٢.

(٤) السيد عبدالرزاق الحسيني : العراق في ظل المعاهدات ، ص ٢٢ .

(٥) السيد عبدالرزاق الحسيني : نفسه المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤.

جـ- موقف حكومة الحسين في الحجاز من أحداث الموصل .

قبل أن نستعرض الدور الذي قامت به حكومة الحجاز في أحداث الموصل ، لابد لنا من أن نلقي نظرة سريعة على الوضع السياسي الذي كان سائداً قبل ذلك في ولاية الموصل ، والأسباب التي أدت إلى ظهور تلك الأحداث ، فمن المعروف تاريخياً أن الموصل كانت خاضعة للدولة العثمانية منذ زمن طويل ، وكان باشوات العراق يديرون الأمور فيها نيابة عن السلطان العثماني في إسطنبول . وفي الوقت نفسه ، كانت الموصل تمتاز بوفرة خيراتها ، مما جعلها محط أنظار الدول الاستعمارية نظراً لما تتمتع به من موارد اقتصادية مهمة في العراق ، حيث أنها تعدُّ مفترق الطرق بين العراق وسوريا وتركيا وإيران وجنوب روسيا . وزاد من أهميتها كذلك إلى وجود منابع النفط فيها الذي يعتبر عصب الحياة ، وميدان لإستغلال رؤوس الأموال الجنبية .

ويتكون سكان الموصل من خليط من بعض العناصرالعربية ، والكردية ، مع بعض العناصر التركية . وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م زاد نشاط الحركات الوطنية في العراق ، وامتدت لتشمل الموصل وما جاورها من مناطق ، وكانت هذه الحركات تستند على مبادي الاستقلال الذاتي .

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تحاول السيطرة على الموصل بواسطة جواسيسها المنتشرين في المدن والقرى والعشائر فيأتون باخبار الحركات العربية المعارضة لها إلى المسئولين البريطانيين لقاء اجرة تدفعها لهم ، حدث نزاع بين العرب والعثمانيين (١) ، حيث ادعى العثمانيون بأن الأكراد تابعين لهم ، وأن عددهم يزيد على عدد العرب في الموصل وما جاورها من قرى ، كما ادعوا كذلك بأن مصالح المنطقة وتجارتها مرتبطة بآسيا الصغرى ، في الوقت الذي خصصت فيه بريطانيا رواتب كبيرة لبعض العشائر العربية والكردية ولبعض المشائخ والعلماء إرضاءً لهم ولإستمالتهم إلى جانب الحكومة البريطانية فاصبح فريقاً ممن كانوا فقراء ذا ثروة طائلة .

وعندما انهزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ذكرت بعض القيادات العراقية للأهالي في الموصل بأن البريطانيين احتلوا العراق بعد هدنة موندروس (Mondrous) في الرابع والعشرين من محرم عام ١٣٣٧هـ/الثلاثين من أكتوبر ١٩١٨م ودعوا إلى مبدأ تقرير المصير ، وأشادوا بدور حركة المقاومة الوطنية التي رفضت

---

(١) جلال يحيى : العالم العربي الحديث ، ص ١٧٧ .

سيطرة البريطانيين على مناطقهم ، كما أشاروا إلى رغبة بعض الأكراد في الاتحاد مع العثمانيين بعيداً عن حكومة العراق الجديدة . وذلك من أجل إثارة الاضطرابات أمام الحكومة البريطانية حتى تتراجع عن فرض سياستها الاستعمارية على بلاد العراق .

أما بريطانيا فإنها أتخذت موقف المدافع عن مصالح اهل العراق ، وهي في حقيقة الأمر تدافع عن مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية اللازمة لسلامة طرق المواصلات بين الشرق والغرب وبذلك فهي تفضل بقاء هذه المنطقة الحيوية تحت ادارتها لما لها من أهميه سياسية واقتصادية (١) . فأصدرت بياناً عاماً يمنح القيادات السياسية السلطة الواسعة في ايجار واستثمار وتوزيع الاراضي الى العشائر والاهالي ، فكان اصحاب الاملاك في قلق من هذا البيان الذي قد يؤدي إلى سلب املاكهم .

وفي السابع والعشرين من محرم عام ١٣٣٧هـ/الثاني من نوفمبر ١٩١٨م ، جاء العقيد البريطاني لجمان (Legman) إلى مدينة الموصل ، وطلب من الجنرال علي إحسان باشا العثماني أن يقابل في جنوب الموصل القائد البريطاني الجنرال وليام مارشال (Wiliam Marshall) ، الذي وصلته تعليمات من القيادة العليا البريطانيه باحتلال ولاية الموصل بالقوة (٢) .

وأثناء ذلك ، قدم وليام مارشال طلباً رسمياً لعلي إحسان بإجلاء القوات العثمانية عن ولاية الموصل وفقاً لهدنة موندروس (Mondrous) ، حيث أشار بأن المادة السابعة من بنود الهدنة تنص على أنه للحلفاء الحق في احتلال أية منطقة استراتيجية في حالة ظهور أي حركة عدائية تهدد أمن الحلفاء . كما نصت كذلك المادة السادسة عشرة على تسليم كل الحاميات في الحجاز وعسير واليمن وسوريا وما بين النهرين لأقرب قائد حليف (٣) ، وهذا يدل على ما وصلت إليه القيادات العربية من ضعف في الامكانيات المعنوية والمادية في تلك المناطق ، وذلك نتيجة لقلة الاسلحة وهذا مما جعلها تصبح لقمة سائغة للاستعمار وأعوانه ، وخاصة بلاد الشام .

وقد تناقش القائدان حول ولاية الموصل ، فرفض علي إحسان باشا إخلاء الولاية لبريطانيا ، وعاد بعد ذلك إلى مقر قيادته في الموصل ، وأمر برفع العلم العثماني على بناية مقر الحكومة (٤) .

---

(١) جريدة الزمان : العدد ٥٠٢٣ ، ٢٨ أبريل (نسيان ١٩٥٤م) .
(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٨ .
(٣) فاضل حسين : مرجع سبق ذكره ، ص ٢ .
(٤) كاظم نعمة ، الملك فيصل الأول والإنكليز والاستقلال ، ص ١٤٧ .

وفي اليوم الثالث من صفر عام ١٣٣٧هـ/الثامن من نوفمبر ١٩١٨م ، دخل لجمان مدينة الموصل وأمر بإنزال العلم العثماني من مبنى الحكومة ووجه إنذاراً شديد اللهجة لعلي إحسان باشا يطلب رحيله حالاً عن ولاية الموصل ، ورفع العلم البريطاني مكان العلم العثماني . وفي الوقت نفسه ، وصلت تعليمات من القيادة العليا البريطانية إلى الجنرال كوب (gen. cop) باحتلال ولاية الموصل بالقوة إذا لم تنسحب منها القوات العثمانية ، إلاّ أن علي إحسان باشا أشار إلى مواد الهدنة واعتبر كوب مسئولاً عن حدوث أي أضرار قد تنجم من رفضه إخلاء ولاية الموصل ، فما كان من علي إحسان إلاّ أن اتصل برقياً بالحكومة العثمانية بإسطنبول ، وطلب منها تزويده بتعليماتها ، فتسلم منها أمراً باخلاء الموصل وتسليمها للبريطانيين في أسرع وقت ممكن حتى لا يظهر للبريطانيين ضعفه .

وبعد ما وصلته الأوامر انسحب من الموصل وترك المدنيين يعملون في دوائرهم باسم دولتهم العثمانية ، وانسحب القائد العثماني من الموصل ، وترك وكيلاً للوالي فيها ، كما نصَّ الأمر أيضاً على أن يكون الموظفون المدنيون من العثمانيين مسئولين أمام الحاكم السياسي الذي سيعينه القائد البريطاني العام في الموصل لتأمين النظام ، وتطبيق أحكام القوانين حتى يصل إشعار آخر (١) . أما الأهالي الذين يرغبون في العودة إلى بلادهم فعليهم الرجوع إلى الموظفين البريطانيين . وأما مسئولية الموظفين المدنيين العثمانيين أمام الحاكم السياسي البريطاني فإنه أمر ضروري إلى أن تنتهي القضية بين الدولتين السالفة الذكر (٢) .

واقترن الانسحاب العثماني من الموصل بحدوث نزاعات طائفية ، فاستغلت بريطانيا هذه النزاعات في إثارة الاضطرابات بين العراقيين حتى يطلبوا منها المساعدة بالتدخل لتوطيد الامن فيها (٣) . وفعلاً تم لها ذلك فقامت الحكومة البريطانية بتقديم مساعداتها للحكومة العراقية الجديدة ، كما أقامت إدارة عسكرية لحفظ الأمن والنظام ، بعد ما ادعت بأن الأحوال السياسية في الموصل غير مستقرة ، بعكس الأوضاع السياسية التي ادعت بأنها مستقرة في بغداد والبصرة ، حيث يقوم موظفوها بالواجب المطلوب منهم (٤).

---

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ج٢ ، ص ٨ - ٩ .

(٢) جريدة الزمان : العدد ٥٠٢٣ التاريخ ٢٨ نيسان (ابريل ١٩٥٤م) .

(٣) صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، ص ١٨٧ .

(٤) فوستر هنري : ترجمة سليم طه التكريتي : نشأة العراق الحديث ، ص ١٠٨ .

والحقيقة ، فأنه كان في كل من بغداد والبصرة عدد من الضباط العراقيين الذين فضلوا العودة إلى العراق بعد الثورة العربية ورغبوا في أن يعيشوا بين أهاليهم في بلادهم ، وكان لهم دور كبير في دعم الحكومة العراقية .

وعندما تم انسحاب العثمانيين من الموصل ، تفائل فيصل من أن بريطانيا سوف تقدم له مساعدة ، وذلك بالتدخل في تنظيم الانتخابات في الموصل لصالحه ، غير أن دوبس (Dobbs) ، قال : (إنه من الصعب حثّ سكان الموصل على التصويت حتى يطمئنوا بأنهم لن يدخلوا تحت سلطة العثمانيين) . فإن السلطات البريطانية أخبرت لندن بأن الانتخابات غير عملية ما لم يتم التوصل إلى قرار نهائي بشأن الموصل (١) . فلجأت القيادة البريطانية إلى منح بعض المقاطعات إلى بعض رؤساء العشائر من دون أن يأخذوا منهم بدلاً أو ضريبة ما ، وخصصت هبات ضخمة لبعض رؤساء العشائر والعلماء وغيرهم لإستمالتهم إلى جانبها .

وعلى إية حال ، فإن الموصل أصبحت من نصيب بريطانيا ، بعدما تنازل عنها العثمانيون بشكل نهائي ، في الوقت الذي كان الحسين في الحجاز متفائلاً بأن تضم إلى العراق ، لتكون جزءاً من ملك إبنه فيصل .

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تطالب بضم الموصل اليها باعتبارها جزءً من مستعمراتها . عقدت معاهدة لوزان في جمادى الأولى عام ١٣٤١هـ/فبراير ١٩٢٣م والتي اشترط فيها تسوية قضية الحدود العراقية العثمانية بالاتفاق بين الحكومتين .

وقد ظهر دور الحكومة الحجازية بارزاً في مشكلة الموصل ، وذلك من خلال المفاوضات التي جرت في مؤتمر لوزان بين الحكومة البريطانية - نيابة عن العراقيين - والعثمانيين في عهد الكماليين (٢) . ويذكر أن الشريف حسين تقدم بمذكرة رسمية إلى مؤتمر لوزان في جمادى الأولى عام ١٣٤١هـ/فبراير ١٩٢٣م ، احتج فيها على مطالب الحكومة العثمانية في ولاية الموصل على اعتبار أنها جزء لا يتجزأ من العراق التي أصبحت خاضعة لابنه فيصل ، وأن قضية الموصل لاتحتاج إلى إثبات ، وقد اعتبر الشريف حسين مزاعم الكماليين فيها باطلة ولا أساس لها من الصحة ، وأعرب أخيراً عن شكره

---

(١) كاظم نعمة : الملك فيصل الأول والأنكليز والاستقلال ، ص ١٤٨ .

(٢) أحمد رفيق البرقاوي : العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢م، ص١٣.

وتقديره لجهود وزارة الخارجية البريطانية حول دفاعها عن الموصل بعدما أكدت له بأنها لن تسمح بإلحاق الضرر بمصالح العرب السياسية والاقتصادية في الموصل (١) .

وكانت مشكلة الموصل إحدى القضايا المهمة التي كان من الواجب على المؤتمر أن ينظر فيها ويناقشها بجدية . ولكن المساومات البريطانية مع الوفود العثمانية أدت إلى تأخر الاتفاق حولها ، لأن الحكومة البريطانية تطمع على إبعاد ولاية الموصل عن العراق الذي أصبح خاضعاً في ذلك الوقت للملك فيصل بن حسين (٢) . غير أنه ظهرت بعد ذلك علامة تقارب في وجهات النظر بين الحجازيين والعثمانيين في ختام مؤتمر لوزان . مما دفع الحكومة الحجازية أن تقوم بمناورة سياسية ، يبدو أن الهدف من ورائها محاولة استثارة مشاعر بريطانيا ، بعد أن أصبحت علاقتها بحكومة الحجاز تمر بمرحلة خمول .

ولقد اخبر الشريف حسين في الحجاز الحكومة العثمانية بانه سيتخذ موقف محايد من التوتر الذي أصاب علاقتها مع بريطانيا ، في الوقت الذي وعدته الحكومة العثمانية باعترافها بسيادة حكومة العراق على الموصل (٣) .

لكن بريطانيا لم تكتف بفصل ولاية الموصل عن العراق ، بل سارعت باتخاذ خطوة أخرى وهى سلب حق العراق في إسهامه بنسبة ٢٠٪ من رأس مال الشركة البتروليه في الموصل .

فطلبت الحكومة الحجازية من الحكومة العراقية الجديدة أن تتمسك بحق العراق في الثروات البترولية في الموصل ، وأن لا تتنازل عن حقوقها في الموصل للشركات الأجنبية ، التي أخذت تتكالب على العراق من أجل الحصول على حصص في الشركات المتنافسة ، ومنها : الشركات الأمريكية والإيطالية والبريطانية (٤) .

ومن الطبيعي أن تستفسر الحكومة البريطانية عن أسباب الموقف الجديد المتشدد من الحكومة العراقية تجاهها ، وجاء ذلك في رسالة رفعها هنري دوبس (sir Henry Dobbs) إلى الملك فيصل في بغداد يستفسر فيها عما إذا كان هذا الموقف العدائي بتوجيه من والده

---

(١) نوري عبدالحميد خليل : التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥-١٩٥٢م ، (جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٨٠م) ، ص ٥٩ ؛ جريدة العاصمة : العدد ٧٧ ، شباط (فبراير ١٩٢٣م) ؛ جريدة العراق : العدد ٨٢٤ ، شباط (فبراير ١٩٢٣م) .

(٢) C.O. 730/27/60792, Oil field in Mosul uilaget from the Admiratty to the Foreign office 7/1/1923 .

(٣) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥م ، ص ٢٤٤ .

(٤) جريدة الزمان : العدد ٥٠٢٣ التاريخ ٢٨ نيسان (أبريل ١٩٥٤م) .

في الحجاز أو تصرف شخصي منه . وهل يعتبر هذا الموقف خطوة للتخلي عن التعاون العراقي مع بريطانيا ؟ أو ترك مشكلة الموصل بيد الحكومة البريطانية . ولكن تأخر رد فيصل على الرسالة أدى إلى زيادة شكوك المسئولين البريطانيين الذين بدأوا يظهرون له نوعاً من الاتصال الأخوي بين الحكومة الحجازية و العثمانين (١) .

وكان تهدف بريطانيا من وجود زيد بن حسين في الموصل رغبتها في قيامه بمساعدتها في مفاوضاتها مع الحكومة العراقية الجديدة ، لعقد اتفاق يتضمن منح الشركات البريطانية حقوق التنقيب والتشغيل لمنابع النفط التي تحت سيادة الحكومة العراقية ، والواقعة ضمن ولايتي الموصل وبغداد (٢) . في الوقت الذي أعدت فيه الشركات البترولية مشروع اتفاق قدمته إلى وزارة المستعمرات . لكن الوزارة فضلت مناقشة مثل هذه المشروعات في لندن بحضور ممثل عن حكومة العراق ، كما أبلغت الحكومة الحجازية برغبتها في استثمار نفط الموصل وبغداد بواسطة شركاتها يعهد إليها القيام بالإدارة وايجاد رأس المال لها ، تحت إشراف الحكومة العراقية ومراقبتها ، وستقوم هذه الإدارة بدعوة الشركات البترولية الأخرى للدخول في المناقصة العلنية ، وهذا ما ترفضه بريطانيا (٣) .

وعلى أية حال ، فنظراً لموقف الحسين الأخير المتشدد ، أعربت الحكومة البريطانية عن رغبتها في أن تترك مسئولية الموصل بيدها ، حاول المندوب السامي ساسون (Sasun) أن يأخذ موافقة الحكومة العراقية على ذلك ، وأن يحثها على وضع مصلحتها بيد الحكومة البريطانية (٤) ، لأن إحدى مواد المعاهدة المقترح عقدها في لوزان مع العثمانيين تنص على إحالة القضية إلى عصبة الأمم ، إذا رفض العثمانيون ذلك ، وبعبارة أخرى الاصطدام مع العمثانيين كحل للمشكلة . ومع ما أراده العثمانيون من تهويل الأمر لفيصل بهذه الصورة ، فإنهم ابعدوا إحتمال نشوب القتال على المدى البعيد بين الجانبين حول الموصل ، فضلاً عن الجهود الناجحة التي يبذلها اللورد كورزن

---

(١) Durgoyne, Elizobeth : OP.cit, Vol.2, P.309-310 .

(٢) نوري عبدالحميد خليل : التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ١٩٢٠ - ١٩٥٢م ، ص ٦٨ ؛ Burgoyne, Elizobeth : OP. cit, Vol.2 , P. 310 .

(٣) C.O. 730/24/703, Telegnam from Cocox to the sasun in 20/5/1923 .

(٤) C.o.730/54/417730, from the Sasun of the H.Commissioner to the Coloniel Offic , 21/8/1925 .

(Lord Curzon) بشأن قضية الموصل في مفاوضاته مع العثمانيين ، تلك المفاوضات التي تقضي بأن تكون بريطانيا صاحبة السلطة العليا في الموصل (١) ، كما دعت بأن من مصلحتها وضعها بيد الحكومة البريطانية . وقد بين وكيل المندوب السامي برنارد بورديلون (Bourdillon) للحكومة العراقية وللحسين بأن الحكومة البريطانية مسلّمة بشرعية إدعاء شركة النفط العثمانية ، ولها مناص من منحها الامتياز (٢) . وقد طلبت بريطانيا من الحكومة العراقية إرسال ممثلها إلى بغداد لبدء المفاوضات معها حول قضية الموصل ، وشركات النفط التي أخذت مشكلتها تتفاقم بين الحكومة العراقية والحجازية معاً ، والعثمانية والبريطانية من جانب آخر ، وبعد عدة مناقشات مع الحكومه العراقية والحجازية وافقت على حضور مؤتمر لوزان .

وموقف الحسين الأخير مع أهميته ، لا يمكن أن يعدّ أكثر من كونه تعبيراً عن يأسه في الثقة التي أولاها للبريطانيين سابقاً ، حيث تركوه يتخبط في مشاكله الداخلية أمام الرأي العام العربي والإسلامي ، داخل وخارج شبه الجزيرة العربية .

ولقد ردت الحكومة البريطانية على الحسين بشأن موقفه الأخير تجاهها ، بأن مصالح الجميع أصبحت في خطر داهم يهدد العرب من الخارج ولابد من اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لدرء هذا الخطر ، كما أشارت كذلك بأنه لا يهمها ما في هذا الخطر من التأثير السلبي لأنه سحق للمصالح العربية ، كما أوضحت كذلك بأن الحقوق العربية في الموصل أصبحت مهددة ومعرضة للخطر من التسلط العثماني ، ويجب على الحكومة الحجازية المساهمة في حل قضية الموصل التي أخذت تزداد نفوراً من السلطات البريطانية ، وطلبت من الحسين أن يضغط على نجله فيصل في العراق ، على أن لا يتدخل في قضية الموصل لأنها أصبحت في يد الحكومة البريطانية ، بعد أن شارك فيصل في مهرجانات الموصل واسهم في العديد من الأنشطة حتى انتخب وفد يمثله في مهرجان سوق عكاظ في الموصل .

لكن الحسين لم يرد على بريطانيا ، لأنه كان يريد أن تكون قضية الموصل في يده وفيصل ما هو إلا ممثل عنه ، وقد أوضح ذلك في مذكرته من تجرّد العثمانيين عن أية مطامع في البلاد العربية ، كما سبق إعترافهم باستقلالها .

---

(١) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦ – ١٩٢٥م ، ص ٢٤٦ .

(٢) C.O. 730/54/25006, Telegram from SHuckburgh to Dobbs , 2/9/1925 .

وكان هدف الشريف أن يشترك مع البريطانيين في مواجهة العثمانيين حول الموصل على أن تعترف بسلطته عليها ، ومن أجل ذلك طلب من السلطات العثمانية سحب تهديداتها ضد الموصل بعد تصريحاتهم الأخيرة ، وبذلك يمكن للشريف كسب القضية دون انفراد بريطانيا بها .

ولعلنا نلاحظ من خلال موقف الحسين المتناقض أنه كان يرغب في بحث قضية الموصل معالعثمانيين بنفسه ، بصفته مسئولا رسمياً عن العرب ، مما شجعه على ذلك ادعاء العثمانيين بان الحكومة الحجازية هي صاحبة القضية الأساسية ، وطلبوا من الحكومة البريطانية بعدم التدخل في الشئون الداخلية للموصل ، وفي الوقت نفسه ، أشاروا بأن الحسين تحمل مسئولية قضية الموصل ، وأنه لا مبرر الآن أن تحشر بريطانيا نفسها في قضية عربية اسلامية لاتخصها [١] . وكان الحسين قد تنبه إلى أهمية ولاية الموصل من حيث ثرواتها النفطية منذ بداية المشكلة اثارة ، والدليل على ذلك أنه طلب من نجله فيصل في العراق أن يطلب من الحكومه البريطانية ، أن تقدم ضمانات رسمية تؤكد له بأن تبذل أقصى جهودها لمنع الامتيازات القضائية والاقتصادية التي كان معمول بها من قبل ، وأن تقدم الحكومة البريطانية إذا احسنت نواياها دعمها للحكومة العراقية في مقاومة اي اعتداء خارجي على البلاد العراقية [٢] .

وأثناء ذلك ، أبلغ الحسين عن طريق ممثلة في مؤتمر لوزان ناجي الأصيل ، الذي حضر المؤتمر وأدرك من خلال إحتكاكه بالأوساط السياسية التي حضرت المؤتمر من أن الوفد العثماني كان يسعى إلى استدراج الحسين لجانبهم ، واستغلال صوته في كسب قضية الموصل لهم [٣] .

ولم يكن الحسين منتبهاً إلى ما يهدف له العثمانيون في الموصل ، والذي يتمثل في سعيهم لإحباط التدخل البريطاني في الموصل ، حتى بعد ما بدأت الحكومة العثمانية تجدد اتصالاتها بفيصل بن الحسين في بغداد ، الذي أفادهم بأنه لا بد من

---

(١) وثيقة منشورة (من ملفات وزارة الخارجية ملف ١٢/٥ القضية العربية ، برقية من الملك حسين إلى المعتمد السامي البريطاني بغداد ١٧ أذار (مارس ١٩٢٣م) . ورقة رقم (١٦) ، أنظر طالب محمد وهيم : المملكة الحجازية ١٩١٦- ١٩٢٥م . ص ٢٤٦ .

(٢) C.O.730/71/55570, Memorandubby the Coloniel office .

(٣) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م، ص ٢٤٧.

تسوية مشكلة ولاية الموصل ، والوصول إلى اتفاق نهائي بينه وبين العثمانيين ، حول المصالح المشتركة في الموصل في اسرع وقت ممكن (١) . وأضاف فيصل في رده بأن الضرورة تقتضي معالجة قضية الموصل خصوصاً بعد تواتر الأخبار عن عزم بريطانيا الانسحاب إلى البصرة ، ولذلك فإن عليه الاستعداد لذلك منعاً لحدوث أي ضربة قد توجه إليه من جديد ، كما حدث له في سوريا .

ولقد ظل الشريف حسين ، كما يبدو مواكباً لقضية الموصل حتى بعد احالتها إلى عصبة الأمم في محرم ١٣٤٣هـ/أغسطس ١٩٢٤م ، حيث طالب الشريف حسين في مذكرة رسمية بعث بها إلى سكرتارية عصبة الأمم ، أشار فيها بأحقية العرب في الموصل لكونها جزءاً لا يتجزأ من البلاد العربية ، وعدم إمكانية فصلها عن العراق ، كما أوضح عدم إعتراف حكومة الحجاز بأي قرار يصدره مجلس العصبة ، ما لم يكن منسجماً مع الحقوق العربية في بلاد العراق .

---

(١) نوري عبدالحميد خليل : التاريخ السياسي الامتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ - ١٩٥٢م ، ص ٧٧ .

جـ- موقف العراق من النزاع الحجازي النجدي .

بذل المسؤولون بالحكومة العراقية ، وبالذات الملك فيصل بن حسين في العراق جهوداً متواصلة لمحاولة منع ضم الحجاز للدولة السعودية ، غير أن هذه الجهود اقتصرت على الاحتجاجات ودعوات الاستغاثة المتكررة الموجهة إلى المندوب السامي البريطاني السير هنري دوبس (Sir Henry Dobbs) في بغداد للتدخل السريع لإيقاف القتال بين الحكومتين الحجازية والنجدية ، بالإضافة إلى إرسال بعض الإعانات المالية بين الحين والآخر إلى حكومة الحجاز لإنفاقها على المجهود الحربي لإيقاف تقدم القوات السعودية تجاه الحجاز.

لكنه بالرغم من صرخات الاستغاثة والاحتجاجات المتوالية التي كان يوجهها فيصل بن الحسين للحكومة البريطانية وبعض زعماء العالم الإسلامي إلاّ أنها لم توقف تقدم قوات السلطان عبدالعزيز آل سعود تجاه الحجاز ، لإيمانه بأن الحجاز لايمكن تركه تحت سيطرة الشريف حسين وأبنائه الذين أصبحو لعبة لبريطانيا ، ومنع اهل نجد عدة سنوات من اداء فريضة الحج احد أركان الاسلام الخمسة، ويعني انه أصبح بيد الشريف وأعوانه ، ولذلك سارع السلطان عبدالعزيز آل سعود بالتوجه للحجاز للدفاع عنه حتى لايقع لقمة سائغة في يد الاستعمار ، وحتى لاتنتهك حرمة الحرمين الشريفين بأيدي الغاصبين المعتدين ، فاستولت القوات السعودية على الطائف ، وقد أحدث ذلك قلقاً شديداً لدى فيصل بن الحسين في العراق ، بعد ما اتصل علي بن حسين بأخيه في العراق في العاشر من صفر عام ١٣٤٣هـ/العاشر من سبتمبر ١٩٢٤م ، ووصف له الموقف السياسي والاقتصادي المتردي في الحجاز نتيجة لتقدم القوات السعودية إلى الطائف ، وأعرب له عن قلقه الشديد خشيته من وصول الإخوان إلى مكة ، على الرغم من اتخاذ كل التدابير اللازمة (١) ، وناشده بتدارك الموقف السياسي المتوتر في الحجاز ، إلاّ أن فيصل لم يكن قادراً على أن يفعل ما يطلبه أخوه منه ، لأنه كان مقيداً في ذلك الوقت بالبريطانيين وخططهم ورغباتهم ، كما أن بريطانيا تعرف قوة السلطان عبدالعزيز آل سعود وصدق مسعاه وحساسية الموقف فلا تريد أن تزج بنفسها في أمور قد تثير مشاعر العالم الإسلامي ضدها (٢).

---

(١) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٧٦ .

(٢) صادق حسن عبدالله : العراق والصراع الحجازي النجدي ، (الخليج العربي ، ج١٢ ، عدد ١ ، مركز دراسات الخليج العربي - البصرة ، ١٩٨٠م) ، ص ٩٥.

وأمام الحاح علي بن حسين في الحجاز ، رفع الملك فيصل برقيته إلى المندوب السامي البريطاني في بغداد هنري دوبس لإطلاعه على شكوى والده ، ثم أعقبها بعد ذلك بكتاب آخر من عنده ، أشار فيه إلى دخول القوات السعودية الطائف ، واحتمال تقدمها في أي وقت إلى مكة ، التي لم يبق فيها إلاّ عدد قليل من الرجال القادرين على القتال ، لكن دوبس أشار في برقيته للحكومة الحجازية عن إمكانية الاستعانة بالحكومات الإسلامية التي لها رعايا في الحجاز وبالذات في مكة المكرمة (١). لكن فيصل عاد وكرر طلبه للحكومة البريطانية بالتدخل السريع واستخدام القوة للحد من خطورة الموقف المتأزم ، الذي لا يحتمل التأني فيه ، وختم رسالته بانتظار الرد البريطاني العاجل ، إلاّ أنه لم يرد عليه دوبس نظراً لتفهمه للموقف وإدراكه بأن الشريف الحسين وأنجاله غير صالحين لحكم الحرمين الشريفين ، نتيجة لاعمالهم التعسفية ضد الأهالي مع منعهم للحجاج النجديين ، ورغبة الشريف علي في تأييد بريطانيا له في سياسته غير السليمه ، مما قد يحرج بريطانيا أمام العالم الإسلامي .

وعندما تأخر الرد علي فيصل أرسل طلباً آخر أشار فيه بأن بقاء القوات السعودية في الطائف ، يسبب القلق الشديد للحكومة الحجازية ، وربما يأمر السلطان عبدالعزيز آل سعود بتوجيه قواته نحو العراق وسوريا ، فيما لو تمكنت قواته من الاستيلاء على الحجاز .

وطلب فيصل بن الحسين التعرف على وجهة النظر البريطانية من نجاح قوات ا لسلطان عبدالعزيز آل سعود ، وما تنوي اتخاذه لإيقاف تقدم القوات السعودية ، بعدما وصلت إلى الطائف ، وأصبحت في موقف أفضل من قوات أخيه علي في الحجاز ، وفي نفس الوقت ، رأي أن يربط هجوم القوات السعودية على الحجاز بالهجوم على العراق .

ولم تقتصر اتصالات فيصل ببريطانيا فحسب ، بل اتصل برئيس وزرائه واستفسر منه عن موقف وزارته من تطور الأوضاع ، وأثر ذلك على الحجاز والعراق ، والخطط التي يمكن اتخاذها لحماية مصالح العراق وحدوده ، والدور الذي يمكن أن يتخذ تجاه الحجاز بعدما استولت القوات السعودية على الطائف (٢). وقد استجاب رئيس الوزراء العراقي ياسين الهاشمي ، وعقد اجتماعاً طارئاً في الثامن عشر من صفر

---

(١) انظر نص كتاب الملك فيصل إلى دوبس منشور ، محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٧٧ .

(٢) انظر ترجمة كتاب رئيس الديوان الملكي العراقي إلى سكرتير مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٢٤/٩/١٣م ، محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٧٨ .

عام ١٣٤٣هـ /الثامن عشر من سبتمبر ١٩٢٤م لوزارته لمناقشة الوضع المتفاقم في الحجاز من جراء الهجوم السعودي على الطائف . كما أعرب الوزير عن قلقه الشديد من استمرار الهجمات ، والذي سيكون لها آثارها السياسية والاقتصادية على العراق [١] .

ومن هنا ، قرر مجلس الوزراء العراقي الاستفسار من المعتمد السامي البريطاني ، عن التدابير التي يمكن ان تتخذها بريطانيا ، لإعادة سيطرة والده على بعض الاراضي الحجازية التي استولت عليها القوات السعودية . فرد المعتمد السامي البريطاني على إستفسار الوزراء في الثلاثين من صفر عام ١٣٤٣هـ/الثلاثين من سبتمبر ١٩٢٤م ، بان بريطانيا ليس لديها نية التدخل في النزاع القائم بين الحجاز ونجد ، لأنه نزاع ديني ، ولا يحق لها التورط في مثل هذه الامور .

وبذلك اغلق المعتمد السامي البريطاني الباب ، أمام تساؤلات فيصل المتعلقة بمخاطر تحركات القوات السعودية . لكن فيصل لم يتوقف من نداءاته بل استمر في إستسراخه بالمسؤولين البريطانيين ، كما أنه وجه إنتقاداته لموقف بريطانيا التي خيبت جميع آماله وتطلعاته ، فلجأ إلى أسلوب آخر من باب حرصه الشديد على مصالح العراق في الحرمين الشريفين ، فهدد بدعوة الطوائف الدينية في جميع انحاء العالم الإسلامي للدفاع عن مقدساتهم في الحجاز . مناشداً بريطانيا إلى السعي لحفظ وسلامة الأماكن المقدسة ، كما طالب السلطان عبدالعزيز بإيقاف تحركات الاخوان لحين حل الخلاف سلمياً في مؤتمر يضم اطراف النزاع وممثل الحكومات الاسلامية .

وعلى أية حال ، فقد كان فيصل بن الحسين قلقاً للغاية بما يحدث في الحجاز ، ومع أنه كان يعارض بشدة التحرك السعودي في الحجاز ، إلاّ أنه كان مقتنعاً بإن التطورات الأخيرة التي حدثت في الحجاز كانت بسبب سياسة والده الحسين الاستفزازية لرعايا السلطان عبدالعزيز آل سعودي ، ومنعهم من أداء فريضة الحج . وفي الوقت نفسه ، أعرب عن ارتياحه الشديد لسماعه بتنازل والده عن الحكم ، وعبر عن آماله في نجاح أخوه علي في حل المشكلة بالطرق السلمية[٢] .

وفي الوقت الذي كان فيه فيصل على إتصال مستمر بالمعتمد السامي البريطاني دوبس في بغداد ، كان أيضاً على إتصال مستمر بأخيه علي في الحجاز ، الذي تولى الحكم بعد والده في محاولة منه ليقدم النصح له في معالجة الوضع المتأزم في الحجاز .

---

(١) ابراهيم الراوي : ذكريات ، (بيروت ، ١٩٦٩م) ، ص ٢١٠ .

(٢) Burgoyne, Elizobeth: Op . cit, Vol, 2, P. 356 .

ولم يكتف بذلك ، بل قام بنشر بياناً عاماً يحرض فيه قادة الأمة الإسلامية للتحرك في محاولة منه لتصعيد الموقف المتوتر وإخراجه من نطاقه المحلي إلى النطاق العالمي . وهو يعلم مدى كفاءة السلطان عبدالعزيز آل سعود على إدارة الحرمين الشريفين إدارة عادلة وقوية ، كما أنه يدرك تماماً مدى محبة أهل الحجاز للسلطان عبدالعزيز آل سعود وولائهم له (١) ، ثم أن فيصل حث في بيانه أخوه علي أن يعامل الأمراء العرب بالحسنى وإنتهاج سياسة المسالمة معهم ، حتى يكسب ودهم وتأييدهم له (٢) .

كما أهاب فيصل بأخيه علي بان يذكر بريطانيا بالعلاقة الودية بينهما منذ قيام الحرب العالمية الاولى ، وأن عليها أن تلتزم بالعلاقة معه ، وتظهر مساندتها له ضد اعدائه .

ويعتقد فيصل - كما أشار لإخيه - اهمية إنتهاج هذه السياسة ، لأن ذلك سوف يساعده على إنتشال الحجاز من الوضع الحالي . والواقع فان هذه الإقتراحات جاءت محاولة من ابناء الحسين ، لتصحيح السياسة الهاشمية الفاشلة في الحجاز ، ورأى فيصل أن تحل هذه السياسة محل السياسة التي أتبعها والده سابقاً في الحجاز .

ونصح فيصل أخاه علي بان يوافق على أي إقترح ترتأيه بريطانيا لتسوية خلافاته معها ، والتفاهم حول المعاهدة التي كانت سبباً في قضية الإنتداب ، وقضية فلسطين التي رفضها والده الحسين من قبل . وهذا مما جعل علي يتصل بالمعتمد البريطاني في جدة تنفيذاً لإقتراح أخيه ، وطلب التباحث معه بهذا الشأن ، ووعده بازالة جميع الأمور التي أدت إلى سوء التفاهم بين البلدين (٣) .

وطلب فيصل من اخيه حل كل الخلافات القائمة بين حكومة الحجاز وغيرها من جيرانها العرب والمسلمين حكومات وجمعيات وأفراد ، ويظهر أن علي عمل بنصيحة اخيه ، وقام برفع رسالة عاجلة إلى السلطان عبدالعزيز آل سعود عن طريق المندوب السامي البريطاني في بغداد مطالباً اياه فيها بالعمل على إيقاف القتال لحين الإنتهاء من المفاوضات . وقد أستجاب السلطان عبدالعزيز آل سعود لدعوة علي . وفي الوقت ذاته ناشد فيصل

---

(١) كتاب من الملك فيصل إلى الملك علي بجدة في ٥ أكتوبر ١٩٢٤م منشور في كتاب محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٨٠ .

(٢) وثيقة منشورة ، انظر ، صادق حسن عبدالله : العراق والصراع الحجازي النجدي ، (الخليج العربي ، ج١٢ ، العدد ١ ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٠م) ، ص ٩٨ .

(٣) محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٨١ .

المندوب السامي البريطاني هنري دوبس بدعم الموقف الجديد ، والتأثير على السلطان عبدالعزيز آل سعود بإيقاف القتال ، غير أن هذه المطالب لم تلق إذناً صاغية من البريطانيين ، مما أضطر علي إلى الإنسحاب من مكة إلى جدة ، وابلاغ أخيه فيصل بذلك . فأضطر فيصل إلى اللجوء إلى حكومته في محاولة منه لدعم موقفه ، فطلب من وزرائه بعد دخول القوات السعودية مكة ، مناقشة الموقف الجديد من جميع جوانبه ورسم خطة جديدة يمكن إتخاذها ، كما طلب من أخيه زيد الموجود في ذلك الوقت في لندن ، أن يساعد ناجي الأصيل في مفاوضاته مع الحكومة البريطانية ، وأن يطلب منها باسم العائلة الهاشمية المالكة خاصة وأهل الحجاز عامة التوسط لإيقاف القتال وحل الخلاف سلماً . وعلى النقيض من هذه المساعي كان السلطان عبدالعزيز آل سعود مصراً على موقفه الثابت من رفض إي صلح ، حيث إشار لطاهر الدباغ سكرتير لجنة الاعيان بجدة بانه لامجال لنشر السلم دون إخراج الأشراف من الحجاز ، ليتم بعدها تقرير مصير الحجاز من قبل جماعة المسلمين . وهنا عبر فيصل عن استيائه وألمه الشديد للمعتمد البريطاني دوبس لتخاذله من دعمه (١). وأقترح عليه عرض القضية برمتها على الحكومة البريطانية ، وقد رد دوبس على فيصل مخبراً إياه بانه أبلغ حكومته بنص رسالته ، وبتأثر فيصل من أحداث الحجاز (٢) .

وفي الوقت نفسه ، أتصل فيصل بدوبس ، وكشف له عن نيته في الاتصال بالرؤساء والشخصيات الإسلامية بشأن الوضع القائم في الحجاز ، وامكانية عقد مؤتمر إسلامي عاماً لمعالجة الوضع السياسي والاقتصادي هناك ، إلاً أن الحكومة البريطانية لم تبد اي إرتياحه لهذه الفكرة ، بل عملت على إجهاضها باساليبها الخاصة .

وعندما رأى فيصل أن استغاثاته وتهديداته لم يكن لها أي صدى ، قام بدراسة الامكانيات المتاحة له لتقديم الدعم المادي لحكومة أخوه علي ، لتمكينها من مقاومة القوات السعودية بناءً على إستغاثة أخيه علي ، إذ سارع فيصل إلى الاتصال برئيس وزرائه ياسين الهاشمي ، يستفسر منه عن الطريقة التي يمكن بها جمع التبرعات من المواطنين العراقيين للتخفيف من الضائقة المالية التي يعاني منها أخيه في الحجاز .

وعندما ناقش مجلس الوزراء الطلب السالف الذكر ، قرر تأليف لجنة من وزارة الأوقاف

---

(١) العراق ، ١٤ تشرين الأول (اكتوبر ١٩٢٤م) .

(٢) صادق حسن عبدالله : العراق والصراع الحجازي النجدي ، (مجلة مركز دراسات الخليج - البصرة ، ج١٢ ، العدد ١ ، ١٩٨٠م) ، ص ٩٩ .

برئاسة وزير الأوقاف تتولى جمع التبرعات العراقيين ، كما قرر في الوقت نفسه ، إرسال مبلغ حوالي خمسة عشر ألف دينار من إيرادات الأوقاف ، وقد تم ارسال هذا المبلغ دون علم دار الاعتماد البريطاني على أساس أنها من أموال ريع أوقاف الحرمين الشريفين لتوزيعها على فقراء الحجاز (١) .

ولكن الصحيح أن هذه الاموال أرسلت إلى حكومة الحجاز لتعزيز الموقف العسكري ، وعندما علمت إدارة دار الاعتماد البريطاني بذلك . أستنكرته فرد فيصل على دوبس موضحاً له بانه غير راضي عن الإجراء الأخير الخاص بإرسال الإعانات المالية إلى الحجاز ، ويتوقع أن الأختلاف ناشيء عن ماهية هذه المسألة لما لها من العلاقة بالأمور الشرعية ، وأن هذه القضية من الأمور الإسلامية البحتة ، ولكون المسؤول العام عنها له الصلاحية التامة للتصرف وفق المصلحة الإسلامية بعد أستشارة ذوي الخبرة من علماء الإسلام . وأن هذه الاموال أرسلت لاغراض معينة ، وهي تموين احتياجات الفقراء والمساكين في الحجاز ، مما يدخل في إختصاص وزارة الأوقاف ، ولولا طلب مدير المتصرف العثماني لما أرسلت له (٢) . كما أكد فيصل لوزراءه من أن إدارة الحرم النبوي الشريف تطلب تلك المبالغ الطائلة لفقراء المدينة المنورة بصورة عاجلة ، وذلك لنجدتهم بصورة محدودة للغاية .

وذكر فيصل أن وزارة الأوقاف التركية كانت ترسل ريع الأوقاف إلى مديرية الحرمين الشريفين المكي والمدني ، وكان هذا الريع يصرف تحت نظارة أمير مكة الذي كان يفوض إليه حق المراقبة والأشراف على كيفية صرف تلك المبالغ بمرسوم سلطاني . وأن كل ما تقوم به حكومته هو في نظره مشروع ضمن حقوقها ، وقد أجرى بعد المخابرة معها ، وأشارة بانها في حاجة إلى ذلك المال (٣) .

وعلى أية حال ، فقد أصر فيصل على إضفاء صفة الشرعية على الأموال التي

---

(١) العراق : ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر ١٩٢٤م) .

(٢) أنظر كتاب الملك فيصل إلى السير دوبس ، كتاب أخر هو إعتراض دوبس لإجراء الحكومة العراقية بموافقتها فيصل على إرسال الإعانات المالية للحجاز منشور في محمد طالب وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٣٨٥ .

(٣) صادق حسن عبدالله : العراق والصراع الحجازي النجدي ، (مجلة مركز دراسات الخليج العربي - البصرة ، ج١٢ ، العدد ١ ، ١٩٨٠م) ، ص ١٠١ .

أرسلها لحكومة الحجاز ، وتحت ذريعة إيواء الفقراء والمساكين ، ويبدو أن دوبس كان يدرك الهدف الذي يكمن وراء هذه المساعدات وطريقة إستعمالاتها ، وفي كونها أرسلت لدعم الموقف العسكري لعلي في الحجاز لإطالة فترة صموده أمام القوات السعودية ، وبتعبير أدق فان هذا هو الاحتمال الراجح والوارد منتهزاً فرصة الظروف العامة التي كان تمر بها الحجاز من الناحيتين العسكرية والإقتصادية ، والتي كان الشريف حسين وابنه علي سبباً في خلقها ، وذلك بمنعه لمن يريد اداء فريضة الحج إلاّ لمن أراد . وهو بهذه الحجج الواهيه يريد من بريطانيا أن تؤيده على تصرفاته المخالفة للشرع وأعماله التي يراد بها اشعال الحرب لارضاء مصالحه واطماعه الشخصية .

وبالرغم من ذلك ، فان فيصل أستمر في إرسال الإعانات المالية لأخيه علي - الذي أخذ يشدد في الإستغاثة به ، فارسل له بثلاثة الآف جنيه كإعانة فورية ، كما أنه طلب من الأهالي جمع التبرعات وإرسالها إلى جدة ، كما اصدر تعليماته إلى جميع متصرفي الألوية بتشكيل لجان في مراكز الألوية والأقضية ، لجمع الإعانات على أن يكون ذلك تحت إشراف البلديات وباسرع وقت ممكن (١) ، وبهذا شرعت المتصرفيات والأقضية في البصرة والموصل وبغداد وغيرها ، تجمع التبرعات للمجهود الحربي الحجازي تحت ستار إعانة الفقراء والمساكين . والحقيقة أنه يهدف إلى اشعال الفتنة واطالة الحرب في الحجاز .

ولقد أعرب بعض السكان المؤيدين لسياسته عن إحتجاجهم الشديد للأحداث الجارية في الحجاز في الصحف المحلية ، وقاموا بارسال البرقيات التي رفعوها إلى فيصل إحتجاجاً على ما يحدث في الحجاز ، وأخذت بعض الجماعات في المدن العراقية تعقد الاجتماعات واللقاء الخطب تعبيراً عن موقفها المؤيد لحكومة علي بن حسين في الحجاز .

كما أرسلت برقيات احتجاج إلى بعض الشخصيات الاسلامية والزعامات العربية الهامة كالملك فؤاد ملك مصر ومفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر ، وجمعية الخلافة الإسلامية .

ومع إقتصار هذا النشاط على الإحتجاجات - التي لابد وأن يكون فيصل على علم بها وربما يكون هو المحرك الأول لها ، فان السلطات البريطانية في العراق لم تكن مرتاحة لاستمرارها ، وبخاصة الإتصالات التي يقوم بها بعض الشخصيات العراقية مع بعض الملوك والشخصيات الإسلامية .

---

(١) العالم العربي : ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر ١٩٢٤م) .

وفي البصرة مثلاً ظهرت علامة الإحتجاج بين الأهالي للوضع القائم في الحجاز ، بعد تلقيهم لبرقيات الاستغاثة ، وطلب العون للشريف علي واخوانه .

ولقد أستمرت صرخات الإحتجاجات ترفع بين الحين والأخر طول فترة النزاع في الحجاز إلى أن دخل السلطان عبدالعزيز آل سعود جدة سلماً ، بعدما فرض شروطه على الشريف علي ، وبموجب الشروط خرج علي من جدة بعد تنازله عن السلطة للملك عبدالعزيز آل سعود بطوعه ورضاه وغادر جدة إلى العراق ليلحق بأخيه فيصل ، وبذلك اصبح الحجاز ضمن الدولة السعودية التي وحدها الملك عبدالعزيز رحمة الله .

الفصل الرابع

العلاقة بين حكومة الشريف حسين ومصر

أ - أسباب توتر العلاقات بين البلدين .

ب - علاقة الحكومة الحجازية من مصر .

جـ - تأزم الموقف بين البلدين .

أ- أسباب توتر العلاقات بين البلدين

ان علاقة مصر بالحجاز علاقة راسخة وقديمة ، وتتمثل هذه العلاقة في جميع المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية .

وعلى الرغم من خضوع مصر للاستعمار البريطاني الا انها لم تتغير بل استمرت العلاقة الودية بين البلدين المسلمين ، وذلك لعدم استطاعة الاستعمار البريطاني إبعاد مصر المسلمة عن الحجاز ، وذلك نتيجة لروابط الاخوية العربية والاسلامية بينهما ولوجود الحرمين الشريفين ، وقيام الكثير من المصريين مثلهم مثل غيرهم من المسلمين في مختلف بقاع العالم بزيارة الأماكن المقدسة بالحجاز في المواسم الدينية المختلفة ، ومن أهمها موسم الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام .

ولقد ترسخت هذه العلاقة مع الزمن بقيام تعاون وثيق بين مصر والحجاز ، وخاصة في مسائل الرعاية الصحية للحجاج ، والعمل على عدم انتشار الأوبئة والأمراض المعدية في مواسم الحج ، إلاّ أنه بالرغم من ذلك فإنه حدثت بعض الخلافات الطارئة بين القائمين على أمر الرعاية الصحية من الطرفين .

وكانت تتركز معظم هذه الخلافات حول بعض الترتيبات التي يجب أن تتم سنوياً حول تجهيز البعثة الطبية بالأطباء والصيادلة و الأدوية و الحراس ونطاق عملها وامكان تواجدها في الحجاز ، وكثيراً ما يتم ترتيب ذلك باتفاق مكتوب بين الجانبين في السابق إلاّ أنه حدثت بعض الاشكالات نتيجة قيام أحد الطرفين بالخروج عن ذلك الإتفاق ، وكان للعلماء وبعض المسئولين في الطرفين دور كبير في إنهاء تلك الخلافات عن طريق تقريب وجهات النظر بينهما بالطرق الودية ، وقد بدأ هذا الوضع يزداد أكثر وضوحاً خلال تلك الفترة التي سبقت إعلان ثورة الشريف حسين ، واستمر الحال حتى إلى ما بعد الثورة بعد ثورة ، وانفصال الحجاز عن الدولة العثمانية .

وقد زادت حدة هذه الخلافات عاماً بعد آخر حتى وصلت إلى حد كبير ، وذلك أن تلك الخلافات لم تقتصر حول الترتيبات الصحية على البعثة الطبية المصرية ، بل شملت بعثات طبية أخرى ، حاولت المساهمة في تقديم بعض الخدمات الطبية لحجاجها أسوة بالبعثة الطبية المصرية ، مما نجم عنه إلى اتساع فجوة الخلافات وإصرار الحسين بن

علي على موقفه ، الذي يتمثل في الحد من سلطة تلك البعثات الطبية الموسمية في الحجاز ، وذلك منذ عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٢م . ومن تلك الخلافات على سبيل المثال وليس الحصر ما حدث للبعثة الطبية الهولندية ، حيث أرسلت الحكومة الهولندية قبل موسم حج عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٢م طبيبين مع الحجاج الجاويين ويرافقهم عدد من الموظفين والحراس للاشراف على سير العمل ، وقد وصلوا قبل موسم الحج بفترة وجيزة ، وقاموا في جدة وأطلعت البعثة الطبية على الإجراءات الصحية هناك ، وقامت ببعض الترتيبات الصحية اللازمة لخدمة الحجاج ، وقبل بداية الحج أرسلت البعثة الطبية إلى حكومتها في هولندا تقريراً ضافياً تعيب فيه على الإدارة الصحية في الحجاز ، فبادرت الحكومة الهولندية بإرسال مذكرة رسمية إلى الشريف حسين ، أرفق بها التقرير ، وطلبت منه أن يسترشد بآراء الطبيبين الجاويين المقيمين في جدة ، ورأى الشريف حسين أن في هذا العمل مساساً باستقلال بلاده ، وخاصة وأن المذكرة جاءت عباراتها بأسلوب الأمر لا بأسلوب النصح والأرشاد . ولذلك أمر بمغادرة الطبيبين من جدة ، كما أمر بعد ذلك بعدم السماح لأي هيئة طبية أجنبية رسمية بالقدوم للحج لإجل مساعدة الحجاج لأنه أعتبر ذلك من مسؤلياته .

أعقب هذا الخلاف حادثة البعثة الطبية الهندية في الموسم التالى عام ١٣٤٠هـ /١٩٢٣م ، حيث أرسلت الحكومة الهندية بعثة طبية لمرافقة حجاجها ، والإشراف على رعايتهم صحياً ضاربة عرض الحائط بالتعليمات الصادرة من الشريف بعدم السماح لأي هيئة طبية أجنبية بالقدوم مع حجاجها إلا بترتيب مع السلطات الحجازية ، وربما لعدم علم الحكومة الهندية بالتعليمات الصادرة من الشريف حسين حول هذا الأمر او ربما يكون للحكومة البريطانية يد في الموضوع ، حيث تدخل القنصل البريطاني في جدة ، وحاول الضغوط على الشريف حسين بالسماح لهذه البعثة الطبية الهندية بمزاولة مهمتها الطبية ، ولكن الشريف أصرَّ على رأيه بعدم قبول هذه البعثة او حتى الاعتراف بها ، لأنه أحسّ بأنه في حالة اعترافه بهذه البعثة الطبية فإن ذلك سوف يقلل من أهميته ، وقد تصبح قرارته غير معتبرة ، كما أن تدخل البعثات الطبية في شئون الحج ربما يزيد من أهمية تلك البعثات الطبية وقرارتها في الحاضر والمستقبل ، وربما يصل ذلك إلى منع قدوم الحجاج إلى الأماكن المقدسة في حالة اكتشاف أي مرض وبائي قبل موسم الحج ، فيكون لذلك صداه الخطير في العالم الإسلامي . كما أن منع

قدوم الحجاج إلى الحرمين الشريفين سوف يعرض البلاد إلى كارثة اقتصادية كبيرة ، لانه يعتبر الحج مورداً اقتصادياً هاماً لسكان الحجاز والمناطق المجاورة له لانهم يعتمدون عليه في معيشتهم .

ومن أجل هذا ، رفض الشريف حسين قبول هذه البعثة الهندية مثل سابقتها ، بعد ما وصلت إلى جدة ، واصدر أمره بان تغادر البلاد ، ونفذ ذلك رغم اعتراض الحكومة البريطانية التي ساءها ذلك التصرف ، فعمدت إلى التكتم لأنها رأت أنه ليس من مصلحتها أن يسمع العالم الإسلامي أن الحكومة البريطانية تحاول التدخل في شؤون الأماكن المقدسة في الحجاز ، وأن كبر على البريطانيين أن يظهروا بمظهر الفاشل أمام حكومة الحجاز .

وعرف الشريف حسين قبل غيره من أن بريطانيا لا يمكن أن تسكت عن ذلك التصرف ، وأنه لابد وأن تكون قد أعدت طريقة أخرى لتنفيذ مأربها ، وربما يكون هذا الطريق هو إثارة العالم العربي والإسلامي ضده في أي فرصة تسنح لها ، ولذلك رأى أن يراقب الموقف بحذر شديد .

وأثناء ذلك ، ظهرت أزمة جديدة أثّرت على العلاقة بين الشريف والحكومة المصرية .

وترجع جذور هذه الأزمة إلى عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٣م ، عندما بعثت الحكومة المصرية برسالة إلى الحكومة الحجازية تخطرها بعزمها على إيفاد بعثة طبية إلى الحجاز في العام القادم ، وتطلب منها الموافقة على بناء مستوصفين في كل من مكة وجدة لإيواء افراد هذه البعثة الطبية حتى تؤدي عملها على الوجه المطلوب (١).

ولكن الحكومة الحجازية حال وصول الخطاب إليها بادرت بمعارضة إرسال البعثة الطبية بصفة رسمية ، وأشارت بأنه لايمكن البحث في مثل هذا الطلب حتى تعيد الحكومة المصرية نظارة الأوقاف الموجودة في مصرللحجازيين ، كما كانت عليه في السابق ، والتي تعتبرها الحكومة الحجازية من حقوق الحجازيين من الفقراء وغيرهم (٢) . وكانت الحكومة المصرية قد استولت على تلك الأوقاف وامتنعت عن إرسال ريعها إلى الحجاز ، مما اعتبرته الحكومة الحجازية مخالفة لنصوص الصكوك الوقفية المسجلة في المحاكم الشرعية المصرية والمكية ، علماً بأنه لا يوجد أي ارتباط بين مسألة العناية بصحة الحجاج وبين نظارة الأوقاف ، فضلاً عن أن العناية بصحة الحجاج من الأمور

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١١١ .
(٢) إبراهيم رفعت باشا : مرآت الحرمين ، ج٢ ، ص ٣٠٩ .

المستعجلة والمهمة التي لا تحتمل التأخير أو الأهمال ، كما أنها بطبيعتها لا يمكن أن توضع في محل المساومة ، في حين أن المسألة الأخيرة وهي نظارة الأوقاف لا ضرر من تأخير البحث فيها إلى وقت آخر .

وعندما وصل رد الشريف حسين إلى الحكومة المصرية . بشأن البعثة الطبية التي تجاهلها ، لكنها تجاهلت رده ، وربما يكون ذلك بإيعاز من الحكومة البريطانية التي كان لها اليد الطولى على إدارة دفة السياسة المصرية في ذلك الوقت ، فأرسلت الحكومة المصرية خطاباً ثانياً إلى الشريف تعرب فيه عن عزمها على إيفاد بعثة طبية إلى الحجاز، وعزمها على إنشاء مستوصفين احداهما في مكة المكرمة والآخر في جدة خدمة للحجاج والاهالي ، وأخذت في نشر إعلانات عن ذلك - في تلك المدينتين ، مما زاد الأمر سوء ، وأدى إلى زيادة التوتر في العلاقات بين البلدين (١) .

ومن هنا ، أخذت الخلافات تزداد وتتلاحق في الموسم التالي ، بعدما رأت الحكومة المصرية أنه من الواجب عليها هو العناية بصحة برعاياها من الحجاج ، لاسيما وأن إهمال هذا الواجب المفروض قد يؤدى إلى عواقب وخيمة على كافة الحجاج ، وربما قد يؤدي أيضاً إلى انتشار بعض الأمراض والأوبئة إلى خارج الحجاز عن طريق الحجاج العائدين إلى ديارهم (٢) ، وهذا بدوره أدى إلى التدخل الفعلي لعلماء الأزهر ، وبعض الشخصيات المصرية ، ومطالبتهم الحكومة المصرية بحل الخلاف مع الحكومة الحجازية بالطرق السلمية قبل حلول موسم حج عام ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣م .وقد نجحت تلك الوساطات في تخفيف حدة الخلاف بين البلدين نسبياً .

وبعد إن حان وقت سفر المحمل ومعه كسوة الكعبة المشرفة التي اعتادت الحكومة المصرية إرسالها سنوياً في موسم كل حج إلى مكة المكرمة ، قامت الحكومة المصرية بإرسال برقية عاجلة إلى الشريف حسين تبلغه فيها برغبتها في إرسال طبيبين وبرفقتهما كمية وافرة من الأدوية الضرورية ، على أن يتم توزيع هذه البعثة الطبية إلى مجموعتين يكون مقر أحداهما في مكة والأخرى في جدة بمحطة المحمل ، ومع كل مجموعة صيدلي وطبيب ، وطلبت الحكومة المصرية أيضا أن تكون هذه

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٤ ، بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ/١٦ يوليه ١٩٢٣م ، ص ١ .

(٢) أحمد عبدالغفور عطار : الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ، ص ١٥٨ .

البعثة الطبية مستقلة عن المحمل ، و أن يكون سفرها مع أول باخرة تحمل الحجاج وعودتها بصحبة آخر باخرة تعود بالحجاج إلى مصر . كما طلبت ايضاً من الشريف حسين تسهيل مهمة هذه البعثة ، وتوفير أماكن لإقامتها في كل من مكة وجدة (١) .

وحال وصول البرقية إلى الشريف حسين بادر بالرد عليها مباشرة بالبرقية التالية : (نرجو أن يكون البحث في الموضوع بعد أن تعيد نظارة الأوقاف المصرية الحقوق القديمة ، الخاصة بالمواطنين الحجازيين التي بدأت الحكومة المصرية بقطعها مؤخراً بدون سبب ، وهذا خلاف للتعامل القديم بين البلدين) (٢) .

وفي اليوم الرابع من شهر ذي القعدة ١٣٤١ هـ / الثالث عشر من يونية ١٩٢٣م ، رفع وزير الخارجية المصرية برقية إلى وكيل خارجية الحجاز ، يقول فيها : (لا نرى علاقة بين موضوع الأوقاف الذي أشار إليه وكيل الخارجية الحجازي سابقا وبين ما سبق أن أخطرت به من إرسال طبيبين وصيدليين ، ولم تتلق رداً بالموافقة على هذه المسألة الإنسانية المحضة التي يراد منها تسهيل أمر البعثة الطبية التي تعالج الحجاج ، وحل مسألة الأوقاف التي لا ضرر من تأخير البحث فيها إلى أي وقت آخر مناسباً ، والحكومة المصرية ترجو أن لا يتخذ من جانب السلطات الحجازية أي اعتراض على هذه المسألة التي أعد كل شيء لتنفيذها ، والتي لا يسع لمصر الرجوع عنها بأي حال من الأحوال) (٣) .

وفي اليوم السادس من ذي القعدة ١٣٤١ هـ / العشرين من يونية ١٩٢٣م تلقت الحكومة المصرية رد وكيل الحكومة الحجازية مفنداً برقيته الأنفة الذكر بالرفض على المطالب التي أشار إليها في برقيته مادام أنها تحقق لمصر مطالبها .

فردت السلطات المصرية بإرسال برقية عاجلة إلى الشريف حسين ، توضح له فيها بأنه من الضروري تنفيذ تعليمات الحكومة المصرية بشأن البعثة الطبية المرافقة للحجاج والمحمل عناية ودقة ، وعلى السلطات الحجازية الاهتمام بذلك وإلاّ فمسئولية تعطيل أي شيء منها سيكون على المتسبب لا على الحكومة المصرية ،

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٢ بتاريخ ٢ ذي القعدة ١٣٤١ هـ ١٦ يونية ١٩٢٣ م ، ص ١

(٢) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٣٧ .

فأجاب الحسين بواسطة وكيل خارجيته في السابع من ذي القعدة عام ١٣٤١هـ / الواحد والعشرين من يونيه ١٩٢٣م بالترحيب بالحجاج والمحمل حسب ما كان قديماً [١].

وعلى كل حال ، فقد رفضت الحكومة الحجازية الاستجابة لكل المطالب التي قدمتها مصر حول إرسال البعثة الطبية بهيئة رسمية ، بحجة أنها جزء من المحمل ، ولا يمكن فصلها إلى هيئة طبية رسمية أخرى .

ولكن الحكومة المصرية أصرت على أن تكون البعثة الطبية هيئة مستقلة عن المحمل ، ولم تنظر إلى أن يتم الاتفاق مع حكومة الحجاز بشأنها ، بل أمرت بسفر البعثة الطبية إلى الحجاز قبل سفر المحمل بعشرة أيام ، وكان بدء مفاوضتها في الخامس من ذي القعدة ١٣٤١هـ /التاسع عشر من يونيه ١٩٢٣م أي قبل أن تنتهي المفاوضات بشأن البعثة الطبية ، وسافرت البعثة بعد منتصف شهر ذي القعدة من العام نفسه/ في أول يوليه .

ومن خلال عرضنا السابق ، نلاحظ أن الحكومة المصرية حاولت أن تفرض شروطها على السلطات الحجازية بإرسال البعثة الطبية منفصله عن المحمل وركبه وإنشاء مستوصفين في مكة وجدة ، فرفض الشريف تلك الشروط التي تحاول الحكومة المصرية فرضها قبل وصول بعثتها الطبية إلى الحجاز ، وهذا أدى إلى زيادة توتر العلاقات بين البلدين من جديد .

---

(١) ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، ج٣ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

ب - علاقة الحكومة الحجازية بمصر

لقد اصرت حكومة الحجاز على موقفها الثابت من إرسال البعثة الطبية بهيئة رسمية منفصلة عن المحمل كما أن السلطات المصرية أصرت على إرسال البعثة الطبية بالصورة التي تراها مناسبة لرعاية حجاجها دون النظر إلى إيجاد حل وسط يرضى به كل من الطرفين ، فعندما علم الشريف حسين بسفر البعثة الطبية ، اندهش من هذا الموقف الذي قامت به الحكومة المصرية قبل أن تنتهي المفاوضات مع المسئولين المصريين .

وعندما وصلت البعثة الطبية المصرية إلى ميناء جدة ، حاولت النزول إلى البر إلاّ أن الحكومة الحجازية رفضت السماح لها بالنزول إلا بعد إنهاء الخلافات بين الجانبين ، وذلك خوفاً من أن يكون هناك أمور مدبرة (١) . ومما زاد من خوف الشريف أن تكون هناك أيد أجنبية وراء اصرار السلطات المصرية على تنفيذ مطالبها بالقوة ، وكانت أصابع الأتهام تتجه نحو بريطانيا ، خاصة وأنه كان يعرف أن بريطانيا كان لها دورٌ بارزٌ في عملية قطع الاسلاك التلغرافية البحرية في السويس ، وذلك لتعطيل المفاوضات بين الحكومتين المصرية والحجازية ، لوضع الحكومة الحجازية أمام الأمر الواقع .

وفي العشرين من ذي القعدة عام ١٣٤١ هـ / الخامس من يوليه ١٩٢٣م ، وأثناء بقاء البعثة الطبية على متن الباخرة بميناء جدة ، رفع الدكتور محمد أمين عبدالرحمن برقية من القاهرة إلى الشريف حسين في مكة المكرمة ، يخبره فيها بأن مصلحة الصحة العمومية بمصر أرسلت طبيبين بتجهيزاتهم الصحية ووصلوا ميناء جدة ، ويجب مساعدتهم في تسهيل عملهم في إقامة مستوصفين الأول بجدة والآخر بمكة المكرمة لمعالجة الحجاج المصريين فقط ، ويطلب موافقة الشريف على اصدار أمرهُ بتسهيل مهمة البعثة الطبية لاداء واجبها (٢) .

فردت الحكومة الحجازية على البرقية بالموافقة ، وطلبت تسلم الأوراق الرسمية المرسلة مع البعثة للسلطات الحجازية لإتخاذ الأجراءات النظامية لها . وأما موضوع الأطباء فقد اوضحت السلطات الحجازية بأنه قد سبق الحديث عنهم مع الحكومة

---

(١) نفسه المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٤ ، بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١ هـ / ١٦ يولية ١٩٢٣ م ، ص ٢ .

المصرية ، وأشارت بموقف الشريف تجاههم ،وأن الأمر لا يحتاج إلى المناقشة مرة أخرى . وبعد ثلاثة أيام من رد الشريف حسين على برقية الدكتور محمد أمين ، وصلت الباخرة التي تقل ركب المحمل المصري إلى ميناء جدة وجرى تبادل إطلاق المدافع ترحيباً بوصولهم ، وتوجه بعد ذلك المسئولون الذين يمثلون الحكومة الحجازية لاستقبالهم حسب الأصول المتبعة والمرعية بين الحكومتين في ذلك الوقت ، حيث شرف أمير الحج المصري ، واستقبل بكل احترام وتقدير من المسئولين الحجازيين ثم اتجه إلى الرصيف المعد لنزول الوفد بحجاجه حسب العادة ، وتوجهت به الهيئة المستقبلة إلى دائرة البلدية ، وأبلغ بعد ذلك الشريف بوصول أمير الحج إلى جدة قبل الموعد الذي كان من المقرر أن يصل فيه ، فطلب الشريف مقابلة الوفد ، فسافر إلى مكة وتفضل بالتشرف بالسلام على الشريف ، وخلال تلك المقابلة جرت مناقشات بينهما حول العلاقة بين البلدين ومستقبل الهيئة الطبية التي سبق أن وصلت إلى ميناء جدة قبل الإنتهاء من المفاوضات لحل الخلاف بشأنها ، وبعد ما تم الإنتهاء من المناقشات في مكة ، غادر الوفد إلى الباخرة بميناء جدة ، وكلف الشريف حسين مسئولي حكومته في جدة بأن ترسل المراكب اللازمة لإنزال ركب المحمل وكل ما بمعيته من تجهيزات ، وقد تم ذلك في صباح اليوم الثاني (١) .

وفي صباح ذلك اليوم ، وصلت مذكرة من أمير الحج المصري إلى قائم مقام جدة ، يشير فيها للمرة الثالثة بأن التعليمات التي صدرت له من حكومته بأن يقتصر المفاوضات مع الحكومة الحجازية على مسألة البعثتين الطبيتين ، وأن يكون مقر أحداهما جدة لأنها مركز نزول الحجاج ، والثانية بمكة المكرمة واعتبار البعثة الطبية جزءً لا يتجزأ من ركب المحمل والحجاج المصريين ، لأن مهمتها تتركز في توفير الرعاية الصحية عند الضرورة للحجاج المصريين وغيرهم من الحجاج ، وأن الحكومة المصرية لا تزال متمسكة برأيها في هذا الصدد (٢) .

ولقد طلب قائم مقام جدة البحث في أمر البعثة الطبية المختلف عليها ، فوافق

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٣٨ .

(٢) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٩٥ ؛ القبلة ، العدد ٧٠٤، بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ / ١٦ يولية ١٩٢٣ م، ص ٢ .

أمير الحج المصري على عقد اجتماع بين الطرفين لتحديد موقف كل طرف من الآخر ، فعقد الاجتماع بين الجانبين لمدة يومين ، ولم يتم التوصل إلى حل الخلاف بينهما ، ويرجع ذلك إلى الأوامر الصريحة التي لدى أمير الحج بأنه في حالة عدم قبول البعثتين الطبيتين يجب أن يعود ركب المحمل فوراً إلى مصر ، وطلب من ممثلي الحكومة الحجازية إفادة رسمية في حالة عدم قبول المحمل وبعثته ، وكان يأمل أن يصدر قائم مقام جدة أمره بإعادة الجمال والخيل والبغال الخاصة بالمحمل مع رجالها الموجودين بالبر الآن مع الطبيبين الدكتور سعد الدين أفندي الضبع ، والدكتور أفندي عبدالله سليم والممرضين اللذين معهما ، وجميع الطرود المحتوية على الأدوية بمخزن الجمارك بجدة ، ولهذا طلب الإسراع بعرض الموضوع على الشريف حسين والإفادة سريعاً عن وجهة نظره تجاه هذه المستلزمات التي عنده .(١)

ولما أبلغ قائم مقام جدة الشريف حسين بالمذكرة رد عليه تلفونياً ، بقوله : (لقد أخبرنا " قائم مقام " جدة بالمذكرة الرقمية في الثاني والعشرين من ذي القعدة ١٣٤١هـ/ السابع من يوليه ١٩٢٣م ، الصادرة من الباخرة البحرية تفيد مذكرتكم بأن حكومتنا إذا لم تقبل هيئة المستشفيين وتأسيسها بمكة وجدة لصحة الحجاج المصريين وغيرهم فإنهم سيضطرون إلى العودة بالمحمل . وعليه أن المسألة لانزال نعتبرها تتعلق بالصلة الودية والإخلاص الوفائي علاوة على الروابط الإسلامية بين الحكومتين ، وكان تعليق المناقشة في المسألة مبدئيا لتسديد نظارة الأوقاف ، وما شرعت تقطعه من مرتبات الأهالي في الحجاز التي تدفعها الحكومة في مصر منذ الأزمنة القديمة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بالنظر أساساً لكون هذه الرغبة النزيهة تعتبر من المشاريع التي تقضي أولاً التباحث في كل ما يتعلق بشؤونها طبقاً للنظام والتعامل الجاري في إنشاء مثل هذه المؤسسات ، وبوقته يجري إيجاد ما يتقرربخصوصها ، وأوضح كذلك بأن الحكومة المصرية أرسلت تلك الهيئة دون أن تراعي مقتضى القواعد الجارية في مثل هذه الأعمال . وأن هذا العمل يمس استقلال الحكومة الحجازية صراحة ، وعليه فمن الطبيعي أن نعارض هذا المشروع مبدئياً طبقاً للعرف الجاري الدولي والحقوق العمومية ، وأشار كذلك بأنه إذا كان هذا من حقوق

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص١٣٨ .

الحكومة المصرية أن تتمسك برأيها في حدود محافظة حقوق رعاياها من الحجاج ، فلماذا لم تحكم بالحقوق التي تطالب بها الحكومة الحجازية عند وزارة الأوقاف المصرية ؟ هل ينبغي لها أن تحكم بتلك الحقوق التي تطالب بها الحكومة الحجازية السلطات المصرية ؟[١] وطلب من الحكومة المصرية حفظ الود والإخلاص والحقوق القديمة من الأوقاف التي ترسل سنوياً إلى مستحقيها من الحجازيين ، أما الأحوال الصحية العمومية فهي بفضل من الله في هذه السنين جميعها على ما يرام ولا يوجد من الحجاج المصريين او غيرهم من يحتاج إلى رعاية طبية[٢] .

وبعد هذه المذكرة ، عاد قائم مقام جدة فكرر رده على أمير الحج بأن البعثتين المشار إليهما بموجب المذكرة السابقة بأنها جزءٌ لا يتجزء من المحمل وعليه فكيف يصبح تجزئتها ببقاء أحدهما بجدة ، والحال أن الحجاج المصريين وغيرهم لا يوجدون في جدة إلاّ على سبيل المرور ذهاباً وإياباً ، ومن الأفضل أن يكون محل الوحدة الصحية بالكامل في المكان الذي تنوي السلطات المصرية إقامته في مكة المكرمة[٣] ، وعلى ذلك لم يبق محل ولا فائدة لإنشاء مركز طبي في جدة .

وقد ردت وزارة الخارجية المصرية على مندوبها في الحجاز ببرقيتها ، التي تقول فيها : (إن مسألة إيفاء حقوق أهالي الحرمين الشريفين تتعلق بالأوقاف ، ولا دخل لوزارة الخارجية المصرية فيها لأن ذلك من اختصاص وكالة الصحة العامة المستقلة مثل استقلال وزارة الأوقاف)[٤]. وفي الوقت نفسه ، أرسلت وزارة الخارجية الحجازية إلى الخارجية المصرية برقية حول إيفاءالحقوق التي ترسل لأهالي الحجاز عن طريق وزارة الأوقاف المصرية ، والتي تقدر بحوالي ٢٠٢٣٥ أردباً من القمح يرسل سنوياً

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٥ بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٣٤١هـ / يولية ١٩٢٣م ، عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ص ١٧٩-١٢١.

(٢) القبله : المصدر السابق .

(٣) إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : تذكرة أولى النهي والعرفان ، ج٣ ص ٣٥ ؛ أحمد عبدالغفور عطار: الكعبة والكسوة من أربعة الآف سنة حتى اليوم ، ص ١٥٨ .

(٤) القبلة : العدد ٧٠٤ ، بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ / ١٦ يوليه ١٩٢٣م ص ٢ .

من ريع أوقاف الحرمين الشريفين الموجود في مصر . وأن هذا شرط من الشروط الاساسية للسماح بإيفاد البعثة الطبية المصرية ، وأن تلك الحقوق هي حقوق قديمة عند الأوقاف التي منعتها وزارة الأوقاف المصرية عن أهالي الحجاز [١].

و قد ردت الحكومة المصرية على الشريف حسين بطلبها ، وهو أن يغير من موقفه المتشدد تجاه البعثة الطبية ، كما أشارت إلى أن الدعوى التي رفعها الشريف حول الحقوق التي للحجازيين في مصر غير صحيحة بالمرة . وأفادت بأنه في الواقع يوجد لدى وزارة الأوقاف المصرية خيرات موقوفة على الفقراء من أهالي الحجاز بصفة خاصة . ولكن وزارة الأوقاف المصرية كان من عادتها (رأفة بالفقراء من أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، أن تصرف إليهم مرتبات شهرية من ريع أوقاف خيرية ، والتي أشترط واقفوها أن يصرف ريعها إلى الفقراء والمساكين بأية جهة كانوا . وبذلك فأن الوزارة عملاً بشروط الواقفين تقوم على الدوام بعمل تحر دقيق عن حال من تجري عليهم الصدقات ، فتصرفها لمن يستحقها فعلاً . ولتقطعها عمن يتوظف أو يتوفى أو يظهر يسره ، وتقرر أعطاء الصدقات المقطوعة لغيرهم من سكان الحرمين الشريفين الذين ثبت فقرهم [٢] .

ومما ينبغي ذكره ، أن الحكومة المصرية أكدت في مذكرتها أنه في عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م ، بلغ ما خصص من الصدقات لفقراء الحرمين الشريفين ما يزيد عما قطع عن غيرهم للأسباب التي سبق ذكرها ، وزاد المبلغ الذي صرف في هذا السبيل عما صرف في أية سنة من السنوات الماضية [٣] .

ولبيان ذلك ، رأت الحكومة المصرية أيضاً أن تنشر بياناً عن المرتبات التي تبعث بها وزارة المالية سنوياً إلى الحجاز ، وأوضحت فيه أن جوهر الخلاف بين الحكومتين ينصب على ثلاث نقاط ، تتعلق كلها بموضوع تلك المرتبات ، وهي :

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١١٤ .

(٢) جريدة الأستقلال : العدد ١٨٣ في ١٩ يولية ١٩٢٣م ص ٢ .

(٣) القبلة : العدد ٧٠٤ بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ/ ١٦ يولية ١٩٢٣م ، ص ٣ .

أولا : تطالب الحكومة الحجازية مصر بدفع مبلغ وقدره مائة وثلاثة عشر جنيهاً قيمة نقل مرتبات الحرمين الشريفين من ينبع إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٣ م .

ثانيا : تطلب كذلك معرفة السبب الذي أدى إلى إيقاف بعض مخصصات المأمورين من الأهالي الذين يرافقون ركب المحمل مدة وجوده بالمدينة المنورة .

ثالثا : تطلب الحكومة الحجازية معرفة سبب قطع بعض المخصصات المعينة للتكية المصرية في جدة ومكة المقررة لبعض أهالي البلاد الحجازية .

وأشارة الحكومة المصرية إلى ردها على المسائل الثلاثة السابقة ، بالإجابات التالية :

أولا : لقد أجابت الحكومة المصرية بأنها أعتادت أن ترسل المرتبات الخاصة للمدينة المنورة ومكة المكرمة إلى ميناني ينبع وجدة سواء في عهد الحكومة العثمانية أو الحكومة العربية الحالية ، وكان يحضر مندوبون عن الحجاز لاستلام هذه المرتبات من هذين الميناثين ، ولم يعُترض على ذلك في أي وقت من الأوقات .

ثانيا : أن هؤلاء المأمورين هم الذين كانوا يرافقون ركب المحمل إلى المدينة المنورة . أما السفر إلى المدينة المنورة فقد أنقطع منذ فترة طويلة فلا معنى لأعطاء هذه المرتبات .

ثالثا : أن جميع المرتبات والمخصصات جار إرسالها لأهالي البلاد بالحجاز مع ركب المحمل ، ما عدا مخصصات بعض الأهالي التي تكون قد أنحلت بسبب وفاة أربابها وعدم وجود أي نص يدل على توجيهها للآخرين (١) .

أما الأشياء الأخرى كالقمح وغيره ، فأنها صدقة محضة تصرف من خزانة الحكومة المصرية ، و إننا نكرر بأنها لاعلاقة لها بالأوقاف ،

وقد بحثت الحكومة هذه المسألة بحثاً دقيقاً ، وتبين لها أن الفرمانات الشاهانية الصادرة في سنة ١٢٢٢هـ و ١٢٢٤هـ ، تشتمل على الخطاب الهمايوني الصادر في سنة ١٢٢٨هـ إلى والي مصر وقاضي مكة ، والفرمانات الصادرة في رمضان سنة ١٢٣٦هـ والإرادة السنية الصادرة إلى الرونامة في عام ١٢٦١هـ والإرادة السنية لوزارة المالية في شوال عام ١٢٨٢هـ وأوامر أخرى غير هذه ، كلها تشير بالعبارة التالية :

---

(١) جريدة الاستقلال ، العدد ١٧٩، ١٥ يولية ١٩٢٣م ، ص٢.

أولا : أن هذه المرتبات التي تطالب بها الحكومة الحجازية لم تكن ثمرة أوقاف ، بل هي مجرد إحسان وصدقات من جانب السلاطين العثمانيين وولاة مصر قبل خضوعها للاحتلال البريطاني .

ثانيا : أن هذه الأموال التي ترسل للحجاز مخصصة لاشخاص معينين ، تصرف لهم بالاتفاق مع أمير الحج ، الذي لازالت المفاوضات جارية معه حول هذه الأمور مع مساعدة مشائخ القبائل في الحجاز .

ثالثا : أن الأوقاف التي تطالب بها السلطات الحجازية لا تورث بالنسبة للفقراء الحجازيين ، بل تقطع عن أصحابها بمجرد وفاتهم .

رابعا : أنه كان يعطى جزءً من هذه الأوقاف والأرزاق لبعض القبائل في الحجاز ، لاتقاء شرهم وغدرهم الذي كانوا يقومون به مع الحجاج ، وهذا حسب ما جاء في نصوص الفرمانات والإرادة السنية المنوّه عنها(١) .

وقد أوضح أمير الحج ، بأنه طلب في السنتين الماضيتين من حكومة الحجاز أن يشترك مندوباً ، معها في توزيع هذه المرتبات على مستحقيها تنفيذاً لتعليمات حكومتهما سابقاً ، فوافقت حكومة الحجاز على طلبه ، إلاّ أنه منعاً للنزاع أضطر أمير الحج إلى تسليم تلك الأموال التي أحضرها مع المحمل إلى الشريف حسين ليتولى بنفسه توزيعها على من يراه من المستحقين من الحجازيين (٢) .

وبعد أن أجابت الحكومة المصرية بواسطة أمير الحج على كل الأستفسارات التي طالبت بها حكومة الحجاز ، أعلن قائم مقام جدة ترحيبه بأمير الحج وبمن معه في معيته من ركب المحمل ، والبعثة الطبية التي كانت موضع الخلاف بين الطرفين ، وأكد له أن الحكومة الحجازية على استعداد للتفاوض مع الحكومة المصرية حول المشاكل التي كانت محل خلاف بين الحكومتين .

ويظهر أن الشريف حسين ظن أن إثارة مشكلة بعثة الحج المصرية ماهو إلاّ من تدبير الحكومة البريطانية من أجل الإيقاع بين الحكومتين الحجازية والمصرية في

---

(١) عبدالعزيز صبري ، تذكار الحجاز ، ص ١١٧ ،

(٢) العراق : العدد ٩٦٨ ، ٢١ يوليه ١٩٢٣م ، ص٢

هذا الموسم الإسلامي مهم ، وهو الحج لزرع الشقاق والفتنة بين الدولتين العربيتين المسلمتين ، وذلك لأن الشريف رفض التوقيع على المعاهدة مع بريطانيا ، والتي تنص على الإعتراف بالانتداب الأجنبي على البلاد العربية بناءً على اتفاقية سايكس بيكو (Sykes-Picot) ، إلاّ أن الشريف كشف الخطة التي قامت بها بريطانيا ، فرأى أن يحدد موقفه مع الحكومة المصرية حول موضوع البعثة الطبية ، وذلك عن طريق التفاهم الودي بعيداً عن تدخل سلطات الإحتلال البريطاني ، فأمر قائم مقام جدة المفاوض الحجازي بأن يرحب بأمير الحج ومن في معيتة ، ويقبل الهيئة الطبية مهما كان عدد أفرادها واعتبار أنها من متعلقات المحمل المصري ، سواء كان فيها طبيب واحد أو مائة أو أكثر من ذلك ، وسواء كان معها ألف من الأجهزة والأدوية الطبية أو أكثر ، وسواء كان معها خيمة واحدة أو ألف خيمة ، كما أنه أعطى للهيئة المذكورة الحق في أن تعالج الحجاج المصريين وغيرهم من حجاج البلدان العربية والإسلامية و أخوانهم الحجازيين (١) .

وقد تركزت نقطة الخلاف في موضوع الهيئة الطبية المرافقة للمحمل فقط ، فأشار المفاوض الحجازي للوفد المصري بإن الهيئة الطبية غيرالمعتادة لا تقبلها السلطات الحجازية ، وتقبل الأطباء إذا كانوا مرتبطين بالمحمل يصلون يوم وصوله ويرافقونه أينما يحل أو يرحل سواء في جدة .أو في المشاعر المقدسة ، ولا يوافق أن يباشروا أعمالهم قبله ، ولا يكون لهم محل خاص في جدة ، لإنه كان يخشى من ذلك في رأيه أنه في حالة السماح لهم بالحضور مع أول حاج ربما يفدون في العام القادم من أوله قبل أن يصل الحجاج ، ويبقون في مكة إلى أن يسافر آخر حاج ، بل ما دام في الحجاز حاج مصري . كما أنه خاف في إقامة مستوصف في جدة ربما يفتح المجال أمام بعثات أخرى تفرض عليه ، ويفرض عليه في الأعوام القادمة ومعها أطباء أجانب ومرافقون ورؤساء .

وعلى أية حال ، وبالرغم من الموقف المتشدد حول موضوع الهيئة الطبية ، والذي أظهره الشريف حسين تجاه تحدى المفاوض المصري ، عن طريق مندوبه قائم

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٤ ،بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ/ ١٦ يولية ١٩٢٣م ص ٢ .

مقام جدة ، وقد استمرت المفاوضات بين رئيس الوفد المصري اللواء محمد صادق يحيى وقائم مقام جدة بخصوص البعثتين الطبيتين التي اختلف الطرفان في تحديد مسئولياتها وأماكن تواجدها من أجل إقناع أمير الحج للعدول عن موقفه المتشدد حول البعثة الطبية ، فإنه في الوقت نفسه ، أصرَّ المفاوض الحجازي على موقفه ، بعدم الاعتراف بالبعثتين الطبيتين اللتين لم يبت فيهما ، لأن الشريف محتج على ما قامت به الحكومة المصرية من إرسال البعثتين الطبيتين في مكة وجدة دون أخذ رأيه مسبقاً ، وكان الشريف يرى أنه يجب قبل الإقدام على إرسال الهيئة الطبية ، لابد من مخاطبة الحكومة الحجازية لأخذ رأيها ، وأعتبر الشريف هذا حقاً صريحاً له لأنه في رأيه من الحقوق الدولية ، حيث يجب الاتفاق مسبقاً مع حكومته التي هي صاحبة الحق في ذلك وحدها دون سواها (١) .

ولقد أوضح قائم مقام جدة في مذكرته المبلغة للحجاج أثناء المفاوضات ، أن الحكومة المصرية أرسلت هاتين البعثتين اللتين يتم التفاوض بشأنهما قبل الاتفاق مع الحكومة الحجازية أو أخذ رأيها حول هذا الموضوع ، ولذلك فإن حكومة الشريف لا تعترف بالبعثة الطبية ، لأن مجيئها إلى الحجاز كان بدون معرفة السلطات الحجازية ، مما يعتبر له تجاوزٌ على حقوقها ، كما أن الحكومة الحجازية لم تكن مجبرة على قبول هاتين البعثتين الطبيتين ، مهما كان عدد أفرادها وعدد أسرهم ، كما أن الحكومة الحجازية تعمل على ما فيه تحقيق الغاية المطلوبة لخدمات الحجاج ، وأن موقف الحكومة الحجازية موقف ثابت لا يتغير.

وأوضح كذلك قائم مقام جدة للمفاوض المصري بأن إقدام حكومته على هذا العمل يعتبر إهانة للحكومة الحجازية ومساس باستقلالها ، وهذا لايمكن قبوله بصورة قطعية . كما أشار كذلك المندوب الحجازي ، بقوله : (يمكنني أمام أية محكمة دولية أن أثبت الحق لحكومتي في هذه القضية) ،(٢) فأجابه أمير الحج المصري ، بقوله : (ولو وقع مرض وبائي في موسم الحج فهل يكون لي الحق أن أرسل إلى المطوفين طلب بأن

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١١٧ .

(٢) العراق : العدد ٩٦٨ ، ٢١ يوليه ١٩٢٣م ، ص٢ .

يحظر الحجاج لاجراء التنبيهات اللازمة عليهم) ، ولكن المفاوض الحجازي رد عليه ، قائلا : (ليس له الحق في مخاطبة المطوفين ، وإنما يجب عليه مخاطبة الحكومة الحجازية في مثل هذا العمل ، وهي بدورها تقوم بمخاطبة المطوفين ، إلا أن أمير الحج أصرَّ على موقفه من وجوب اعتراف السلطات الحجازية بالبعثة الطبية ، وإقامة واحدة في مكة المكرمة والأخرى بجدة ، والسماح له بالتدخل في شؤون المطوفين ودعوتهم من تلقاء نفسه ، مما يعد من قبيل التدخل في الشؤون الداخلية التي هي من اختصاص الحكومة المحلية . إلاَّ أن المفاوض الحجازي رد عليه مرة أخرى بأن هذه الأمور التي يتحدث عنها المندوب المصري قد سبق الإجابة عليها ، ولن تسمح له بالتدخل .

وتابع أمير الحج المصري إصراره بوجوب السماح له بإنزال البعثة الطبية وبناء المخيمات ، ووضع السرر بها والأدوية في كل من جدة ومكة ويأذن له بمعالجة الحجاج وبمن يراجعها من الحجازيين طلباً للعلاج ، فأجابه قائم مقام جدة ، بقوله : (لا يمكن وضع ما تريده في أي مكان ، إلاَّ بعد أخذ موافقة حكومته لأن ذلك مخالف لقوانين الدولة) ، ثم سأل عن إقامة مثل ذلك في مكة ، فرد عليه المندوب الحجازي ، بقوله : (بعد أخذ موافقة الحكومة الحجازية فإنه يمكنكم أن تضعوا ما شئتم من خيام وسرر المرضى وسواها في مركز الحج بمكة . أما غير ذلك فإن السلطات الحجازية لن توافق عليه) (١).

ثم عاد أمير الحج مرة أخرى ، وطلب أن يضع خياماً في جدة بصفة أنها مؤسسة طبية بموجب التعليمات التي أعطيت إليه ، وطلب قبول ذلك من المفاوض الحجازي بدون تردد ، والتوقيع بالموافقة إلاَّ فإنه سوف يعود بالمحمل والبعثة الطبية إلى مصر دون تردد .

وعندما رأى المفاوض الحجازي تعنت أمير الحج المصري ، واصر على موقفه حول قبول البعثة الطبية في جدة ومكة المكرمة ، وهدد بالعودة إلى مصر ، فتركه وشأنه بعد أن تبين له من أن عودة المحمل بركبه إلى مصر لايؤثر قطعاً على موقف الحكومة الحجازية بأي حال من الأحوال تجاه مصر .

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٥ ، بتاريخ ٥ ذي القعدة ١٣٤١هـ / ١٩ يولية ١٩٢٣م ، ص ١ .

وبعد ما أنتهت المفاوضات بين الجانبين في ميناء جدة دون أن يتم أي اتفاق بين الطرفين حول البعثة الطبية ، عاد المفاوض الحجازي إلى جدة ، وبعث بمذكرة إلى أمير الحج المصري الموجود على ظهر الباخرة قبل أن يغادر ميناء جدة إلى مصر ذكر له فيها بأنه يؤيد بياناته الشفهية له في المركب ، وأنه يعتبر البعثة الطبية جزء لا يتجزأ من معية المحمل يحل ويرحل معه في أي مكان ، وأن قدومه من مكة إلى جدة ما كان إلاّ لإظهار مالهيئتكم الكريمة من الاحترام ، وكل ما هو مشهود من إحساس الولاء والإخلاص وروابط الود والصداقة القديمة بين العائلتين المالكتين بالقطرين الصديقين ، خاصة والتي تجمع بينهما الرابطة الإسلامية عموماً ، وأن هذا الحادث يجب أن لا يؤثر على تلك الروابط القديمة بأي وجه من الوجوه ، وأن لن يغير من موقف الحجازيين تجاه أخوانهم المصريين .(١)

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة ١٣٤١هـ / الحادي عشر من يولية ١٩٢٣م ، قرر أمير الحج العودة إلى مصر ، فأبحرت الباخرة التي تقله ومعه المحمل ومرافقيه من جدة إلى السويس ، وغادر المفاوض الحجازي جدة إلى مكة المكرمة ، لعرض نتائج محادثاته على الشريف حسين ، فوصل في نفس اليوم ، و أخبر الشريف بمغادرة أمير الحج إلى مصر ، ثم قدم له تقريراً مفصلاً عن محادثاته معه .

وبهذا الموقف الذي قام به أمير الحج المصري ، أحس الشريف حسين بالمسؤولية ، وأدرك أنه قد ارتكب خطأً كبيراً في عدم السماح للبعثة الطبية بالنزول إلى جدة ومرافقة المحمل والحجاج المصريين للأشراف على راحتهم وصحتهم بحجج واهية . وكان الأجدر به أن يراعي صحة الحجاج وراحتهم ، فليس المهم أخذ الأذن المسبق للبعثة الطبية فهذه أمور شكلية إذا ما قورنت بأمور أهم منها ، وهي صحة الحجاج في الوقت الذي نشاهد فيه الشريف يهمل جميع المرافق ، ومن أهمها المرفق الصحي ، فبالرغم من عدم السماح للبعثة الطبية المصرية فانه لم يؤمْن الأطباء والدواء للحجاج ، وهذا أمر غير مستغرب من الحكومة الحجازية ، التي كان يهمها الهيمنه والتسلط ، دون النظر في مصالح الرعية وحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله محمد

---

(١) أحمد عبدالغفور عطار : الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتي اليوم ، ص ١٥٨ .

الأمين صلى الله عليه وسلم .

وليبرر الشريف حسين موقفه ، فإنه أخذ يتخبط في إيجاد مخرج من المأزق الذي وقع فيه ، فقام بنشر بيان عام في جريدة القبلة عقب الحادث مباشرة أراد به أن يطلع الحجاج على حقيقة أسباب عودة المحمل المصري وموقفه الثابت منه ، وجاء في المنشور ما نصه : (رأينا أن في الأمر سراً غامضا لا نفهمه ، ورأينا أن ننتظر حتى نجتمع ببعض الحجاج الذين فضلوا النزول من باخرة المحمل وركبه ، لاداء فريضة الحج بالرغم من ضغوط أمير الحج عليهم ، وكانوا شهود عيان على المفاوضات التي تمت بين المندوبين ، وتمت أيضا مقابلة أحمد مصطفى بك المحامي المصري ، والشيخ عبدالرحمن عليش رئيس محكمة الاسكندرية الشرعية ، وعبدالعزيز رضوان بك من أعيان الزقازيق وغيرهم من فضلاء الحجاج المصريين الذين واصلوا سيرهم إلى مكة لاداء فريضة الحج ، وتم أخذ رأيهم في المفاوضات التي تمت بين امير الحج ومندوب الشريف حسين فأكدوا صحة هذه الوقائع ، واوضحوا بان السلطات الحجازية قامت بدور إيجابي مع الوفد المصري ، الذي أعلن تحديه للمفاوض الحجازي)[١] .

وتابع الحسين حديثه ، بقوله : (إننا لا نريد الشقاق والأفتراق بين شخصين من عامة المسلمين ، وضرورة الدفاع ببيان الحقيقة التي تهدف إليها ، وسنقتصر على المواضيع الآتية . وأن سعادة أمير ركب المحمل المصري يقولها كما مر بنا في البيان أعلاه لابد أنكم توافقونني على أنه عند حدوث ما تقتضي مصلحة الحكومة المصرية أجلب المطوفين وأعطيهم التعليمات اللازمة ، فهل يبقى بعد هذا للحكومة المحلية قدراً أو قيمة أو صفة أو شكل شرعي لها ؟ وهل هناك هضم للحقوق أكبر من هذا التصرف)[٢] ؟.

ثم أستطرد حديثه ، بقوله : (نحن لا نتردد في كل من تأمل تصريحات قائم مقام جدة ، ونائب رئيس دولتنا العربية الهاشمية) ، وقال لأمير الحج ما نصه : (إنني أرحب بكم وبمن في معيتكم من هيئة المحمل الطيبين وغيرها ، وإنني أقبل الهيئة الطبية التي هي من متعلقات المحمل ، كما أشرت سابقا في مذكرتي)[٣] .

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٤ ، ٥ بتاريخ ٢٢ ذي القعدة ١٣٤١هـ/ ١٦ يولية ١٩٢٣م ص ٢ .

(٢) عبدالعرير صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٠٠ .

(٣) القبلة : العدد ، ٧٠٥ ، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٣٤١هـ/ ١٩ يولية ١٩٢٣م ، ص ٣ .

ومما زاد الأمر سوءاً لدى الحجاج المصريين الذين توجهوا إلى مكة لأداء فريضة الحج تلك التصرفات التي قام بها أمير الحج المصري ، والتي أعتبرها بعض الحجاج المصريين ، بداية لمشاكل ربما تؤدي إلى زيادة تدهور العلاقات بين البلدين ، خاصة وأنها جرت على الباخرة المصرية في ميناء جدة على مرأى ومسمع من الحجاج المرافقين للمحمل وأمير الحج المصري . وأعتبروا أن هذه الأمور لا تليق أن تصدر من الضباط المصريين وهم في الحقيقة رؤساء ركب المحمل . وكان ختامها بقاؤهم بما فيهم أمير الحج بملابسهم العسكرية بعد إحرام بقية الحجاج الذين جاءوا عن طريق البر من ينبع ورابغ ، الأمر الذي أوقع الدهشة في نفوس بعض الحجاج المصريين الذين كانوا مع ركب المحمل ، وآثار في نفوسهم الغضب من هذا التصرف الذي قام به أمير الحج ، فبادروا من جانبهم حال وصولهم إلى مكة لأداء مناسك العمرة والحج بالتوجه إلى مكتب التلغراف بمكة ، فأبرقوا قبل وصول ركب المحمل ومرافقيه إلى مصر لإيضاح الحقيقة للمسؤلين هناك عن موقف السلطات الحجازية المعتدل من موقف بلادهم .

ومن خلال دراستنا لهذه الحادثة ، يتضح لنا أن أمير الحج المصري أخطأ في تعنده واصراره على تنفيذ شروطه على الحكومة الحجازية بشأن البعثة الطبية التي تريد توزيعها بين مكة المكرمة و جدة ، وتسرعه في إعادة المحمل بحجاجه . أما خطأ حكومة الحجاز فيعود إلى اهمالها للصحة العامة وما وقع من سوء تفاهم ، فلو أن الحكومة الحجازية رعت الحجاج ووفرت الأدوية والأطباء لرعاية جميع حجاج بيت الله بمختلف أجناسهم ، لما حدث مثل هذه المشكلة ، كما أنه كان بامكان عضوي المفاوضات من الطرفين حل مثل هذه المشكلة بالطرق الودية وعدم تصلب كل منهما لموقفه .

وعلى أية حال ، فالحكومة المصرية كان لها الحق في المحافظة على صحة رعاياها ، ولم تستطع إقناع السلطات الحجازية بموقفها ، وكان بإمكان مندوبها تحاشي الخلافات وحل الأمور بالطرق الودية والعودة إلى برنامجها القديم بالطرق الدبلوماسية مادام أنه قد وصل مع الحجاج محرمين إلى الحجاز لإداء فريضة الحج .

جـ - تأزم الموقف بين البلدين

لقد تأزمت العلاقات بين حكومتي الحجاز ومصر ، بعد ما غادر أمير الحج المصري بالمحمل ومرافقية إلى مصر دون أن يؤدوا فريضة الحج ، فبادرت جريدة الأهرام بنشر بعض التصريحات التي نقلتها عن أمير المحمل ، مفادها أن ولاة الأمر في الحجاز ، زادوا من معاملتهم القاسية والسيئة على الأطباءالمرافقين للحجاج أثناء وجودهم في جدة مع المحمل المصري حتى بلغ بهم الأمر على حد زعمه أن السلطات الحجازية نشرت في صحيفة القبلة بعض الاتهامات والأكاذيب ضد البعثة المصريه مفادها أن هدف الحكومة المصرية من بعثتها المرافقة للمحمل هو من أجل تسميم المياه في المشاعر المقدسة ، والحرمين الشريفين ، مما يبرهن على خطورة الموقف[1]، وهذا الأمر أغضب الحكومة المصرية وجعلها تنشر بياناً عاماً توضح فيه موقفها من التحرشات التي يقوم بها أمير مكة الشريف حسين .

وقد جاء في هذا البيان الصادر من رئاسة مجلس الوزراء أن إرسال المحمل والأطباء لم يكن أمراً مستحدثاً ، بل إن الحكومة المصرية أعتادت منذ قدم الزمان رغبة منها في المحافظة على صحة الحجاج وسلامتهم ، أن توفد مع ركب المحمل حرساً وعسكراً ، وأن تلحق به بعثة طبية مؤلفة من عدد من الأطباء والصيادلة والممرضين مع ما يحتاجون إليه من تجهيزات بهدف العناية بصحة الحجاج ورجال الحرس ومعالجة من يمرض منهم . ولم يلق ذلك في أي وقت من الأوقات معارضة من ولي الأمر في الحجاز . وأنه نظراً لسوء الحالة الصحية العامة في هذه السنة ، فإن الحكومة المصرية اضطرت إلى زيادة عدد أفراد البعثة الطبية لكي توفر لهم القدرة على القيام بالعبء الملقى على عاتقهم . لكن حكومة الحجاز أبت أن تسمح لأفراد تلك البعثة من أطباء وصيادلة وممرضين بالنزول إلى الأراضى المقدسة . كما أنها لم تسمح بمرافقة ركب المحمل إلى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ، مع أن أولئك الأفراد كان سفرهم إلى الحجازبقصد تأدية فريضة الحج ، وعهدت إليهم بهذه المناسبة العناية بصحة الحجاج ومن يرافقهم من الحرس . واستطرق البيان الى طلب رأي شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية في

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٤ ، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ١٦ يولية ١٩٢٣م ، ص ١ .

هذه التصرفات التي أدت إلى منع البعثة المصرية ومرافقيهم من القيام باداء ركن من أركان الاسلام .

ويظهر ان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية قد أستجاب لطلب الحكومة المصرية ، وأصدر بياناً شرعياً يوضح فيه حكم الشريعة الاسلامية في ذلك ، وقد جاء في البيان ما يلي :-

(أن هذا العمل يأباه الله ورسوله وجماعة المسلمين إذ ليس لاحد كائنا من كان أن يمنع مسلماً مستطيعاً الحج من قيامه بأداء هذا الفرض ، سواء كان الممنوع طبيباً أو صيدلياً أو غير ذلك ، وأنه متى خيم الخطرمع الحاج ، ولم تكن السلامة عالية ، وكان الخوف غالبا لم يكن واجباً على هذا الركب أداء الحج في هذه الظروف لأن الأمن شرط للوجوب ، ونظراً لإصرار الشريف حسين على هذا الموقف واستمراره على وضع العراقيل ، والعقبات في وجة ركب الحج المصري ، مما ترتب عليه تعريض صحة الحجاج والجنود المصريين للخطر ، فإن الأمر كذلك لم يسع الحكومة المصرية مع الأسف الشديد أن أصدرت أوامرها برجوع المحمل ومن معه إلى الديار المصرية ، وهي تشهد العالم الإسلامي كله على الموقف الذي وقفه الشريف حسين في الحجار وتلقى عليه تبعه اضطرار جماعة من المسلمين إلى العدول عن أداء ذلك الفرض المقدس)(١) .

ولم يقف الشريف حسين موقف المتفرج من بيان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية ، بل أراد أن يرد على ذلك ببيان يصدر عن الحجاج المصريين الذين حضروا للحج في ذلك العام ، فأوعز إلى مجموعة منهم بأن يرفعوا برقية للحكومة المصرية تندد بموقف أمير الحج ، وقد جاء فيها ما يلي : (لقد ساءنا عودة ركب المحمل من جدة إلى مصر بحراً بسبب سوء التفاهم الذي حدث بين أمير الحج المصري ، والسلطات الحجازية حول موضوع إقامة مستشفى مصري مستقل في مكة المكرمة ، ورفضت حكومة الحجاز ذلك ، إلاً أن يكون هذا المستشفي جزءً من معية المحمل ، لأن ذلك العمل يعتبر مخالفة للأنظمة القديمة ، فنحتج على تصرف مندوب حكومتنا لما فيه من استفزاز للخواطر في مصر والفتنة بين الحكومتين لأمور لم يسبق لها مثيل ونخشى من دسيسة مدبرة ضد البلدين ، ونقرر أمام العالم العربي والإسلامي ، إننا متمتعون

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٤٣ .

بكافة وسائل الراحة والصحة ، بفضل الله ثم بفضل اهتمام الحكومة الحجازية) (١) ، أما موضوع الخلاف فإننا نحمل أمير الحج المسئولية الكاملة ، لانه خالف الأنظمة المتبعة سابقا بين البلدين .

وفي الوقت نفسه ، رفعت الحكومة الحجازية للسلطات المصرية بلاغاً رسمياً ردت فيه على استهجان الصحف المصرية لموضوع توتر العلاقة بين البلدين ، وألقت اللوم على الحكومة المصرية ، والتي كان من المفروض عليها أن تتحرى الدقة فيما تنشره صحفها ، وقد جاء رد السلطات الحجازية بالبيان التالى : (إن الحجاز لا يزال حفيظاً حريصاً على دوام العلاقات الودية الحسنة مع مصر التي تعد في مقدمة الأقطار الإسلامية الناهضة ، ويسؤوها أن تسمع في هذه الأيام بوقوع خلاف بينهما في الحج ، لأمور تافهة تكون سبباً لأقل مما قد وقع فعلاً من استعادة كسوة الكعبة المشرفة واسترجاع المحمل وحجاجه وهم محرمون من أبواب الحرم ، ويسؤ الحجاز كذلك بقدر ما يسره أن يقف كل كبير وصغير في مصر على حقيقة ما جرى من أسباب ونتائج ومخابرات ووثائق حول ذلك الخلاف ، الذي نفر منه و أستاء له بلاشك كل محب ومخلص للبلدين الكريمين معاً ، ليرى الحقيقة واضحة كل من يهمه الأمر دينياً وأجتماعياً) (٢) .

وبعد هذا البلاغ ، بدأت السلطات المصرية تنشر مايبرر موقفها من هذه الأحداث ، فأحس الشريف حسين بالموقف الذي أخذ يزداد توتراً . فقام بتوزيع بعض المنشورات بين الحجاج في مكة المكرمة ، يحمل فيها اللوم على الحكومة المصرية وأمير المحمل المصري ، وبدلاً من تهدئة الموقف بين البلدين فإن تلك المنشورات زادت من تأزم العلاقات بين البلدين ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الشريف حسين أخذ في توسيع دائرة الخلاف وإبلاغه للقاصي والداني ، وذلك عن طريق نشر بيانات متتالية تناقلته بعض الصحف العربية في كل من سوريا والعراق والأردن ، يندد فيها بموقف أمير الحج المصري وتشجب فيها ادعاءات الحكومة المصرية ، ومما جاء في تلك البيانات استنكار حكومة الحجاز الشديد لعودة أمير الحج والمحمل إلى مصر ومعه بعض الحجاج الذين أنخدعوا بدعاية أمير الحج وعادوا برفقته ، وأشارالبيان إلى البعثة الطبية التي

---

(١) الاستقلال : العدد ١٨٥ ، ٢٢ تموز (يولية ١٩٢٣) ص ٢ .

(٢) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١١٩ .

أرسلت في هذا العام ، ولم ترسل في الأعوام السابقة بهذه الصورة الكبيرة ، وتساءلت حكومة الحجاز في بيانها بالأسئلة التالية : هل تريد البعثة المصرية توزيع الأدوية مجاناً . وإسعاف الحجاج المصريين بما يلزم لهم من وسائل العلاج ؟ وهل رأت الحكومة المصرية أن الحكومة الحجازية عاجزة عن أداء هذه المهمة ، التي قامت بها على خير قيام في الأعوام السابقة ؟ ، وأشار البيان إلى أن الحكومة الحجازية أرسلت إلى الحكومة المصرية مذكرة أوضحت فيها تحديد موقفها وأن أمير الحج المصري يتحمل مسئولية تفاقم الأزمة ، ورأت السلطات الحجازية أن من واجب الحكومة المصرية المسارعة في إنهاء هذه الأزمة ، التي أخذت تزداد بين البلدين ، وأن تعاقب المتسبب في نشر الإشاعات والبلاغات الكاذبة ، وتأمر بإعادة المحمل إلى جدة عاجلاً ثم إلى مكة المكرمة جرياً على عادتها السنوية تجنباً للوقوع في مشاكل لا يعلم مداها إلا الله ، وأشار البيان كذلك إلى ان البعثة الطبية المصرية التي جاءت لرعاية صحة الحجاج تابعة لهيئة المحمل الذي يمثله أمير الحج .

وعلقت الحكومة الحجازية بإصرارها على رفض قبول البعثة الطبية بالصفة التي تريدها السلطات المصرية في الحجاز بأن ذلك لابد أن يسبقه مفاوضات يوافق عليها الطرفان ، لأن الشريف حسين متخوف من أساليب السياسة الاستعمارية التي تورط فيها ، ويخشى أن تستغل الدول الأستعمارية ضعفه وتملي عليه شروطها الاستعمارية مرة أخرى ، خاصة وأنه أصبح الآن مهدداً بالسقوط لأن حليفته بريطانيا الوحيدة بدأت تتخلى عنه ، وأشار أنه لم يمنع البعثة الطبية بصفتها (مصرية) ، بل لأنها مرسلة من حكومة خاضعة للاحتلال البريطاني تأتمر بأوامرالتاج البريطاني ، وكان الشريف يخشى أنه في حالة قبوله لهذه البعثة الطبية المصرية بصفة رسمية ربما يحذو حذوها دول أخرى ، فتقوم بإرسال بعثات طبية مرافقة لحجاجها مثل الحجاج الجاوة والهنود بتوجيه من الحكومتين الهولندية والبريطانية المستعمرتان لتلك البلدين . وهذا ما يخاف من عواقبه الشريف حسين ، إذا قبل هذه البعثة الطبية بصفة رسمية .

وجاء في بيان الحكومة الحجازية أيضاً ، أن البعثة الطبية المصرية سافرت هذا العام قبل سفر المحمل من مصر، فاذا سمح لها أن تعمل ما تريد في هذا العام فربما تحضر في العام المقبل في رجب (مثلاً) مزودة بأوامر جديدة من الحكومة

المصرية ، ثم لا يأتي العام الثالث حتى تكون هذه البعثة بعثة رسمية دائمة ، ثم أشار البيان كذلك إلى القول وما يدرينا من أن بعض المفتشين الأجانب ربما يرافقون البعثة الطبية في المواسم القادمة ، مادامت الإدارة في مصر تحت سلطة البريطانيين ، ويكون هذا هو أول باب لاحتلال الحجاز (١) ، وربما يكون ذلك مبرراً لفرض سلطته فقط ، وحتى ولو كان الأمر له تأثيرات خطيرة على صحة الحجاج .

وبعد ما تضاءلت الأزمة بين الطرفين ، بدأت الخلافات تظهر من جديد فجأة وبدون مقدمات - بعد ما هدأت - ويرجع ذلك إلى معاودة المسئولين في البلدين بنشر بعض الدعايات الكاذبة من جديد ، وبدون سبب مبرر بعد ما لاحظوا بوادر تفهم بعض المسئولين المصريين بالقضية ، مما أدى إلى توتر العلاقات من جديد ، ولكن الدعايات التي أخذت تنشر قوبلت ببعض الردود من المصريين الذين تفاعلوا مع الأزمة في القاهرة من جديد وكشفوا أسباب المشكلة مع المصريين الذين أدوا فريضة الحج بكل يسر وسهولة ، ورفعوا برقية عاجلة إلى حكومتهم يكذبون كل الإشاعات ، وقالوا: (نحن نشرنا الحقائق لأبناء شعبنا المتنورين وعرفوا كل الحقائق ، ولا يمكن ان ينخدع أحد منا نحن المصريين بتلك الأباطيل التي يتفوه بها المغرضون ، وأن الشعب المصري لا يقبل دسائس المستأجرين الذين يروجون الأكاذيب ، بعد ما شعروا بان الخلاف بين البلدين تضاءل ، فاستغلوا إدارة جريدة الأهرام للمرة الثانية فأخذوا يبثون سمومهم من جديد ضد السلطات الحجازية (٢) ، وأتهموا الجريدة بأن لها مواقفاً مشهودة ، قامت بها في رفع راية الدسائس بين الحكومتين الصديقتين . ومن بواعث الأسف الشديد ، نشرت الأهرام في عدد يوم الإثنين الرابع عشر من ذي الحجة عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م مقالاً استفزازياً ضد السلطات الحجازية حول البعثة الطبية الآنفة الذكر ، تقول فيه : (إن المسئولين

(١) القبلة : العدد ٧٠٥ ، بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٣٤١هـ/١٩ يولية ١٩٢٣م .

(٢) إن الصحفيين مسيطرون على جريدة الأهرام ويذيعون الإشاعات أصلاً من العثمانيين ، ويطلق عليهم (التركمصرية) ، انظر . عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٢٥ .

الحجازيين لم يوافقوا على إنشاء مركز طبي في مكة المكرمة)[١] .

فـرد المصـريون بكشـف الحقـيـقـة ، بأن مـحـرر الأهرام لبناني مـسـيـحي الدين مـسـتـأجـر ، صانـع لكل البـلاغـات والإتهامـات التي وجـهت للشريف حسين بخصوص البعثة الطبية في بلاد الحجاز ، ويده هذه التي تتناول الخنجر للغدر تحت ستار الظلام طمعاً في مال أو إشباعاً لرغباته الدنيئة ، ونطالب السلطات المصرية بإيقاف هذه العبارات التي تنشر بين حين وآخر ضد حكومة الحجاز ، وأن ذلك يعتبر تدخلاً بشؤون الحجاز الداخلية ، ثم تلجأ هذه الصحيفة إلى معاودة نشرها مرة أخرى أمام المصريين المتنورين الذين كشفوا زيفها ، ورد عليها المصريون الذين حضروا الحج ، ورفعوا برقيات عاجلة إلى وزارة الخارجية المصرية ، يستنكرون كل التصرفات التي قامت بها السلطات المصرية ، التي أثارت المشكلة من جديد بين الجانبين بعد ما تفهم الطرفان بموضوع الخلاف وأوشك أن ينتهي بسلام [٢] .

وعلى أية حال ، فقد أدرك أغلب المصريين الذين حجوا بأن ظهور الأزمة من جديد لم يكن من صنع الحكومة المصرية ، بل من صنع بعض المغرضين في صحيفة الأهرام فرفعوا برقية عاجلة إلى حكومتهم وهم في الأراضي المقدسة ، ليوضحوا فيها سبب الخلافات التي بدأت بوادرها تظهر من جديد بين البلدين بالرغم من الموقف الذي أعلنته الحكومتان بإنهاء الأزمة ، فأوضحوا بإن الحق الذي يعلمه جميع الحجاج المصريين الذين كانوا يرافقون أمير الحج ، وأن الحادثة قامت بين مندوبي الحكومتين حول نقطة واحدة وهو مركز البعثة الطبية ، فالحكومة الحجازية بذلت جهوداً كبيرة لتلافي الخلاف مع الوفد المصري حول المحمل و هيئتة الطبية ، فكانت تريد أن تكون البعثة تابعة للمحمل ، بينما أصر أمير الحج بأن يكون للبعثة الطبية مركزٌ خاصٌ ودائمٌ ما دام أمير الحج يمثل الحكومة المصرية في الأراضي الحجازية وغير مستقرة ، فالواجب أن تكون البعثة تابعة لركب المحمل ومرافقيه [٣] .

فاستغل الشريف حسين وجود الحجاج المصريين وإستنكار الوفود العربية والإسلامية

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٨ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ٦ أغسطس ١٩٢٣م ، ص ٢ .

(٣) القبلة : العدد ٧٠٨ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ٦ أغسطس ١٩٢٣م ، ص ١ .

التي حضرت إلى مكة المكرمة وأدوا الفريضة ، فأوضح لهم قبل أن يغادروا إلى بلادهم ، بالموقف الذي قامت به وكالة وزارة الخارجية المصرية ، بشأن عودة المحمل وبصحبته الحجاج وبعثته الطبية ، والدور الذي قام به أمير الحج المصري من بث الدعاية ضده في صحيفة الأهرام المصرية بعد عودته ، مما أدى إلى زيادة تعقيد الموقف بين البلدين ، فحاول الشريف من جانبه إظهار موقفه للمسؤولين في الحكومة المصرية أنه لا يزال على موقفه الأخوي تجاه الأخوة المصريين . ولكن السلطات المصرية التي يعنيها الأمر رفضت قبول كل الأعذار التي قدمها لهم الشريف حسين ، وتنصلت من مسئوليتها عن الحجاج الذين أستأنفوا سيرهم إلى مكة المكرمة ، لإداء فريضة الحج دون العودة مع المحمل الذي أمرت السلطات المصرية بعودته قبل الحج (١) . وحمّلت الشريف حسين المسئولية الكاملة لهذه الحادثة التي أشعلت الخلافات بين الطرفين (٢).

ومن هنا ، أنتقدت وفود الحجاج من مختلف البلاد العربية والاسلامية سكوت السلطات المصرية عن الصحف التي أخذت تروج بعض البلاغات التي تسخر من الشريف حسين ، ووجهت نداءات عديدة إلى الحكومة المصرية تطالبها بإيقاف تلك النشرات ، التي لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام . وصرحت وفود الحجاج في مكة المكرمة بإن هذه الضجة يقف من ورائها الاستعمار ، وأستدلوا على ذلك بالبعثة الهندية الطبية التي أرسلتها الحكومة البريطانية في الموسم نفسه بدعوى مساعدة الحكومة الحجازية في إدارة الشئون الصحية بالحجاز ، وكان ضمن أفرادها بعض البريطانيين الذين نزلوا بدون إذن مسبق (٣) .

ولقد فندت وفود الحجاج في مكة ، الأكاذيب التي تنشر في صحف مصر بأن السلطات الحجازية أمرت بحجز أمتعتهم ، وإقامة العراقيل امامهم في سبيل قوافلهم ، واحتجت كذلك على حكومة بريطانيا والهند التي أرسلت البعثة الطبية ، وأعتبروا أن هذا العمل تدخل سافر في الشئون الدينية وما جاءت إلاً بقصد فتح الطريق أمام

---

(١) الاستقلال : العدد ١٨٣ ، ١٩ آب (أغسطس ١٩٢٣م) .

(٢) عندما أحست الحكومة الحجازية بالموقف المصري تجاه الحجاج الذين حجوا ، أصدرت بلاغاً طمأنت فيه على حياة الحجاج المصريين الذين لم يعودوا مع المحمل إلى القاهرة .

(٣) العراق : العدد ٩٩٦ ، ١٦ تموز (أغسطس ١٩٢٣ م) .

البعثات الطبية الأخرى في موسم كل حج (١) .

وفي الوقت نفسه ، رفعت وفود الحجاج برقية عاجلة لحكومة مصر يطالبونها بالتدخل لإيقاف المقالات الصحفية التي تنشرها الصحف المصرية بين حين وآخر بأخبار لا تمت إلى الحقيقة ، بسبب عودة البعثة الطبية المصرية بحجاجها إلى مصر ، والتي أدت إلى تفاقم الأزمة بين البلدين العربيين من جديد ، وطلبت الوفود من الحكومة المصرية التحري في سبب عودة البعثة الطبية والمحمل ، والعمل على فتح صفحة جديدة من العلاقات الأخوية بين البلدين ، وعلى الحكومة الإطلاع على أسباب عودة البعثة الطبية بعد ما فشل أمير الحج المصري في مفاوضاته مع المسئولين الحجازيين ، والذي حاول أن يملي شروطه عليهم ، دون النظر إلى الاعتبارات الدينية ، علاوة على عدم رجاحة عمله في إرجاع المحمل وكسوة الكعبة التي من مخصصات الأوقاف ، وليس من خزينة الحكومة المصرية (٢) .

وعلى أية حال ، فأن الحكومة الحجازية ، حاولت أن تتنصل عن الحقيقة التي أدت إلى عودة البعثة الطبية باعذارواهية ، حيث أشارت بأنها لم تعترض على البعثة الطبية مهما كان عددها .

وقبل مغادرة الوفود مكة المكرمة رفع الشريف حسين عدة خطابات إلى رؤساء الوفود يشكرهم فيها على رسائلهم ، وقدم لهم الشكر عما أبدوه من مواقف تجاه السلطات المصرية ، ثم دعى كبار الشخصيات في الحجاز وزعماء الوفود إلى عقد مؤتمر عام ، وأطلق عليه إسم مؤتمر الجزيرة بأم القرى ، وكان ذلك في الثامن عشر من ذي الحجة ١٣٤١هـ / الواحد من أغسطس ١٩٢٣م (٣) . وأستهل المؤتمر جلساته بحضور الوفود والعلماء الذين يمثلون الأقطار العربية و الأسلامية ، ومنهم : العراقيون والسوريون (بما فيهم الفلسطينيون) ، والحجازيون واليمنيون والحضرميون ، وحضر معهم بعض الحجاج المصريين الذين قرروا أداء فريضة الحج ، ورفضوا العودة مع أمير الحج المصري إلى بلادهم ، وبعض حجاج البلاد الإسلامية الأخرى .

---

(١) القبلة: العدد ٧٠٨ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ / ٦ أغسطس ١٩٢٣ م ، ص١ .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٨ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ / ٦ أغسطس ١٩٢٣م ، ص ٣ .

(٣) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٩٥ .

وأستعرضت الوفود في المؤتمر الأزمة ، والأسباب التي أدت إلى تفاقمها بين الحكومتين ، وقرروا في المؤتمر أن تتحمل الحكومة المصرية المسئولية تجاه حملات الصحف التي روجت بعض الأقاويل التي كان يبثها أمير الحج المصري ، ومنها : عملية البيانات الكاذبة بان الحكومة الحجازية تريد تسميم مياه الشرب (١) . ومطالبة الحكومة المصرية بالتدخل الفوري لإحتواء الخلافات التي قامت مؤخراً مع الشريف حسين بإيقاف النشرات الصحفية التي تبث من وقت لآخر بين المواطنين ، ثم أسند المؤتمر للجنة المركزية العمل على نشر مقررات المؤتمر ، ونتائج أعماله الحالية ، وبرامج أعماله المقبلة ، وبعد اختتام المؤتمر ، رفعت الوفود العربية والإسلامية ورؤساء العشائر التي حضرت المؤتمر برقية إلى الشريف حسين تهنئه على نجاح المؤتمر ، وأيدوا الموقف الذي قام به تجاه موقف الحكومة المصرية الذي لا يتفق مع الأنظمة والاتفاقيات السابقة حول أمر البعثه الطبية (٢) . مما أدى إلى تأزم الموقف بين البلدين الشقيقين .

ثم أصدرت بعد ذلك الهيئة العلمية بالشرق العربي في مكة المكرمة بياناً بعد المؤتمر الأنف الذكر ، نددت فيه بعودة أمير الحج المصري إلى مصر ووصفته بأنه مخالف لشرع الله ، وجاء في البيان : (أثرت الصحف المصرية من القيل والقال عن مسألة عودة أميرالحج والبعثة الطبية المرافقة له ، وأخذت بعض صحفها تروج الأكاذيب على الشريف حسين ، وتبعاً لذلك فان الحكومة الحجازية لم تألوا جهداً في إيضاح الحقيقة بالوثائق الرسمية) (٣) .

كما جاء في بيان آخر ، بأن وكالة وزارة الخارجية المصرية ، لم تقبل أي مبررات من الحكومة الحجازية لموقفها تجاه البعثة الطبية ، مع أن المسألة واضحة في حد ذاتها ، وأن الهيئة العلمية بالشرق العربي اجتمعت بمكة المكرمة عقب المؤتمر لمناقشة الأزمة

---

(١) القبلة : العدد ٧٠٨ ، بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ / ٦ أغسطس ١٩٢٣م . ص ٣ - ٤.

(٢) العراق : العدد ١٠٤٣ ، ١٩ تشرين الأول (اكتوبر ١٩٢٣م) .

(٣) القبلة : العدد ٧١١ ، ٢٦ ذي الحجة ١٣٤١ هـ / ٩ أغسطس ١٩٢٣م . ص ٣ .

وتوضيحها للمواطنين الحجازيين والمصريين ، وإيقاف العالم الإسلامي على حقيقة الخلاف (١) .

وعلاوة على ما نريده من إيقاف العالم العربي والإسلامي على حقيقة الخلاف بين البلدين ، من أجل المحافظة على حقوق البلدين الشقيقين .

وأنه مما يوجب الأسف والحزن الشديد أن تتسرع السلطات المصرية باستصدار فتوى من علمائها في غير محلها ، وقد قامت بذلك بسبب ضغوط خارجية على الحكومة المصرية ، وكان لهذه الفتوى التأثير المباشر على البلاد العربية والإسلامية ، مما أدى إلى تأخير المساعي الودية بين البلدين ، التي قامت بها بعض الشخصيات العربية والاسلامية لتقرب وجهات النظر بين الحكومتين الشقيقتين عقب موسم الحج مباشرة (٢) .

ونشرت صحيفة القبلة استعراضاً للمنشورات التي قامت بنشرها بعض الجرائد المصرية ، والتي ساعدت على زيادة الخلافات بين الحكومتين ، مع أنها تفتقد إلى الوثائق التي تبرهن عما تقوله للمواطنين المصريين ، وأشارت كذلك الهيئة العلمية بأنها لا ترضى أن تتناول تلك المطبوعات بنشر ما يضمر بمصالح البلدين العربيين المتجاورتين .

ثم عقب ذلك البيان ، نشر تعليقات بعض الحجاج ، ومنهم : الحجاج العراقيون الذين أيدوا الحكومة الحجازية على ماشاهدوه من معاملة الحجازيين الحسنة لهم ، كما أوضحوا كذلك بعض التسهيلات التي قامت السلطات الحجازية بتنفيذها لتأمين سبل الراحة للحجاج في جميع المشاعر المقدسة (٣) ، ثم رفع بعد ذلك بعض الحجاج المصريين الذين أدوا فريضة الحج ودعوا لحضور المؤتمر خطاباً للشريف حسين أعربوا فيه عن وسائل الراحة التي لاقوها ، وفي الوقت نفسه ، رفعوا برقية عاجلة إلى صحيفة (البلاغ) المصرية وصفوا لها مالاقوه وشاهدوه من تسهيلات في المشاعر المقدسة لكل الحجاج ،

---

(١) جريدة العراق : العدد ٩٩٦ ، ١٩ أيلول (أغسطس ١٩٢٣م) .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٨ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ٦ أغسطس ١٩٢٣م ، ص ٣ .

(٣) العراق : العدد ١٠٤٢ ، ١٨ تشرين الأول (اكتوبر ١٩٢٣م) .

ودحضوا الإشاعات التي نشرتها صحيفة الأهرام في موسم الحج ضد الشريف حسين ، وربما رفعت هذه البرقية إلى حكومتهم بإيعاز من الشريف ليبرر موقفه أمام المصريين الذين لم يحجوا خلال ذلك الموسم ، حيث استغل وجودهم في الحجاز ، وطلب منهم رفع برقية ثانية إلى صحيفة البلاغ في مصر ، لنشر بيانات عامة للأهالي تنتقد فيه صحيفة الأهرام على الأسلوب الذي انتهجته من نشر أكاذيب مضللة ضد الحكومة الحجازية . وأشارت في بيانها الرسمي إلى تشكيل لجنة من كبار الموظفين البارزين في الحكومة المصرية ، لبحث الموضوع مع الشريف الذي يفيد بان لديه الأدلة القاطعة على الموقف المتشدد الذي اظهره أمير الحج مع قائم مقام الحجاز في جدة .(١)

ولقد تناولت (البلاغ) المصرية بالتفصيل أكاذيب جريدة الأهرام فنشرتها في عدة مقالات تحت عنوان (نريد الوثائق الرسمية التي تستند عليها الحكومة في موقفها السلبي من الحكومة الحجازية) (٢) .

وبناءاً على ما طلبته جريدة البلاغ من إيضاحات ، فقد نشرت صحيفة الأهرام بياناً أشارت فيه أن الحكومة المصرية عازمة قدماً على إصدار بلاغ رسمي ، تضمنه رأيها فيما حدث بينها وبين حكومة الحجاز من خلافات .

وبعد هذا التصريح شكلت لجنة للنظر في الأسباب التي أدت إلى تأزم الخلاف بين البلدين ، فكانت اللجنة مشكلة من علي باشا جمال الدين و سيف الله يسري باشا ويحيى باشا أمير المحمل ، وأختير أحد أعضاء هذه اللجنة وهو علي باشا جمال الدين لصياغة البلاغ الرسمي الذي عزمت الحكومة المصرية على إصداره ، وسبب اختياره يرجع إلى بلاغته المعروفة عنه . ورأت السلطات المصرية أنها إذا أصدرت بلاغها تكون بذلك قد قامت بكل واجبها ، ووضعت أمام الرأي العام صورة صحيحة عن الخلاف الذي أدى إلى عودة أمير المحمل إلى مصر (٣) .

ولقد رفعت صحيفة (البلاغ) المصرية طلباً رسمياً إلى الحكومة المصرية ، تطلب منها الاعتدال والتحري بالدقة فيما تكتبه الصحف ، وألا تكون آلة في كنف الدسائس الأجنبية

---

(١) جريدة البلاغ : العدد ٢١٦ ، ١٤ أغسطس ١٩٢٣م .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٧ ، ١٩ ذي الحجة ١٣٤١هـ / ٢ أغسطس ١٩٢٣م ، ص ١.

(٣) جريدة البلاغ : العدد ٢١٦ ، ١٤ أغسطس ١٩٢٣م ؛ عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٠٦ .

تستخدمها لاغراض (مخبوءة) ، قام بتنفيذها أمير الحج خير قيام ضد الحكومة الحجازية وعليها أن تتبع خطوات أمير الحج في جدة بين الباخرة المخصصة للمحمل في الميناء، والقنصلية البريطانية من تبادل الزيارات بين أمير الحج والقنصل البريطاني ، وهذا مما يدل على أن هناك أمراً سراً لم ينكشف أمره ضد المسئولين في الحجاز .(١)

وأستشهدت جريدة البلاغ المصرية في عدد أول محرم عام ١٣٤٢هـ/ الثامن عشر من أغسطس ١٩٢٣م ببعض الحجاج الذين أدوا فريضة الحج وعادوا إلى مصر ، وبمقالات أحمد مصطفى (المحامي المصري) ، الذي أدى فريضة الحج وعاد إلى بلاده وقام بنشر مشاهداته في الحجاز ، لأنه كان هو أحد الحجاج الذين رافقوا المحمل من السويس إلى جدة وشهد على أحداث المفاوضات التي جرت بين المفاوض الحجازي (قائم مقام) جدة وأمير الحج المصري ، حيث قال : (ألف الناس وأعتادوا قدوم حجاج مصر بأرزاقهم وريع أوقاف الحرمين الموجود ة في مصر ، كما يستخرجون ثمرات مزارع أوقاف للحرمين لتسليمها لأهلها من سكان الحرمين الشريفين)(٢).

كما أشارت كذلك جريدة البلاغ بأنه ليس للحكومة المصرية الحق من التستر على ذوي الغايات ، أو الضغط على الحكومة الحجازية ، ونتركهم يعملون فيما يبغون من بسط سلطتهم أو التدخل في شؤون الأراضي المقدسة ، ويجب أن تلعب الحكومة المصرية دوراً سياسياً بارزاً لإنهاء مسألة عودة ركب المحمل إلى مصر ، ولا تترك فرصة للمخدوعين أولإصحاب الألاعيب والأهواء أن يبنون سياستهم على الأباطيل التي تؤدي إلى تعكير صفوة الخلافات بين الحكومتين المصرية والحجازية لأسباب تافهة ، والمفروض يتدارك أمرها حالما علق أمير البعثة الطبية التي أدت إلى الشقاق بين بلدين عربيين (٣) . و استدلت البلاغ بتورط أمير الحج المصري والحكومة البريطانية في الخلاف ، بقولها : (إنه منذ عامين أرادت بريطانيا أن ترسل بعثة طبية هندية لمسلمي الهنود وحجاج بيت الله الحرام ، فعارض الشريف حسين ، مما أدى إلى غضب بريطانيا ، وتركت الفرصة لتنتقم لنفسها في الوقت المناسب وبالفعل جاء دورها آلان ،

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٠٨ .

(٢) حسين محمد نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ، ص ٦٥ - ٩٦ .

(٣) القبلة : العدد ٧٠٧ ، ١٩ ذي الحجة ١٣٤١هـ/٢ أغسطس ١٩٢٣م .

وقامت تتسلط على حكومة الحجاز ببث الخلاف بين الحكومتين الشقيقتين لتوقع بينهم بعودة المحمل ، مع أن المحمل له طبيبه وأدويته ترسل معه كل عام حسب العادة ، ولكن الحكومة المصرية خالفت الاتفاق مع السلطات الحجازية ، وأرسلت البعثة الطبية قبل وصول ركب المحمل للمرة الثانية ، فانفصلت بوصولها عن ركب الحجاج وأصبحت هيئة طبية قائمة بذاتها ، وكأنها أرسلت عنوة لإكراه الشريف حسين على قبولها مادام الاتفاق لم يتم بين الطرفين بشأنها ، فعارض الشريف حسين ، لأنه خاف عاقبتها (١) .

أما صحيفة المقطم ، فكان لها موقف آخر من الخلاف الحجازي المصري ، حيث تعاملت مع الأحداث التي قامت بين الحكومتين بالاعتدال ، فعندما اشتدت الأزمة بين الطرفين وكثرة المغالطات ، وانصرفت أقلام الكتاب في مصر تشن الحملات على حكومة الحجاز أو القاء التبعية عليها بمناسبة عودة المحمل إلى مصر(٢) .

ولقد أندهشت المقطم من تصرفات الوزارة المصرية ، التي تردد بأن الحكومة في الحجاز تضع العراقيل أمام حجاجها في سبيل أداء فريضة الحج ، وهذا إلى جانب منع بعض الحجاج من السفر إلى مكة ، ومشاكسة الآخرين في أمر البواخر والكورنتينات وما يلاقيه الحجاج المصريون في طريقهم من تعب وإجراءات قاسية مما ينفر منه الحجاج من أداء فريضة الحج ، ولا يعرف لذلك سبب غير أن القوم يريدون أن يبطلوا أداء فريضة الحج ، فدعت المقطم الحكومة المصرية إلى إيقاف الإشاعات الصحفية المندفعة في ذلك التيار الجارف ضد حكومة الحجاز بصدد عودة المحمل ، ومعه بعض الحجاج الذين عادوا ولم يؤدوا الفريضة ، نتيجة لضغوط أمير الحج عليهم وتأثرهم به (٣) . وأوضحت كذلك بأن الحجاج لم يتعرضوا لأي مضايقات ، لأنها راقبت موقف السلطات الحجازية ، ولم تجد أي شيء عما يقال . وأشارت كذلك إلى عدم صحة ما يقال على اللسنة الصحفيين ووكيل الحكومة المصرية ، فمنذ أن سمعت بالحادثة سارعت إلى أخذ الأخبار من مصادرها الأصلية ومن رافق المحمل في سفره لعرض الحقيقة ، وبادروا بإرسالها إلى صحيفة المقطم ، والتي سارعت من جانبها بنشره مباشرة للمواطنين

---

(١) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ص ١٢٦ .

(٢) القبلة : العدد ٧٠٧ ، ١٩ ذي الحجة ١٣٤١هـ/ ٢ أغسطس ، ص ٢ .

(٣) عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٢٩ .

لكشف أبرز الملابسات في الخلافات بين البلدين ، ودعت السلطات المصرية إلى الحكمة والاعتدال وتحري الحقيقة فيما تعلنه للمواطنين (١) .

أما بخصوص الأقوال والإشاعات ، التي تقول : (أن الحكومة المصرية أخطرت حكومة الحجاز بأنها تنوي إنشاء مستوصفين أحدهما في جدة والآخر في مكة المكرمة لتتعهد برعاية صحة الحجاج المصريين والحجازيين ، فهذا خلاف المتبع علاوة على الأطباء المرافقين للمحمل في كل عام ، فكان رد فعل حكومة الحجاز هو الترحيب بالمحمل وركبه وبمن في معيته من أطباء ، وترفض أي شيء غير معتاد في الأعوام السابقة (٢) .

وعلى أية حال ، فقد فندت صحيفة المقطم كل الأسباب التي ادت إلى سوء التفاهم بين الحكومتين وحمّلت الحكومة المصرية مسؤولية تأزم الخلافات بينها وبين الحكومة الحجازية في موسم حج عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م . ودعت السلطات المصرية بنشر وثائق المفاوضات التي دارت بين مندوب الحجاز ومصر ، وأن تتراجع عن موقفها السلبي ضد حكومة الحجاز ، وأن عودة المحمل يعتبر طعناً للعالم العربي والإسلامي (٣) .

ويتضح لنا ، أن جريدة المقطم والبلاغ لهما دور كبير في نشر الحقائق التي زيفها أمير الحج المصري للحكومة عند عودته إلى القاهرة ، ووقفت موقفاً مشرفاً ، حيث قامت بإبراز أسباب الخلاف بين البلدين ، ووجدت هذه الصحف مساندة من الحجاج الذين لم ينصاعوا لأوامر أمير الحج ، وواصلوا سفرهم إلى مكة وأدوا فريضة الحج ، وطلبوا نشر الملابسات إلى الحكومة التي سببها المأمورين من كبار وزارتها وصحفها الذين قاموا بترويجها ، وبدأت تنبذ الشريف حسين الذي أوشكت حكومته أن تسقط على يد السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

ونستنتج من ذلك ، أن الخلاف الذي حدث أخيراً بين الحكومتين تتحمل الحكومة المصرية الجزء الأكبر منه نتيجة لتعنت مندوبها في جدة الذي عاد إلى مصر وخضع بعض الصحفيين للأغراءات المالية لتعليقاتهم ، على الرغم من أنه الذي يتحمل مسئولية إعادة المحمل بهيئته هو أمير الحج ، لأنه تشدد في موقفه مع السلطات

---

(١) القبلة : العدد ٧١٨ ، بتاريخ ٢٨ محرم ١٣٤٢هـ / ٩ سبتمبر ١٩٢٣ م ، ص ١ .

(٢) الاستقلال ، عدد ١٨٣ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٣م .

(٣) العراق : العدد ٩٦٩ ، ٢٣ أغسطس ١٩٢٣م .

الحجازية ، ولو أن الحكومة المصرية تدخلت وتحرت بما تنشره هذه الصحف بالوثائق الرسمية لأنكشفت لها الحقيقة ، وأستطاعت إيقاف الدعايات التي زادت من حدة التوتر في العلاقات مؤخراً بين البلدين ولانتهت الأزمة تماماً . ولكن الحكومة المصرية سكتت عن المروجين للأقاويل الكاذبة من غير المصريين ، ولم تتحرك ضد الدعاية حتى الحجاج المصريين الذين وفدوا إلى مكة وأدوا فريضة الحج ، وعادوا وحاولوا كشف أكاذيب أمير الحج للحكومة المصرية تجاه المسئولين في الحجاز ، ولكن لم تستطع ان تفعل شيئاً ، وربما كانت هناك ضغوط خارجية على مصر أن تفعل هذا العمل لصالحها .

وبعد انتهاء الحج ، تلاشت الأزمة التي حدثت بين حكومة الحجاز ومصر وطرأ تغيير مفاجيء في الموقف بين البلدين ، ويرجع هذا التراجع إلى تدخل بعض العلماء في مصر ، حيث كشفوا حقيقة الخلافات بين الطرفين ، وتم تسويتها بإيقاف نشر الدعايات التي تروج من الحكومتين ، وأرسلت الحكومة المصرية برقية إعتذار بما بدر من الصحف المصرية ، فتقبلها الحسين ، وساد بعد ذلك الهدوء بين الحكومتين الحجازية والمصرية واستبشر الأهالي في البلدين بالخير (١) .

وعلى أية حال ، فقد ظلت العلاقات متميزة بين البلدين حتى اقترب موسم حج عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ، ونشر خبر مفاده أن الحسين يعتزم أن يرسل أحد أولاده إلى مصر لتقوية العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين الشقيقين (٢) .

وفي شهر رمضان عام ١٣٤٢هـ/أبريل ١٩٢٤م أبلغت وزارة خارجية الحجاز الخارجية المصرية بان الشريف حسين يعتزم تسوية الخلافات السابقة نهائياً بالطرق السلمية ، حتى لا تتكرر مثل هذه الخلافات الآنفة الذكر التي عكرت صفو الجو بين البلدين (٣) ، فأبدت الحكومة المصرية من جانبها موافقتها على تصفية الأزمة بينهما نهائياً ، وأنه ليس في نيتها منع الإعانات المخصصة لأهالى الحجاز ، بعد إكتفائها بالإيضاحات التي أبداها المعتمد السياسي الحجازي في مصر ، بشأن حقيقة الخلاف الذي حدث بين البلدين . ولقد أشارت الحكومة المصرية للمعتمد الحجازي بأن مصر تفضل أن يحل الخلاف بينهما بالطرق السلمية وبشيء من الصبر والحكمة ونسيان الخلافات الماضية (٤) .

---

(١) القبلة : العدد ٧٢٠ ، ٦ صفر ١٣٤٢هـ/١٧ سبتمبر ١٩٢٣م ، ص ٤ .

(٢) جريدة العالم العربي : العدد ٤٧ ، ٢٠ مايو ١٩٢٤م ، ص ٢ .

(٣) العراق : العدد ١٢٣٢ ، ٨ أيار (مايو ١٩٢٤م) ، ص ٢ .

(٤) القبلة : العدد ١٩٠ ، ١٣٤٢هـ/سبتمبر ١٩٢٤م ،ص٢؛ عبدالعزيز صبري: تذكار الحجاز ، ص١٤٤ .

وفي العاشر من ذي القعدة ١٣٤٢هـ/الثالث عشر من يوليه ١٩٢٤م ، رفعت الحكومة المصرية برقية إلى الشريف حسين تبدي أسفها الشديد لما حدث ، وأنها قامت بنشر بلاغ رسمي في جريدة الأهرام ، تفيد فيه بأن الصعوبات التي قامت في الصيف الماضي بين الحكومة المصرية والحجازية والتي أدت بسببها إلى عودة البعثة الطبية والحجاج إلى مصر قد تذللت الآن ، وقررت الحكومة المصرية إرسال المحمل ببعثته الطبية كالمعتاد ، وأن الحكومة متأكدة من أنهم سيقابلون في الأراضي الحجازية بما يليق به من الحفاوة والاكرام (١) . ثم نشرت بعد ذلك بلاغاً آخر تأكيداً عل ما نشرته الحكومة المصرية ، وهذا نصه : (لقد تقرر سفر المحمل في هذا العام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ووزارة الداخلية تعلن لحضرات نظارة الأوقاف الأهلية الذين أعتادوا توريد نقود على ذمة إرسالها للحجاز برفقة المحمل بأن يبادروا من الآن بالحضور للوزارة لتوريدها مع العلم بأن آخر موعد لقبولها هو يوم الحادي عشر من ذي القعدة ١٣٤٢هـ/الرابع والعشرين من يونيه ١٩٢٤م) (٢) .

وبعدما أعلنت الحكومة المصرية الإعلان الأخير بادرت جريدة الأهرام بنشر بيان عام ، تقول فيه : (وبعد كتابة ما تقدم علمنا به من أن المحمل المصري سيبحر في أول يوليه القادم من السويس إلى جدة ، وسيصل إليها يوم الثالث منه ، وسيعود إلى مصر بعد الانتهاء من الحج ، وسيحتفل باستقباله في الثاني عشر من يوليه عام ١٩٢٤م .

ويبدو أن الشريف حسين أبلغ بذلك ، وأبدى إرتياحه للحكومة المصرية في الاستجابة ، حيث أعطاها بعض الضمانات وذلك بشأن معاملة مرافقي المحمل من أطباء ومن في معيتهم من المساعدين لهم ، كما أوعز لممثله في مصر عبدالملك الخطيب باستئناف المباحثات مع السلطات المصرية بخصوص الخلافات التي سبق أن جرت بينهما في العام الماضي .

وفي ذي القعدة عام ١٣٤٢هـ/يونية ١٩٢٤م ، أجتمع عبدالملك الخطيب بوزير مالية الحكومة المصرية محمد توفيق نسيم باشا ، وتم التفاهم بينهما على إنهاء الخلاف وافتتاح صفحة جديدة في العلاقات ، والاتفاق من جديد على السماح للأطباء المصريين

---

(١) جريدة العالم العربي : العدد ٤٩ ، ٢٢ مايو ١٩٢٤م ، ص ١ - ٢ .

(٢) القبلة : العدد ٧٩٩ ، ٢٣ ذي القعدة ١٣٤٢هـ/١٦ يوليه ١٩٢٤م ، ص ١ .

بممارسة عملهم وتعيين أماكن خاصة لهم في مكة المكرمة ، ثم عقد اجتماع ثان بين الجانبين في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٤٢هـ/الخامس والعشرين من يونيه ١٩٢٤م (١) ، حيث أبلغ نسيم باشا المعتمد السياسي الحجازي في مصر عبدالملك الخطيب بأوامر الملك فؤاد ملك مصر ، بإرسال المحمل المصري هذا العام ومعه كسوة الكعبة المشرفة ، وسيرأس الوفد رئيس الوزراء نيابة عن الملك فؤاد إلى الديار المقدسة (٢) . أما الحبوب وسائر الأرزاق الأخرى التي أعتادت الحكومة المصرية إرسالها ، فقد فوضت الحكومة الحجازية الحكومة المصرية في تقديرها (٣) ، ثم أصدرت بعد ذلك الحكومة المصرية بلاغاً رسمياً أخر أوضحت فيه إنتهاء الخلاف مع الحجاز .

وبعد أن ساد الود بين الحكومتين ، حدث من جديد ما عكّر صفو العلاقات ، ويعود ذلك إلى تردي الأوضاع العامة في الحجاز بعد انتهاء موسم الحج ، حيث تردت الخدمات الصحية ، وقلة العناية بالحجاج المصريين وغيرهم ، وشكى المصريون من معاملة الحكومة من غلاء سعر الماء الذي عمدت السلطات الحجازية إلى رفع ثمنه فجأة ، مما دفع أمير الحج المصري أن يقترح على حكومته قطع الهدايا السنوية من الحبوب والقمح ، الذي تقدمه مصر سنوياً في موسم كل حج لحكومة الحجاز(٤) .

وأخيراً أُعد تقريرٌ عامٌ بشأن الأوضاع المتردية في موسم حج عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ، ولكن مصر أمتنعت عن نشره لحين الانتهاء من اتصالاتها مع الشريف حسين ، وتسوية ما أستجد من خلاف لتذيع بعدها بلاغاً وافياً ورسمياً بهذا الخصوص (٥) .

ولقد حاول ممثل الحكومة الحجازية أن يرد على الممثل المصري في الحج مكذباً إياه بما جاء فيه ، مبرراً أيضاً بموقف حكومته من أسباب إرتفاع أسعار المياه في موسم حج عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م ، وذلك بسبب إنقطاع المياه من عين زبيدة مدة خمسة أيام وصعوبة

---

(١) القبلة : العدد ٧٩٧ ، بتاريخ ١٦ ذي القعدة ١٣٤٢هـ/١٨ يونيه ١٩٢٤م ، ص ٤ ؛ عبدالعزيز صبري : تذكار الحجاز ، ص ١٤٤ .

(٢) القبلة : العدد ٧٩٩ ، ٢٣ ذي القعدة ١٣٤٢هـ/٢٥يونيه ١٩٢٤م ، ص ٢ .

(٣) طالب محمد وهيم : مملكة الحجاز ١٩١٦-١٩٢٥م ، ص ٢٦١ .

(٤) العالم العربي : العدد ١١٤ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٤م ، ص ٢ – ٣ .

(٥) العالم العربي : العدد ١٣٢ ، ١٨ أغسطس ١٩٢٤م ، ص ٢ .

إصلاحها بسرعة ، مما أدى إلى زيادة سعر المياه إلى ثلاث ريالات أو اكثر من ذلك (١) .

ورأى الشريف حسين أن ينشر بياناً في جريدة القبلة تقريراً عن ندرة المياه ، حيث أعاد قلة المياه إلى حرارة الجو وكثرة الوافدين إلى الحج ، مما أدى إلى زيادة الطلب عليه وارتفاع سعره في مكة .

ثم عاد مرة أخرى الحسين وأوضح بما تم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية ، وهو ذهاب البعثةالطبية مع المحمل أينما حل وبيهئته إلى الأماكن المخصصة والمتفق عليه لها في كل من جدة ومكة المكرمة ، ثم رد على الاتفاق الذي أوضحه إليه أمير الحج بين مصر والحجاز (٢) ، ثم أشار كذلك الشريف حسين بأنه بسط أوراق الاتفاق مع حكومة مصر تأكيداً لما ذهب إليه ، وأعرب عن موافقته لقيام البعثة الطبية بما فيها من الموظفين وعمالها ، وتعين الحكومة المصرية من تشاء من الأطباء والصيادلة والمستلزمات الطبية ، وستتولى حكومة الحجاز دفع نفقات هذه البعثة شريطة أن يكون أعضاءها موظفين ، وأن الحكومة الحجازية قامت بتنفيذ كل ما طلب منها في موسم حج عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م .

ويظهر لنا من خلال تتبع العلاقات بين الحجاز ومصر أن القضية لم تعالج من جانب الشريف بالطريقة الصحيحة ، لأنه على ما يظهر يريد أن يفرض سيطرته على الحجاز ويتذرع بأمور واهية وإلا لماذا لم يسمح لبعثة طبية من بلد عربي تخدم حجاج بيت الله بالنزول إلى مكة المكرمة ، وإقامة مستشفيات في مكة وجدة لرعاية صحة حجاجها وغيرهم من الحجاج ، وفي هذا تسهيل لأمور الحج وخدمة للحجاج من جميع الأجناس ، وهل كان باستطاعته تأمين الرعاية الصحية للحجاج في مواسم الحج وغيره ؟ وماهي المستشفيات التي أقامها الشريف لخدمة الحجاج ؟ وهل وفر الأطباء والمستلزمات الطبية في مكة والمشاعر المقدسة ؟ وكل هذه التساؤلات تحمل أكثر من علامة استفهام ، لأن التاريخ يكشف لنا ما يلاقيه الحجاج خلال تلك الأعوام من سوء المعاملة وفقدان الرعاية الصحية ؟ ولماذا التشبث بكل أمر بأنه دسيسة أجنبية مع أنه باع نفسه لبريطانيا من أجل الطمع في الزعامة العربية ، وهل تأمين طبيب أو

---

(١) العالم العربي : العدد ١٣٥ ، ٣ أغسطس ١٩٢٤م ، ص ٢

(٢) القبلة : العدد ٨١٨ ، ٩ صفر ١٣٤٣هـ/٩سبتمبر ١٩٢٤م، ص ٣ ؛ العالم العربي : العدد ٣١ أغسطس ١٩٢٤م، ص ٢ .